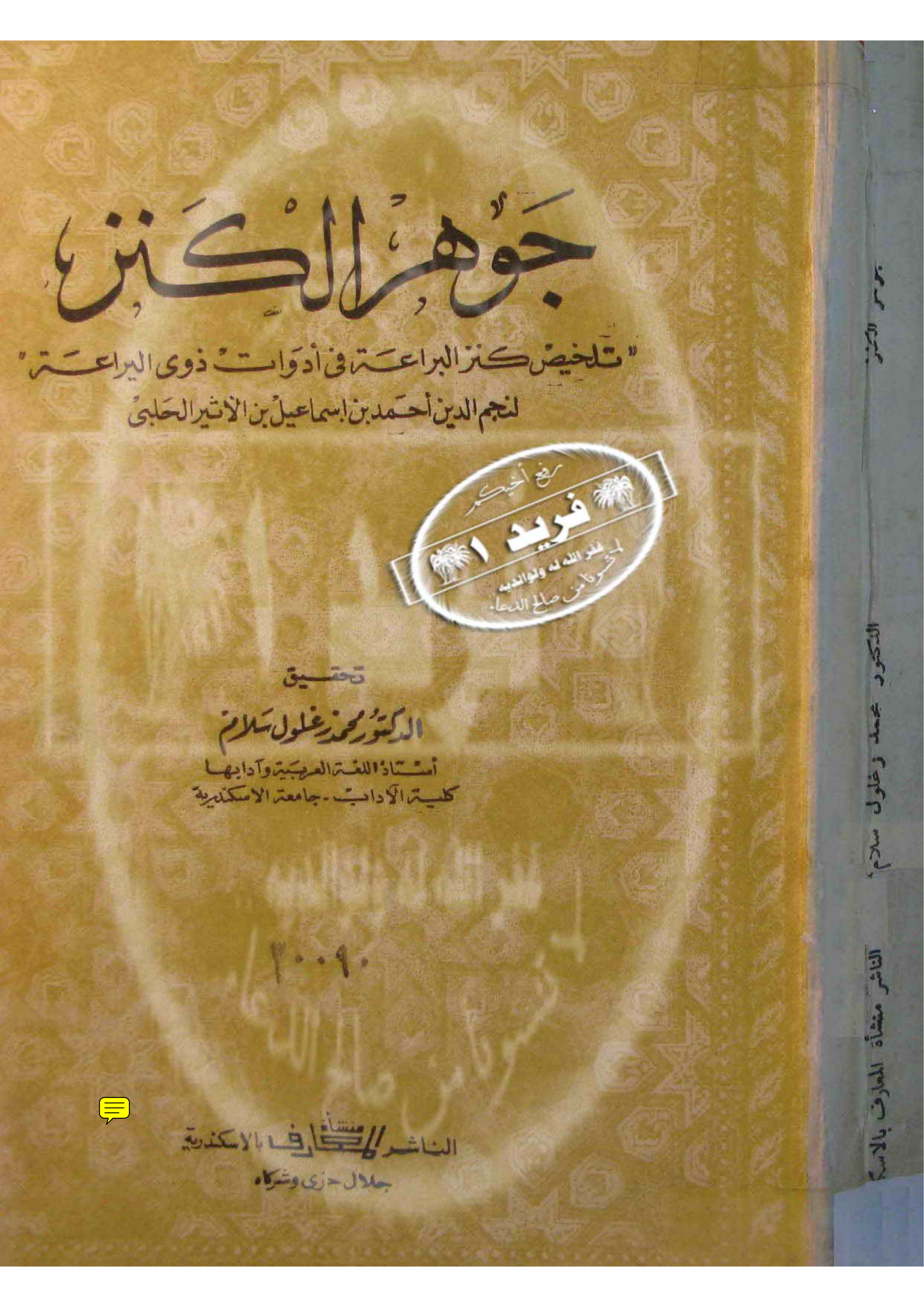

جوهر الكنز
"تلخيص كنز البراعة فى أدوات ذوى اليراعة"
لنجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبى
رفع أخيكم
فريد ١
غفر الله له ولوالديه
لا تنسونا من صالح الدعاء
تحقيق
الدكتور محمد زغلول سلام
أستاذ اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية
٢٠٠٩٠
الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزى وشركاه



جوهر الكنز

"تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة"

لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي

المتوفى سنة ٧٣٧ هـ



تحقيق

الدكتور محمد زغلول سلام

أستاذ اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الناشر / منشأة المعارف بالإسكندرية

جلال حزي وشركاه

مقدمة

مؤلف الكتاب ومختصره

عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد صاحب الكنز

نشأ فى أسرة من كبار كتاب دولة المماليك الأولى ، فقد كان جده شمس الدين سعيد من كبار كتاب الدولة ، ومن أعيان دمشق فى أخريات العصر الأيوبى وصدر دولة المماليك. لقب بالكاتب الرئيس، وعمل بالكتابة فى دمشق زمنا ثم انتقل إلى القاهرة .

وكان من أبنائه جماعة من النابهين عملوا بالكتابة فى ديوان الإنشاء وصحبوا الملوك بمصر والشام وأشهر أبنائه تاج الدين والد المؤلف ، وجد مختصر الكتاب. ولى تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير كتابة السر للسلطان الملك الظاهر بيبرس، ثم للملك المنصور قلاوون . وظل ملازما للسلطان قلاوون حتى تفرد بالكتابة فى ديوانه بعد وفاة كاتب سرّه فتح الدين محمد بن عبد الظاهر . (١)

وسفر بين السلطان قلاوون والأمير سنقر الأشقر بالشام ، وطلب إليه السلطان لوم الأمير لمراسلته التتار ،ودعوته للحضور إلى القاهرة . فذهب إليه تاج الدين ووبخه ولامه حتى أناب ووعد بإرسال ولده (٢) .

واضطرب المؤرخون فى عام وفاته بين سنة ٦٧٠هـ وسنة ٦٩١ هـ والصحيح الأخير كما أورده صاحب النجوم الزاهرة .

وله إنشاء على طريقة العصر ، منه قطعة يصف فيها معركة حاصر الجيش

---

(١) النجوم الزاهرة ٧/٣٣٩

(٢) السلوك للمقريزى ١/٧٠٨

فيها أحد حصون الأعداء قال : (١)

« ... والمنجنيقات تفوق إليها سهام قسيها ، وتخيل إليهم أنها ساعية إليهم بحبالها وعصيها وهي للحصون من ألد الخصوم ، وإذا أمت حصنا حكم بانه ليس بإمام معصوم . ومتى امترى خلق في آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين ، وإذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين . تدعى إلى الوغى فتكلم ، وما أقيمت صلاة حرب عند حصن إلا كان ذلك الحصن من يسجد ويسلم » .

وله نظم كنظم غيره من الكتاب ، ومنه قصيدة أوردها ابن تغرى بردى مطلعها :

أتتني أياديك التي لو تصورت　　　محاسنها كانت من الأنجم الزهر (٢)

ويذكر المقريزي أن فتح الدين بن عبد الظاهر توفي سنة ٦٩١هـ وكان في تركته قصيدة رثاء تاج الدين بن الأثير عند مرضه . ولكن شاء الله أن توفي ابن عبد الظاهر ، فرثاه تاج الدين ابن الأثير بعد موته . وتولى كتابة السر عوضا عنه (٣) .

وينسب لتاج الدين مؤلفات في الأدب والبلاغة والكتابة منها كتاب كنز البلاغة (٤) الذي ألفه ابنه عماد الدين واختصره حفيده نجم الدين المختصر الذي بين أيدينا .

---

(١) مطالع البدور للغزولي ٢/١٣١ ، وثمرات الاوراق للحموي ٢١٠

(٢) النجوم الزاهرة ٨/٣٤

(٣) الخطط للمقريزي ٢/٣٢٤

(٤) ينسب هذا خطأ في بعض المراجع الى تاج الدين

ونقل عنه السبكي فى مواضع كثيرة فى «عروس الأفراح».

أما ابنه الذى ألف الكتاب وسماه كنز البلاغة أو كنز البراعة، فهو عماد الدين كما جاء فى المقدمة وقد أشار فى المختصر إلى أن جده تاج الدين، وليس والده. يقول «وبعد فإنه لما وقفت على الكتاب الذى ألفه والدى الفقير إلى الله تعالى عماد الدين إسماعيل بن الفقير إلى الله تعالى تاج الدين أحمد بن الأثير الشافعى الحلبى رحمهم الله ... الخ.»

ونشأ عماد الدين فى رعاية والده، وسلك سبيل كتـــاب الانشاء فرقى فى الديوان، ولما مات والده تاج الدين تولى كتابة السر للسلطان الأشرف خليل بعضا من عامى ٦٩١، ٦٩٢ هـ.

وتلقى العلم على جماعة من علماء العصر كابن دقيق العيد الذى كتب عنه شرح «العمدة» فى الفقه (١)، ثم تولى بعد وفاة الأشرف خليل كتابة السر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، وصحبه إلى الشام سنة ٦٩٩ حيث قتل فى وقعة حمص. وكانت بين الناصر والتتار.

وهكذا لم يعمر عماد الدين طويلا بعد وفاة والده. وتولى السر للسلطان الناصر من بعده شرف الدين عبد الوهاب العمرى. لكن علاء الدين بن الأثير أخاه طمع فى منصب كتابة السر الذى وليه أبوه وأخوه. ومازال يتقرب للسلطان حتى وليه.

وأما نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير مختصر الكتاب فقد كان بين كتاب ديوان الإنشاء حين ولى عمه رياسته مع كتابة السر. ولقب نجم الدين أحمد بالصدر الكبير. وذكر بين الرؤساء فى القاهرة وكان من المتقدمين فى كتابة الانشاء وممن يحضرون دار العدل مع السلطان. وتوفى سنة ٧٣٧ هـ

---

(١) الدرر الكامنة ١/٤٠١

كتاب « جوهر الكنز » بين كتب البلاغة

يتضح من حياة مؤلف الكنز أنه ربما وضع كتابه فى أخريات القرن السابع ، وأن ابنه إختصره فى الربع الأول من القرن الثامن ، أو فى الثلث الأول منه . أغلب الظن .

وواضح من أبواب الكتاب وطريقته أن مؤلفه لم يرده كتابا قاصرا على علوم البلاغة كما فعل السكاكى فى « المفتاح » ، ولا أراده قاصرا على فن من فنون القول كالبديع لابن منقذ ، أو تحرير التحبير لابن أبى الأصبع . كذلك لم يجعله مقدمة لدراسة إعجاز القرآن كنهاية الايجاز للفخر الرازى ، ولا « الاشارة إلى الايجاز فى بعض صور المجاز » لعز الدين بن عبد السلام ، ولا التبيان لابن الزملكانى.

إنما أراده كتابا جامعا لفنون الأدب وعلوم البلاغة جميعاً . على غير نهج سابق ، فقد زاد على نهج سر الفصاحة والمثل السائر والعمدة ، أو قل جمع بينها جميعاً بالاضافة إلى ما تقدمه من كتب البلاغة التى أشرنا إليها .

ومع أن المؤلف لم يشر صراحة إلى شيوخه فى هـذا الكتاب ، ولا إلى الكتب التى رجع إليها ، لكنا نستطيع أن نتبين فى أثنائه اعتماده على كثير من كتب البلاغة السابقة، ونضع على رأسها كتاب « النكت فى إعجاز القرآن » للرمانى، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، و « البديع » لابن منقذ ، و « العمدة » لابن رشيق ، و « دلائل الإعجاز » ، و « أسرار البلاغة » لعبد القاهر ، و « نهاية الإيجاز » للفخر الرازى وكذا وقف على كتابى « المثل السائر » و « الجامع الكبير » لضياء الدين بن الأثير ، وكتابى « تحرير التحبير » و « بديع القرآن » لزكى الدين بن أبى الأصبع .

وأشار ابن المصنف فى المقدمة إلى أنه كتاب أدب جامع لعلوم البلاغة « فى علم الأدب ، ضمنه من أنواعه ما لم يسبقه إليه أديب ولا نحا نحوه فى فنه إلا ذو لب أديب » .

ويبدو أن الكتاب كان كبير الحجم، أكبر من هذا المختصر كثيراً يقول: «وقد وجدت فيه أسهابا على من يروم حفظه أو تقييد لفظه، فقصدت اختصاره رغبة فى سهولة تناوله، وقصدا لنظم شتات نوعه لمبتغيه ومحاوله». ثم يقول: «ولعل هذا المختصر جمع أجل ما حواه «كتاب الكنز» من المعانى والألفاظ. ولم أتعرض إلى شىء سوى ذكر الباب، وحده، وشاهده، وما لعله يمكن من الفرق بينه وبين الباب المضاهى له، وأعرضت عن تكرار الشواهد، والاختلاف فى الحدود، والإيرادات التى ترد على المسائل، والشكوك التى تلقى عليها من غير أجوبة عنها، والبحوث التى تقتضى المجادلات فى الكلام من غير الوقوف عند حد فيها يجمع على الوقوف عنده، بل أوضحت الجادة التى سلكها علماء هذا الفن وكثر إستعمالها بينهم، وأجمعوا على فصاحتها وبلاغتها، وحسن تداولها بينهم مع غاية الاختصار الذى لم يخل بما يحتاج إليه، ولا يمل عند مطالعته».

ويبدأ الكتاب بالأدوات التى ينبغى أن تتوفر للكاتب لإجادة الانشاء. وهو بهذا يقترب من نهج المثل السائر. يقول: باب «ما يحتاج إليه كاتب الانشاء من العلوم والفضائل ليعد كاتبا». وأول ما يحتاجه حفظ كتاب الله حتى يتدرب باستعماله فى مطاوى كلامه، والاستشهاد به فى الوقائع المناسبة لكل آية من آياته. والأحاديث النبوية، ومعرفة الطريق إلى تعلم الكتابة وأوضاعها، ومعرفة النحو ليأمن الكاتب من معرفة اللحن، ويرى أن معرفة علم البيان تستلزم معرفة النحو، ومع ذلك فلا ينبغى للكاتب أن يضيع زمنه فى استيعاب علم النحو، بل يتناول منه بقدر الإمكان. ومعرفة اللغة العربية حتى يتجنب الحوشى من ألفاظها، ويستعمل أحسنها ألفاظا. ويلم بالأسماء والصفات إلماما طيبا، والإطلاع على ما قاله المفسرون للكتاب العزيز من شروح الآيات المحكمة وأسباب نزولها. وما فى الكتاب العزيز من الأمر والنهى والأحكام والمعانى،

والإعجاز والإيجاز ، والفصاحة والبلاغة . والبيان والبديع ، وأخبار الأولين والآخرين . وشرائع الأمم السالفة . والوعد والوعيد ، والدنيا وأحوالها والآخرة وأهوالها . والاطلاع على جملة من التاريخ ، ومعرفة حكايات العرب وسيرهم وحروبهم وفتوحاتهم وقبائلهم وعشائرهم وأمثالهم ، ومعرفة الأحكام السلطانية ، والاطلاع على صناعات غالب أرباب المعايش» .

ثم يبدأ عرض أبواب الدراسات البيانية والنقدية ، مستهلا القول بالحديث في الفصاحة والبلاغة ، حديثا تتردد فيه آراء القدماء ، لكنه يميل إلى تخصيص الفصاحة باللفظ والبلاغة بالمعاني .

ويعرض شروط فصاحة الألفاظ مفردة ومركبة على ما بيَّنَها ابن سنان الخفاجي في « سر الفصاحة » وضياء الدين بن الأثير في « المثل السائر » .

ويحاول تحديد موضوعات علم البلاغة، والبيان والبديع . . . ويخلص إلى القول في البديع والبيان فيراهما من الأشياء التي يحتاج إليها الكاتب في التلعب في كلامه . ومباحث علم البيان هي المحاسن التي تدخل على الكلام من جودة الألفاظ إلى سلامتها . وبلاغة المعاني وتمكنها ، وإن كان يرى أن حد علم البيان أمر متعسر . ويرى البديع الإبداع ، أي الإتيان بشيء جديد . وقد صار هذا اللفظ عند علماء الأدب عبارة عن الألفاظ المستطرفة التي توجد في محاسن الكلام . ويقال : « كلام بديع » ، وكلام مخترع كالبديع ، مختص بمحاسن الألفاظ » .

ويلاحظ فيما صنف السابقون من علماء البلاغة الاضطراب والتداخل بين أبواب البيان والبديع : « ثم إن من علماء البيان من ذكر في مصنفاته أبوابا وعدها من البيان ، ومنهم من عد تلك الأبواب بعينها من البديع » . ويعلل ذلك بأن تلك الأبواب ليست مقصورة على خصائص لفظية فحسب أو معنوية فحسب ،

بل ما من باب فيها إلا وله تعلق باللفظ والمعنى ، فمن أين يظهر لنا الفرق بين النوعين ؟ . . .

ويرى أن ما وصل إليه فى القرن الثامن من أقسام البديع منذ ألف ابن المعتز كتابه بلغ سبعين بابا ، ولكل نوع اسم مختص به من معانى البديع ، لا تصلح التسمية به لغيره ، وإن كان من أرباب هذا العلم من سمى أنواعا أخرى من هذا النوع باسم فهو على سبيل التكرار لإسماء المعنى الواحد ، ولابد من ذكر الأنواع الملخصة من كلامهم ليعلم المشتغل بنوع الأدب عدة الأنواع المذكورة فيستمد من بحار محاسنها الوافرة . .

فهو لا يعترف إذا بما تزيّد فيه بعض علماء البديع ، كابن منقذ الذى بلغ بأبوابه فى كتابه خمسة وتسعين ، وابن أبى الأصبع الذى بلغ بها فى « تحرير التحبير » مائة وخمسة وعشرين بابا . ذلك أنه يرى فيما زاده هؤلاء تزيدا وتكرارا دون ضرورة ، فكثير من الأبواب الزائدة تتصل بعضها ببعض بوشائج ، وكثير من التفريعات لا ضرورة لها ، ولهذا يميل المؤلف إلى الاختصار وضم المتشابه ، والتغاضى عن التفريعات ، مثلما فعل فى أبواب الطباق ، والمقابلة ، والتكافؤ ، فجعلها جميعاً بابا واحدا . وعلماء البديع المعاصرون له والسابقون عليه واللاحقون يفصلون بينها ، بل ويفرعون الطباق إلى أنواع ، منها طباق الإيجاب وطباق السلب ... وهكذا . وفى التجنيس والجناس والمجانسة ، يكتفى بإيرادها فى باب واحد بأقسامها التى بلغت عند بعض علماء المشرق عشرة أبواب ، وكذلك نقلها عنهم صاحب الطراز .

ولا يميل صاحب الكتاب إلى التفريعات المنطقية والإيرادات الفلسفية النظرية على طريقة علماء المشرق أمثال عبد القاهر الجرجانى والزمخشرى والفخر الرازى والمطرزى وابن ميسم والتبريزى والتفتازانى ، بل إنه يضرب صفحا عن

ايرادات كثير منهم مع الاشارة إليها عرضا ، فهو لا يريد أن يشغل القارىء ومتعلم البلاغة بأشياء نظرية عقلية توغل به فى قضايا مجردة، وتبعد عن النص ومواقع الجمال المعنوى والحسى فيه . لهذا نراه يعمد إلى التطبيق والاستشهاد بالنصوص كثيرا ، بل لعله مسرف فى ذلك ، لا يكتفى بالشاهد الواحد ولا الشاهدين، وإنما يورد جملة ، ويميل فى وضوح إلى الشواهد القريبة من عصره ، والتى تظهر ألوان البديع والصنعة المتأنقة ، مما لا يوجد فى نصوص القرون الأولى .

ونلاحظ أنه لم يقف طويلا عند علم المعانى ، ولم يطل كذلك الوقوف عند علم البيان ، وقد سبق قوله بأنه لا يمكن الفصل فى يسر بين هذه العلوم الثلاثة على طريقة السكاكى . ولهذا نراه يميل إلى إدراجها جميعا ضمن البديع على طريقة الشوام والمصريين ممن لم يتأثروا بنهج المشارقة، ولم يسيطر عليهم كتاب السكاكى وفكر الرازى .

ونراه يميل إلى الوضوح والجمال السافر ، ولا يرغب فى الخفى الغامض الذى يحتاج إلى الفكرة والتأمل . يرى الاستعارة من المجاز وأحسنها ما خفى فيه وجه الشبه ولم يكن مبتذلا جاريا ، وقبيحها الغامض، الفاسد العلاقة ، المبنى على استعارة أخرى ، جنبا إلى جنب مع المبتذل المطروق الذى لا بديع فيه ولا ابتكار .

ويقول إن الاستعارة قائمة على أساس تلمس جوانب البيان والوضوح فى المستعار منه ، والوضوح عنده يعنى اكتمال ادراكه بالحواس، فكلما كان مدركا بأكثر من حاسة كان أظهر وأبين . فالفحمة مثلا أظهر فى الحس من الظلمة ، لأن الظلمة تدرك بحاسة البصر فقط ، والفحمة تدرك بحاستى البصر واللمس، فلذلك كان ذكرها أحسن بيانا من ذكر الظلمة .

وهكذا يجرى فى بقية أبواب البديع .

ويخرج من الحديث عن صنعة التعبير لفظا ومعنى فى أبواب البديع إلى الحديث

عن موضوعات البيان شعرا ونثرا ، فيتحدث عن الوصف والنعوت ، والمديح ، والفخر ، والعتاب والرثاء ، والهجاء ، والنسيب . . . فيقول فى الوصف : « وأحسن الوصف مانعت به الشىء حتى يمثل للسامع حضور المنعوت ، وتنزيل النعوت التى نعت بها على الأجزاء الموصوفة . . . ثم إن الشعراء يتفاضلون فى الأوصاف ، فمنهم من يجيد فى الوصف ، ومنهم من يقصر ، ومنهم من يكون وصفه متوسطا . وذلك كله إنما هو بحسب ميل نفوسهم إليه واستعدادهم لمواد ما يصفونه . ويرى فى وصف المتنبى للخيل فى الحرب بين كر وفر وصفا نموذجيا ينبغى أن يقتدى به الشعراء والوصافون . يقول :

ومنها قوله :

وخيل براها الركض فى كل بلدة	إذا عرّست فيها فليس تقيل
فلما تجلى من دلوك وصنجة	علت كلّ طود راية ورعيل
على طرق منها على الطرق رفعة	وفى ذكرها عند الخيس خمول
فما شعروا حتى رأوها مغيرة	قباحا وأما خَلْقُها فجميل
سحائب يمطرن الحديد عليهم	فكل مكان بالدماء غسيل
وأمسى السبايا ينتحبن بعرقة	كأن جيوب الثاكلات ذيول
تسائلها النيران فى كل مسلك	به القومى صرعى والديار طُلُولُ
ورعن بها قلب الفرات كأنما	تجر عليه بالرجال سيول
طلعن عليهم طلعة يعرفونها	لها غرر ما تنقضى وحجول
تمل الحصون الشم طول نزالنا	فتلقى إلينا أهلها وتزول

فمن أراد أن يصف شيئا ، فليصف هكذا ، وإلا فليصمت » .

ويقول فى المديح : « وكلما كان المدح أقرب إلى الشخص وأخص بنوعه الأخير ، بل بصفته الخاصة ، كان أمدح ، وأدخل فى الصناعة . لأنك إذا أردت

أن تمدح ملكا مثلا لاتمدحه بكونه جسما ولا حيوانا ولا إنسانا، لأن هذه الصفات له مشاركون فيها، وكذلك الذكورية والرجولية، والعقل المطلق، ومطلق السياسة، فإن الرعية وكثيرا من حفدته يشاركونه في هذه الأوصاف، بل يوصف الملك بما تفرد به واختص به عمن سواه كالمُلْكِ الذي وهبه الله تعالى له، والكمال في العقل والافراط في التودد وعلو الهمة، وحسن المداراة، وطول المصابرة على المكاره، والمحاماة عن حوزة الملك، وحب العدل، وبذل النفس والمال في الجهاد، والجود والكرم، وشرفِ المحتد، وكرم المنجم، وحسن السمت وكمال الهيبة، وقبول الصورة، وقوة البنية، وحسن طاعة العساكر له، وأستحقاقه للملك، ومساعدة القدر له على ما يريده، وحسن الاجتماع عليه، وأحياء الشريعة، والعمل بأوامرها، وأقامة منار الاسلام.

وكذلك إذا أردت أن تمدح عالما عابدا أو شاعرا أو تاجرا أو غير ذلك من أرباب الصنائع أطرحت الامور العامة التي تعم فيها الشركة وقصدت إلى صفته المخصوصة به التي ليس له فيها مشارك، وينبغي أن يمدح كل أنسان بما هو خاص به، فإن للهيئة والصورة قوة في الدلالة على أحوال الإنسان وأخلاقه وأستحقاقه الرتبة التي هو فيها.

وينبغي للمادح أن يعطي كل أحد ما يستحقه من المدح، فلا يمدح الجبان بالشجاعة، والبخيل بالكرم، فان التجأ إلى مدح أحد من هؤلاء فليبرز كلامه في صورة خاصة به، يمدحه بها ويسكت عن بخله وجبنه، أو غير ذلك من عيوبه، فإن الإقتصاد في القول أقرب إلى طريق الحق وقول الصدق. فقد قيل: من مدحك بما ليس فيك فقد ذمك. ولهذا لما أنشد الحطيئة:

متى تأتِه تعشو إلى ضوء ناره ‏ ‏ ‏ ‏ تجدْ خيرَ نار عندها خير مُوقِدِ

قال عمر بن خطاب رضى الله عنه: تلك نار موسى عليه السلام . فهذا القول من الحطيئة إفراط .

وأصول مدح الرجال أربعة : العقل ، والعفة ، والشجاعة ، والعدل . وسائر الأوصاف الحسنة تندرج تحت هذه الأوصاف التى تناسب قصد الممدوح أو تناسب المقصود منه . . . »

وقد أفاد بما حدث به علم النقد والبلاغة والأدب فى موضوع المدح ، وخاصة ما جمعه أبن طباطبا فى عيار الشعر ، وأبن رشيق فى « العمدة » . وله تطبيقات على كثير من معانى المدح مما لهج به العلماء ، ومما لم يجىء ذكره على ألسنة أحد من قبل لأنه من كلام المتأخرين . ويأخذ مثلا على أبيات زهير المشهورة فى المدح :

على مكثريهم حق من يعتريهم   وعندَ المقلين السماحة والبذل

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم   فَلَمْ يدركوا ولم يلاموا ولم يَأْلوا

قال : وهذه الأبيات مستحسنة غير أنه ماخلت من أظهر مابها من معايب ، من جملتها أنه قال عند قوله : « مكثريهم » إن هذا إخبار أن فيهم مكثرين ومقلين ، فلو كان مكثروهم كرماءَ لبذلوا لمقليهم الأموال حتّى يتساووا فى الوصف كما قال حسان :

الملحقين فقيرهم بغنيهم   والمشفقين على الفقير المرمل

فهذا العيب الأول . والعيب الآخر قوله : « حق من يعتريهم » . فإذا كانوا لا يسمحون بأكثر من إعطاء الحق فليس هذا مدحا ، فإن من أعطى الحق فقد قام بالواجب ، ولم يتفضل بما وراء الإنصاف ، والزيادة على الانصاف أمدح والعيب الآخر قوله : « وعند المقلين السماحة والبذْلُ » . فهذا دليل على أن المقلين أكرم طباعا من المكثرين على قدرتهم . ومن المعايب أيضا أنهم راعوا حق الغريب

وصلة الرحم أو مابدىء به . قال نجم الدين « مختصر الكتاب » : وقد رد والدى رحمه الله — « صاحب الكنز » — على من أنكر هذه المعايب فقال : أما من قال الزيادة على الانصاف أمدح فهذا صحيح ، لكنه إذا أتى الإنسان بمدح وغيره أمدح منه لايكون ذلك ذما . وأما من أنتقد على الشاعر قوله : « حق من يعتريهم » يعنى أنه إذا طرقهم أحد أوجبوا عليه لانفسهم حقا فقاموا به . وهذا فى غاية المدح . وأما من عاب قوله : « وعند المقلين السماحة والبذل » ، فهذا ليس بشىء، فلو كان عن فقر لأنه بين أن إقلالهم لم يكن عن فقر لما نسب إليهم السماحة والبذل، وإنما أطلق عليهم لفظة مقلين بالنسبة إلى قومهم، وإنما هم مكثرون عند من ليس منهم » .

وهكذا يستمر فى عرض موضوعات الشعر غير مكتف بعرض الشواهد وإنما يورد كذلك ما قيل فيها من نقد فيرد أو يحلل.

ويتحدث عن صنعة الشعر حديث ابن رشيق فى العمدة ، ومهتديا بطبيعة الحال بأقوال من عرض لهذا الموضوع قبل ابن رشيق وبعده مثل ابن طباطبا وقدامة، وعبد الكريم النهشلى وابن أبى الأصبع . ويسمى هذا الباب « باب فى ذكر الشعر وحده وتصريعه وعروضه وضروبه وقوافيه وفضله ومنافعه ومضاره والطريقة إلى عمله ، والمصنوع والبديهة والارتجال، والفرق بينهما ، والنسيب والغزل والفرق بينهما » .

ويحد الشعر بقوله: « فأما حده فهو اللفظ الدال على المعنى المقصود به إلى الوزن والقافية » . وهو حد قريب من حد قدامة فى صياغة جديدة تؤكد الشكل المحدود بالوزن والقافية. ثم يتحدث عن الاوزان ، ويعدد بحور الشعر ثم القوافى وأقسامها وما يدخل عليها من العيوب .

ويخرج من حديث الشعر إلى حديث عن المفاضلة بينه وبين النثر .

ويتحدث عن عمل الشعر ، والبديه والارتجال . ويختم الكتاب بباب خاص بصناعة الانشاء ، ويفصل القول فى حل الشعر وحل الآيات القرآنية على مثال ما فعل ضياء الدين بن الأثير فى كتاب « حل المنظوم » .

وبعد فالكتاب جامع لفنون القول وصورة طيبة للذوق الفنى فى صنعة الشعر والنثر فى القرنين السابع والثامن فى مصر والشام. وهو حافل بالنصوص الشعرية المتأخرة ، بعضها منسوب لأصحابه وبعضا غفل .

وقد انتفع بالكتاب جماعة من العلماء اللاحقين كالسبكى فى « عروس الأفراح » ، وابن حجة الحموى فى « خزانة الأدب » .

والكتاب فضلا عن كونه حلقة هامة فى الدراسات النقدية والبلاغية وخاصة فى اتجاه مصر والشام فى هذه المرحلة من تاريخ البلاغة العربية ، فانه كتاب فى الأدب يضع بين أيدينا كثيرا من النصوص والمعارف الأدبية مما يجلى جوانب من صورة العصر الأدبية التى لا تزال يشوبها كثير من الغموض ،

وصف المخطوطة ، وعمل التحقيق

من الكتاب ثلاث نسخ مصورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

الأولى أقدم هذه النسخ ، وعليها بآخرها إجازة بخط المؤلف لبعض العلماء ، مصورة عن سوهاج رقم ٤٠ أدب فى ١٢٥ ورقـــة ١٧×٢٥ مم . كتبت سنة ٧٢٥ هـ [1] مكتوبة بخط النسخ المضبوط بالشكل . خطها واضح ، فيما عدا بعض المواضع أتلفها العرق أو البلى ، فضاعت معالم بعض كلمات صححت بخط مغاير .

تبدأ بصحيفة العنوان ، على رأسها بخط نسخ كبير « كتاب جوهر الكنز »

(١) اخطأ مفهرس صورة المخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فى قراءة السنة فجعلها ستمائة بدلا من سبعمائة . ولم يكن المؤلف ولا المختصر قد ولدا بعد .

يليه فى سطور متتابعة: « مختصر كتاب كنز البراعة فى أدوات ذى البراعة . مما عنى باختصاره وجمعه العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الشافعى مذهبا ، الحلبى أصلا ، المصرى دارا ، التنوخى نسبا . حامد الله تعالى ومصليا على رسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم » .

وأوراق النسخة واضحة القدم ، عليها آثار أرضة ، فى كثير من صفحات ، كما بليت بعض ورقاتها من الأطراف . وعلى بعضها آثار عرق .

وتوجد بعض الهوامش والتعليقات ، أكثرها بخط الناسخ .

وعلى الصفحة الأخيرة ختام الكتاب قال : « وقد بينت بحمد الله تعالى لمريد صناعة الانشاء جميع ما يحتاج إليه من المواد فى كتابى هذا ، وبينت له ما ينبغى الاطلاع عليه من الشعر ومعرفته وعلمه ، وكيفية استعمال النظم والنثر ، وحل الأبيات الكريمة، والأحاديث النبوية، وما يجوز من ذلك وما لايجوز وأوضحت أقسام البيان والبديع، وما تكلم الناس فى ذلك كله على سبيل الاختصار والاقتصاد لا التطويل الممل، ولا التقصير المخل . وذلك على حسب الطاقة والاجتهاد. والله الموفق بمنّه لطرق السداد. تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ،

« على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجى عفوه ومغفرته محمد بن إبراهيم بن عبيد الله الشافعى فى العشر الاواخر من ذى القعدة سنة خمس وعشرين وسبعمائة، حامدا لله تعالى ومصليا ومسلما . حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ثم تلى ذلك إجازة مختصر الكتاب نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير . بخط مغاير ونصها :

« سمع علىّ هذا الكتاب المسمى بـ « جوهر الكنز ، مختصر كتاب ، كنز البراعة ،

الذى اختصرته من تأليف والدى رحمه الله تعالى من أوله إلى آخره : الصدر الرئيس الاصيلى الفاضل . . . الله محمد بن المرحوم فتح الله ابن عبيد الله الشافعى ، والفقيه شمس الدين محمد بن محمد عرف بالجيسون ، فى مجالس عديدة بقراءته . وقد اجزت لهما روايته عنى بطريقه ، وذلك فى شهور سنة ست وعشرين وسبعمائة . احسن الله عقباهما . وبلغنى وإياهما بمده وحوله خالصا لوجهه الكريم . وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى احمد بن اسماعيل بن احمد بن سعيد بن الاثير الشافعى . عفا الله عنهم اجمعين . . بمنه وعونه ،

وعلى الصفحة قبل الأخيرة تعليق يبدو أنه بخط الرقمه الحديث لعلى فهمى رافع الطهطاوى .

الثانية نسخة كتبت بخط عادى، احدث من النسخة السابقة تاريخها سنة ١٠٦٥ محفوظه بدار الكتب المصرية ، حجمها اقل وصفحاتها أكثر مقاس ٢٤ × ٢٠سم فى ١٥٠ ورقة .

الثالثة : نسخة بدون تاريخ ومحفوظة بالمكتبة التيمورية فى ٤٦٠ صفحة وقد اعتمدنا على النسخة الاولى لأنها اكثرها توثيقا ولا يعيبها شىء ، وهى مقروءة فى معظمها .

كتاب جوهر الكنز

مختصر كتاب كنز البراعة

في أدوات ذوي اليراعة

مما عني بالتقاطه وجمعه العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى

أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الشافعي مذهبا

الحلبي أصلا المصري دارا التنوخي نسبا

لطف الله تعالى به وصلى الله على مولانا

محمد صلى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلم

صفحة العنوان في نسخة سوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم ∴ وبه توفيقي

الحمد لله الذي جعل الفصاحة لأهل الأدب حرماً به يحتمي
واستخرج لهم من كنز البراعة جوهر النظم وعقود البلاغة يبتني
وأنحلهم من بديع المعاني قطوفاً جواني ثمرها ايسر ما يجتني
حمداً يجلي أن أوضح لنا من ليل المشكلات ما أظلم . ومنّ علينا
بمعرفة أسرار حكمته بقوله تعالى علم الإنسان ما لم يعلم . وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعرب فصاحة الإيمان بها عن
بلاغة القلوب في الإيمان . وتكون الإخلاص بها الحساب الذي من أكرم
الأثمان . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي خصه بالمعجزات من
فصاحة كتابه العزيز وأوتي جوامع الكلم فكان يعبر عن المعاني
البليغة بالألفاظ الوجيزة صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى
وأئمة الهدى والذين هم كالنجوم بأيهم اقتدى المرء بعد اهتدى . صلاة
لا تزال المبلغين الأجور مانيها . يتكفل لهم مضاعفة الثواب للمخلص في
تكرارها وتناسبها . وسلم تسليماً كثيراً . وبعد فإنه لما وقفت
على الكتاب الذي ألفه والدي الفقير إلى الله تعالى عماد الدين إسماعيل
بن الفقير إلى الله تعالى تاج الدين أحمد بن الأثير الشافعي الحلبي رحمهما الله
تعالى في علم الأدب وضمنه من أنواعه ما لم يسبقه إليه أديب ولا
نطق في فنه الأدب لبيب . وسماه كنز البراعة وهذا اسم موافق
للمسمى فإنه جمع فيه من البلاغة والفصاحة ما لو حكاه أحد لقلنا
وقد وجدت فيه ما يطول على من يروم حفظه . أو قيد لفظه فقصدت
اختصاره رغبة في سهولة تناوله وصد النظم شتات نوعه بتعبيره

الصحيفة الاولى من المخطوطه

وتطاوله، واقتصرت منه على ذكر ما يحتاج اليه كاتب الانشاء من العلوم
والفضائل ليعد كاتبا ثم رتبت له بعد ذلك ما يحتاج الى معرفته اولا فاولا
من ترتيب ما يحفظه ويتعلمه من العلوم والفضائل وغير ذلك من معرفة
الصنائع ثم بعد ذلك بينت له ايضا ما يحتاج اليه من حسن الاستعمال
لما علمه ثم بعد ذلك ايضا اوضحت له السلوك الى معرفة النظم والنثر
وكيفية الانشاء وحل الايات والاحاديث والشعر والامثال وغير
ذلك ليهتدي به الكاتب في مطلوبه، ويبني على منوال اسلوبه، ويتمه
ختوم الكنز اذا حل ما يدخر في الكنوز الجواهر، ولعل هذا المختصر
جمع اجل ما حواه كتاب الكنز من المعاني والالفاظ ولم اتعرض الى
شيء سوى ذكر الباب وحده وشاهده وما لعله يمكن من الفرق بينه
وبين الباب المضاهي له واعرضت عن تكرار الشواهد والاختلاف في
الحدود والايرادات التي ترد على المسائل والشكوك التي تلقى عليها من غير
اجوبة عنها والبحوث التي مقتضى الجدال لا تمس الكلام من غير وقوف عند
حد فيها جمع على الوقوف عنده بل اوضحت الجادة التي سلكها علماء هذا الفن
وكثر استعمالها بينهم واجمعوا على فصاحتها وبلاغتها وحسن اوضاعها
مع غاية الاختصار الذي لم يخل بما يحتاج اليه ولا يمل عند مطالعته
فقلت وبالله التوفيق ○

باب فيه ذكر ما يحتاج

من العلوم والفضائل ليعد كاتبا

ذكر علماء هذا الفن ان كاتب الانشاء ينبغي له ان يتشبث من كل شيء

الصحيفة الثانية

البيان والبديع وما تكلم الناس في ذلك كله على سبيل الاختصار والاقتصار
لا التطويل الممل ولا التقصير المخل وذلك على حسب الطاقة والاجتهاد
والله الموفق بمنه لطرق السداد ○

تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وسلم تسليما كثيرا

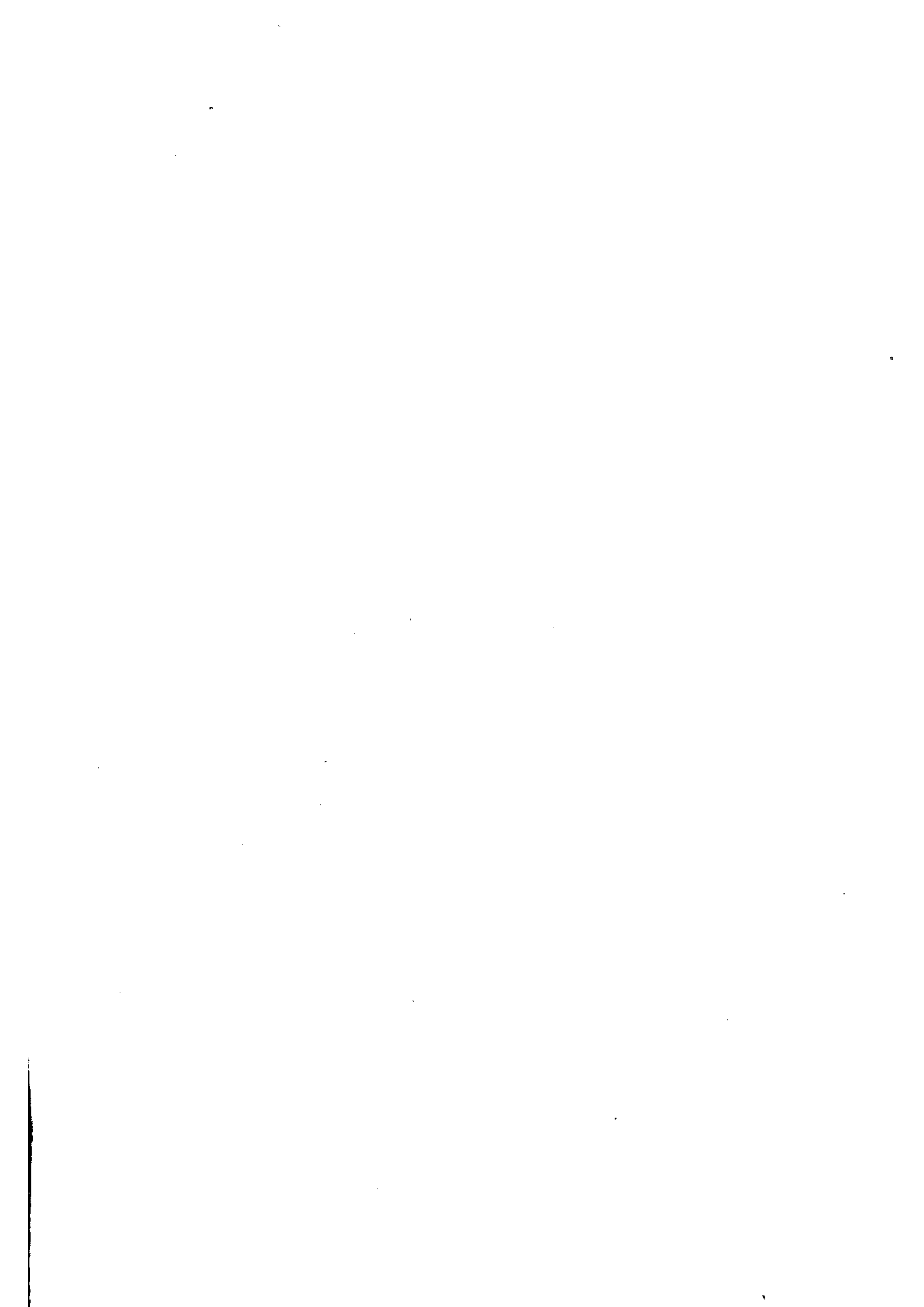
على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه ومغفرته محمد بن إبراهيم بن
عبد الله الشافعي في العشر الأواخر من ذي القعدة سنة [illegible] وعشرين و[illegible]
حامدا لله تعالى ومصليا ومسلما ○

حسبنا الله ونعم الوكيل

سمع علي هذا الكتاب المسمى بجوهر الكنز مختصر كتاب كنز البراعة الذي اختصرته
[illegible] الله تعالى [illegible] الشيخ [illegible] الأجل العالم
[illegible] عبد الله الشافعي والفقيه [illegible] محمد [illegible]
[illegible] في مجالس عدة بقراءته وقد أجزت له [illegible] روايته عني [illegible]
[illegible] سنة [illegible] [illegible] وعشرين [illegible]
[illegible] وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد [illegible]
[illegible] سعيد ابن الأثير الشافعي [illegible] [illegible]

الصفحة الأخيرة وعليها إجازة ابن الأثير بخطه وتوقيعه

جَوْهَرُ الكَنز



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيق . الحمد لله الذى جعل الفصاحة لأهل الأدب خير ما به يُعنى واستخرجَ لهم من كنز البراعة جوهرًا لنظم عقود البلاغة يُقتنى ، وأدنى لهم من بديع المعانى قُطوفاً جَنَوْا من ثمراتها أفضل ما يجتنى.

نَحمدُه على أن أوضح لنا من ليل المشكلات ما أظلم ، ومَنَّ علينا بمعرفةِ أسرار حكمته بقوله تعالى: ﴿علَّمَ الإنسان ما لم يَعلم﴾. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُعرِبُ فصاحة الإتيان بها عن بلاغة القلوبِ فى الإيمان ويكونُ الإخلاص بها لحسنَاتِ الدَّاريْن من أكرم الإيمَان .

ونشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ، الذى خصه بالمعجزات من فصاحة كتابه العزيز ، وأوتى جوامع الكلم ، فكان يعرب عن المعانى البليغة باللفظ الوجيز . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، مصابيح الدُّجى وأئمة الهدى ، الذين هم كالنجوم ، بأيهِّم اقتدى المرء فقد اهتدى ، صلاةً لا تزالُ بليغة فى الأجور معانيها ، ومتكلفة بمضاعفة الثواب المخلص فى تكرارها لمعانيها . وسلم تسليما كثيراً .

وبعد فإنى لما وقفت على الكتاب الذى ألفه والدى الفقيرُ إلى الله تعالى عماد الدين إسماعيل بنُ الفقير إلى الله تعالى تاج الدين أحمد بن الأثير الشافعى الحلبي رحمهم الله تعالى فى « علم الأدب » ، وضمنه من أنواعه ما لم يسبقه إليه أديب ، ولا نحا نحوه فى فنه إلا ذو لُبٍّ أريب وسَمَّاه «كنز البراعة» ، وهذا الاسم موافقٌ للمُسَمَّى ، فإنه قد اجتمع فيه من البلاغة والفصاحة « مالو نحاه أحد لقلمَّا » .

ولقد وجدت فيه إسهابا على من يروم حفظه ، أو يقيّد لفظه، فقصدت اختصاره رغبة فى سهولة تناوله ، وقصدا لنظم شتات نوعه لمبتغيه ومحاوله.

واقتصرت منه على ذكر ما يحتاج إليه كاتبُ الإنشاء من العلوم والفضائل ليعد كاتبا . ثم بينت له بعد ذلك ما يحتاج إلى معرفته أولا من ترتيب ما يحفظه ويتعلمه من العلوم والفضائل وغير ذلك من معرفة الصنائع . ثم بعد ذلك بينت له أيضاما يحتاج إليه من حسن الاستعمال لما علمه . ثم بعد ذلك أيضا أوضحت له السلوك إلى معرفة النظم والنثر وكيفية الإنشاء ، وحل الأبيات والأحاديث والشعر والأمثال ، وغير ذلك ليقتدى به الكاتب فى مطلوبه ويبنى على منوال أسلوبه ، وسميته بـ « جوهر الكنز » إذ أجل ما يذخر فى الكنوز الجواهر .

ولعلّ هذا المختصر جمع أجلَّ ما حواه كتابُ « الكنز » من المعانى والألفاظ. ولم أتعرض إلى شىء سوى ذكر الباب وحدّه وشاهده.ومالعله يمكن من الفرق بينه وبين الباب المضاهى له . وأعرضت عن ذكر الشواهد والاختلاف فى الحدود ، والإيرادات التى ترد على المسائل ، والشكوك التى تلقى عليها من غير أجوبة عنها ، والبحوث التى تقتضى المجادلات فى الكلام من غير وقوف عند حد فيها يُجمع على الوقوف عنده ، بل أوضحت الجادة التى سلكها علماء هذا الفن وكثر استعمالها بينهم ، واجمعوا على فصاحتها وبلاغتها وحسن تداولها بينهم ، مع غاية الاختصار الذى لم يخل بما يحتاج إليه ولا يُمل عند مطالعته فقلت وبالله التوفيق :

باب

فيه ذكر مايحتاج إليه كاتب الانشاء
من العلوم والفضائل ليعدّ كاتبا

ذكر علماء هذا الفن أن كاتب الإنشاء له أن يتشبث بكل فن، حتى ماتقوله الماشطة عند جلوة العروس، وما تقوله النادبة فى المأتم، وما يقوله المنادى في السوق، فإنه محتاجٌ إلى ذلك ومضطر إلى معرفته، إذ الضرورةُ تلجئه إلى معرفةِ كل نوع، لا على سبيل التوغل فيه، لأن مواد الكتابة غير محصورة فى عدد معلوم، فيستحب للكاتب أن يتمسك من كل فن بما لا يجهل الاصطلاح فيه، ألا ترى أنه إذا كتب تقليداً بالخلافة لخليفة يكون ولى عهد أو لخليفة اجتمع عليه، أو تقليداً لملك ملكه الخليفة، أو لملك يكون ولى عهد، أو تقليدا بنيابة الملك فى بلد الملك أو بالنيابة فى بلد بعيدة عن بلد الملك، أو تقليدا بقضاء الحكم، أو بولاية شرطة أو بتدريس أو نظرٍ أو حِسبَةٍ أو نقَابةِ أشرافٍ أو غير ذلك من أنواعِ الولايات كلها على اختلاف أجناسها وتنوّعها، فإنه يحتاج إلى ما يقوله فى كل تقليد من هذه التقاليد، وأن يذكر فى أسبابه ما يناسبُ صاحبَ ذلك التقليد، وحال وظيفته .

فبهذا الاعتبار صار الكاتبُ مدفوعا إلى معرفة كل شىء من العلوم والصناعات ليخاطبَ بها عند الحاجة إليها، ويأمرَ صاحب كل وظيفةٍ بما يجبُ عليه فعله، وينهى صاحب كلّ وظيفةٍ عما يجب النهى عنه فى وظيفته. وليس له وصولٌ الى بُلوغ مقاصده من مخاطبة كل أحدٍ بما يليق به. والتمكن فى صناعته إلا إذا استعد لذلك بتحصيل أصولٍ يَرجع إليها . فنها :

أن يحفظ كتاب الله تعالى، إذ له فائدتان فى حفظه، إحدى الفائدتين أن يدخل فى زُمرة من أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : "خيرُكُمْ من تعلَّم القرآنَ وعلَّمَه". وما ورد فى فصل تعلُّم القرآن واغتنام أجوره واكتساب حسناته أكثر من أن يُحصى، فهذه فائدة أخروية.

والفائدة الثانية : أن يطلع على أسرار الكتاب العزيز بكثرة تلاوته، ويتدرب باستعماله فى مطاوى كلامه والاستشهاد به فى الوقائع المناسبة لكل آية من آياته. وهذه فائدة تحصِّل له المقاصدَ الدنيويَّة.

ومنها: حفظ جملة من الأحاديث النبوية لفائدتين، إحداهما تبركًا بالحديث لقوله صلى الله عليه وسلم : «من حفظَ على أُمَّتى أربعينَ حديثاً من أمر دينِها بَعثه الله يوم القيامة فى زُمرة العُلماءِ». وهذه فائدةٌ أخروية والفائدةُ الثانية السُّلوك به مسالكَ كتابِ الله العزيزِ باستعماله فى مطاوى كلامه مكان الاستشهاد به وعند الاحتياج إليه بأمر أو نهى بشرطِ لزوم الأدب الشرعى فى استعماله حتى لا يستعمله فيما يُكره الاستعمال فيه شرعاً. وسيأتى بيان ذلك فى هذا الكتاب إن شاء الله.

ومنها : معرفة الطريق إلى تعلم الكتابة وأوضاعها.

ومنها : معرفة النحو، وقد قيل إنه فى علم البيان بمنزلة «أبجد» فى تعليم الخط، وهو أول ما ينبغى للكاتب أن يشتغل بمعرفته ليأمنَ مَعَرَّةَ اللَّحْنِ فى كلامه أو تلاوته، أو إيراده الحديثَ النبوى أو إنشائه مطلقا. فإنه يكادُ اللَّحنُ يُوقعُ صاحبه فى الكفر وهو لا يدرى، وفى قلب المعانى إلى غير ما أُريدت به بإحالة الألفاظِ إلى غيرِ مراد الناطقِ بها. ولا يُمكن الاطلاعُ على أسرارِ الكتابِ العزيزِ ولا الأحاديثِ النبويّةِ إلا بعلمِ البيانِ. ومعرفةُ علم البيان مفتقرةٌ إلى علم النحو. فصار علمُ النحو أصلا يُرجع إليه فى معرفة

الألفاظِ والمعانى، ولا يجب على متوخى هذه الصناعة أن يضيع زمنه فى استيعاب علم النحو مع أنه لا يقدر على ذلك، بل يجب عليه أن يتناول منه بقدر الإمكان لإزالة ضرورته.

ومنها: معرفة اللغة العربية الحوشية وغير الحوشية، أما الحوشية فلأن يتجنبها فى كلامه، ويفهمها إذا وردت عليه. وأما غير الحوشية فلأن يستعملها فى مواضعها وينتقى لإنشائه أحسنها ألفاظا؛ كالأسماءِ المترادفة، والأسماءِ المشتركة، وأوصاف الأسنان، وشيات الخيل والإبل، وأوصافِ جميع الحيوانات واختلاف أصول النبات، وأوصاف السحاب.

ومنها: معرفة جملة من الفقه يعرف بها الفرضُ والواجبُ والسنّةُ والمندوبُ والحرامُ والحلالُ والمكروهُ، واختلافُ العلماء ومذاهبهم فى الأقوال، وترجيح الأحسن منها والمعمول عليه فى الفتيا والأحكام إذ الكاتب محتاجٌ إلى ذلك فى جميع كلامه، ولا يستغنى عن شىء منه.

ومنها: الاطلاعُ على ماقاله المفسرون للكتابِ العزيز من شرحِ الآياتِ المحكماتِ وأسباب نزولها، وما فى الكتاب العزيزِ من الأمر والنهى والأحكام والمعانى، والإعجاز والإيجاز، والفصاحةِ، والبلاغة، والبيانِ والبديع، وأخبارِ الأولين والآخرين، وشرائع الأمم السالفة والوعدِ والوعيدِ والدنيا وأحوالها والآخرةِ وأهوالها، إذ لاغنى للكاتب عن الاستشهاد بآية فى مطاوى كلامه، فلو سئل عنها الأحسنَ الإجابة فى تأويل تلك الآية، وما اتفق عليه العلماء من معجزها، وأسباب نزولها، ومافيها من الحكم والفوائد، أو الأمر والنهى، أو التحذير أو الترغيب، أو الوعد أو الوعيد.

ومنها الإطلاع على جملةٍ من التاريخ ليعلم ما جريات الأولين ووقائعهم وحروبهم وفتوحاتهم ودولهم وأحكامهم، وقضاياهم وسيرهم، وأشعارهم

وأمثالهم ، فإن ذلك كله مما لابد للكاتب منه ، فإنه ما من واقعةٍ وقعت فيما مضى أو مثلٍ ما جرى ، إلا ويُوشِكُ أن يقع فيما يأتى مثلُ ذلك ، فيستحبُّ أنْ يستَشهِدَ الكاتِبُ فى الواقِعةِ التى تحدثُ بنظيرها فى الوقائع الماضية .

ومنها معرفةُ الأحكام السلطانيةِ ، وهى السياساتُ التى تُقاس على الأحكام الشرعية،لأن كل حكم لم يرد فيه نصٌّ ، أو لم يُذكر فى فروع الفقه فإنه سياسةٌ تقاس على حكم من الأحكام الشرعية باجتهاد أولى الأمر فى إناطة أحكامهم بالقواعد الشرعية .

ومنها : **الاطلاع على صناعات غالب أرباب المعايش** ، إذ هو مدفوع إلى أن يصف صاحب كل صنعة بحسب صنعته ، أو يعيب على صاحب صنعة قبيحَ صَنْعَتِه ، فإذا علمَ مقاصد أصحابِ الصناعاتِ فى صنائعهم علم مغزاه فيما ينشئه من النوع المتعلق بأرباب الصناعات .

وأحسن ما وصف به الكاتب فى ما قاله الجد تاج الدين رحمه الله تعالى :

« ينبغى أن يكون الكاتبُ من ذوى الثُّبوت ، والسكون والسكوت ، سليم الطباع خبيراً بالأوضاع صحيحَ الإعتقاد ، بعيداً عن الإنتقاد ، مُتناسب الأدوات ، عالما بمواقع السرعة والأناة ، يكتم السر ، ويظهرُ البر ، ويكتفى باللفظة ، ويستغنى باللحظة ، لا يستخفُّه طمع ، ولا يلفته غرض . يستمع المناجاة ويصرف المداجاةَ ، ويفهمُ المحاجاةَ ، لا يغتابُ ولا يَنتابُ ولا يتشكك فى حقيقة ، ولا يرتاب ، طاهر اليد وقورَ النفس ، صادقَ اللمحة ، عالىَ الهمة ، يحافظ على الكتمان ، ويرى المروءةَ من الإيمان . »

وهذه الأوصاف وإن كانت لا تختص بالكاتب وحده ، بل بِكُل مسلمٍ ينبغى له أن يتصف بهذه الصفات ، لكن الكاتب أمس بالاحتياج إليها .

وقد ذكرنا جملة من الأصول التي ينبغي لكاتب الإنشاء تحصيلها ، لتكون عونا له على كلامه وقاعدةً يبني عليها في حسن نظامه ، وإلا فإذا أراد الكاتب تكميلَ نفسه ، فليلبسْ أقواله حُللَ البيان والبديع ، وليبرزْ عرائس ألفاظه متقلدةً جواهرَ الفصاحة ، متناسبة الترصيع .

وليستْ صناعةُ الإنشاء كلاماً مقفّى ، ولا لفظاً بالمقاصد غيرَ مُوفٍّ ولا تلفيقاً حاله من البلاغة حائلٌ ، ولا هَذْراً كما قيل : « فقاقعٌ ما تحتها طائلٌ » . إنما كاتبُ الإنشاء من جمَّلَ كلامَهُ بالفصاحةِ والبيانِ والبلاغةِ والتبيان ، وحُسْنِ الألفاظِ وَجَوْدةِ المعاني ، وحسْنِ تباعُدِ مخارجِ الحروف وإستعمالِ الكلمات العربيَّةِ غيرِ الحوشية ولا المتوعرة ، والاحتراز من الكلام المبتذلِ بين العامة ، والاحتراز من الكلام المعبَّر به عن معنىً يُكره ذكرُهُ ، والإتيانِ بالكلمةِ المؤلَّفةِ من أقلِّ الأوزانِ تركيباً والكلماتِ المبنيَّة من حركاتٍ خفيفة .

والجودة في تركيب الألفاظ ، ومعرفة المعاني وأساليبها على اختلافها وتباينها ، والأسماء المشتركة ، فيفهم من الاسم معنيان مشتركان ويفهم منه معنيان مختلفان .

وحيث ذكرنا هذه الأنواع التي يجمِّلُ الكاتب بها كلامَه ، فينبغي أن نشرح كل نوع من الأنواع التي ذكرناها ونبين حدَّهُ وحقيقته وطريقته وشواهدَه ، وكيفيةَ معرفته والاستدلال عليه ، وحسن التوصل إليه . فنقول وبالله التوفيق :

باب

في الفصاحة والبلاغة

قال الإمام فخرُ الدين الرازي رحمهُ الله تعالى: إنَّ الفصاحةَ خلوصُ الكلام من التعقيدِ وأصلُه من الفصيح وهو اللبنُ الذي أُخذت عنه الرغوة (١).

وأن البلاغةَ بلوغُ الرَّجُلِ بعبارته كنهَ ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المُخل، والتطويل المُمل. وقيل: إنَّ الفصَاحةَ مختصَّةٌ باللَّفْظِ والبلاغةَ بالمعنى. واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر :

طَلَعَتْ لِلحُسْنِ فيهم مُزْنَهُ ... أنبتَتْ في كُلِّ حِقْفٍ غُصُنَا

فالمُزنة هي الماء النازلُ من السماء . ومن جملة أسماء الماء النازل من السماء : البُعاقُ والغيثُ ، والقَطْر، وغيرُ ذلك ، فني هذه الأسماء ما يعذُب لفظُه كالمُزنة ، والقَطْرة ، وما أشبه ذلك ومنها ما يستثقل لفظه كالبُعَاق ، فلما عدل صاحب هذا البيت عن ذكر البُعاق إلى ذكر المُزنة كان ذلك دالا على فصاحته ، وإن كان المعنيان واحداً ، غير أنه إنتقى الأفصح ، فهذا دليلٌ على أن البلاغة مختصةٌ باللفظ .

واستدلوا على أن البلاغه مختصة بالمعاني، بأنه لو نقصنا من الألفاظ دلالتها على المعاني لكانت بمنزلة أصداءِ الأجسام والأصواتِ الناشئة من تلاطم أمواج

(١) كتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) ص ٩ طبع مطبعة الاداب بالقاهرة سنة ١٣١٧ هـ .

واقتبس جزءاً من عبارة الرازي . وتمامها : (أو ذهب لباؤه . وقد فصح وأفصح لذا صار كذلك . وأفصحت الشاة إذا فصح لبنها . ثم قالوا : فصح الأعجمي فصاحة فهو فصيح إذا خلصت لغته من اللكنة) .

البحار اصطكاك الأفلاك، وأصوات الأحجار عند اصطدامها، والأشجار عند تمايلها بالهواء، وغير ذلك من الأصوات التي ليس لها معنى، فإن في بعضها ما يدلُّ على فصاحةٍ مثل أصوات الطيور المسموعة، والبلابل، وغير ذلك مما تستلذُّ النفوسُ بسماعه، وتُقِرُّ بفصاحته، لكنها ألفاظٌ بغير معنى، فلا يطلق عليها اسم البَلاغة، فحينئذ إنما تشرُف الألفاظ بما دلت عليه من المعاني لا بذواتها.

وإذا كانت اللفظةُ فصيحة بِلا معنى، فليسَ لها في النفوس وقعٌ، وإذا كانت اللفظةُ غيرَ فصيحة ولها معنى بليغ شرفت على اللفظة الفصيحة بمعناها غير البليغ. واستدلوا على ذلك بقول العرب: القتلُ أنفى للقتل. ومن المعلوم أن هذا الكلام ليس فيه مزية ترفعه إلى الحسن الفائق، وإنما حملهم على تحسين هذا الكلام ما وجدوا تحته من المعنى، وهو المُراد بقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياةٌ﴾. لكن أين طَلاوةُ الآيةِ الكريمة وحلاوتُها من كلمةِ العرب وتكرار ذكر القتل، وإن كان المعنيان واحداً. ولولا معنى كلمة العرب الدال على المقاصة لما كانت بليغة، لأنها عارية من الفصاحة (١).

ومن الفصاحة تباعدُ مخارج الحروف، فإن الألفاظ إذا تباعدت مخارجها كانت أحسن من المتقاربة المخارج، ومهما كان اللفظ قريبَ المخرج من أخيه كان قبيحا إذ الألفاظ لقرب مخارجها تكون مكدودة قلقة، غير مستقرة في أماكنها. ومهما كانت الحروف بعيدة المخارج جاءت متمكنة في أماكنها غير قلقة ولا مكدودة، ولهذا لم يوجد في كلام العرب العينُ مع الغين، ولا مع الحاء ولا الظاء مع الثاء، كل ذلك عدلوا عنه لقرب مخارج الحروف (٢)، ولذلك

---

(١) أورد الحديث عن الاية والقول العربي الرماني في «نكت الاعجاز»، وفصل الوجوه التي فضلت بها الآية قول العرب. (راجع ثلاث رسائل في إعجاز القرآن طبع دار المعارف)

(٢) أول من تكلم عن فصاحة الألفاظ بالنسبة لمخارج الحروف الخليل بن أحمد، ثم تلاه الرماني في النكت، وفصله ابن سنان في سر الفصاحة، وعلق عليه ابن الأثير في المثل السائر.

إذا استعمل كلام فى نظم أو نثر، وتكررت فيه الحروف كأنْ تكونُ عبارته فى غاية الرّكاكة، وسماعه أثقل من ترصيعة . مثال ذلك ما قاله بعض الشعراء :

لوكنتُ كنتُ كتمتُ الحُبَّ كنتُ كمَا كنّا وكنتَ ولكنْ ذاكَ لم يَكُنِ

ألا ترى ركاكة هذا البيت بتكرار كافاته وتاءاته . فمثل ذلك لا يحسن أن يطلق عليه اسم البلاغة . ومثل قول الآخر (١) :

ولا الضعفُ حتى يبلغَ الضّعفُ ضعفَهُ
ولا ضعفُ ضعفِ الضّعفِ بل مثلُهُ ألفُ

مع أن هذا البيت هو للمتنبي ، وعجيب من فصاحة المتنبي هذه الألفاظ .

ومثل ذلك قول الآخر (٢) .

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرُ وليسَ قُربَ قبرِ حربٍ قبرُ

فانظُر إلى مَا فى هذه الألفاظِ من ثِقَل النطق بها .

ولذلك هَرب أربَابُ الفصاحة من اللفظين المتقاربين إلى الإدغام لمّا كان اللسان فى الإدغام ينتقل عنهما إنتقالة واحدة ، فإنهم شبّهوا النطق بالمُتَقاربيْنِ بمشى المُقَيّدِ فى أنه ينقل رجله الأولى إلى مكان ورجله

---

(١) البيت للمتنبى ، واعتبر من مساوئه . راجع : «الكشف عن مساوىء شعر المتنبى» للصاحب بن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ص ٦٨ ، وراجع الثعالبى فى « أبو الطيب المتنبى ما له وما عليه » ص ٨٥ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .

(٢) راجع البيان والتبيين طبع السندوبى ٤٧/٢ و«ثلاث رسائل » فى اعجاز القرآن : (رسالة النكت فى اعجاز القرآن للرمانى) ص ٩٥ بتحقيق خلف الله ومحمد زغلول سلام الطبعة الثانية .دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ .واعجاز القرآن للباقلانى بتحقيق خفاجى ص ٢٨٥ قال الرمانى : وذكروا أن هذا من شعر الجن لأنه لايتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعتع .

الأخرى قريبةً إلى ذلك المكان.

ومن الفصاحة استعمال الكلمات العربية غير الحوشية، ولا المتوعرة. والمراد بالحوشية الألفاظ القليلة الاستعمال، وذلك عيب فى الكلام فاحش فيجب اجتنابه إلا ما كان من الكلام الدائر بين أهل ذلك الزمان المنطوق فيه بتلك الألفاظ؛ فإنّ كلّ زمانٍ تكون الفصاحة فيه بحسب فهم أهله للألفاظ الدائرة بينهم. والعرب كانت قبائل، ولكل قبيلة لغة هى حُوشيّةٌ عند غيرهم. فالفصاحة مخاطبة كلّ قوم بلغتهم الدائرِ استعمالُها بينهم. ألا ترى إلى حديث طهفة بن أبى زهير النَّهدىّ حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أتيناكَ يارسولَ الله من غَوْرَىْ تِهَامَةَ على أكوار (١) الميسِ، ترتمى بنا العيسُ، نستحلبُ الصبيرَ (٢)، ونستحلبُ الخَبير (٣) فى أرض غائلة النَّطى (٤)، غليظة الموْطى، قدنشِف المدْهَنُ، ويَبِسَ الجِعْثِنُ (٥) وسقط الأملوجُ (٦)، ومات العُسْلُوجُ (٧)، وهلكَ الهَدِىُّ (٨)، وماتَ الوَدِىّ (٩)، برئنا إليك يارسول الله من الوثَن والعَنَن (١٠)، وما يُحدِثُ الزمَنُ. لنا دعوة السلام وشريعة الإسلام، ما طما البحرُ وقام تِعار. ولنا نعَمٌ همَلٌ أغفالٌ ماتبضّ ببلالٍ، ووقيرٌ (١١) كثير الرِّسل (١٢) قليل الرِّسْل (١٣)، أصابتها سنةٌ حمراءُ مؤزِلة، فليس نَهَلٌ ولا عَلَلٌ».

---

(١) الميس النوق

(٢) الصبير الجبل

(٣) الخبير الغنم

(٤) النطى: البعد

(٥) الجعثن أصول نبات من نبت الصحراء

(٦) الاملوج النوى أو الغصن أو الورق.

(٧) العسلوج الغصن المورق

(٨) الهدى مايساق للفداء

(٩) الودى صغار الفسيل

(١٠) العنن الصنم الصغير

(١١) الوقير القطيع من الغنم

(١٢) الرسل العدد

(١٣) الرسل الدر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم بارك لهم فى مَحْضِها ومَخْضِها وابعث راعيها فى الدَّثْرِ (١) بيانع الثَّمر وافْجُرْ له الثَّمَد (٢) ، وبارِكْ لهُ فى المالِ والوَلد . مَنْ أقامَ الصلاةَ كانَ مُسلماً . مَنْ آتى الزّكاةَ كانَ مُحْسِناً ، ومَنْ شهِدَ أنْ لا إله إلا الله كانَ مُخلِصاً . لكُمْ يا بَنى نَهْد ودائعَ الشِّرك ووَضائعَ المِلْكِ ، لا تُلْطِطْ فى الزّكاةِ (٣) ولا يُلحَدْ فى الحياة، ولا يُتَثاقَلْ فى الصلاة . »

ثم إنه صلّى الله عليهِ وسلّم كتبَ معه كتاباً إلى بنى نَهْد يقول فيه :

«من محمدٍ رسولِ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ ، إلى بَنى نَهْد بنِ زَيْد .

لكم يا بَنى نَهد فى الوَظيفةِ الفَريضَةُ ، ولكم العارِضُ الفريشُ وذو العِنانِ الرَّكوبُ والفَلُوُّ الضَّبيسُ (٤) ، لا يُمْنَعُ سَرْحُكُمْ (٥)، ولا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ (٦)، ولا يُحْبَسُ دَرُّكُمْ ما لَمْ

(١) الدثر الخصب والنبات الكثير

(٢) الثمد الماء

(٣) لاتلطط فى الزكاة :أى لاتمنعها [راجع اللسان مادة (لطط)]

(٤) الضّبيس : الصعب العسر ، والفلو المهر

(٥) السرح : المال السائم ، الذى يسامُ فى المرعى من الانعام

(٦) يُعضد طلحكم : يعضد : يقطع، والطلح من الشجر ، ينبت فى الصحراء فى بطون الاودية ولها أغصان عظام يستظل بها .

تضمروا الإباقَ (١) ، وتأكلوا الرِّباقَ (٢) . من أقرّ بما فى هذا الكتاب فإنه من رسولِ الله الوفاءُ بالعَهدِ والذمّةِ ومَن أبى فعليه الرّبوةُ . »

فانظر إلى هذا الكلام الصادر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسنه فى بابه مع غرابته وكونه غيرَ مفهوم الكثيرِ من الناس ، حتى إن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : يا رسولَ الله ، إنا رُبِّينا فى بلدٍ واحد ، ونحنُ بنو أبٍ واحدٍ ، ونراكَ تُكلّمُ وفودَ العربِ بما لم نفهم أكثره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أدّبنى ربّى فأحسنَ تأديبى ، ورُبِّيتُ فى بنى سعد » .

فإذا خاطب الإنسان قوما بلغاتهم الدائرة بينهم المفهومةِ عندهم المستعملةِ ألفاظُها ، لا يكون ذلك من بابِ الحوشى ، بل هو من الفصاحة ، إلا إذا استعمله عند غير أرباب تلك اللغة .

ومن الفصاحة الاحترازُ من الكلام المبتذل بين العامة ، وهو ما كان من الألفاظ دالا على معنى وضع فى أصل اللغة فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر ، غير أنه فى هذا النوع ضربان : ضرب مستحسن . ما غيرته العامة عن موضوعه الأصلى وعبروا به عن معنى آخر ، وضرب مستقبح غيرته العامة عن موضوعه الأصلى وسموا به معنى آخر . (٣)

فالضرب المستحسن كقولهم : فلانٌ جميلُ الوجه ، حلو الشمائل ، مليح

---

(١) أبق : شرد والابق الشارد أو الهارب

(٢) الرباق : الحبال ، وتطلق على العهود لأنها تقيد الإنسان ، وتأكلوا الرباق : تتحللوا من العهود وتتخللوا من الذمم

(٣) راجع المثل السائر لابن الأثير فى حديثه عن اللفظ المشترك

العامة ظريف الحركات ، كاملُ الحُسن . وأصل هذه الصفات التى تذكرها العامة لم تضعها العربُ لما وضعتها العامة عليه - إنما كانت العرب إذا أخذت فى صفات خُلقِ الإنسان قالوا الصَّباحةُ فى الوجه والوضاءةُ فى البَشرة والجمالُ فى الأنف، والحلاوةُ فى العينين والملاحةُ فى الفمَ والظَّرفُ فى اللسان والرشاقةُ فى القد ، واللباقة فى الشمائل وكمال الحسن فى الشَّعر .

فلما غيرت العامة هذه الألفاظ عن موضوعها الأصلى واستعملوها على ما تقدم بيانه استُقبِحَتْ منهم ، فصارتْ الفصاحةُ فى الكلام الدائر بينهم فى زمانهم من هذا النوع أفصَح مما وُضعَ فى أصلِ اللُّغَةِ .

والضرب المَستقبح كقولهم : فُلانٌ علِقٌ . والعِلْقُ إنَّما وُضعَ فى أصْل اللُّغَةِ للشيءِ النَّفيس ، فلما استعْمَلتْه العامةُ فى غير ما وُضعَ لهُ وصار شتما ،كُره استعماله ، وصارت الفصاحةُ تأباه .

ومن الفصاحة الاحتراز من الكلام المعبر به عن معنى يكره ذكره إلا أن تنضمَّ إليه قرينةٌ تصرفه عن المعنى المكروهِ ، فإنه يجوزُ استعماله . مثال ذلك قوله تعالى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ فالذِينَ آمنُوا بِهِ وعَزرُوه ونَصَرُوهُ ﴾ (١) ، فلفظة التعزير موضوعة لمعنى مكروه، فلما ضم إلى لفظة التعزير فى الآية الكريمة قرينة ، آمنُوا به ونَصرُوه ، فُهِمَ أنَّ المرادَ بلفظةِ التَّعزيرِ الاكرامُ ، لا ما وُضِعَتْ له فى أصل اللغة ، فحَسنَ استعمالُها بهذا الاعتبار .

ومن الفصاحة الإتيان باللفظة المؤلفة من أقل الاوزان تركيبا . وذلك أن الكلمة إذا تركَّبت من حروفٍ قليلة خفَّتْ على الناطق بها بخلاف ما إذا

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧

كانت مؤلفةً من حروف كثيرة . فإنه يثقل النطقُ بها على اللسان وعلى الأسماع. مثال ذلك إذا عدَل القائلُ عند وصف الماء الطيب عن قوله : عذبٌ إلى قوله: سَلْسَلٌ ، كانت لفظة : «عذب» أحسنَ من سلسَل وأقلَّ حُروفا . وإذا عدَل القائلُ عن لفظة : «ذهب» إلى لفظة «عَسْجَد» كانت لفظة «ذهب» أحلى وأرشَقَ ، وإذا عدل الواصفُ للمرأة الشديدةِ عن لفظة «صعبة» إلى لفظةِ «صهْصَلق» كانت لفظةُ «صعبة» أرشق من لفظة «صَهصَلِق» ، وكذلك إذا عدل عن ذكر عجوز إلى ذكر «جَحْمَرِشْ» كانت لفظة عجوز أرشقَ من ذكر «جَحْمَرِشْ» .

ومن ذلك وأشباهه . . ، ولهذا قاعدة ذكرها علماء البيان وهى أنهم قالوا : كلما كانت الكلمةُ ثلاثيةَ الحروف كانتْ أرشقَ من الرباعية وإذا كانتْ رُباعيّةً كانت أخفَّ من الخماسية وما فوقَها . وغالبُ الكلمات العربية الفصيحةِ ثُلاثيَّةٌ ، وما زاد عليها فهو عارٍ من الفصاحة .

ومن الفصاحة أن تكون الكلمةُ مبنية من حركاتٍ خفيفة ، وذلك أن الكلمة إذا كان فيها حركتان متواليتان ساغ قَبولُها فى الأسماع ، فأما إذا كانت ثلاثَ حركاتٍ متواليات فى كلمة واحدةٍ استُكرِهَتْ قليلا ، فإذا كانتْ أربعَ حركاتٍ فإنها تَثْقُلُ أكثرَ ، وهو المسمى بالمتكاوس فى علم القوافى مثل قولنا — فَعَلَه — . فمتى استعمل الناثر أو الناظم فى كلامه كثيراً من الكلمات الخفيفة الحركات كان كلامُه أفصح مما إذا استعمل كلاما كثير (١) الحركات .

---

(١) هكذا فى الأصل ولعله يقصد «ثقيل»

[فصاحة الالفاظ المركبة]

ومن الفَصَاحَةِ الجودةُ في تركيبِ الألفاظ وذلك أنَّ حُسْنَ التأليفِ هو المُعْتَبَرُ في الكلام، ولا يُكتفَى بأنْ تكونَ الألفاظُ في نفسها مليحةً رائقة، بل لابُدَّ من حُسن تأليفها مع أخواتها، فإن اللفظَ والمعنى إذا كانا رائقين وأُلِّفا مع غيرهما من الألفاظ والمعاني تأليفا غيرَ مرتَبِط، كانَ ذلكَ كالعِقْدِ الذي أفسَدَهُ الناظِمُ في نَظمِه له، فجعَلَ إلى جانبِ الفص خَرَزَةً، وإلى جانبِ اللؤلؤةِ صَدَفَةً، فقد أفسد نظامهُ. وكذلك لو كان في الصورة الإنسانية رأسُ شخصٍ عند رِجْلَيْه، أو رِجلاهُ عند رأسِه أويَدُهُ من صدرِه أو رجْلُه من كتفِه لكانت هذه الصورةُ غيرَ منتظمةِ التأليفِ ولا مرتبطةِ الأعضاءِ ولا مُتَنَاسِبةِ الشَّكْلِ. فيقول العرب: هذا كلام متمكِّنٌ. يعنُونَ به حسنَ التأليفِ ومشاكلةَ بعضه لبعضٍ. ومن أحسن التأليف ما ورد في قوله تعالى: (وقيلَ يا أرضُ ابْلَعِي ماءَكِ ويا سَماءُ أقْلِعي، وغِيضَ الماءُ، وقُضِيَ الأمرُ واستَوتْ علىَ الجودِيِّ، وقيلَ بُعداً للقَوْمِ الظَّالِمينَ) (١). فانظر ما تفرَّدَت به هذه الآية الكريمة من حسن التأليف شيئا بعد شيء متناسب التأليف متمكن القوة. فتعيَّن حينئذٍ أن من شَرْطِ الفَصاحةِ حسنَ التأليفِ في تركيبِ الألفاظِ.

ومن الفصاحة: معرفةُ المعَاني وأماليبها على اختلافِها وتَبايُنِها (٢). قال علماءُ البيان: إنَّ الاصلَ في المعنى أنْ يُحمَلَ على ظَاهِرِهِ، ومن

---

(١) سورة هود آية ٤٤

(٢) يقصد الإشارة إلى ما يأتي أحيانا من ألفاظ في معاني الأضداد. راجع « أثر القرآن في تطور النقد العربي » ص ١٦٣ وما بعدها ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٨. دار المعارف بمصر

يَذْهبْ إلى التأويلِ يَفْتقِرْ إلى دليلٍ . وظاهِرُ الحالِ أنَّ هذه القاعدةفيها نظرٌ وذلكَ أن تفسيرَ المَعْنَى أو تأويلَه لايخلُو من ثلاثةأقسام، إما أنْ يُفْهَمَ منهُ شيءٌ واحدٌ لا يُحتَملُ غيرهُ ، وإمَّا أنْ يُفْهَمَ مِنْهُ معنَىَ الشَّيءِ وغيرِه ، وإما أنْ يُفهَمَ منه الشَّيءُ وضِدُّه .

فأما الأول فكثيرُ الوُقوع ، وأما مايُفْهمُ منه الشيءُ وغيرُه فهذا من باب التَّورِيَةِ الذى نَذْكُر حدودَهُ وما يُناسِبُها فيما يَلِى بَعْدَذَلِك إنْ شَاءَ الله . وهذا القسم مثاله أن تذكر شيئاً يحتملُ معنيين ومرادُك منه المعنى الواحدُ فلا يُفْهَمُ عنكَ هذا المرادَ إلا أن تُضَم إليه قرينةٌ تدُلُّ عليه .

وأما ما يُفْهَمُ منه المعْنَى وضدُّه فإنه قليلُ الوقوع، ومثالهأن تقول : فلانٌ يُعَزِّرُ فُلاناً فهذا يُفهَمُ منه الإكرامُ والإهانةُ ، ولا يُفهَمُ القَصْدُ من لفظةِ التَّعْزِيرِ إلى أن تَنْضَمَّ إليها قرينةٌ تدلُّ على الإِكرام أوالإِهانةِ ، لأنَّ هذه اللفظةَ جمعَتْ بينَ الشيءِ وضِدِّه فلايُعْلَمُ إلا بقَرينةٍ .

وإذا كانَ الأمرُ على هذه الصورة والتقسيم،فلا فائدة فى قَوْلِ منقالَ : إن الأصل فى المعنى أن يُحمَلَ على ظاهره، إذْ ظاهرُ اللفظةِ يحتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ ، فعلى أيهما يحملهُ السامع؟.

وقول علماء البيان : إنه منْ يذهبْ إلى التأويل يفتقر إلى دَليل . وهذا أيضا يحتاجُ إلى نظر ، فإنه ورد من الآياتِ الكريمة والأحاديثِ النبوية ما لابد فيه من التأويل ، قولاً حتْما وأمراً جزما ، فكيف يجوزُ أن يُطالبَ من ذهبَ إلى التأويل بدَليلٍ على تأويلٍ مالابُدَّ منه ؟ .

فهذه إيرادات تردُ على من حدَّ المعنى بأنه المحمُولُ على ظاهِره ، وفيها

مباحث ليس هذا موضعها ، لأن الغرض إنما هو الاختصار ، وجملة القصد أن الكلام إذا ورد فى إنشاء الناثر أو الناظم يجبُ عليه أن يُنقِّح المعانى وينتخبها ثم يبرزها فى الألفاظ الصَّحيحةِ الفصيحة ، بحيث إنه إذا ذكر اللفظةَ دلّت على المعنى الحسن ، فإن أشترك فى معناها معنى آخر غيرُ مراد فيضم إلى تلك اللفظة قرينةً تصرفه إلى المعنى الذى أراده .

ومن الفصاحة : الإتيان بالأسماء المُشْتَركةِ التى يُستخرجُ منها معنيان تحتملهما فيزين الناظم أو الناثر كلامه بها ويزيده بهجةً وفصاحةً ، ولا يفهم ذلك عن المُنشىء إلاَّ بتأويل . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وكُلُوا واشربُوا حتى يتبيَّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر ﴾(١) فلفظةُ الخيطِ تدلُّ على معنىً واحدٍ فى الحقيقةِ ، ومعنى آخر فى المجازِ ، فأمَّا فى الحقيقةِ ، فالخيط المعهودَ بين الناسِ ، وأما فى المجاز فعبَّر عن اللَّيل بالخيط الأسودِ ، وعن النهارِ بالخيطِ الأبيضِ ، وهذا من باب الفصاحة والتنقل فى البلاغة من حقيقةٍ إلى مجاز أو من مجاز إلى حقيقة ، فيجب أن يُطرِّزَ به المنشىءُ كلامَه .

ومن الفصاحةِ : الإتيانَ فى الكلام بما يُفْهَمُ منه معنيانِ مختلفانِ ، وهذا أيضاً من الفصاحةِ والبلاغة التى يجبُ أن لا تخلو من الكلام البديع فى الإنشاء . ومثالُ ذَلِكَ قول الله تعالى : ﴿ وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلها ﴾(٢) فالسيئةُ الأولى الخطيئةُ ، والثانيةُ الجزاءَ . وكذلك قوله تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليهِ بمثل ما اعتدى عليكمْ ﴾(٣)

(١) سورة البقرة آية ١٨٧

(٢) سورة الشورى آية ٤٠

(٣) سورة البقرة آية ١٩٤

فالعدوانُ الأولُ ظلمٌ والثانى جزاءٌ . وأمثال ذلكَ كثيرةٌ .

وإلى هنا شرحنا ما قدمنا ذكرهُ مِمّا احتاجَ الكاتبُ إليهِ من تكميل كلامه بنوع الفصاحة والبلاغة ، وقصدنا يحتاج إلى أن نطلعه على نبذ يتوصل بها إلى معرفة ما يحتاج إليه من التَلعُّبِ فى كلامِه بالبيانِ والبديع ، والحقيقةِ والمجاز، وحينئذ يتفرع له — بمعرفة ذلك — فروعٌ شتى ، ويصيرُ بالاطلاع على ذلك كفارسٍ ملَك حكْمَ جوادِه ، فصار يُصَرِّفُه فى ميدانِ الفصَاحةِ كيف شآءَ . فنقول وبالله التوفيق .

باب

فى علم البيان والبديع

علمُ البيَانِ فى صناعَةِ الإنشاء بمنزلة ميزانٍ تَعْرِفُ به من محاسن الكلامِ ما رجَح وما شَحَّ ، ومَحكٍّ إذا عُرِضَتْ عليه المعَانى أبرز منها ما فَسدَ وما صَحَّ ، يفتقرُ إليه كلٌّ من نظَرَ فى كتابِ الله تعالى وكلامِ رسُولِه صلّى اللهُ عليه وسلم إذ كلٌّ منهُما معدِنٌ للفَصَاحة والبلاغَةِ ، فإنه إذا أنْعَم الناظِرُ فى ذلِك النَّظَرَ استخرجَ بمعرفَته جواهرَ المعَانى من كنوزِ الآياتِ الكريمةِ والأحاديثِ النبويةِ ، وتنزه فى الاطلاعِ على أسرار البلاغةِ ، وعلِمَ ما فى كتاب الله من الإعجازِ المنْطَوى فى الآياتِ الكريمةِ ، كما قال سبحانه وتعالى : (قُلْ لئِنْ اجتمَعَتْ الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتُونَ بمثلهِ ولو كانَ بعضُهُمْ لبعضٍ ظهيرا)(1). ثم إنَّ الكاتبَ إذا مهَرَ فى هذا العلم وصارتْ لَهُ فيه ملكة أبت نفسُه بعدَ ذلكِ أنْ يُنشِئَ إلاَّ كلاماً مُنتقىً مُنتَخباً .

وعلم البيانِ ليسَ له حدٌّ فنذكُرُه ، فإنَّه لم يتعرف أحَدٌ من علماءِ البيانِ إلى ذِكرِ حدٍّ يُحَدُّ بهِ علمُ البَيانِ ، وإنَّما عَرَّفُوهُ بشىءٍ غيرِ الحدِّ ، وهو الموضُوعُ والرَّسْمُ .(2)

---

(1) سورة الإسراء آية ٨٨ .

(2) يقول صاحب الطراز : (ج ١ ص ٨ طبع مطبعة المقتطف سنة ١٩١٤) « إعلم أن كثيرا من الجهابذة والنظار من علماء البيان وأهل التحقيق فيه ما عولوا على بيان تعريفه بالحدود الحاصرة والتعريفات اللائقة ، ولا أشاروا إلى تصوير حقيقة يعرف بها من بين سائر العلوم الأدبية والعلوم الدينية » .

فأما موضوعُ علم البيان فهو كلامُ العربِ والفصاحةُ والبلاغةُ ، فإن موضوع كلِّ علمٍ هو الشيءُ الذي يُبحثُ فيه عن الأصولِ العارضةِ لذاته ، وأما الشيءُ فهو نفسه العلم . مثال ذلك أنَّ موضوع (١) النحو كلامُ العربِ، والذي يبحثُ فيه إنما هو الأحوالُ العارضةُ لذاته التي يبحثُ في مسائلها : الفاعل والمفعول والجار والمجرور والمضاف والمصدر ، وغير ذلك في فروع العربية . وكذلك علمُ الطبِّ فموضوعه بدنُ الإنسان ، وإنما هو البحثُ في أحواله العارضة لذاته ، مثل المداواة والمُسايسة وحفظ الصحة ، وغير ذلك مما يناسبه . وكذلك موضوع علم الفقه إنما هو أفعالُ العبادِ . وأحوالُه العارضةُ لذاته هي التي يبحثُ عنها ؛ مثل الحلال والحرام ، والمأمور به والمنهيّ عنه ، وغير ذلك من مسائل الفقه .

وبهذا الاعتبار صار موضوعُ علم البيان هو كلامَ العرب ، والأحوال العارضة لذاته هي التي يبحث عنها مثل محاسنه التي يُوصَفُ بها وهي جودةُ الألفاظِ وملاءمتُها ، وبلاغةِ المعاني وتمكّنُها .

وأما رسمُ علم البيانِ فقدْ قالَ علماءُ البيانِ : إذا لمْ يكنْ لهذا العِلم حدٌّ يُذكَرُ به فلا بُدَّ من رسمٍ يُعرَفُ به ، فإنَّ الحدَّ هو الجامعُ المانعُ على صفات مخصوصة . وهذا الحد قد يُعَرِّفُ علمَ البيان فتعيّن أن يُعرَّفَ بشيءٍ غير الحد ، فقال بعضهم : علم البيان صناعة نظرية مقصودها معرفة محاسن الكلام (٢) . فقوله نظرية احتراز من عملية ، وقوله

(١) السياق يقتضي ما أثبتناه .

(٢) يذكر صاحب الطراز تعريفاً لعلم البيان ، عرفه به بين علماء البلاغة وحاصله —

مقصودها معرفةُ محاسن الكلام احترازٌ من علم العربية وعلم اللغة ، إذ مَقصُودُ علمِ اللغة معرفةُ مَوضوع اللفظ الإفرادى ، ومقصودُ علمِ النحو معرفةُ صوابِ الكلام من خطئه فى النطق ، ومقصودُ هذا العِلم معرفةُ ذلكَ الصَّواب .

وأما البديع فإنَّ هذه اللفظة مصدرُ أبدَع . يقال : أبدعَ فلانٌ « فتلَهُ » . إذا فتلَ حبلاً من شيءٍ جديدٍ لا من نقاضةِ حبل آخرَ . و « بديع » . قد صار هذا اللفظ عند علماء الأدب عبارة عن الألفاظ المستطرفة التى توجد فى محاسن الكلام . ويقال : كلام « بديع » ، وكلامٌ مُخترعٌ ، فالبديعُ يختصُّ بمحاسنِ الألفاظِ ، والمخترعُ متعلقٌ بابتكار المعانى التى لم يُسبَق إليها . وأولُ من سمَّى هذا النوع البديعَ ابنُ المعتز . وألف فيه كتابا ، ولم يضمنه من أبواب البديع إلا خمسة أبواب وهى : الإستعارة ، والتجنيس ، والمطابقةُ ، وردُّ العَجُزِ على الصَّدرِ ، والمَذهَبُ الكلامى .

ومن بعده نظر علماءُ الأدب فى البديع وقسموا محاسنه أنواعا ، وسموا كل نوعٍ باسم حتى لقد تداخلَت عليهم الأسماءُ ، وسموا الاسم الواحدَ بأسماءٍ مختلفةٍ حتى تشابهَت الأسماءُ وتكررت أعدادُ الأنواع . ثم إنَّ من علماءِ البيانِ من ذكر فى مصنفاته أبواباً وعدها من البيان ، ومنهم من عد تلك الأنواعَ بعينها فى مصنفاتِه من البديع ، فعلى هذا يعسر الفرق بينَ البديع والبيان فى كلِّ المواضيع ، لأنه ما من بابٍ إلا ولَهُ تعلقٌ

= أنه ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه كالإستعارة والكناية والتشبيه وغيرها . الطراز جـ ١ ص ١١

باللفظِ والمعنى ، فن أين يظهر لنا الفرقُ بين النوعين ؟ (١) .

وأما أقسامُ البديع وأنواعهُ الملخصةُ من أقاويلِ علماءِ الأدب فهي سبعونَ (٢) نوعاً ولكلّ نوع اسمٌ مختصٌّ به — يعني من معاني التبديع — لا تصلحُ التسميةُ به لغيره ، وإن كانَ منْ أرباب هذا العلم من سمّى أنواعاً أخر من هذا النوعِ باسمٍ فهو على سبيلِ تكرارِ الاسماء للمعنى الواحد ، ولابد من ذكر الأنواع الملخصة من كلامهم ليعلم المشتغل بنوع الأدب هذه الأنواع المذكورة ، فيستمدّ من بحارِ محاسنها الوافرةِ ، ويستعد لأن تتجلى عليهِ وجوهُ مفاخرها السافرة . وهي كما تقدّم سبعونَ نوعاً الحسنةُ والمجازةُ :

الإستعارة ، والتشبيه ، والأوصاف والنعوت ، والمطابقة ، والمقابلة ، والمنافرة ، والجناس ، والكناية ، والتعريض ، والتورية ، وشجاعة العربية ، والاعتراضُ ، والتتميم ، والإيغالُ ، والغلو ، والإغراقُ ، والاقتصاد ، والإفراطُ والمؤتلفُ ، والمختلفُ ، وصحةُ التقسيم ، وصحةُ التفسير ، والتخريجُ ، والإستدارةُ ، والتخلص ، وسلامةُ الإبتداع من الاتباع ، وحسنُ الاتباع ، ومساواةُ اللفظ والمعنى ، والتشكيك ، والانتقال ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والهزل الذي يُراد به الجد والتوشيع ، والتنكيت ، وبراعة الاستهلال والاستقصاء ، والتوليد ، والنوادر ، والتدبيج ، وحصر الجزئي ، والإبداع

(١) يجمع علماء البلاغة من المصريين تحت اسم البديع فنون البلاغة جميعاً وخاصة ما أدرجه السكاكي وعلماء المشرق تحت اسمي البيان والبديع . فعل ذلك ابن أبي الإصبع في كتابيه « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » .

(٢) بلغت أقسام البديع أكثر من ذلك ، فهي عند ابن منقذ ٩٥ بابا (خمسة وتسعون) وعند ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير : ١٢٥ بابا .

والتكميل ، والموازنة، والعنوان ، والتعليل ، والاطراد، والمناسبة، والموازنة والتذييل ، والإستثناء ، والتسهيم ، والطاعة والعصيان ، والتسميط ، والترصيع ، والإطناب ، والترديد ، والتضمين ، والإيجاز ، وخبر المبتدأ ، وتقدير الأسماء والتوشيع ، والعكس والتبديل، والفرق بين المعرفة والنكرة ، وعطف المفردات على الجمل، والعام والخاص ، والتهذيب ، وحسن النسق ، والإنسجام ،والادماج والمذهب الكلامى، والهجاء فى معرض المدح ، والتتميم، والهجاء المحض، والمدح المحض ، وذكر الشعر وأنواعه وما يتعلق منه .

وحيث ذكرنا هذه الانواع فيتعين شرحها ليفهمها الطالب الاديب ويحيط بها المتيقن الاريب ، فنقول وبالله التوفيق .

باب

فى

الحقيقة والمجاز(1)

حَدُّ الحَقِيقَةِ أنها اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فيما وُضِعَ لَهُ فى اصْطِلاحِ الخطاب. والمجازُ عكسُه بشرط العلاقة واشتقاقُ الحقيقة من الحقِّ، والحقُّ فى اللُّغةِ هو الثَّابت(2). وأصلها حَقِيقٌ على وزن فعيلٌ، وفعيلٌ بمعنى مَفْعُولٌ، كقَتِيل بمَعْنَى مقتُول. والفرقُ بين الحَقِيقَةِ والمَجَازِ أن الحقيقةَ جاريةٌ على العُموم فى نظائره، مثل قولك: زيدٌ عالمٌ. صدَقَ على كل ذى علم. والمجازُ عكسه. وعدمُ الاطرادِ فى المجازِ، وثبوتُه فى الحقيقةِ فرقٌ واشتراطٌ لهذه العلاقةِ فى المجاز، وفرقٌ أيضا بينَه وبينَ الحقيقة.

وعلامةُ الحقيقةِ المبادرةُ إلى الفهمِ بلا قَرينةٍ، والمجازُ عكسه. وترجيح الحقيقة على المجاز مُتعيِّنٌ فيما إذا وقعت كلمة تَحتمِلُ أن يُرادَ بها الحقيقةُ، أو يُراد بها المجازُ فينبغى أن لا يُعدَل عن الحقيقة، لأن الأصل فى الإطلاق الحقيقةُ، ولا تُؤوَّلُ بالمجاز إلا لضرورةٍ تدعو إلى ذلك.

والحقائقُ ثلاثٌ(3): حقيقةٌ شرعيةٌ، وحقيقةٌ عرفيةٌ، وحقيقةٌ لغويةٌ،

---

(1) راجع كتاب نهاية الايجاز للفخر الرازى ص ٤٦

(2) راجع كتاب الطراز ص ٤٦

(3) راجع الطراز ١/٥١

فالشرعيةُ مُقدّمةٌ على ما سواها ، والعرفيةُ مقدّمةٌ على اللغويّةِ ، لأنّ العُرف طارئٌ على اللغة . مثال الحقيقة الشرعية أن تقول : زيدٌ يُصلّى ، فالصلاةُ ها هُنا لها حقيقتان لغويّةٌ وشرعيّةٌ ، فالشرعيّةُ ذاتُ الرّكوع والسُّجودِ ، واللغويّةُ الدّعاءُ ، فتى أُطلقَ لفظُ الصّلاةِ لا يُفهَمُ من ذلك الإطلاقِ إلا الحقيقةُ الشرعيّةُ .

وكذا الحقائقُ العُرفيّة مقدمةٌ على اللغوية مثل قولك : جاءَتْ الدّوابُّ ، فني « الدّواب » حقيقتان : لغويةٌ وعُرْفيّةٌ ، فاللغوية : كلُّ مادَبَّ ودَرَجَ ، والعُرْفيّةُ مايُفهَمُ من لفظةِ الدّوابّ وهى البهائمُ .

وأما المَجازُ فقد تقدّمَ ذكرُ حده والفرقُ بينَه وبين الحقيقةِ ، وترجيحُ الحقيقةِ عليه . ولنشرح الآن نُبْذةً من أقسامه وأنواعه ، فنقول :

المجاز : هو مفعَلٌ من الجَواز الذى هو التّعدّى من قولهم : جُزْتُ موضعَ كذا أى تعدّيتُ . وقد صار المجازُ أولَى من الحقيقةِ فى غالبِ الكلام لتنوّعِ محاسنِ الألفاظِ والمعانى ، كالاستعارةِ ، والكنايةِ ، والتشبيهِ ، وغيرِ ذلك مما سيأتى بيانُه .

والشواهد فى ترجيح المجاز على الحقيقة كثيرة ، فمنها قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السّماءِ وهى دُخانٌ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ قالتَا أتيْنَا طائعِيْن ﴾[1]

---

(١) آية ١١ سورة فصلت . قال تعالى ﴿ثم استوى إلى السّماء وهى دُخانٌ فقال لها وللأرضِ ائتيا طوعا أو كَرْهًا قالتا أتينا طائعين﴾ . قال ابنُ قتيبة (المشكل ٧٨) ، وقالوا : لم يقل اللهُ ولم تقولا ، وكيفَ يخاطبُ معدوما؟ وإنما هذه عبارةٌ لكوناهما فكانتا . قال الشاعر :

تقول إذا دَرأتُ لها وضينى ... أهذا دينُه أبدًا ودينى
أكلَّ الدّهرِ حلٌّ وارتحالٌ ... أما يُبقى علىَّ ولا يقينى

راجع « أثر القرآن فى تطور النقد العربى الطبعة الثالثة ص ٦٢ »

فقوله : قالتا تحتمل الحقيقة والمجاز ، فإن حملتا على الحقيقة فالقول لا يصلح أن يكون حقيقة إلا ممن النطق أحد جزائه ، وإن حملناه على المجاز فحسن استعمال لفظ القول في غير ما وضع له في الأصل ، فترجح جانب المجاز على الحقيقة في هذا الموضع، وكذا في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية، استعمل المجاز ، وكانت الكلمات به أفصح مما لو استعملت على حقيقتها .

وأقسام المجاز كثيرة ، فمنها: نوع سمى مجازاً بسبب مشاركة في خاصة، كما يقال للبليد : حمار وللشجاع : أسد .

ومنها : زيادة في الكلمة لمعنى ما كقوله تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم) (١) أى فبرحمة ، وما زائدة مجازاً .

ومنها : نقصان لا يبطل به معنى الكلام مثل حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، أو حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها .

مثال الأول : قوله تعالى (ثم يرم به بريئا) (٢) ، أى شخصا بريئاً .

ومثال الثانى قوله تعالى: (يأخذ كل سفينة غصبا) (٣) أى صالحة .

ومنه: تسمية الشيء بما يؤول إليه كقوله تعالى: ﴿ إنى أرانى أعصر خمرا ﴾ (٤) .

---

(١) آية ١٥٩ آل عمران

(٢) آية ١١٢ النساء (ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما عظيما) .

(٣) آية ٧٩ سورة الكهف (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) .

(٤) آية ٣٦ سورة يوسف

ومنه : تسميةُ الشيء بما يُجاوِرُه ، كقولهم للمزادَة : « راويةٌ » ، وإنما « الرَّاويَةُ » الجَمَلُ . ومنها : تسميةُ الشيء ببعضه . تقول « أريدُ وَجهكَ » ، وإنما تريد به بدَنَه كله .

ومنه : تسميةُ الشَّيء بدواعيه ، كتسميتِهم الاعتقادَ قولاً فيقولون : هذا يقُولُ بِقولِ الشَّافِعي أي يعتَقِدُ اعتِقَادَه .

ومنه : تسميةُ الشيء باسم أصلِه كقولِكَ للآدميّ : « مُضغَةٌ » .

ومنه : تسميةُ الشيء باسم ضِدِّه كقولك للأسوَدِ : « كافُورٌ » (والكافورُ أبيضٌ) .

ومنه : تسميةُ الشَّيءِ بمكانِه كقولِك للمطر : « سماءٌ » ، لأنه ينزِلُ من السَّماء .

ومنه : تسميةُ الشيء بفعله كقولهم للخَمر : « مُسكِرٌ » .

ومنه : تسميةُ الشيء بحُكمِه كقولِه تعالى : (وامرأةً مُؤمِنَةً أنْ وهَبَتْ نَفسَها للنَّبِيّ) (١) فسمى النِّكاحَ هبةً .

ومنها إطلاقُ اسمِ المُطلق على المُقيَّدِ . وهذا النوعُ هو القِسمُ المُسَمىْ بإطلاقِ العامّ وإرادَةُ الخَاصّ ، ويُسَمَّى إطلاق الكُلّ على الجُزءِ ، فالعَامُّ هو الكلّ ، والخاصُّ هو الجُزءُ المُطلَقُ والمُقيَّدُ بالعَكسِ من ذلك*.

---

١ - آية ٥٠ الأحزاب .

* بحث المجاز فى اللغة بحث مطوَّلٌ وفَّاهُ علماء البلاغة ، وأحاط المؤلف هنا بجملة أحكامه وإن اكتفى منهما بشواهد القرآن ويشابه فى أقسامه للمجاز الخطيب القزوينى فى مختصره وشرحه ، وقد احتذيا السكاكى ، ومال المؤلف إلى الاختصار والابتعاد عن التعقيد .

باب

الاستعـــارة *

الاستعـارة : ذِكرُ الشيء باسم غيره وإثباتُ ما لِغيرِهِ لَـهُ لأجلِ المُبالَغة فى التَّشبيه ، احترازا من المجاز ، فإنَّه يُقَالُ : كلما ازْدَادَ التَّشبيهُ خفَاءً ازدادتْ الاستعَارةُ حُسْنًا . وفائدةُ الاستعارة أنها تُحدِثُ للكلام مزيةً على ما لو استَعْمِلَ على حقيقته. ومثال ذلك أنك إذا قلتَ : « رأيتُ أسدًا » تعنِى به رجلاً شجاعا ، فقدْ أثبتَّ لِهذَا الرَّجُل شجاعَة الأسد بقوةٍ فى الكلام لم توجدْ فيما إذا قلتَ : رجلاً شجاعاً .

ولا بدَّ للإستعارةِ من ثلاثَة أشياءَ : مُسْتَعَارٌ ، ومُسْتَعار مِنهُ ومُسْتَعَارٌ لَهُ . فالمُسْتَعَارُ هو الذى يُنْقَلُ من أصْل إلى فرعٍ للإبَانةِ ، والمُسْتَعَارُ مِنهُ والمُسْتَعَارُ لَهُ لفظَتَان حُمِلَتْ إحْدَاهُمَا على الأخْرَى ، وكلٌّ لفظةٍ منهما حقيقيةٌ ، والمحمول عليه مجازيةُ الموضوع . مثالُ ذلك قوله تعالى : (واشْتَعَلَ

---

* - بدأ بباب الاستعارة وجعلها من أقسامِ البَديع، واعتبرها بعض علماء البلاغة من أبواب البيان كالتشبيه ، وجرى بعضهم على اعتبارها بين المعانى والبيان لأنها تجمع المجاز إلى التشبيه، فقد توجد الاستعارة دون مراعاة وجه الشبه بين المستعار والمستعار له فعندئذ تكون من المجاز . وهو نقل الكلمة من مدلولها الحقيقي إلى مدلول مجازى لعلاقة ما غير التشبيه من العلاقات التى أشار إليها فى المجاز مثل الكلية والجزئية أو المقاربة والملابسة ، أو يكون الشىء نتيجة للشىء أو حكما له ، أو ما إلى ذلك .

واختار تعريف الرازى فى «نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز» وإضافة ابن أبى الأصبع فى «تحرير التحبير» لبيان «دوره» .

الرَّأسُ شَيْبًا) (١) ، فالمستعارُ هو الاشْتِعال ، وقد نُقِلَ من الأصلِ وهو النَّار ، والاشتعالُ لها حقيقـةً ، والمُستَعَارُ لَهُ الشَّيْبُ والاشتـعَالُ لهُ مجَازٌ ، فانظر إلى محاسنِ هذه اللفظةِ الكَريمة ، ما أعْجَزَها وأوْجَزَهَا (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم: « ضمّوا مواشيكُمْ حتى تذهبَ فحمةُ العشاء » . فاستعار للعشاء فحمة لما كانت لفظة الفحمة أظهر فى الحسن من لفظة الظلمة ، فان الظلمة تدرك بحاسة البصر فقط ، والفحمة تدرك بحاستى البصر واللمس ، فلذلك كان ذكرها أحسن بيانا من ذكر الظلمة (٣) . ومثال ذلك قول القائل :

عَجِبْتُ لسَعْىِ الدَّهْرِ بَيْنِى وبينَها
فلمَّا انقَضَى ما بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

فاستعار للدهر سعيا وسكونا .

ومن محاسن الاستعارة قول الشاعر :

سألتُ النَّدَى والجُودَ مالِى أراكُما
تَبدَّلتُما عِزًّا بِذُلٍّ مُؤَبَّدِ
وما بالُ ركنِ المَجْدِ أمسَى مُهَدَّمًا
فقَالا أُصِبْنَا بابنِ يَحيَى مُحَمَّدِ

---

(١) آية ٤ سورة مريم

(٢) يرى عبد القاهر أن جمال الاية هنا لا يقوم على الاستعارة وحدها ، بل النظم أكسبها حلاوة وحسنا فوق حسنها وتوسعها ، وذلك باضافة الاشتعال الى الرأس وجعل الشيب تمييزا . راجع دلائل الإعجاز .

(٣) ينقل تحليل ابن أبى الأصبع للاستعارة فى الحديث النبوى ص ١٠٠ تحرير التحبير

فقلتُ فهلاّ مُتُّما بعد موتِه
وقد كُنتُما عبدَيْه في كُلِّ مَشْهدِ

فهلا أقمْنا كي نُعزَّى بفقدِه
مسافةَ يومٍ ثُمَّ نتلُوه في غدِ

ومن أطرف الإستعارات قول الشريف الرضى * :

أتى النَّسيمُ بواديكُمْ فما برِحَتْ
حَوامِلُ المُزْنِ في أحداثكم تضع (١)

فما أليق حوامل المزن بموضعها .

ومن الاستعارة : استعارة المحسوس للمحسوس كقوله تعالى : ﴿ إذْ أرْسَلْنا عليْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ ﴾ (٢) فالمستعارُ له الرّيح وهو محسُوسٌ والمستعارُ منه المرأةُ العقيم وهي محسوسٌ والجامعُ بينهما المنعُ من ظُهُورِ النتيجة .

---

(١) كذا في الاصل ولعلها «في أديارکم»

(٢) سورة الذاريات آية ٤١ وذكرها ابن أبي الاصبع مثالا لاستعارة المحسوس للمحسوس للاشتراك في أمر معقول . راجع «بديع القرآن»

وراجع . «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» ص٨٦

* الشريف الرضى . أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى — نقيب الأشراف ببغداد ولد سنة ٣٥٩هـ وتوفى سنة ٤٠٦ هـ . عرف برقة الغزل وجودة الفخر . راجع في ترجمته يتيمة الدهر للثعالبي ٣/١٣٦، ودمية القصر للباخرزى ١/٢٧٣، إنباه الرواة للقفطى ٣/١١٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٥٣ ، وتاريخ بغداد للخطيب ٢/٢٤٦، شذرات الذهب ٣/١٨٢، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ٤٦٦ ، والعبر في أخبار من غبر ٣/٩٥ ، مرآة الجنان لليافعي ٣/١٨ .

ومنها استعارةُ المعْقُولِ للمَعْقُولِ كقوله تعالى ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هذَا﴾ (١) استعار الرقاد للموت وهما أمران معقولان ، والجامع بينهما السكون .

ومنها : استعارة المعقول للمحسوس كقوله تعالى : ﴿إِنَّا لمَّا طَغَى الماءُ حَمَلْنَاكُم فِي الجارِيَةِ﴾(٢) فاستعار للماء وهو محسوسٌ طُغْيَاناً وهو معْقُول .

ومنها : استعارةُ المَحْسُوسِ للمَعْقُولِ كقوله تعالى : ﴿فى كلِّ وادٍ يَهِيمُونَ﴾(٣) فالوادى محسوس والهَيَمانُ معقُولٌ .

ومنها : استعارةُ التَّخْيِيل كقولهِ تعالى : ﴿وإذا غَرَبت تَقْرِضُهُم ذَاتَ الشِّمال﴾ (٤) فالاستعارة فى تَقْرِضُهم لأن هذه اللفظةَ دالَّةٌ على سُرعة الارتجاع ، وذلك أنَّ الشَّمْسَ كانت إذَا طلعَتْ عِنْدَهم تمكثُ قليلاً بقدرِ ما تُصلِحُ هَواءَهم ثم تَمِيلُ عَنْهُمْ . فحسُنَ التعبير عنها بلفظةِ القَرْض فهذهِ الاستعارةُ التخييلية (٥) .

---

(١) آية ٥٢ يس . وراجع ثلاث رسائل ص ٨٥

قال الرمانى : « أصل الرقاد النوم ، وحقيقته من مهلكنا ، والاستعارة أبلغ لأن النوم أظهر من الموت ، والاستيقاظ أظهر من الإحياء بعد الموت »

(٢) الحاقة آية ١١ .وراجع النكت للرمانى فى «ثلاث رسائل» ص ٨٠ قال الرمانى : «حقيقته علا » ،والاستعارة أبلغ لأن طغى . علا قاهراً وهو مبالغة فى عظم الحال . »

(٣) الشعراء ٢٢٥ . ثلاث رسائل ص ٨٥ . قال الرمانى : واد هنا مستعار وكذلك الهيمان ، وحقيقته : يخلطون فيما يقولون ، لانهم ليسوا على قصد لطريق الحق

(٤) الكهف ١٧

(٥) راجع نهاية الإيجاز ص ١٠٢

ومتى كانت الاستعارةُ مبنيّةً على استعارة أخرى لم يُستحسن ذلكَ ، ومثّلوا هذا النّوعَ بقول امرىء القيس : (١)

فقلتُ له لما تمطّى بصُلبِه
وأردَفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ

فاستعار لليل صلبا ثم جعله يتمطى لأجل امتداده ، ثم جعل له عجزا وردفا وكلكلا ، فبنى استعارة على استعارة . وقد جَعَل علماءُ البيان ذلكَ كلّه من باب تَشرِيح المَجاز لا مِن الاستعارةِ المَبْنِية على أخرىَ .

---

(١) راجع نهاية الايجاز للفخر الرازى ص ٩١

باب

التشبيه

حَدُّ التَّشْبِيهِ أنْ تُثْبِتَ لِلْمُشَبَّهِ حكمًا من أحْكَامِ المُشَبَّهِ بِهِ قَصْدًا لِلمبالَغةِ . والفَرْقُ بينَه وبينَ الاستعَارةِ ثُبوتُ الأداةِ في بابِ التَّشْبيهِ أو تقديرها فيه ، مع طَيِّ ذكرِ المُشَبَّهِ به ، وسقُوطها في باب الاستعارة مع وجوب ذكر المُسْتَعارِ ليكونَ أبلغَ مِن التَّشْبيه .

وقالَ قومٌ إنَّ التشبيه من باب الحقيقة . والذى عليه جمهورُ عُلماءِ البَيان أنه من باب المَجاز ، وهو الأصحُّ ، واللهُ أعلَمُ .

والتَّشْبيهُ ينقسمُ إلى قِسمَيْنِ : بليغٌ وغيرُ بَليغ ؛ فالبليغ مالم تظهر فيه أداةُ التشبيه كقولِكَ : زيدٌ أسَدٌ ، وغير البليغِ ما ظَهرتْ فيه أداةُ التشبيه .

ولا يَخلُو التَّشْبيهُ من ثلاثةِ أحْوال : إمَّا تشبيهُ معنًى بصورة كقولهِ تعالى : ﴿ والَّذينَ كفرُوا أعمالُهُم كسَرابٍ بقيعة يَحْسَبُه الظَّمآنُ ماءً ﴾(١) فشَبَّه مالا يُدْرَكُ بالحاسة وهو الأعمال بما يُدْرَكُ بالحاسَّةِ وهو السَّرابُ .

وأما تشبيهُ صورة بصورة كقوله تعالى : ﴿ ولهُ الجَوارِى المُنْشَآتُ فى البحرِ كالأعلامِ ﴾(٢) فشبَّهَ صُورةَ أجْسَامِ الفُلْكِ فى عِظَمِها

---

(١) سورة النور ٣٩ . قال الرمانى : فهذا بيان قد أخرج مالاتقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه . ثلاث رسائل ص ٧٥ .

(٢) الرحمن ٢٤ قال الرمانى : فهذا تشبيه قد أخرج مالاقوة له فى الصفة إلى ماله قوة فيها وقد اجتمعا فى العظم : إلا أن الجبال أعظم . وفى ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها ، ومافى ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها .

بالجبال .

وأما تشبيه معنى بمعنى كقولك : زيدٌ أسدٌ ، فإن الغرضَ تشبيه الشجاعة التي هي معنى في زيد بالشجاعة التي هي معنىً في الأسد .

وأمّا تشبيهُ صورةٍ بمعنى كقوله صلّى اللهُ عليه وسلم فيما رَواهُ عبدُ اللهِ بنُ مسعود أنّه خطَّ خطاً مربّعاً في وَسَطِه خطٌّ ، وخط إلى جانبه خُطُوطاً ثُمَّ خطّ خطاً خارجاً وقال: أتدرُونَ ماهذِهِ الخُطوط؟ قُلْنا: اللهُ وَرسُولُه أعلَمُ . فقال : الخَطُّ المُربَّعُ هو الأجَلُ والخطُّ الذي في وسَطِه هو الإنسَانُ، والخُطُوطُ التي حوله الأعراضُ الّتي تَنْهشُهُ إن تركهُ هذا نَهَشَهُ هذا ، والخَطُّ الذي هو خارجُ الخَطّ المُرَبَّعِ هو الأملُ . وهذه صورةُ الخطّ الذي وضَعَهُ صلّى الله عليه وسلم(١) .

ثم إن كل واحد من هذه الأقسام إما أن يكون تشبيه مفرد بمفرد أو مُركَّب بمُركَّب ، أو مُفْرد بمُرَكَّبٍ ـ أو مُركَّب بمفردٍ .

فتشبيهُ المفرد بالمفرد كقول البحتري : (٢)

تَبَسُّمٌ وقطوبٌ في نـدًى ووغًى
كالغَيْثِ والبَرْقِ تَحْتَ العَارِضِ البَرِدِ

وتشبيهُ المركب بالمركب مثل قوله تعالى ﴿ إنّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزَلناهُ من السماءِ فاختَلَطَ به نَباتُ الأرضِ ممّا يأكُلُ النّاسُ والأنعامُ ﴾ (٣).

---

(١) في الأصل رسم أستغنينا عن نقله لوضوحه من القول .

(٢) من قصيدة يمدح بها محمد بن حميد الطوسي ديوانه ١/ ٥٧٥ طبع المعارف بتحقيق الصيرفي ورواية العجز « كالبرق والرعد وسط العارض البرد »

(٣) آية ٢٤ سورة يونس

وتشبيه المفرد بالمركب كقول الشاعر : (١)

وَرَمْلٍ كأوراكِ العَذَارَى قَطَعْتُهُ
إذَا لَبِسَتْهُ المُظْلِماتُ الحَنَادِسُ

وتشبيه المركب بالمفرد كقول الشاعر : (٢)

وكأنَّ فَرْوةَ رأسِه من شَعْرِه
بُذِرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِباها فُلفُلا

ومن محاسن التشبيه قولُ الشاعر : (٣) فى وصف البرق :

يَبْدُو وتُضْمِرُهُ التِّلالُ كأنَّهُ
سَيْفٌ علَى شرفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وهذا من المعانى العقم .

ومن محاسِن(٤) التشبيه قولُ عَدِىِّ بنِ الرِّقاع* يصفُ قَرْنَ ظَبْىٍ :

---

(١) البيت لذى الرمة ديوانه ص ٤٠٨ ورواية العجز « إذا جللته المظلمات الحنادس »

(٢) البيت للراعى وأورده ابن رشيق فى العمدة ٢/٢٩٧ وروايته :

جدلا أسك كأن فروة رأسه بذرت فأنبت جانباها فلفلا

(٣) البيت للطرماح ، وقيل أنه فى صفة ثور وحشى ورواية الصدر :

« يبدو وتضمره التلاد كأنه »

وأورده ابن رشيق فى العمدة ١/٢٩١ تحقيق محى الدين عبد الحميد .

(٤) فى الأصل حسن

* عدى بن الرقاع : شاعر أموى من عاملة بن عدى بن الحارث : أختص بالوليد بن عبدالملك وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الإسلاميين .هجاه جرير ولم يتصل الهجاء بينهما وذكر أن البيت من قصيدة فى مدح الوليد بن عبد الملك ، ذكر المبرد أن جريراً لما سمعه ينشد أول هذا البيت « تزجى اغن كأن ابرة روقه » قال فى نفسه : وقع والله الشيخ .من اين له كأن .فلما قال : « قلم اصاب من الدواة مدادها » حسده .

تُزْجِى أغَنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِه

قلمٌ أصَابَ من الدَّواةِ مَدادَها

فانظر إلى هذا التَّخْـيِيـل ما أحسنه ؟ .

ومن ذلك لابن المعتز : (١)

مُعَتَّـقَةٌ صَاغَ الزَّمانُ لِـرَأسِهَا

أكَاليلَ دُرًّا ما لِمَنْـظُومِـها سِـلْكُ

وقَدْ خَفِيَتْ فى ضَوْئِها فكأنَّـها

ضَـمِيرُ يقينٍ كاد يَدْخُلُهُ الشَّـكُّ

وله أيضا (٢) :

القَـطْرُ نَبْلٌ والغَـدِيرُ سَـوابِـغٌ

والبَـرْقُ بِيضٌ والغَـمَامُ بُنُـودُ

فانظر إن هذا التَّخْـيِيـل العَجِيب ما أحسَـنَه فى باب التشبيه .

وله أيضا (٣) :

---

(١) من قصيدة فى ديوانه ص ٣٥٣ طبع صادر بيروت مع أختلاف قليل فى اللفظ راجع طبقات ابن سلام طبع المعارف ص ٥٥٨ ، الأغانى ٨/١٧٣ ، العمدة ١/٢٠٣ ، عيار الشعر ١٨

(٢) ديوانه ٢/٧ من مقطوعة اربعة ابيات هى :

قم يانديم إلى مباشرة الوغى ... فالحرب قائمة ونحن هجود

والليل قد اودى وقهقه عنده ... الإبريق من طرب وناح العود

ولئن زعمت بأن ذلك باطل ... قلنا عليه أدلة وشهود

القطر نبل ... الخ

والسوابغ الدروع السابغة اى الكاسية ، والبيض السيوف

(٣) ديوانه ١/٨١ من قصيدة مطلعها :

عز دمعى من بعد أهل العقيق ... فـلآلى عقـودم كالعقيق

قامةُ الغُصْنِ طلعَةُ البَدْرِ طَرْفُ

الظَّبْيِ ثَغرُ الأَقاحِ خدُّ الشَّقِيق

فانظر إلى صناعة هذا التشبيه ما أحسنها .

ومثله قوله (١) :

والطيرُ يَقرأُ والغديرُ صَحيفةٌ

والرِّيح تكتُبُ والغَمامَةُ تنقِطُ

ومثله له (٢) :

والسحبُ رايَاتٌ ولمعُ بُروقِها

بيضُ الظُّبى والأرضُ طِرفٌ أشهَبُ

والنَّدُّ قسطَلُهُ وزَهرُ شُمُوعِها

صُمُّ القَنَا والفَحمُ نبلٌ مُذهَبُ

ومثله أيضا له (٣) :

والبانَ تَرقُصُ والحَمَامُ هَواتِفٌ

تَشدُو وأطرَافُ الغَديرِ تُصَفِّقُ

ومثله فى حسن التشبيه (٤) :

وطلعتُها والفرعُ شمسٌ وليلةٌ

ومبسمها والكأسُ صُبحٌ وكوكبُ

ومالاحَ فى الشَّربِ الهلالُ وإنَّما

هوَ البَدرُ إجلالاً لها يتنقَّبُ

---

(١) ديوان ابن المعتز ٢/٤

(٢) ديوانه ١/١١٦ والطرف: الفرس والمهر

(٣) ديوانه ١/٣٠

(٤) ديوانه ٢/١١٧ من قصيدة يمدح الملك العادل الأيوبى

ومنها :

وخَطٌ عِذَارِ طرسُهُ ماءُ وَجْنَةٍ

فيَا مَنْ رأى خطًا على الماءِ يُكْتَبُ

وله أيضا (١) :

وكأنما زُهْرُ النُّجُومِ رَعِيَّةٌ

وقُلُوبُها مِنْها تَخافُ فَتَخْفُقُ

ومثله للبحترى (٢) :

يُخْفِى الزُّجَاجَةَ ضَوْؤُها فكأنَها

فى الكفِّ قائمةٌ بِغَيرِ إِنَاءِ

ومثله لأبى عثمان الخالدى* :

لستُ أدْرِى من رقّةٍ وصفاءِ ... هى فى كاسِها أمِ الكأسُ فيها

ومثله قول الآخر :

هى فى رِقّةِ الصَّبَابَةِ والوجْدِ ... وفى قَسْوةِ النّوى والفِراق

لستُ أدرى أمِن خُدودِ الغَوانِى ... سكبُوهَا أم أدْمُعِ العُشَّاقِ

---

(١) ديوانه ١/١٦٨

(٢) البيت من قصيدة للبحترى فى مدح أبى سعيد الثغرى . ديوانه ١/٧ وروايته

يخفى الزجاجة لونها فكأنها ... فى الكف قائمة بغير اناء

وراجع الموازنة ١/٣٦٠ بتحقيق سيد صقر. طبع دار المعارف

* أبوعثمان الخالدى هو أحد الخالديين ، وأصغرهما ، واسمه سعيد ، كان شاعراً فى بلاط سيف الدولة. عمل مع أخيه خازنى دار كتبه . ينسبان إلى الخالدية : قرية من أعمال الموصل ولهما مؤلفات . منها « حماسة الخالديين » فى شعر المحدثين وتسمى : « الاشباه والنظائر » راجع فى ترجمته : الفهرست ١٦٩ ويتيمة الدهر للثعالبى جـ ١ ، ومعجم الأدباء لياقوت حـ ٤ ومعجم البلدان : « الخالدية » ، وشرح المقامات للشريشى ١/٢٧٠ ، وفوات الوفيات لابن شاكر ١/٢١٨

ومن محاسن التشبيه قول ابن أبي حصينة* :

ياطيفُ كيفَ سخَتْ بِكَ ابنةُ مالك
والصُّبحُ نَصْلٌ والظَّلامُ قِرابُ

والجَوُّ مُشتَبِكُ النُّجوم كأنَّهُ
كأسٌ عَلاهُ من المِزاجِ حَبَابُ

وله :

ولا تَثِقْ بصديقٍ لا تُجَرِّبُهُ
فربَّما زهَّدَتْ فيه تَجارِبُهُ

كذلكَ البحرُ صافِي اللَّوْنِ مَنْظَرُهُ
ولا تَلَذُّ لظمآنٍ مشارِبُهُ

ولابن الساعاتي** في التشبيه (١) :

فالأرضُ طِرْسٌ والحَياءُ سطُورُهُ
والبِيضُ شكلٌ والقَنَا ألِفاتُهُ

ولابن الساعاتي أيضا (٢) :

---

* ابن أبي حصينة : الأمير أبو الفتح بن أبي حصينة السلمي من شعراء القرن الخامس بالشام .

(١) البيت ليس في ديوانه المطبوع وربما كان من قصيدته التي مطلعها ج ١ / ٦٤

زحف الصباح وهذه راياته

وسقط من القصيدة .

(٢) ديوانه ١/ ٧٩

** ابن الساعاتي : علي بن رستم بن هردوز توفي سنة ٦٠٤ هـ من شعراء الدولة الايوبية. راجع الادب في العصر الأيوبي ص ٣٠٢

كأنَّ المَغَاني حين أعجَمَها الشَّحطُ
بقايا زَبُورٍ والأثافي لها نَقْطُ
كأنَّ الفلا طِرسٌ ومن شَهِدَ الوَغَى
سطورٌ بأقلامِ العوالِي لها خَطُّ
إذا أعجمتْ في أوجهِ القوم أحُرفاً
فتلك حروفٌ للكماةِ بها كشْطُ

وله من التشبيه الرائق الفائق : (١)

والبدرُ في جُنْحِ الظَّلامِ وُعثره
في العُنفُوانِ كغُرَّةٍ في أدهَمِ
فكأنَّما زِنجيَّةٌ محجُوبَةٌ
جُلِيتْ فنقَّطَها المُحِبُّ بِدِرْهَمِ

وله من محاسن التشبيه : (٢)

ما الجَوُّ إلا عَنبَرٌ والدَّوحُ إلا
جَوْهَرٌ والرَّوضُ إلا سُندُسُ
سفرتْ شقائِقُها فهمَّ الأقحُوانُ
بِلثْمِها فرَنا إليهِ النَّرجِسُ
فكأنَّ ذا ثغرٌ وذا خدٌّ بِحُسنٍ
ولهُ وذا أبداً عيونٌ تحرُسُ

---

(١) ديوان إبن الساعاتي ٢/٥٠٧ من مقطوعة ٧ أبيات والبيتان السادس والسابع.

(٢) ديوانه ٢/١٦٤

وله أيضا : (١)

وكأنّما فَنَنُ الأراكَةِ مِنْبَرٌ
وهَزَارُها فَوقَ الذؤابَةِ يخطُبُ

فالرَعْدُ يَشدُو والحَيَا يَسقِى وغُصْنُ
البَان يَرقُصُ والخمائِلُ تَشرَبُ

والقَطرُ نَبْلٌ والغَدِيرُ سَوابِغ
موضُونَةٌ والبَرقُ سَيفٌ مُذْهَبُ

ولغيره فى هذا المعنى : (٢)

أيادِيه بيضٌ فى الورَى مَوسَوِيَّةٌ
ولكنَّها تَسْعَى على قَدَمِ الخِضْرِ

ولغيره فى هذا المعنى :

أبْكِى فأبصِرُ أدمعِى فى خدِّها
لِصقَالِهِ فأخالُهَا تَبْكِى لِى

ومثله لأبى تمام : (٣)

وثناياكِ إنّها إغرِيضُ
ولآلٍ بيضٌ وبَرقٌ وميضُ

وأقاحٍ منورٌ فى بِطَاحِ
هَزّهُ فى الصَّباحِ رَوضٌ أرِيضٌ (٤)

---

(١) ديوانه ٢/١٦٨ قالها وقد حضر قبل خروجه من دمشق مع جماعة من الاصدقاء بالنيرب على شراب وعندهم سقاة كالشموس وجاء مطر كثير ورعد وبرق فسألوه أن يصف ذلك اليوم بديهاً . والمقطوعة ٨ ثمانية أبيات والاول هنا ثانيها والثانى ثالثها والثالث ثانيها.

(٢) يشير بقوله أياديه بيض موسوية إلى الآية القرآنية (تخرج بيضاء من غير سوء) والخضر هنا هو العبد الصالح صاحب موسى

(٣) ديوانه ص ١٨١ مطلع قصيدة يمدح أبا الغيث موسى بن ابراهيم وروايته : « ولآل توم وبرق وبيض »

(٤) والثنايا أربع الأسنان فى مقدمة الفم ، والإغريض كل أبيض طرى والأقاح زهر الأقحوان والبطاح : الصحارى وأريض منهر مورق

وللبحترى فى المعنى : (١)

ولما التقينا والنوى موعد لنا

تعجب رائى الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها

ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ولسيف الدين المشد * فى المعنى :

خاطبتنى متبسما فقرأتها

من نظم ثغرك فى صحاح الجوهرى

ولابن التلعفرى** :

الثغر منه وخده وجبينه

للنور بل للنار بل للنور

---

(١) ديوان البحترى ٢/١٢٣٠ بتحقيق الصيرفى طبع المعارف . ورواية البيت الأول :

ولما التقينا والنوى موعد لنا

* سيف الدين المشد : على بن قزل من شعراء الشام فى القرن السابع الهجرى ، وفد إلى مصر والتقى بشعرائها وأدبائها فى أوليات عصر المماليك . وله شعر يذهب فيه إلى البديع . له ديوان ، عبارة عن مجموعة مقطعات ، ومنه صورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

** التلعفرى : نسبة إلى تل عفر قرب الموصل بالعراق وهما أثنان أحدهما من شعراء القرن الرابع والثانى « شهاب الدين » محمد بن يوسف بن مسعود . ولد سنة ٥٩٣ هـ وتوفى سنة ٦٧٥ هـ وله ديوان مطبوع . راجع ترجمته فى فوات الوفيات لابن شاكر ٢/٥٤٩ ، والنجوم الزاهرة ٧/٥٥ وشذرات الذهب ٥/٣٤٩ .

ومثله للصنوبري* : (١)

فالجوُّ والغدرُ والوادي وتربتُهُ
دُرٌّ ودُرٌّ وديباجٌ وكافورُ

وأحسنُ ما قيل من التشبيه :

قَدِمَ الرئيسُ مُقدَّماً في سَبْقِهِ
فكأنّما الدُّنيا سَمَتْ في طُرْقِهِ

فجبالُها من حِلْمِهِ وبحارُها   من جودِهِ ورياضُها من خُلْقِهِ
وكأنّما الأفلاكَ طوعُ يَمينِهِ
فنُحوسُها لِعَدُوِّهِ وسُعُودُها في أفْقِهِ

ومن التشبيه :

ومدامةٍ صفراءَ في قارُورةٍ   زَرْقاءَ تحملُها يدٌ بيضاءُ
فالراحُ شمسٌ والحَبابُ كواكبٌ   والكفُّ قُطْبٌ والإناءُ سماءُ

* * *

ومما يلتحقُ بهذا البابِ بابُ الأوصافِ والنُّعوتِ .

---

(١) البيت ليس في الجزء المنشور من مجموع شعره.

* الصنوبري : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن المراد ، الصنوبري الحلبي (توفي سنة ٣٣٤ هـ) راجع في ترجمته فوات الوفيات لابن شاكر وشذرات الذهب لابن العماد

باب

الأوصاف والنعوت (١)

الوصفُ أصله من الكَشْف والإظهار . يُقال وَصَفَ الثَّوبُ الجِسْمَ إذا نَمَّ عليه ولم يَسْتُرْهُ . وحد الوصف أنه : ذِكْرُ الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات (٢) والفَرْقُ بين الوصف والتشبيه، أنَّ الوَصْفَ إخبارٌ عن حقيقة الشيء ، وأنّ التَّشبيهَ مجازٌ وتَمثيلٌ . وأحسَنُ الوصف ما نُعِتَ به الشَّيءُ حتَّى يمثل للسَّامع حضُورَ المَنْعُوت ، وتَنْزيلَ النُّعُوت التي نُعت بها على الأجزاء الموصُوفة (٣) . ولذَلكَ نهى صلىَّ الله عليه وسلّم عن أنْ تَنعَتَ المرأةُ المَرأةَ لِزوْجها حتَّى كأنَّه يَراهَا ، وما ذلك إلا لأنه يَطَّلعُ الرَّجُلَ بوصف المرأةِ على جَميع هيآتها عندما يُمَثِّلها خَاطِرُه .

ثم إن الشعراء يتفاضلون في الأوصاف ، فمنهم من يَجيد في الوصف ومنهم من يُقَصِّرُ ،ومنهم من يَكُون وصْفُه متوسِّطاً ،وكذلك كلُّه إنمَّا

---

(١) أورده ابن رشيق في العمدة ٢/٢٩٤

(٢) أورد ابن رشيق هذا الحد نقلا عن قدامة بن جعفر

(٣) أورد هنا نص عبارة إبن رشيق مع بعض الزيادة . قال إبن رشيق : «والفرق بين الوصف والتشبيه ان هذا إخبار عن حقيقة الشيء ، وأن ذاك مجاز وتمثيل . وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع » . العمدة ٢/٢٩٤

يكونُ بحسبِ ميلِ نفوسِهم إليه واستعدادِهم لموادِّ ما يصفونه، كامرىءِ القيس إذا أخذ في وصف الخيل، وأبي نواس في الخمر، وكعب بن زُهير في الإبل، والشمَّاخ في وصفِ الوحش، والمتنبِّي في وصفِ المعارك والحروب.

والوصفُ يطلق تارةً ويرادُ به الخصوص، وتارةً يُرادُ به العُموم، فأما إذا ورد على وجه العُموم فإنه يتناول جميع المعاني النَّظميَّة والنَّثريَّة حتى القصصَ والأخبارَ، فعلى هذا يكون المدحُ وصفاً للممدوح والهجاءُ وصفاً للمهجوِّ، والافتخارُ يكون وصفاً للمفتخِر والرِّثاءُ يكونُ وصفاً للميِّتِ. والتَّشبيهُ وصفُ الشَّيءِ بأنَّه يشبهُ شيئاً آخرَ. والنَّسيبُ هو وصفُ المُحب والمحبُوب.

وإذا وردَ على وجه الخُصوص فإنَّه يكونُ ذكرَ الشَّيء وما فيه من الهيئاتِ الخاصَّةِ به من غيرِ تعرُّضٍ للموصوفِ، بخلافِ التَّشبيه، فإنَّه ذكرُ وصفِ الشَّيءِ بأحوالِه وهيئاته التي يشارك فيها غيرَهُ؛ فقد صارتْ المشاركةُ فرقاً، وإذا أتى الشاعرُ بشيءٍ من الوصف أو التشبيه فينبغي له أن يتوخَّى فيهما مطابقةَ الموجودِ، ويحذرَ من مُجاوزةِ الحدِّ، وليتخيَّلْ تلخيصَ المعاني في ذهنه وإبرازَها في صفاتِ التَّشكيل. مثالُ ذلكَ قولُ أبي نُواسَ في وصفِ الخمرةِ صارتْ في كأسٍ مرصَّعٍ بأنواعِ التَّصاويرِ، والخمرةُ إلى حُلوقِ الصُّورِ، والماءُ إلى رؤوسها : (١).

---

(٢) الأبيات في ديوان أبي نواس طبعة آصاف سنة ١٨١٨ م ص ٢٩٥ ورواية الأخير « فللخمر ما زرت عليه جيوبهم ».

تَدُورُ علينا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ
حَبَتْهَا بأنواعِ التَّصاويرِ فارسُ

قرارَتُها كِسْرَى وفى جَنباتِها
مَهًى تَدَّرِيهَا بالقِسِيِّ الفَوارِسُ

فللرَّاحِ ما زُرَّتْ عليه جُيُوبُها
وللماءِ ما دارَتْ عليهِ القَلانِسُ

ومثله في صِفةِ الفَرَسِ : (١)

وأغرَّ في الزَّمنِ البَهِيمِ محجَّلٍ
قد رُحْتُ مِنهُ على أغرَّ مُحَجَّلِ

كالهَيكَلِ المَبْنِيِّ إلاَّ أنَّهُ
في الحُسْنِ جاءَ كصُورَةٍ في هَيْكَلِ

تَتَوهَّمُ الجَوْزَاءَ في أَرْسَاغِهِ
والبَدْرَ غُرَّةَ وجْهِهِ المُتَهَلِّلِ

---

(١) الأبيات للبحترى من قصيدة يمدح محمد بن علي بن عيسى القمى الكاتب . واجع ديوانه بتحقيق حسن كامل الصيرفي ج ١٧٤١/٣ طبع دار المعارف بمصر

وفى الديوان البيتان الأولان هنا متتابعان رقم ١٢ ، ١٣ من القصيدة والبيتان الثالث والرابع هما رقم ٢٣ ، ٢٤ في القصيدة .

ورواية الرابع : « عنيت له بصفاء نقبته » .

ورواية المؤلف هنا كرواية نهاية الأرب وبعض نسخ الديوان

والجوزاء : برج في السماء : ويقصد البحترى تشبيه تحجيل الفرس بالنجم ، واعتبر الجوزاء كذلك .

صَافِى الأدِيمِ كأنَّما عُنِيَتْ بِهِ
لِصفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِسُ صَيْقَلِ (١)

ومثل ذلك قول الشَّاعِر يصفُ رَوْضًا :

وتَرَنَّحَتْ لِسُرورِها أغْصَانُه وتَعانَقَتْ بِلِقَائِها أزْهَارُهُ
حجَّ السُّرورُ إليهِ فى رَكْبِ الصَّبَى
واللَّهْوِ لمَّا أنْ رَمَتْهُ حِجَارُهُ

طَلَعَتْ نجُومُ النَّجْمِ فيه وقابَلَتْ
زَهْرَ السَّماءِ بِمِثْلِها أزْهَارُهُ (٢)
لمَّا تَرَاقَصَتْ الغُصُونُ وغَنَّتْ الوُرْ
قُ الحَمَامُ وصفَّقَتْ أنْهَارُهُ
خَلَعَ السحَابُ عليهِ خِلْعَةَ رَوْضَةٍ
وغدًا ومِنْ حَبِّ الغَمَامِ نِثَارُهُ

ومن هذا المعْنىَ قولُ الشَّاعِر فى وصف مَلِيح :

فَرَّقَ بَيْنِى وبينَ صَبْرِى مِنْكَ ثَنَايَا مُفَرَّقَاتُ
والثَّغْرُ كالثَّغْرِ فى امتِنَاعٍ تَحْمِيه مِنْ لحْظِكَ الرُّمَاةُ
حَيَّاتُ صُدْغَيْكَ قَاتِلاتٌ فما لِمَلْسُوعِها حيَـــــاةُ
إنْ لم يَكُنْ مِنْكَ لِى وفَاءٌ فقدْ دنَتْ لِهَجْرِىَ الوَفَاةُ

---

(١) والنقبة اللون . والمداوس : جمع مدوس وهو المصقل تصقل بها السيوف والصيقل : الذى يصقل السيوف.

(٢) يقصد نجوم النجم: زهور النبات

ومن ذلك قول المتنبى : (١)

وخيل (٢) تغتذى ريحَ الموامى ويكفيها من الماءِ السرابُ
رميتَهُمُ ببحرٍ من حديدٍ له في البرِّ خلفَهُمو عُبابُ
فمساهُمْ وبُسطُهُم حريرٌ وصبَّحَهُم وبُسطُهُمُ ترابُ
ومن في كفِّهِ منهُمْ قناةٌ كمن في كفِّهِ منهُم خضابُ

وللمتنبى فى وصف الخيل والطِّراد (٣)

فلزَّهُم الطِّرادُ إلى قتالٍ أحدُّ سلاحِهِم فيه الفرارُ
مضَوْا متسابقى الأعضاءِ فيه لأرجُلِهِم بأرؤُسِهِمْ عِثارُ
تَشُلُّهُمُ بكلِّ أقبَّ نهدٍ لفارسِهِ على الخيلِ الخيارُ
وكلُّ أصمَّ يعسِلُ جانباهُ على الكعبَيْنِ منه دمٌ ممارُ
يغادِرُ كلَّ ملتفتٍ إليهِ ولبَّتُهُ لثعلبِهِ وجارُ
إذا صرفَ النهارُ الضوءَ عنهم دجا ليلانِ ليلٌ والغبارُ
وإنْ جُنحُ الظلامِ انجابَ عنهُمْ أضاءَ المشرفيَّةُ والنهارُ

---

(١) ديوانه طبع عبد الوهاب عزام ص ٣٧٢ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة مطلعها :
بغيرك راعياً عبث الذئاب وغيرك صارما ثلم الضراب
(٢) الديوان : وخيلا والبيت الثانى هنا لا يعقب الأول فى القصيدة، بل يأتى بعده ببيتين
(٣) ديوانه ص ٣٩٣ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة مطلعها :
طِوالُ قنًا تطاعنُها ، قصارُ وقطرك فى ندى ووغى بحارُ

وله فى وصف السيوف : (١)

تَحْمِى السُّيُوفُ على أعدائه معَهُ كأنَّهُنْ بَنُوه أوْ عَشائِرُهُ

إذَا انتضاهَا لِحَرْبٍ لمْ تدَعْ جسَدًا

إلاْ وبَاطِنُه للعيْنِ ظَاهِرُهُ

كمْ مِنْ دَمٍ رَوِيَتْ منهُ أسنَّتُهُ

ومُهْجَةٍ ولغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ

وحَائِنٍ لَعِبَتْ سُمْرُ الرِّماحِ بِهِ

فالعَيْشُ هَاجِرُهُ والنَّسْرُ زَائِرُهُ

ولهُ فى وصْفِ الجَمال بالشَّعْرِ (٢):

كشَفتْ ثلاثَ ذَوائبٍ من شَعْرِهَا

فى ليْلةٍ فأرَتْ الليالِىَ أرْبَعا

واسْتَقْبلَتْ قمرَ السَّماءِ بِوَجْهِها

فأرَتْنِىَ القَمرَيْنِ فى وقْتٍ معَا

وله من القصيدة التى أولها : (٣)

أعلا الممالك ما يبنى على الأسل

يَقُولُ فِيها :

مِثْلُ الأميرِ بَغَى أمْرًا فقرَّبَهُ

طولُ الرِّماحِ وأيْدِى الخَيْلِ والإبِلِ

---

(١) ديوانه ص ٣٨ من قصيدة قالها فى صباهُ مطلعها :

حاشى الرقيبَ فخانته ضمائرهُ وغيضَ الدمع فانهلت بوادرُهُ

(٢) ديوانه ص ١٠٧ من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن العباس الكاتب .

(٣) ديوان المتنبى ح ٢ ص ٣٨ شرح عبد الرحمن البرقوقى وطبع التجارية بالقاهرة سنة ٩٣٠ م

وعَزْمَةٌ بعثتها هِمَّةٌ زُحَلٌ
مِنْ تحتِها بمكانِ التُّربِ مِنْ زُحَلِ (١)

على الفُراتِ أعاصيرٌ وفي حَلَبٍ
تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى الصَّبْرِ (٢) مُقْتَبِلِ

تتلو أسِنَّتُه الكُتْبَ التي نَفَدتْ
وَيجعَلُ الخيلَ أبدالاً مِنَ الرُّسُلِ

يَلقَى الملوكَ فلا يَلقَى سِوى جَزَرٍ
وما أعدّوا فلا يَلقَى سِوى نَفَلِ

صانَ الخَليفةَ بالأبطالِ مُهجَتَهُ
صِيانةَ الذَّكَرِ الهِنديِّ بالخِلَلِ (٣)

ومنها :

والبَاعثُ الجيشَ قد غالَتْ عجاجتُه
ضَوْءَ النَّهارِ فصارَ الظُّهْرُ كالطَّفَلِ (٤)

يَنالُ أبْعَدَ مِنها وهي ناظِرَةٌ
فما تُقابِلُه إلاَّ على وَجَلِ (٥)

---

(١) زُحلٌ : نجم في السما . يقول : وقربها عليه عزمة حركتها همة تعلو على زحل ذلك النجم — بقدر علو النجم على التراب .

(٢) في الديوان « النصر »

(٣) الخِلَلُ : أغشيةُ الأغماد

(٤) غالَهُ : أهلكه ، أو ذهب به . العجاجَةُ : الغبرةُ . يريدُ الترابَ المثارَ من زحف الجيش والطفل : وقت الغروب

(٥) هذا البيت لا يرد في الديوان بعد البيت السابق كما هو الحال هنا ، بل يفصل بينهما قوله :

الجوُّ أضيق ما لاقاهُ ساطِعُها ومُقلةُ الشمسِ فيه أحيرُ المُقَلِ

وله فى وصف سيف الدولة : (١)

مُمْتَطِى الكواعبِ والجُرْدِ السّلاهبِ والـ
بيضِ القَواضبِ والعَسّالةِ الذُّبُلِ (٢)

ضاقَ الزمانُ ووجهُ الأرضِ عن مَلِكٍ
مِثْلِ الزمانِ ومِثْلِ السّهْلِ والجَبَلِ

فنحنُ فى جَذَلٍ والرُّومُ فى وَجَلٍ
والبَرُّ فى شُغُلٍ والبحرُ فى خَجَلِ

تُمسِى الأمانِىُّ صرعَى دونَ مَبْلَغِه
فما يقولُ لشىءٍ ليتَ ذلِكَ لِى

ومنها : (٣)

أُنظُرْ إذا اجتمعَ السَّيفانِ فى رَهَجٍ
إلى اختلافِهما فى الخَلْقِ والعَمَلِ

هذا المُعَدُّ لِصَرْفِ (٤) الدهرِ مُنْصَلِتاً
أعدَّ هذا لِرأسِ الفارسِ البَطَلِ

---

(١) ديوانه ط عزام ص ٣٣٠ من قصيدة يمدحه فيها مطلعها :

أجابَ دمعى وما الداعى سوى طَلَلِ
دعا فلبّاهُ قبلَ الركْبِ والإبلِ

راجع طبعة البرقوقى ٣ ص ٦٣، ٦٧

(٢) الكواعب : جمع كاعب وهى الجارية الشابة التى نَهد ثدياها . الجرد : الجياد القليلة الشعر ، السلاهب : الخيل الطوالُ . والبيض القواضبُ : السيوف القاطعة . والعسالة الذبل : الرماح الضامرةُ .

(٣) هذان البيتان يتبعان الأبيات السابقة فى القصيدة

(٤) رواية الديوان «لريب» طبعة عزام ص ٣٣٠ والبرقوقى ٣ /٦٩

وله أيضا : (١)

وخَيْلٍ بَراهَا الرَّكْضُ في كُلِّ بَلْدَةٍ
إذا عَرَّسَتْ فِيها فَلَيْسَ تَقِيلُ

فلمّا تَجلّى مِن دَلُوكٍ وصَنْجَةٍ
عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رايَةٌ ورَعِيلُ (٢)

على طُرُقٍ فيها على الطُرْقِ رِفْعَةٌ
وفي ذِكْرِها عِندَ الأنِيسِ خُمُولُ

فما شَعَرُوا حتّى رَأَوْها مُغِيرَةً
قِباحاً وأمّا خَلْقُها فَجَمِيلُ

سحائِبُ يُمْطِرْنَ الحَدِيدَ عليهِمُ   فَكُلُّ مكانٍ بالدِّماءِ غَسِيلُ

وأمْسَى السَّبايا يَنْتَحِبْنَ بِعِرقَةٍ (٣)
كأنَّ جُيُوبَ الثّاكِلاتِ ذُيُولُ

تُسايِلُها النِّيرانُ في كُلِّ مَسْلَكٍ
بِهِ القَومُ صَرْعَى والدِّيارُ طُلُولُ

ورُعْنَ بِها قَلْبَ الفُراتِ كأنَّما   تَخِرُّ عليهِ بالرِّجالِ سُيُولُ

---

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة سنة ٣٤٢ هـ مطلعها :

لياليَّ بعد الظاعنين شكولُ   طوالٌ وليلُ العاشقين طويلُ

واجع ديوانه طبع البرقوقي ٢/٧٧ وطبعة عزام ٣٤٧

(٢) دلوك . موضع وراء الفرات ، وصنجة نهر بين ديار مصر وديار بكر ، والرعيل : الفرقةُ من الخيل .

(٣) عرقة : اسم المكان

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَعْرِفُونَهَا

لَهَا غُرَرٌ ما تَنْقَضِي وحُجُولُ

تَمَلُّ الحُصُونُ الشُّمُّ طُولَ نِزَالِنَا

فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وتَزُولُ

فمنْ أرادَ أنْ يَصِفَ شيئًا فليَصِفْهُ هكَذا وإلا فليَصْمُتْ.

وله فى وصف الأسد : (١)

وَرْدٌ إِذَا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شَارِبًا وَرَدَ الفُرَاتَ زَئِيرُهُ والنِّيلا

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الفَوَارِسِ لابِسٌ فى غِيلِهِ من لِبْدَتَيْهِ غِيلا

ما قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إلا ظُنَّتَا

تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفَرِيقِ حُلُولا

فى وحْدَةِ الرُّهْبانِ إلا أنَّهُ لا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ والتَّحْلِيلا

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا من تِيهِهِ فكأنَّه آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا

ويَرُدُّ عُفْرَتَهُ إلى يَافُوخِهِ

حَتَّى تَصِيرَ لرَأْسِهِ إِكْلِيلا

وتَظُنُّهُ مِمَّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ

عَنْها بِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا

(١) من قصيدته فى مديح ابن عمار والى الشام مطلعها : (ديوانه طبع البرقوقى ٢/١٦٥، طبع عزام ١٣٣)

فى الخدِّ إن عزمَ الخليطُ رحيلا مطرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحُولا

قَصُرَتْ مَخَافَتَه الخُطَى فكأنَّما
رَكِبَ الكَمِىُّ جوادَهُ مَشْكُولاَ
ألقَى فَرِيسَتَهُ وبَرْبَرَ دُونَها
وَقَرُبْتَ قُرْباً خَالَهُ تطْفِيلاَ
فتشَابَهَ الخُلُقَانِ فى إقدامِه
وتَخَالَفَا فى بذْلِكَ المأكُولاَ
مازَالَ يَجْمعُ مَتْنَهُ فى زَوْرِه
حتىَّ حَسِبْتَ العَرْضَ مِنْهُ الطُّولاَ (١)
وَيدقُّ بالصَّدرِ الحِجَارَ كأنَّهُ يبْغِى إلى ما فِى الحَضِيضِ نُزُولاَ

وله فى القصيدة التى أولها : (٢)

إذا كانَ مدحٌ فالنسيبُ المُقَدَّمُ

كأنَّ العِدَى فى أرْضِهِمْ خلَفَاؤُه
فإنْ شَاءَ حَازُوهَا وإنْ شَاءَ سلَّمُوا
ولا كُتْبَ إلاَّ المَشْرَفِيَّةُ عِنْدَهُ
ولا رُسُلٌ إلاَّ الخَمِيس العَرَمْرَمُ

ومنهـا فى المدح : (٣)

---

(١) هذا البيت لا يتبع الأبيات السابقة فى رواية الديوان ، بينه وبينها أربعة أبيات راجع ديوانه طبع البرقوقى ٢/١٧٠ — ١٧١ وطبعة عزام ١٣٥

(٢) يمدح بها سيف الدولة وقد نزل بها فارقين سنة ٣٣٨ هـ . راجع ديوانه طبع البرقوقى ٢/٢٥٣ وطبع عزام ٢٩٠

(٣) هذا البيت يسبق البيتين السابقين فى رواية الديوان.

ولم يَخْلُ (١) من أسمائِه عودُ مِنْبَرٍ
ولمْ يَخْلُ دِينارٌ ولم يَخْلُ دِرْهَمُ

ومنها : (٢)

وَلمَّا تلقَّاكَ السَّحابُ بِصَوْبِهِ
تَلقَّاهُ أعلا مِنْهُ كَعْباً وأكْرَمُ

فبَاشَرَ وجْهاً طالمَا باشَرَ القَنَا
وبَلَّ ثَنَايا طالمَا بلهَّا الدَّمُ

يَمُدُّ يَديْهِ فى المُفَاضَةِ ضَيْغَمٌ
وعيناهُ من تَحْتِ التَّرِيكَةِ أرْقَمُ (٢)

وله فى مدح سَيْف الدَوْلَة : (٣)

كلُّ السُّيُوفِ إذَا طَالَ الضِّرابُ بِها
يَمَسُّها غيرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّأمُ

لوكَلَّتْ الخَيْلُ حتَّى لا تَحَمَّلُهُ
تحَمَّلَتْه إلى أعدَائِه الهِمَمُ

---

(١) رواية الديوان « فلم يَخْلُ » طبعة عزام ٢٩١ ، وطبع البرقوقى مثل رواية المؤلف ٢/٢٥٤ .

(٢) هذا البيت لا يتبع سابقيه ، ويفصل بينه وبينهما ٦ أبيات .
والمفاضَة : الدرعُ الواسعةَ ، والضيغمَ : الأسدُ

(٣) من قصيدة يمدحه سنة ٣٤٩ هـ وهى آخر ما أنشده بحلب ومطلعها :
عُقْبى اليمين على عُقْبى الوغى ندمُ   ماذا يزيدك فى إقْدَامِكَ القَسَمُ
راجع ديوانه طبع البرقوقى ٢/٢٩٤

وله فى وصف قلعة : (١)

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالقَنَا تَقْرَعُ القَنَا
وَمَوْجُ المَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ (٢)

سقتها الغَمَامُ الغُرُّ قَبْلَ نُزُولِهِ
فلمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتْهَا الجَمَاجِمُ (٣)

وكانَ بها مِثْلُ الجُنُونِ فأصْبَحَتْ
ومنْ جُثَثِ القَتْلَى عليهَا تَمَائِمُ (٤)

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَهَا فرَدَدْتَهَا
علَى الدِّينِ بالخَطِّىِّ والدَّهْرُ رَاغِمُ (٥)

والشَّواهِدُ فى هذَا البَابِ كثيرةٌ ، غيرَ أنَّنَا نَقصِدُ الاختِصَارَ ، وليكونَ أسهَلَ على حِفْظِهِ .

(١) من قصيدة يمـــدح بها سيف الدولة ويذكر بناءَهُ ثغر الحدث وقلعتَه. مطلعهـا :

على قدْرِ أهل العزم تَأْتى العزائِمُ
وتأتى على قدرِ الكرامِ المكارِمُ

راجع ديوانه طبع البرقوقى ٢/٢٦٨

(٢) ديوانه ٢/٢٧٠ وهو البيت رقم ٩ فى القصيدة .

(٣) هذا البيت يرد قبل سابقه فى سياق القصيدة بالديوان.

(٤) التمائم : جمع تميمة وهى العوذة التى يَتَعوذُ بها المريض أو الذى به مس الجنون جعل القلعة هاهنا مما يضطرب بها من الفتنة وكأن بها جنونا ، فلما علقت عليها جثث القتلى سكنتْ الفتنة ، كما يسكن المجنون وتهدأ ثورته ، بما يعلق عليه من العوذ والتمائم فى اعتقادهم .

(٥)

باب
فى
الطباق والمقابلة [1]

أصل المطابقة فى اللغة أن يضع البعير رجله موضع يده ، فيقال : طابق البعير إذا وضع الرجل فى موضع اليد سواء من غير زيادة أو نقصان .

وحد الطباق : ذكر الشىء وضده . وقيل : هو اشتراك المتباينين فى لفظ واحد . وقيل : هو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقص . والكل قريب من قريب . فمثال المطابقة: فى قوله تعالى : ﴿ وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات ﴾ [2].

فانظر إلى هذه المطابقة العظيمة فى هذه الآية الكريمة مع اختصارها ووجيز لفظها .

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه : « فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة للكبر ، ومن الحياة للممات . فوالذى نفسى بيده ومابعد

---

(١) جمع بينهما هنا ، وفرق بينهما علماء البلاغة : قدامة وأبو هلال والخفاجى وابن رشيق وابن أبى الاصبع .

(٢) آية ١١ سورة فاطر .

الحياةِ منَ مُسْتَعْتَبٍ ،ولا بَعْدَ الدُّنيادارٌ إلاالجنَّةُ أوْ النَّارِ(١)».

ولقد أجاد من قال : ووالله ما قارَبْتُ إلا تَبَاعدَتْ بِصَرْمٍ ،ولا أكْثَرْتَ إلاَّ أقلَلْتَ .

فأما حد المقابلة : فهو أنْ تَكُونَ اللفظةُ مُقابِلَةً لأُخْتِها ومَعْنَاهَا مَخْتَلِفٌ مثلُ قوله تعالى :﴿ مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأعمَى والأصمِّ والبَصيرِ والسَّميعِ ﴾ (٢) .

وهذه الآية الكريمةُ فيها بحثٌ دقيقٌ يتعلَّقُ بعلم البَيان،وذلك أنَّ لقائلٍ أنْ يقول : لِمَ لا قيل : مثلُ الفريقين كالأعمى والبصير والأصم والسميع ، لتكون المقابلة فى لفظةِ الأعمى وضده البصير ، والأصم و[ضده] السميع . وقد أجيبَ عن ذلك بأنه تعالى لما ذكر انسدادَ العَيْنِ اتبعه بانسدادِ السَّمْع . وضد ذلك لما ذكر انفتاحَ البصَر أتبعَهُ بانفتاحِ السَّمْعِ ، فما تضمَّنتْه الآيةُ الكريمةُ من ذلك هو الأنسبُ فى المقابلةِ والأتمّ فى الإعجازِ . ومن هذا النوع ما حُكِيَ عن المتنبى لما أنشد

---

(١) يروى ابن رشيق هذا الحديث بلفظ مختلف هو « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات ، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا إلا الجنة أو النار » . العمدة بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ٢ / ٨ .

(٢) آية ٢٤ سورة هود .

وقد عرف ابن أبى الأصبع المقابلة بقوله : أن يتوخى المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغى فإذا أتى بأشياء فى صدر كلامه أتى بأضدادها فى عجزه على الترتيب ... وقد تكون المقابلة بغير الأضداد . تحرير التحبير ص ١٧٩ .

سَيْفَ الدَّوْلَةِ بن حمدَان يذكر ثبوته فى الحَرب (١) :

وقَفْتَ وما فى المَوْتِ شَكٌّ لواقِفٍ
كأنَكَ فى جَفْنِ الرَّدَى وهو نَائِمُ

تَمرُّ بكَ الأبطَالُ كلْمَى هَزِيمةً
ووَجهُكَ وضَّاحٌ وثَغْرُكَ بَاسِمُ

فقال له سيفُ الدَّوْلة : لِمَ لا ركَّبتَ نِصْفَ البَيْتِ الثانِى على النِّصْفِ الأول وعكسْتَه فقُلْت :

وقَفْتَ وما فى المَوْتِ شَكٌّ لواقِفٍ
ووجْهُكَ وضَّاحٌ وثَغْرُكَ باسِمُ

تَمرُّ بكَ الأبطالُ كلْمَى هَزِيمةً
كأنَّكَ فى جَفْنِ الرَّدَى وهو نَائِمُ

فقال له المتنبى : أيها الأمير،البزاز يعرف جملة الثَوب والقزاز يعرف تفصيله ، وتفصيل هذين البيتين أنى لما ذكرت الموت فى صدر البيت الأول اتبعته بذكر الردى فى آخره ليكون ذلك أحسن مقابلة (٢).

قال والدى (٣) رحمهُ اللّه معارِضًا له تفسير هذا البيت : قولُ المتنبى رحمه الله : لما ذَكرتُ الموتَ فى صَدْرِ البيتِ الأوّلِ أتبَعْتُه بذِكْرِ الرَّدَى فى آخِرِه ليَكُونَ ذلك أحسن مقابلة.هذا الكلامَ ليسَ بجيد ، وذلك لأنّ الرَّدَى هو الموْتُ فما فى ذلك مقابلةٌ ،وإنما الصوابَ أن يُقال : لما ذكرتُ الوقوفَ فىصدْرِ البيْت الأول قابلْتُه بالمنَامِ ،ولمَّا ذَكَرْتُ

(١) ديوان المتنبى طبع عزام ص٣٧٧ من قصيدته التى مطلعها .
« على قدر أهل العزم تأتى العزائم »
(٢) أورد هذا النقد ابن منقذ فى كتابه « البديع »
(٣) يقصد اسماعيل بن الاثير (عماد الدين) صاحب « الكنز » .

وجهَ الجريحِ المنهزِمِ وهوَ عبُوسٌ حزينٌ قابلتْهُ بوجْهِكَ الوضّاحِ وثَغْرِكَ البَاسِمِ ليَتِمَّ المُقابلةُ.

ومن شواهد المقابلة قول الشاعر (١) :

فلا الجُودُ يُفْنِي المَالَ والجَدُّ مُقْبِلٌ
ولا البُخْلُ يُبْقِي المَالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

والمقابلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : مقابلة الشيء بضده أو بغيره ، أو بمثله .

فأما مقابلة الشيء بضده فكما قدمناه من الشواهد . وأما مقابلة الشيء بغيره فكقول القائل (٢) :

يَجزُونَ من ظُلْمِ أهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرةً
ومن إساءَةِ أهْلِ السُّوءِ إحْسَانَا

فقابل الظلم بالمغفرة وليست ضداً لها،وإنما ضد الظلم العدل ، لكنها لما كانت المغفرة متضمنة معنى العدل من حيث استشعار عدم المؤاخذة ، حسنت المقابلة بذلك .

ومثله قول الشاعر (٣) :

فإنّا نُوردُ الرَّايَاتِ بِيضًا ونُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا

فقوله نُورِدُ ونُصْدِرُ ضدّانِ متقابلان ، وقولُه بيضًا وحُمْرًا مقابلةُ الشيءِ بغَيْرِه ، لأن البياضَ ليسَ له ضدٌّ إلا السَّوادُ ، وبقيةُ

---

(١) ذكر الباقلاني أنه استشهد بالبيت ، وأورده من شواهد المطابقة في اعجاز القران ص ١١٦ . (وراجع الصناعتين لأبي هلال العسكري باب الطباق ص ٣٠٥ طبع صبيح)

(٢) والشاعر هو قريط بن أنيف شاعر إسلامي ،ومن شعراء الحماسة حـ ١ ص ٢٧ .

(٣) البيت من قصيدة عمرو بن كلثوم المعلقة .

الألوان إنما يقال فيها متغايرة ، لأنها تصبغ وتنصبغ بخلاف الأسود والأبيض ، فالأسود يصبغ ولا ينصبغ ، والأبيض ينصبغ ولا يصبغ (١) ، فحسن أن يكونا ضدين بخلاف بقية الألوان .

وأما مقابلة الشيء بمثله ، كقوله تعالى : ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ (٢) ، وكقوله تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾ (٣) .

وقد تكون المقابلة في اللفظ والمعنى ، وفي المعنى دون اللفظ ، فأما مقابلة اللفظ والمعنى فكما قدمناه من الشواهد ، وأما مقابلة المعنى دون اللفظ فكقوله تعالى : ﴿ أولم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ (٤) . فإنه لم يراع التقابل اللفظي بين قوله : « ليسكنوا فيه » ، وقوله : « مبصرا » ، فإن القياس أن يكون قبالة السكون الحركة ، وقبالة الإبصار الظلمة ، وإنما هذا مراعى من جهة المعنى ، وذلك لأن الليل لما كان ظلمة حسن السكون به لقلة الانتفاع بالمعايش ، والنهار لما كان مبصرا حسن السعي به لانتفاع الناس بالتصرفات فيه ، فصار معنى الإبصار يعطي الحركة قبالة السكون ، فهذا مقابلة المعنى دون اللفظ .

وفي المقابلة نوع يختص بفواصل الآيات ، وهو في غاية الحسن ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ،

---

(١) الأصل مضطرب من الناسخ — والصحيح ما أثبتناه .

(٢) التوبة آية ٦٧ : « نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون »

(٣) آل عمران آية ١٥٣ « مكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين »

(٤) النحل آية ٨٦

ألا إنَّهُم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١) » .

﴿ وإذا قِيلَ لهُم آمِنوا كما آمنَ النَّاسُ قالوا أنؤمنُ كما آمنَ السُّفَهاءُ ، ألا إنَّهُم هُمُ السُّفَهاءُ ولكِنْ لا يَعْلَمُون ﴾ ففصل الآية الأولى بلفظة « يشعرون » ، والآية الثانية بلفظة « يعلمون » (٢) لأن الإيمانَ يحتَاجُ إلى نَظَرٍ واستِدْلال ، فهو متَعلِّقٌ بالعِلم ، والنِّفاقُ فهو أمرٌ دائرٌ بينَ قومه يُدرِكُونَه بالحِسِّ ، فلذلك قال فيه (لا يشعرون) .

وثَمَّ نوعٌ من المُطَابَقةِ تَختَلِطُ فيه بالتَّجنيس ، وكثيرًا ما يقعُ وفى الكلام ، وهو شيءٌ مما يستعمل للضدَّيْنِ ، كقولهم : « جَلَلٌ » بمعنى صغيرٍ وجَلَلٌ بمعنى عَظِيم ، فهذه اللفظة معناها مُطَابَقَةٌ من حيثُ الصِّغَرِ والعِظَم ، وفى ظاهِرِها جِنَاسٌ وكذلك لفظةُ « الجَوْنِ » وُضِعَتْ بإزاءِ الأسْوَد والأبيضِ ، فباطِنُها طِبَاقٌ وظاهِرُها جِناسٌ . وأمثال ذلك كثيرةٌ .

[التكافؤ]

أما التكافؤ فهو كالطِّباق فى أنه ذِكرُ الشَّيءِ وضِدِّه ، لكن يُشْتَرَطُ فى التَّكَافُوءِ أن يَكونَ أحَدُ الضِّدَّيْنِ حقيقةً والآخرُ مجَازًا . فبهذا يَحصُل الفَرْقُ بينَهما . وشاهدُ التكافُوءِ قولُ الشاعر (٣) :

لا تَعْجَبِي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِهِ فبَكَى

فضَحِكَ المشِيبَ مجَازٌ وبكَاءُ الرَّجُلِ حقِيقَةٌ .

(١) البقرة آية ١١

(٢) البقرة آية ١٣

(٣) البيت لدعبل بن علي الخزاعى ، وهو من الشواهد المذكورة فى هذا الباب ، وراجع نقد الشعر لقدامة ٢٩ ، والوساطة ٤٤٤ ، الصناعتين ٢٩٧ وتحرير التحبير ١١٣ ، والتبيان ١٧٠ ، وفى البديع لأسامة منسوب لمسلم بن الوليد وبه تصحيف فى كلمة « تعجبى » .

وقول الآخر (١) :

إِذا أيقظتْكَ حروبُ العِدَى　　فَنَبِّهْ لها عُمَراً ثُمَّ نَمْ

فإيقاظ الحروب مَجازٌ ، ونومُ الشَّخصِ حقيقةٌ .

(٢) بشار بن برد . والبيت أورده ابن سنان الخفاجي من شواهد المطابقة ص ٢٣٨ سر الفصاحة ، ويريد بعمر هنا عمر بن العلاء من قواد المهدي الخليفة العباسي .

باب
الجناس

الجناسُ والمُجانَسةُ والتَّجنيسُ والتَّجانُس كلُّه بمعنى.

فأما لفظةُ الجِناسِ فيُقال إنَّ العَرَبَ لمْ تتكلَّمْ بها، وإنَّما علماءُ اللغة قاسُوها على نظائرها، وجعلُوا الجِناسِ حالَ كلمة بالنسبةِ إلى أختها، وكذلك المُجانَسةُ، وأما التَّجنيسُ فإنّه فعلُ المُجنِّسِ [1] مثلُ التَّصنيفِ فعلُ المُصنِّفِ، وأما التَّجانُسُ فهو الكلماتُ في نفسِها من التشابُه. والجِنْسُ يُطلَقَ على القبيلةِ والأمّةِ وعلى المُختَلِفِ بالأغراضِ. وكذلكَ الجنس يُطلَقُ على المُتَشابِه مُطلقا بأيِّ وجهٍ كانَ، فنقولُ هذا من جِنْس هذا، يعني مشابهًا لهُ.

وحدُّ التجنيسِ أنّه: اتفاقُ الألفاظِ واختلافُ المَعاني. ولم يذكر عُلماءُ البَيانِ فائدةَ التجنيس كما ذكرُوا فائدةَ الاستعارةِ والتشبيه وغيرِها من أبوابِ البيانِ، غيرَ أنهم عَبرُّوا عن ذلك بشيء يُشْبه أن يكونَ فائدةً للتجنيس، فإنّهم قالوا إن تَشابُه ألفاظِ التجنيس تُحدِثُ بالسَّمعِ ميلاً إليه، فإنَّ النَّفسَ تتشوَّفُ إلى سَماعِ اللفظةِ الواحِدةِ إذا كانت بمعنَيينِ، وتتوقُ إلى استخراجِ المعنَيينِ المُشتَمِل عليهما ذلك اللفظُ، فصارَ للتجنيسِ وقعٌ في النفوس، وفائدةٌ.

---

(1) في الأصل «المنشيء» وصحتها ما أثبتناه. وهو أنسب للسياق.

ثم إن الجناسَ ينقسمُ إلى نوعين ، حقيقيٌّ ومشبَّه به ، فأمّا الحقيقيّ فهو ما استوتْ ألفاظه في الخطّ والوزنِ والتركيبِ ، كقولِ الشّاعر :

بَعُدتِ وقد أضرمْتِ ما بينَ أضلُعي
بِبُعْدِكِ ناراً حشْوُ قلْبي وقُودُها
وكلّفْتِ نفسي قطْعَ بيداءَ لَوْعَةٍ
تَكِلُّ بِها هُوجُ المَهارِي وقُودُها

وقال الآخر :

ياسيّدَ الحُكماءِ هذي سُنَّةٌ قَيْنِيَّةٌ في الطّبِّ أنتَ سننْتَها
أو كلّما كلّتْ سيُوفُ جُفُونِ مَنْ
سَفكتْ لواحظُهُ الدِّماءَ سنَنْتَها

وأما المشَبّه بالتّجنيس فهو النوع المُسمّى بالجناسِ النّاقِص. وهو ينقَسِم إلى ثمانية أقسام : جناسُ المغايَرةِ ، وجناسُ المماثلَةِ ، وجناسُ التّصحيف ، وجِناسُ التّحريف ، وجناسُ التّصريف ، وجناسُ التّرجيع ، وجناسُ العَكْس ، وجِناسُ التّركيب .

فأما جناس المغايرة فهو : أن تكون إحدى الكلمتين اسماً والأُخرى فِعْلا . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وأسْلمْتُ معَ سُلَيْمَانَ ﴾ (١) . وكقول النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلم : « عَصيّة عَصت اللّهَ ، وغفَارُ غفَرَ اللّهُ لها ، وأسلمُ سالمَها اللّهُ » .

وكقول بعْضِهم : فُلانٌ ما تَركَ فضّةً إلا فضّها ، ولا ذَهَبًا

---

(١) سورة النمل آية ٤٤ .

إلا أذهبه ، ولا مالا إلا مال عليه ، ولا فرسا الا افترسه ، ولادارا الاأدارها مالكاله ، ولاغلة إلاغلها ولاغنما إلا غنمها ، ولا بقرا إلا بقره ، ولا جليلا إلا أجلاه ، ولا دقيقا إلا دقه (١).

فانظر إلى محاسن هذا الجناس .

ومنه قول الشاعر : (٢)

رُبَّ خَوْدٍ عرفْتُ فى عَرفاتٍ سلبتْنى بِحُسْنِها حسَنَاتِ

وأما جناس المماثلة فهو : أن تكونَ الكلمتانِ المتشابهتان اسمين أو فعلين ، فأما شاهد الاسمين فكقوله سبحانه و تعالى : (فروحٌ وريْحانٌ) (٣) ، وقوله تعالى :(وجنَى الجنَّتيْنِ) (٤) . وكقوله عليه السلام: الظلمُ ظلُماتٌ يومَ القيامة ، و « ذُو الوجهيْنِ لا يكونُ عِند اللهِ وجيهًا » (٥) .

وكقول الشاعر . (٦)

عَرَبٌ تراهُم أعْجَمِينَ عن الوَرى متنزِّلينَ على الضُّيوفِ النُّزَّلِ

فأقمتُ بين الأزد غيرَ مزوَّد ورَحلْتُ عنخُولانَ غيرَ مُخَوَّلِ

---

(١) أورد أسامة بن منقذ هذا النص مع بعض إختلاف فى اللفظ ونسبه إلى رجل تظلم به إلى المأمون . البديع فى نقد الشعر ص ١٣

(٢) البيت أول خمسة أبيات استشهد بها ابن منقذ ص ١٤ البديع

(٣) الواقعة آية ٨٩

(٤) سورة الرحمن آية ٥٤

(٥) ويروى الحديث « ذو وجهين لا يكون وجيها يوم القيامة »

(٦) البيتان فى بديع ابن منقذ ص ١٦ ورواية الأول :

عرب تراهم أعجمين عن القِرى مُتَنَزِّلينَ عن الضُّيوفِ النُّزَّلِ

وأما جناس التصحيف (١) فهو : أن يكون النقط والشكل فارقا بين الكلمتين كقوله تعالى: ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾(٢) وكقوله تعالى: ﴿ قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾(٣) . وكقول الشاعر :

يَقُولُ العَدُوُّ ويُصْفِى الصَّدِيقُ   وشرٌّ من القَائِلِ القَابِلُ

وأما جناس التحريف فهو : أن يكون الشكلُ وحده فارقا بين الكلمتين . كقوله :

وخلَّى ذرعىَ الدَّهْـ   ـرُ وخَلاَّنى وخِلاَّنى (٤) .

وأما جناس التصريف فهو : أن تَنفَرِدَ كلُّ كلمة عن أختها بحرف واحد ، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ بما كُنْتُم تَفرَحُونَ فى الأَرْضِ بغير الحَقِّ وبما كنتم تَمرَحُون ﴾ (٥) ، وكقوله تعالى :

---

(١) ومخول . موهوب من خوله الله تعالى المال أى أعطاه .

(٢) فى الأصل «واما الجناس التام» ويقصد جناس التصحيف كما أثبتنا عرفه ابن منقذ ويبدو أن الكلمة من خط مخالف كتبت بعد طمس الكلمة الأصلية ومحوها بآثار العرق أو البلى .

(٣) آية ١٠٤ سورة الكهف وراجع تحرير التحبير ص ١٠٦

(٤) آية ٢٢ سورة الجن

(٥) ورد البيت ضمن أبيات ثلاثة فى بديع ابن منقذ ص ٢١ ، وذكرا بن أبى الأصبع هذا الضرب من التجنيس وقسمه إلى ثلاثة أقسام من حيث التغاير فى الحركات وتغيير الحركة إلى سكون أو التخفيف بالتشديد

(٦) آية ٧٥ سورة غافر

﴿ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِن إِحْدَى الأُمَمِ ﴾ (١) ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : «الخَيْلُ معقودٌ بنواصيها الخَيْرُ» . وكقول الشاعر : (٢)

لهُ لطفٌ وليسَ لديه عُرفٌ ... كبارقةٍ تَرُوقُ ولا تُرِيقُ

وأما جناسُ الترجيع (*) فهو : أن تَرجِعَ الكَلمةُ بذاتِها غير أنها تَزِيدُ حَرْفًا أو حَرْفَيْنِ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (٤) و﴿ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (٥) . وقول الشاعر : (٦)

وما مُنِيمتْ دارٌ ولا عَزَّ أهلُها ... من النَّاسِ إلاَّ بالقَنَا والقَنَابِلِ

وقول الآخر : (٧)

يمدُّونَ من أيدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ ... تَصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قَواضِبِ

---

(١) آية ٤٢ سورة فاطر

(٢) البيت من أبيات ثلاثة فى بديع ابن منقذ ص ٢٦

ويعرف ابن أبى الأصبع جناس التصريف بأنه «إختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه»

(*) فى الطراز جناس الترجيع ٢/٣٦٤ ويحدده بقوله «وهو أن تأتى فى أواخر الأسجاع فى الكلام المنثور أو القوافى من المنظوم بلفظتين متجانستين إحداهما ضميمة إلى الأخرى على التتمة والتكملة لمعناها» ومن أمثلته :

أبا العباس لا تحسب لشيبي ... بأنى من حُلَى الأشعار عارِ

(٣) آية ١١ العاديات

(٤) آية ٣ الدخان

(٥) آية ٤٥ القصص

(٦) الشاهد فى بديع ابن منقذ ص ٢٦

(٧) البيت لأبى تمام . راجع عروس الأفراح ٤/٤٢٣

وقول الآخر : (١)

نَسَجَ الرَّبيعُ لِربْعِها دِيباجَةً
من جَوْهَرِ الأنوارِ بالأكْفاء

وقول الآخر :

ماهذه الألفُ التى قَدْ زِدْتُمُ   سَمَّيتُمُ الخُوَّانَ بالإخْوَانِ

وأما جناس العكس : * فهو أن تكون إحدى الكلمتين عكسَ الأخرى . وهو ينقسم إلى قسمين ؛ قسم تنقلبُ فيه الحُروف ، وقسم تنقلبُ فيه الكلمات . فالأول كقوله تعالى : ﴿ إنى خَشِيتُ أنْ تَقُول فَرَّقت بينَ بنى إسرَائيلَ ﴾ (٢) . وكقول أبى تمام : (٣)

بيضُ الصَفائحِ لاسُودُ الصَّحَائفِ فى
مُتونهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

وكقول الآخر : (٤)

أهدَيتُ شيئًا يقلُّ لولاَ   أُحدُوثةُ الفَأْلِ والتبرُّكْ
كُرسِيّ تَفَاءَلتُ فيهِ لمَّا   رأيتُ مَقلُوبَه يَسُرُّكْ

وأما القسم الثانى فكقول بعضهم : عاداتُ السَّادَات سَادَاتُ العَادَاتِ

وكقول النبى صلى الله عليه وسلم : جَارُ الدَّارِ أحقُّ بدَارِ الجَارِ .

---

(١) البيت للبحترى ٦/١ وذكره ابن المعتز فى البديع ص ٢٨

(*) يسميه صاحب الطراز «المعكوس» ٣٦٨/٢

(٢) آية ٩٤ سورة طـه

(٣) من قصيدته المشهورة فى المعتصم بمناسبة فتح عمورية

(٤) نسبه صاحب الطراز ٣٧١/٢ إلى بعض الأذكياء

وكقول بعضهم : لا خيرَ في السَّرفِ ولا سَرَفَ في الخَيْر . وكقول الآخر : سِرْ فَلا كَبِا بِكَ الفَرَس ودام عُلا العِمَاد (١) وهاتان الكلمتان يُقرأ كلٌّ مِنْهُما من آخِره إلى أولِه معكُوسًا كما يقرأ مِنْ أوله إلى آخِره .

وأما جناس التركيب فهو أن تكون الكلمة مركبة من كلمتين ، كقول الشاعر : (٢)

إنْ ترمِكَ الغُرْبَةُ من مَعْشَرِ
تواطئُوا فيكَ على بَغْضِهِمْ

فدارِهِم مادُمْتَ في دَارِهِمْ وأرْضِهِمْ مادُمْتَ في أرْضِهِمْ

وكقول الآخر : (٣)

ومعانٍ قتلَ النُّفُوس مُعان قد رَمى قدْرَ مَا أصَابَ جَنَانِي
ناظِراهُ فيما جَنَى ناظِراهُ أودَعانِي أمُتْ بما أوْدَعانِي

وكقول الآخر : (٤)

إنَّ أسْيَافَنا القِصَار الدَّوَامِي
صَيَّرَتْ مَجْدنا طويلَ الدَّوَام

---

(١) والكلمتان للقاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب تبادلاها في رسالتين

(٢) البيتان في بديع ابن منقذ ص ٣٣ ورواية الأول :

أن ترمك الغربة في معشر تضافروا فيك على بغضهم

(٣) البيتان في بديع ابن منقذ من ثلاثة أبيات ذكرها لأبي الفتح البستي ، وثالثهما :

أوصلاني إلى المنى أوصلاني بالمنايا التي تبيد الأماني

(٤) بديع ابن منقذ ص ٣٥ ورواية البيت الثاني :

فاقتسام الأموال ....

باقتسامِ الأموال من وقتِ سامٍ   واقتحامِ الأهوالِ من وقتِ حامِ

وكقول الآخر :

لقد راعني بُدرُ الدُّجى بصدودِهِ
ووصَّلَ أجفاني برعيِ كواكِبهْ

فياعاذلى مُهلاً عساهُ يرقُّ لِى
ويا كبدى صبراً على ماكواكَ بِهْ

وكقول الآخر : (١)

رأيتُك تكوينى بميسم ذِلَّةٍ   كأنكَ قد أصبحتَ عِلَّةَ تكوينى

وتلوينىَ الحقَّ الذى أنا أهلُه
وتخرجُ فى أمرى إلى كُلِّ تلوينِ

وكقول الآخر :

أيُّها البدْرُ الذى يجلُو الدُّجى
قُلْ لنجمِى فى الهوى لِم تحترِقْ

أنا من جملةِ أحرارِ الهوَى
غيرَ أنِّى من هواكُم تحتَ رِقْ

وكقول الآخر :

بَعُدْتَ فأمَّا الطرْفُ منِّى فساهرٌ
لشوقِى وأما الطرفُ منكَ فراقِدُ

فسَلْ عن سُهادِى أنجمَ الليلِ إنَّها
ستشهدُ لِى يوماً بذاك الفراقِدُ

---

(١) بديع ابن منقذ ٣٥ وهى ثلاثة أبيات ثالثها :

فهلا ولا تمنن على فبلغة   من العيش تكفينى إلى يوم تكفينى

وكقول الآخر :

وَدَّعتُهُمْ ورجعتُ بعد فِراقِهِمْ
نَدَمًا أعضُّ من الفِراقِ أنامِلِى

أما التصبُّرُ بعدهُمْ فعَدِمْتُهُ
ومن التشوُّقِ والغرامِ أنا مَلِى

وكقول الآخر :

يا منْ يَقُولُ الشِّعْرَ غيرَ مُهذّبِ
وتَسُومُنِى التَّكْلِيفَ فى تَهْذِيبِه

لو أنَّ كُلَّ الحَقِّ فيكَ مُساعِدى
لَعَجَزْتُ عن تَهْذِيبِ ماتَهْذِى بِهِ

وكقول الآخر :

لِىَ مَدْمَعٌ وصَبِى به من فَضّه وصَبِيبِه
وجوًى غدَا ولَهِى بهِ من حرّه ولَهِيبِه
نادَيْت من أسْرِى بهِ وحياةِ منْ أسرى بِهِ
صِلْ مُدْنَفًا تَجْرِى بهِ بَلْواهُ فى تَجْرِيبِه

باب

الكناية والتعريض *

(الكناية) مصدرُ كنَّى . وكنيتُ عن الشىءِ إذا عبَّرتُ عنه بعبارةٍ أخرى تُفهِمُ معناه .

والكِنايةُ من الاكتنان وهو السَّتْرُ ، وأصلُها كِنانةٌ ، وإنَّما قُلِبَتْ النُّونُ ياءً هربًا من تكرارِ نُونَيْنِ .

وحدُّ الكناية أنَّهــا : ذِكْرُ الشَّىءِ بواسطةِ ذِكْرِ لوازمه ، ووجودُ اللاَّزِم يدُلُّ على وجُودِ المَلْزُومِ عندَ التَّساوِى . ومَعْلُومٌ أنَّ ذِكْرَ الشَّىءِ مع دليلِه أوقعُ فى النَّفْسِ مِنْ ذِكْرِهِ لا معَ دليله . ولهذا كانتْ الكنايةُ أبلغَ (١) .

وقد أوردَ الإمام الفخرُ الرازى على هذا الحد إيرادات (٢) ، وفيه مباحث

---

* من أقدم أبواب البديع . بحثها ثعلب فى قواعد الشعر تحت اسم « لطافة المعنى » وابن المعتز فى « البديع » ، وابن رشيق فى « العمدة » . والعسكرى فى « الصناعتين » ، وابن سنان فى « سر الفصاحة » ، وابن منقذ فى « البديع » وابن الأثير فى « المثل السائر » ، والسكاكى فى « المصباح » والعلوى فى « الطراز » .

(١) نقله المؤلف عن الفخر الرازى فى نهاية الإيجاز » ص ٤ ١

(٢) أورد عليه إيرادين هما :

الأول : أنك إذا قلت « فلان طويل النجاد » فطول النجـاد مشكوك فيه ، كما أن طول القامة مشكوك فيه ، وليس أحدهما أظهر عند العقل من الآخر حتى يستدل بالأعرف على الأخص =

ليس هذا موضعها لغرضِ الاختصار. والفرقُ بينَ الكنايةِ والاستعارة أنَّ الكنايةَ جزءٌ من استعارة فنسبتها إلى الاستعارة نسبةُ خاصٍّ إلى عام. فحينئذ كلُّ كنايةٍ استعارةٌ، وليست كلُّ استعارة كنايةً. وأوردُوا على ذلك أيضا إيرادات وفيه مباحث.

واختلفَ علماءُ البيان فى الكناية، فمنهم من قال إنها من باب الحقيقة، ومنهم من قال إنها من بابِ المَجاز، ومنهم من قال إنها لفظةٌ يتجاذبُها جانبا الحقيقةِ والمجاز، ومنهم من يَحكُمُ فيها بحقيقةٍ ولا مَجاز.

فاما من جعلها من بابِ الحقيقة فالإمام فخرُ الدِّين الرَّازى رحمه الله، ومن قال بقوله. واحتج بأنه إذا كانت الكناية عبارة عن ذكر اللفظ ويستفاد بمعناه معنى ثان هو المقصود، فقد صار المعنى المستفاد هو المعتبر، فحينئذ نَقل اللَّفظ عن موضُوعهِ الذى وضع له فما يكونَ ذلكَ من بابِ المَجاز ويكونُ من بابِ الحقيقة.

وأما من جعلها من بابِ المَجاز فكثيرٌ من علماءِ البيان، واحتجُّوا بأنْ تكونَ الكنايةُ تعبيراً عن معنى لا يُذكر بلفظِه الموضُوعِ له، بَلْ بلفظٍ يدُلُّ عليْه، فيعبَّر به عن ذلك المعنى. ويقول إنَّ المجاز بالكناية ليسَ من جهةِ الإفراد، بَلْ من جهةِ التركيب كقوله: « فلانٌ نهارُه صائمٌ، وليلُه قائمٌ»، فإنَّ الصِّيام والقِيامَ حقيقتان، والليل والنهارُ حقيقتان، وإنما نسبةُ الصَّوم إلى النهار والقيام إلى الليل هو مجاز.

اللهم إلا إذا جعلنا الطريق إلى معرفة طول النجاد الحس، ولكنه أيضا كان فى معرفة طول القامة. فظهر ضعف هذه العلة.

الثانى: وهو أن الاستدلال باللازم على الملزوم طريقة باطلة، فإن الحياة لازمة للعلم، ولا يمكن الاستدلال بوجود الحياة على وجوده، فبطل ما قاله.

وأما من قال إنها لفظة تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز فضياء الدين بن الأثير الجزرى (١) ومن يقول بقوله . واحتجوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿أو لامستم النساء﴾ (٢). وقالوا : إن ذلك يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، وكل منها يصح به المعنى . ولهذا ذهب الشافعى رحمه الله تعالى إلى أن اللمس هو مصافحةُ الجسد للجسد ، وذهب غيره إلى أن المراد باللمس الجماعُ ، فقد تجاذب هذه اللفظة جانبا حقيقة ومجاز . وكذلك قوله تعالى : ﴿إن هذا أخى له تسعٌ وتسعُونَ نعْجَةً ولى نعْجةٌ واحدةٌ﴾(٣) فالنعجة يجوز أن يكنى بها عن المرأة ، ويجوز استعمالها فى حقيقتها ، وهى الأنثى من النعم .

ولابُدَّ للكناية من تعلق بالمكنى عنه بجامع بينهما ، كما أن الجامع بين المرأة والنعجة الأنوثة ، والجامع بين اللَّمْسِ والجِماع مصافحةُ الجَسدِ للجَسدِ .

ومن أهل الحقائق من فسَّر قوله تعالى : ﴿وثيابَكَ فَطَهِّر﴾ (٤) فقال المراد بالثياب القلب ، وليس الأمر كذلك لوجهين : أحدهما أنا لا نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا لفائدة توجبُ ذلك ، والثانى أن لا تحصُلَ الكنايةُ بشىء إلا إذا كانَ بينهُما وصفٌ جامع وأىُّ وصف جامع بين الثياب والقلب؟ .

وأما من لم يحكم فيها بحقيقة ولا مجاز فالامام محمد بن سنان الخفاجى وأبو

---

(١) فى المثل السائر . ونقله صاحب الطراز ١/٣٦٨

(٢) سورة النساء ٤٣ .

(٣) سورة ص ٢٣

(٤) المدثر ٤

هلال العسكرى والغانمى*، ومن يقول بقولهم . واحتجوا على ذلك بأن الكناية عبارة عن ذكر المعنى القبيح باللفظ الحسن ، وهذا لا يجوز أن يكون حداً ولا رسما ، لأن الحد والرسم لا بد فيهما من اطراد وانعكاس فى الحد . وهذا الحد الذى ذكره لا يطرد ولا ينعكس ، لأنه يقتضى أن كل ما لا يكون ذكراً للمعنى القبيح باللفظ الحسن فلا يكون كناية وليس الأمر كذلك ، فإن الكناية تقع على المعنى الحسن والمعنى القبيح ، كقولك : فلان طويل النجاد ، تعنى بذلك طول قامته . فهذا لفظ حسن كنى به عن معنى حسن ، فينتقض عليهم ذلك الحد .

ثم إن الكناية تنقسم إلى أقسام ؛ فمنها قسم يقال له التمثيل وهو التشبيه على سبيل الكناية ، وبيانه أنك تشير إلى معنى من المعانى ، فتضع له ألفاظاً تدل على معنى آخر على سبيل ضرب المثال للمعنى الذى قصدته ، كقولك: فلان نقى الثوب. تعنى به تنزيهه عن العيوب . وفائدة ذلك أن السامع يحصل له زيادة التصور بهذا المثال على المدلول عليه ، فكان أسرع إلى الرغبة فيه . وكقوله تعالى : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ (١) فلما كان الاغتياب هو تمزيق أعراض الناس شبه بأكل اللحم الذى فيه تمزيق أجزاء الجسم ، ثم لما كان ذلك مستهجناً شبه بلحم الأخ ، إلا أن أكل لحم

---

* الغانمى : أبو العلاء محمد بن غانم ممن مدحوا نظام الملك . من أدباء القرن الخامس ، وكان تلميذا للباخرزى صاحب دمية القصر . وكان مشهوراً بالبلاغة ، وله فيها كتاب «صنعة الشعر» (توفى سنة ٤٦٨ هـ) . راجع فى ترجمته دمية القصر ج ٩

(١) الحجرات ١٢ .

الأجنبيّ أقلُّ كراهةً من أكْلِ لحمِ الأخِ . ثم لمّا كان لحمُ الميّتِ لايُحسُّ ، فكذلكَ المغتابُ لايحسُّ لغيبته ، فحسُنَتْ الكنايةُ عن الغيبةِ بهذه الألفاظ .

ومنها كنايةُ الإرداف ، وبيانهُ أن تذكرَ شيئاً وتذكرَ معهُ ماهُو دليلٌ عليهِ وردِيفٌ له كقوله تعالى : ﴿ ومنْ أظلَمُ ممّن افترى على اللهِ كذباً أو كذّبَ بالحقّ لمّا جاءَه ﴾(١) فقوله : كذّبَ بالحقّ لمّا جاءَه كنى به عن ضعف العقل ، لأنّ الظالمَ الذى افترى على الله الكذبَ لولا ضعفُ عقلِه لما كذّب بالحقّ بعد أن عاينَهُ .

ومنها بابُ مثل المُردَفِ كقولِ العرب : مِثلي لايفعلُ كذا وكذا ، يعنى أنه إذا نفاه عن مِثله نفاهُ عن نفسِه بطريقِ الأولى .

ومنها ما يأتى فى جواب الشرط مُردَفاً كقولهِ تعالى : ﴿وقالَ الّذينَ أوتُوا العِلْمَ والإيمانَ لقدْ لبثْتُم فى كتابِ الله إلى يوم البعْث ، فهذَا يومَ البعْث ﴾(٢) . كأنهقال: كنتم منكرينَ البعْث الذى كنتم تكذّبونه ، فتركَ التصريحَ بتكذيبهم ، وجاء(٣) بما يرادفه . ومثله قولُك للخصْم : إن تُنكِرْ حضُورَ زيدٍ فهَا هُو ، يعْنِى بذلكَ أنكَ كاذبٌ .

ومنها كنايةُ الاستثناءِ المُردفِ من غير مُوجبٍ كقوله تعالى : ﴿ ليسلهم طعَامٌ إلاّ من ضريع ﴾(٤) ، فالضريعُ نبتٌ ذو شوكٍ ،

---

(١) العنكبوت ٦٨

(٢) الروم ٥٦

(٣) فى الأصل « كذا » وصحته ما أثبتناه .

(٤) الغاشية آية رقم ٦

تُسمّيه العَربُ بالشِّبْرِق، في حال خضرته وطراوته فإذَا يَبس سمَّتْه الضَّريع.. والإبل ترعاه طريًّا ولا تقْربُه يابسًا(١).

ومن الكناية قسمٌ يقالُ له التَّتبيعُ، وحقيقتُه: العُدُولُ عن اللَّفْظِ المُرادِ به المعنى الخاص به إلى لفظ هو رِدْفُه، كقوله تعالى: ﴿واسْتَوتْ على الجُودِيِّ﴾ (٢). وكقول امرئ القيس: (٣)

وقد أغتَدِي والطَّيْرُ في وُكُنَاتِها

بِمُنْجَرِدٍ قيدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ

فإنما أرادَ أنْ يصِفَ الفرسَ بالسُّرعةِ، وأنه جوادٌ فلم يتكلم باللَّفْظ بعينه ولكنْ بأرْدَافِه. وقيل: إنه قدْ تتَلازَمُ الأمورُ وتتَرادَفُ حتَّى

---

(١) في اللسان: الضريع: نباتٌ أخضر مفتنٌ خفيفٌ يرمي به البحرُ وله جوفٌ. وقيل هو يبيسُ العرفج والخُلّة. وقيل: ما دام رطباً فهو ضريعٌ، فإذا يبس فهو الشبرقَ، وهو مرعى سوءٍ لا تعقد عليه السائمةُ شحمًا ولا لحمًا. وقال ابن الأعرابي: الضريع العوسج الرطب، فإذا جف فهو عوسَج فإذا زادَ جفوفًا فهو الخزيزُ. قال ابن الأثير: هو نبت بالحجاز له شوك كبار يقال له الشبرق وقال قيس بن عيزارة الهذلي يذكر إبلا وسوء مرعاها.

وحبسن في هزم الضريع، فكلها حدباءَ داميةُ اليدين حَرُودُ

(٢) هود آية ٤٤

(٣) البيت رقم ٥٣ من معلقته (راجع القصائد العشر برواية وشرح التبريزي بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص ١٠٧) والوكناتُ الأوكار والأعشاشُ. ومنجرد: أي فرس قصير الشعر. قيد الأوابد: قيد الوحوش الآبدة. والمعنى أن هذا الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة القيد. والهيكل: العظيم الخلق.

يكونَ الشيءُ لازمًا لأمرٍ ، وذلكَ الأمرُ لازمًا لأمرٍ آخرَ وردِيفًا لهُ ، فإن كثُرتْ الأردافُ والوسائطُ فإنه يكونُ خفيًّا جدا ، كالألغازِ والتعْميةِ التي تراضُ بهما الأذهانُ . فما وقعَ من هذا الباب لقصدٍ سُمّىَ كنايةً أو تعريضًا إذا قاربَ الظهورَ ، وأما إذا أوغلَ في خفائه سُمّىَ لغزًا ، أو رمزًا .

مثال الرموز : ما رُوِىَ أنَّ رجُلاً من بني العَنْبرِ حصَلَ أسيرًا في بكرِ بنِ وائلٍ وعزموا على غزْوِ قوْمه فسألهُمْ رسُولاً إلى قومه فقالُوا : لا ترْسِلْ إلا بحضْرتنا لئلاَّ تُنْذِرَهُم ، فجاءُوا بعبدٍ أسْوَدَ ، وقالَ لهُ الرَّجُلُ : أتعْقِلُ ما يُقالُ ؟ . قال : نَعَمْ . إني لعاقلٌ . قال : ما أراكَ إلاّ عاقلاً ، ثم أشارَ بيدِه إلى الليْلِ فقال : ماهذا ؟ . قال : الليْلُ . قال : إني أراكَ عاقلا ، ثم ملأَ كفَّه من الرَّمل فقالَ كمْ هذا؟ . قال : لا أدْرِي وإنهُ لكثيرٌ . قال : فأيُّهما أكثرُ ، النجومُ أمْ النيرانُ ؟ . فقال : كلٌّ كثيرٌ . قال : أبْلِغْ قومي التحيةَ وقل لهُم ليُكرِمُوا فلاناً . يعني به أسيرًا كانَ في أيْديهم من بكْرٍ ، فإنَّ قومَه لي مكرمُون، وقل لهم: إنَّ العرْفجَ(١) قد أدْبَى(٢)، وشكَتْ النساءُ . وقل لهُم أن يُعِدُّوا نَاقتِىَ الحمْراءَ فقد أطالُوا رُكُوبَها ، وأنْ يركبُوا جملِي الأصْهبَ بآيةِ ما أكلتُ معكُمْ حيسا(٣). واسألُوا عن خبرِي أخِي الحارثَ .

(١) العرفجُ : ضربٌ من الشجر

(٢) أدْبَى : خرج منه الدَّبَى وهو صغير الجراد أو النمل

(٣) الحيْسُ : تمر يخلط بلبن

قال : فلما أدّى العبدُ الرّسالة إليهم قالوا : يا الله لقد جُنّ الأعورُ ، والله ما نَعْرِفُ له ناقةً حمراء ولا جملاً أصهبَ . وطلبوا الحارثَ أخاهُ وقصّوا عليه القِصّةَ ، فقال لهم : إنّ أخي قد أنذرَكُم ؛ أما قوله قد أذبى العَرْفَجُ ، يُريد بذلك أنّ الرِّجالَ قد استلأموا ولبسوا السِّلاحَ ، وأما قوله : شَكَّتْ(١) النِّساء ، أي اتخذن الشِّكاءَ للسَّفر ، وأما قولُه الناقةَ الحمراء أي : ارتحلوا عن الدَّهْناء ، واركبوا الصمَّانِ وهو الجملُ الأصهبُ ، وقوله : بأَمارةِ ما أكَلْتُ معَكُمْ حيْسًا أي أخلاطٌ من الناس يُريدون غزْوكم ، لأن الحَيْسَ يَجْمَعُ التَّمرْ والسَّمْنَ والإِقْطَ . ففهموا ما قال من رمزه وعملُوا بمُقْتَضاهُ ، فنجَوا من تلك القَرْيةِ قبلَ أن يَنْزِ لها عدُوُّهُمْ .

ومن ذلك قول [زوج] بشامةَ العَنْبَرِىّ لما بعثَ إليها زوجها ثلاثين شاة ولحيا فيه سمن ، فسرقَ الرَّسُولُ شاةً واحدةً وشيئًا من السَّمْن . فلما عادَ الرَّسُولُ قالَتْ له المرْأةُ : أخبِرْ بَشامةَ أن الشَّهْرَ محاقٌ ، وأنَّ الجدْي وجدْناهُ مرْثُومًا(٢) . فعلِمَ الرَّجُلُ ما سَرقه الرَّسُولُ فاستعادَهُ منه بهذا الرَّمْزِ .

ومن ذلك قولُ بعضِ العربِ لما أسرَتْ طيِّءٌ ولدَهُ : وحضَر إليهم ليفْديه . فاشتطّوا عليه فى الثمن فنظَر الرَّجُلُ إلى ولَدِه وقال له : لا والّذي جعلَ الفرقَدين يُمْسيانِ ويُصْبِحانِ على جبَلَىْ طَيْ ما عِنْدى ما بذلت عنك ، ثم انصرف عنهُ وقال لقومه : لقد أعطيته كلاما

(١) شكّتْ النساء : اتخذنَ الشّكوات ، جمعُ شكوة وهى وِعاء من أدم للماء واللبن ،

(٢) مرثوم : مكسور ، أو مقطوع

لو فَهِمَتهُ فقدْ نجا . فلم يشعر إلا ووالدُهُ قد حضَرَ إليه وقال : يا أبتِ فهمتُ من قولِك الفَرقَدَين فى هروبى على جَبَلى طى فعلمت بمقتضى كلامك ، وقد نجَوْتُ . ومن ذلك قولك : إن لفلانٍ شرَفًا وبيتًا وقدَمًا ، تعنى به أنَّ لفلانٍ شرفًا أىْ أذُنانِ ومَنكِبَانِ وبيتٌ يأوى إليه وقدمٌ يمشى عليها .

ورأيتَ فلاناً فما نكرتَه فى رِيبَة ، ولا كلَّمتُه أىْ من الكُلُوم ، وما رأيتُ ربيعًا ، والرَّبِيعَ النهرَ ، وما رأيت كافراً ، والكافرُ السحابَ والكافرَ الليل ، والكافرُ الذى يغطِّيه سِلاحُه ، والفاسِقَ الذى تجرَّدَ منْ ثيابِهِ . وتقول : ما أمَّرت فُلاناً أى ما صيَّرتَه أميرا ، وما رأيتَ فلاناً راكعًا ولا ساجدا ولا مُصلِّياً . فالرَّاكعُ العاثِرَ على وجْهِه ، والسَّاجِدُ المُدْمِنُ النَّظَرَ ، والمُصَلِّى الذى يجىءُ ثانيا بعد السابق . وتقول : ما أخذتُ لفلان دجاجةً ولا فرُّوجًا . فالدَّجاجةُ الكبة من الغزْل والفرُّوجةُ الدُّرَّاجةُ . وتقول : ما أخذْتُ لفلان بقرةً ولا ثوراً . فالبقَرةُ العيالُ الكثيرةُ والثَّورُ القطعةُ الكبيرةُ من الإقْطِ .

ومما يلتحق بهذا الباب نوعٌ من الأحاجى والألغاز . فمن مستحسن الألغاز قول الحريرى ملغزًا يصف إبرةً : (١) كانت لى مملوكةٌ رشيقةُ القدِّ أسيلةُ الخدِّ ، صبورٌ على الكدِّ تخبُّ أحيانا كالنَّهْد ، وترقُدُ أطوارًا فى المَهْدِ ، وتجدُ فى تمُّوزَ مسَّ البَرْد ، ذاتُ عقْلٍ وعِنَانْ ، وحدَّةٍ وسِنَان ، وكفٍّ وبَنَانْ ، وفم بلا أسْنان ، تلدغُ

---

(١) راجع باب الاحاجى فى المثل السائر لابن الأثير ص ٤٩٧

بلسانٍ نَضْناضٍ، وتَرفُلُ في ثوبٍ فضفاضٍ، وتَتَجلّى في سَوادٍ وبَياضٍ، وتُسْقَى ولكنْ من غيرِ حِياضٍ، ناصحةٌ خُدَعَةٌ، خَبّاءةٌ طُلَعَةٌ، مَطبُوعةٌ على المنفعةِ، مِطواعٌ في الضِّيقِ والسَّعَةِ، إذا قَطَعْتَ وَصَلَتْ، وإذا فصلتَها عنكَ انفصلَتْ، وطالمَا خدمَتْكَ فجمُلَتْ، وربَّما جَنَتْ عليكَ فما لمْتَ وما ملَلْتَ. وإنَّ هذا الفتى استخدمَها في غرضٍ فأخدمْتُه إيّاها بغيرِ عِوَضٍ، على أن يجتنيَ نفعَها ولا يُكلِّفُها إلا وُسعَها، فأولجَ فيها متاعَه، وأطالَ بها استمتاعَه، ثم أعادَها إليَّ وقد أفضاها، وبذلَ عنها قيمةً لا أرضاها. فقالَ لهُ الفتى مُلغِزًا بالمثل: رهنتُه على ما أرهنتَه مملوكًا لي مُتناسِبَ الطرفين مُنتسِبًا إلى القَينِ، نقيًا من الدَّرَنِ والشَّينِ، يُقارِبُ محلُّه سوادَ العينِ، يَفشي الإحسانَ، وينشي الاستحسانَ، ويتحامَى اللِّسانَ، إنْ سَوَّدَ جادَ أو وسمَ أجادَ، وإذا زوّدَ وهبَ الزّادَ، ومتى استُزيدَ زادَ. لا يَستقِرُّ بمَغْنًى، وقلّما ينكِحُ إلا مَثْنَى، ينسخُو بموجُودِه، ويَسمُو عندَ جُودِه، ويَنقادُ مع قرينتِه وإنْ لمْ تكُنْ من طينتِه.

ومن الألغازِ الفقهيةِ قولُهم: «صلاةٌ مفروضةٌ تُصلَّى على غيرِ طُهرٍ». يعنونَ بذلكَ الصَّلاةَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. و«صومٌ لا يَحجزُ عن أكلٍ ولا شُربٍ». يعنُونَ بالصَّومِ السكُوتَ. وقولهم: «رَجُلانِ كانا في سَطحٍ فسَقَطَ أحدُهُما فماتَ، فحرُمَتْ امرأةُ الآخرِ عليهِ. والحيُّ كانَ عبدًا

للميِّتِ ، وهو زوْجُ ابنَتِه ، فلمَّا ماتَ ورِثَتْ أبَاهَا ، فصَارَ العَبدُ مِنْ مِلكِهَا فحرُمت عليه ، ونظائرُ ذلكَ كثيرةٌ .

وأما التَّعْرِيضُ : فقد حدَّهُ ضِياءُ الدِّين بنُ الأثيرِ الجزرى (١) بأنه اللَّفظةُ الدَّالَّةُ على الشَّيء من طريق المفْهُوم لها بالوضع الحقِيقِيِّ لا المجَازِيِّ ، كقولك لمن تتوقَّعُ صِلتَه : واللهِ إنِّى لمُحتَاجٌ وعُرْيَان وبرْدَان . فهذا تعْرِيضٌ بالطَّلَبِ ، من غير تَصْرِيح . وقد أخذ على ضياءِ الدين فى قولِه : لا بالوَضْعِ الحَقِيقيِّ ولا المَجَازِيِّ ، وقالُوا : إنَّ هذَا الحدَّ فَاسِدٌ ، لأنَّه ليسَ لنَا قِسْمٌ ثَالثٌ فى استعمالِ اللَّفْظِ ليَدُلَّ علَى المعْنَى خارجًا عن الحقيقةِ والمَجَازِ . وفى ذلك مباحثُ . (٢)

ومن التَّعْرِيضِ قولُ الشَّاعِر :

فاعْرَضَ هَاشِمٌ لمَّا رآنى ... كأنِّى قد هجَوْتُ الأدْعِيَاءَ
فقد آلَيْتُ لا أهجُو دَعِيًّا ... ولو بلَغتْ مُرُوءتُه السَّمَاءَ

---

(١) المثل السائر لابن الأثير الجزرى باب الكناية والتعريض وهو التاسع عشر من المقالة الثانية فى الصناعة المعنوية .

وينقل هنا كلامه بتصرف . والمثال الذى ضربه ابن الأثير هو :

« فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : « والله إنى لمحتاج وليس فى يدى شىءٌ ، وإنى عُرْيَانٌ والبردُ قد آذانى ، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب ، وليس هذا اللفظ موضوعا فى مقابلة الطلب ، لاحقيقة ولامجازا ، إنما دل عليه من طريق المفهوم » .

(٢) راجع : الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبى الحديد طبع سنة ١٣١٩ هـ

باب

التورية والتوجيه

حدُّ التوريَةِ أنْ تكونَ الكلمةُ تحتَمِلُ معنيين ، فيستَعمِلُ المُتكلِّمُ أحَدَ احتِمالَيهِما ، ويُهمِل الآخر ، ومرادهُ ما أهمله لا ما أستعمله . وحدُّ التوْجيهِ أنهُ اللفظُ المحتمِلُ وجهَين يحمِلُ المتكلمُ مرادهُ على أيِّهما شاءَ . ولا فرقَ بينَ التوريةِ والكِنايةِ ، إذ التَّوريةُ ذكرُ لفظٍ لهُ معنيانِ ، والكنايَةُ كذلك . وما قالَ أحدٌ من العلماء بالفرق ، إلاَّ أن التوريَةَ أُفرِدَتْ وصارَ الناسُ يلهجُونَ بذكرِها فى محاوَرَاتِهم ، ونَظْمِهم ونَثْرِهم ، ويَستَحسِنُونَ لفظَها ، فصارَتْ كأنَّها غيرُ الكِنايةِ . ومن شواهد التورية قول الشاعر :(١)

أيُّها المُنكحُ الثريَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتَقِيانِ
هى شامِيَّةٌ إذا ما استقلَّتْ وسهَيْلٌ إذا استَقلَّ يمَانِى

فالثريا إسم امرأةٍ من الشَّام وسُهَيلٌ اسمُ رَجُلٍ من الحجاز . ومن عادة الثُّرَيَّا (النجم) أنها وقتَ طلوعها بالشَّام يَطلعُ سُهَيلَ

---

(١) هو عمر بن أبى ربيعة

بالمجاز (١) . ومن ذلك قول الشاعر : (٢)

خاطبتني متبسّمًا فقرأتها

من نظم ثغرك في صحاح الجوهري

وقال آخر : (٣)

لو رأى وجهَ حبيبي عاذلي | لتفارقنا على وجهٍ جميل

وقال آخرُ :(٤)

وقالوا بدا خطُّ العذار بخدّه

فأضحى سعيدَ الحظّ وهوَ مُعذَّرُ

فمعذّرٌ يحتمل معنيين ، أحدهما العذارُ المعروفُ ، والثاني

قلّةُ الحظّ .

وقول الآخر :

قدْ هجرتُ الرّاحَ حتّى | ليسَ لي فيها نصيبْ

وعلى الرّاووقِ منّي | طولَ ماعشتُ صليبْ

---

(١) فى هذا التفسير غموض لأن الشاعر وهو عمر بن أبى ربيعة قالهما عند تزويج صاحبته الثريا برجل يمانى يسمى سهيلا ، فورى عمر بالنجمين ، وهما الثريا المعروفة التى هى من منازل القمر بالشام وسهيل وهو من النجوم اليمانية . راجع تحرير التحبير ٢٦٨

(٢) والتورية فى كلمتى « صحاح الجوهرى » وظاهر اللفظ على أنه كتاب الصحاح فى اللغة للجوهرى ولكنه يقصد صحاح الجوهر يعنى اللؤلؤ الصحيح يشبه الأسنان له وروى صاحب الكشكول عن الماردينى قوله : أنظر صحاح المبسم السكرى رواية صحت عن الجوهرى الكشكول ٢٦١/١

(٣) والتوريه هنا فى « وجه جميل » تحمل معنيين الظاهر سبب وجيه ، والذى يقصده وجه حبيبه الجميل .

(٤) معذّر : ملومٌ ، ومؤنّبٌ ، ومعذرٌ طالع بخده العذار .

وقول الآخر :

بوُدِّى أرَى فِى خِدْمَةِ الصَّدْرِ دَائِمًا
وأُنفِقُ فيهِ ماتبقَّى من العُمْرِ
وأَصْحَبُهُ حتَّى المَمَاتِ مُنَعَّمًا
كفَى شرَفًا أدْعَى بِهِ صَاحِبَ الصَّدْرِ

وقول الآخر :(١)

تَعَبَّدْتُ أصْنَامَ الأنَامِ جَهَالَةً
وضيَّعْتُ عُمْرِى عند من لا لَهُ عِنْدُ
فمَا مِنْهُم إلاَّ يعوقَ فقدْتُهُ
ولا يُرْتَجَى مِنْهم يَغُوثُ ولا وُد

ومن ذلك قول أبى العلاء المعرى :

أحِبُّ محمَّدًا وهَوايَ فِيهِ وماصَلَّيْتُ قطُّ عَلَى النَّبى
وأهربُ ما استَطَعْتُ من الدَّنَايَا
فِرارَ الشَّيْخِ منَ رهَبِ الصَّبِىّ

« النبىّ » . اسم مَوْضع ، والصبى هو السَّيْف .

وقال أيضا :

إذا ما صَادَفَتْ زيْدًا وعَمْروا أَتَاهَا بعدَهُ أوسٌ ونَصْرُ
بقَفْرٍ لا تَزَالُ تَرُود فِيهِ
ويَجْمَعُهاوسِربَ الوحْشِ قَصْرُ

فزَيد من الزيادة ، وعمرو من العمر ، وأوسٌ أى عوَضٌ ، ونَصْرٌ

(١) يعوق ، ويغوث ووُدّ أسماء أصنام لعرب الجاهلية ، ويكنى بمعانيها

من نَصْرِ الغَيْثَ إذا أتاهُ ، والعصر آخرُ النهار ،

وقال أيضا :

رأيتُ يَهُودَ وافقتْ النَّصارَى على بغض المَسيح فلم يلاموا

والمسيح : العرق من اللحم ، وقال أيضا :

ولقد عاينتُ مُرتجزاً بشعرى

تمنَّى مثله أهلُ العَروضِ

يعيش به الفقيه وكم فقيهٍ أبى إلا المعيشة بالقريضِ

فقوله مرتجزا يعنى السَّحاب الذى فيه رعد ، والشّعر اسمُ جبل ،
والفقيه الفحل من الإبِل والقريضُ الجِرَّة .

وقال أيضا :

تؤدّونَ النَّوافِلَ كلَّ يومٍ

وضاعتْ في دِيارِكُم الفُروضَ

الفروض جمع فرض وهو نوعٌ من التَّمرِ .

وقال أيضا :

دعا قاضيكُم يوماً شُهوداً فمالَ بهِم عن الدِّين الشُّهودُ

فالشهود جمعَ شَهد وهو العسل .

وقال أيضا :

لقد سُرُّوا وحُقَّ لَهُم سرُورٌ

إذا بالَ الهِزَبْرُ على الضَّريرِ

وكم بعثوا ضَريراً مِنْ هَوالٍ

وأيديهمْ معاوِيةُ الضَّرِيرِ

لهم في السَّبْتِ والتَّوْراةِ خطٌّ
إذا عزَمَ المُقِيمُ على المَسِيرِ

وما عِيدُ الفَطِيرِ لهمْ بِعيدٍ وهمْ والمائِدُونَ من الفَطِيرِ
جُنُوبهمُ على عُفْرِ المَوامِي وأيْنُقُهُمْ تَزُودُ على الضَّرِيرِ

الهزيرُ الاسدُ ، وهو الكوكب الذى تقول العرب : مطرنا بنوء كذا تعنى بذلك الكوكب الغارب وقت طُلوع الفجر فى ذلك الوقت. والضَّرِيرُ جانبُ الوادى ، والضَّرِيرُ المَالُ المَضْرور وضَرْب من الصَّبِر، والتوراة مثل التورية وهى التغطية ، والفطير مصدر الفطرة وهى الخلقة والسرير أكرم مكان بالوادى وقال أيضا :

رأيتُ البَدْرَ أدرَكَهُ مشَيبٌ وأصبحَ طَالِبًا قُوتَ العِيالِ
وكم أرْوَى الأهِلَّةَ مِنْ نَجِيعٍ وزَادَ المَغْرِبَيْنِ مع الهِلالِ

ومما يلتحق بهذا الباب نوع من الألغاز. يقال ألْغَزَ الرَّجُلُ فى عِبارتِه إذا عَمَّى مرادَه، والاسم اللُّغزُ وأصلُ اللُّغزِ جُحرُ اليَرْبُوع بين القاصعا والنَّافِقا يَحفُرُ مستقيما إلى أسفل ثم يَعدِلُ عن يَمينه وشماله عرضا يعترضها ليَخفى مكانَه بتلك الألْغازِ ، فكأنَّ النَّاظِمَ أو النَّاثِرَ حينَ يذكر لفظًا يَدُلُّ على معانٍ شتى يُريدُ مِنها معنىً واحدًا. مثال ذلك قولُ القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [1] كاتب الانشاء رحمه الله فى أبيات له فى شمعة :

ومَشْمُولَةٍ راقتْ ورَقَّتْ فأصْبَحَتْ
على الشَّرْبِ تُزْجَى حِينَ تُهْدَى إلى الكَاسِ

---

(١) محيى الدين بن عبد الظاهر كاتب الإنشاء للسلطان الظاهر بيبرس ، ومن مشاهير كتاب المصريين فى القرن السابع الهجرى . سار على طريقة القاضى الفاضل فى الكتابة وكان من أخلص أتباعه لهذه الطريقة . جمع رسائله (توفى سنة ٦٩٢ هـ) .

مشنّقة ما شُمِّشت بعدَ عَصْرِهَا لإثمٍ وكمْ فيها منافعُ للنّاسِ

وما وُطِئت يوماً برِجْلٍ وكمْ لها

إذا ما أُديرت من صُعُودٍ إلى الرّأسِ

فهذه الأبيات لا يسمعها أحدٌ إلا يظنّ أنّها فى الخمر وليست فيها كلمة تُخرجها عن الخمر إلا قولُه : « ما شُمِّشت بعدَ عصرها لإثم » .

ومن ذلك قولُ الشّاعرِ مُلغِزاً فى الضّرس : (١)

وصاحبٍ لا أملُّ الدّهرَ صُحبتَهُ

يَشقَى لِنَفعى ويسْعَى سَعْىَ مُجتَهِدِ

لم ألقَهُ مذ تَصاحَبْنا فمُذْ وقَعَتْ

عَينى عليْه افترَقْنا فُرْقةَ الأبَدِ

وقال آخرُ مُلغِزاً فى النّار :

وآكلة بغَيْرِ فمٍ وبطنٍ لها الحيَوانُ قوتٌ والنّباتُ

تُصَرِّفُ ألسُنًا من غيرِ نُطْقٍ سِوَى لُغةٍ تُخالِفُها اللّغاتُ

فما أكلتْ به تَحيِى وتطفَى وإن تشرَبْ يُعاجِلُها المَماتُ

وقال آخر مُلغِزاً فى لُغز :

وما لغزٌ ما إن تأمّلتَه أبانَ لكَ الزّيفَ فى قَلْبِه

وتُحدِثُ أحرُفُه نشوةً لِمَن أثرُ الوَجدِ فى قلبِه

وقال آخرُ مُلغِزاً فى بِساط :

ومَرْمِىٍّ خلَعتُ عليه يوماً ثيابى كلّها مع طيلسانى

(١) الطراز ٣/٦٦

فما قالَ اشكُروا عنىّ فُلاناً فإنىُّ لايُطاوِعُنِي لِسانى

وقال ابن عُنَيْنٍ مُلْغِزاً فى بِئْر:

ورومية فى الدار عندى عَزيزَة
على أنها تَرْوى الجَديدَ بِلا ضَجَرْ
تَفُوت قَنا الخطِّىّ طُولاً وشَكْلُها
يُوازِى الغُلامَ الطِّفْلَ فى الدّارِ إن خَطَرْ
فأحبَبْتُ يوماً أنْ أرَاهَا بِحِلْيَة
فصُغْتُ لها تاجاً ولكنَّهُ حَجَرْ

وقالَ آخر مُلْغِزاً فى بَيْضَة :

ومملوكة عندى حَديثٌ نِتَاجُها
أتَتْنِى بمَوْلُودٍ ومابَلَغَتْ شَهْراً
على أنها بِكْرٌ حصَانٌ وطاهِرٌ
وهذا لعَمْرى مشكلٌ يُتْعِبُ الفِكْرا
وقدولدَتْها أمُّها وهْىَ حامِلٌ فياعجبًا إنى أرى أمرَها نُكْرا
وفى جَمْعِها نَقْص وتَصْحيفُ عَكْسه
يَكونُ لَهُ شَيْبٌ فيْشُنْ له ذِكْرا

باب

شجاعة العربية

هذا الباب أول من سماه من علماء البيان بهذه التسمية أبو الفتح ابن جنى [1] وصاحب الجامع الكبير [2] نقله عنه ، ثم تداوله الناس بعد ذلك . وهو عبارة عن أنواع شتى من البديع والمقصود به إظهارُ ما دارَ بين العربِ فى لغاتهم الفصيحة عند النطق بها من تقديم معنى أو تأخيره أو تثنية جمع أو جمع أو انتقالٍ فى استرسال الكلامِ من غيبةٍ إلى حضورٍ ، أو من حضورٍ إلى غيبة ، أو مراعاة المعنى أو عكسه ، واتيانهم بذلك كله فصيحًا مستوفيًا لأنواعِ البلاغة .

وبهذا الباب يحصل الاطلاعُ على إعجاز القرآن العزيز وإظهار دقائقه وخفايا أسرارِه وإيضاح طرق بلاغته . وإنما سُمّى « شجاعةُ العربيّة » لأنه لما كان كلامًا فيه قوةٌ يتصرفُ بها فى المخاطباتِ من غيبةٍ إلى حضورٍ ، ومن حضورٍ إلى غيبةٍ ، ومن تثنيةٍ إلى جمعٍ

---

(١) من علماء العربية المشهورين فى القرن الرابع الهجرى ، ومن أشهر كتبه « الخصائص » وله شرح على ديوان المتنبى — واسمه عثمان بن جنى

(٢) « الجامع الكبير » كتاب فى البلاغة وصناعة المنظوم والمنثور ينسب إلى ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب المثل السائر أيضا . ولم يشتهر اشتهاره ، وطبع منذ أمد قريب بعد أن طبع المثل السائر بأكثر من نصف قرن .

راجع « ضياء الدين بن الأثير وجهوده فى النقد » للدكتور محمد زغلول سلام ص ١١٠ وما بعدها طبع مكتبة نهضة مصر بالفجالة سنة ١٩٥٨ .

ومن جمع إلى تَثْنِيَة وتقديمٍ وتأخيرٍ كما تقدَّمَ ذِكْرُه، ومَعَ ذَلك كُلّه لا يُخْرِجه عن حدِّ الفَصاحةِ والبَلاغةِ، لا يَنسب إلى خَلَلٍ ولا تقْصِيرٍ فى استِيفاءِ المعَانى صارَ فى نفسِه شجاعا بالنسبةِ إلى العربية، تشبيهًا بالرجل الذى تكون فيه شَجَاعَة تَحْمِلُه فى الحَرْبِ على التقديم والتأخير والقُرب والبُعد، والإقبالِ والإدبار. وقل ما يكون آخذاً فى موقف الحرب إلى جهةِ اليمين حتى يَأخُذَ جانبَ الشّمال وبالعكس. أو مواجِهًا بالقتال حتى يَلْتَفِتَ وراءَه، مُنَاوِشًا من يُقَاتِلُه، فحسُنَتْ تسمِيَةُ الكلام المُحتَوِى على ما قدَّمْناهُ من التَّقْسِيم الذى شرحنَاهُ بهذه التَّسمِيةُ، لأن الشّجَاعَةَ فى مثل هذا الكلام تحملُه على الجَوَلان فى جوانبِ المعَانى كيف شَاءَ.

وفى هذا الباب أقسامٌ وأنواعٌ تحتاجُ إلى تبيينها وإيضاحِها؛ فمن ذلك نَوْعُ «الالتفات».

الالتفات : (١)

وهذا من نعوت المعانى، وحدُّه: أن يكونَ المتكلم آخذاً فى مَعْنًى من المعَانى فيعترضُه فيه شك أو يظنّ أنّ سائِلاً يَسْأَلُه عن سَبَبِه، فكأنَّه يلتَفِتُ إليه فيذكُر السببَ أو يُبْطِل الإيراد بِكلامٍ غير ما هو آخذٌ فيه. وقال آخرون من علماء البيانِ: إن حدَّ الالتفاتِ أنْ يُدْخِلَ

---

(١) تحدث عنه ضياء الدين بن الأثير فى المثل السائر ٢/٤ ط محيي الدين، ويعتبره بعض العلماء مجرد عدول عن المخاطب إلى الغائب أو العكس، أو تغيرا فى صيغة الفعل من الماضى إلى المضارع أو العكس بينما يعتبره الزمخشرى «تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للاصغاء إليه» ويرى ضياء الدين فيه أمراً أخطر من ذلك.

المتكلمُ قضيةٌ كليه ليست غريبة عن جملة القول ، بل القول متدرج طيها وهى ترجع عليه بالتوكيد والتثبيت .

والالتفات ينقسم إلى أقسام ، فمنها الرجوع من الغيبة إلى الحضور ، ومن الحضور إلى الغيبة (١) . والمثال فى ذلك قولُه تعالى ﴿ الحمدَ للهِ ربِّ العالمين، الرحمنِ الرحيم، مالكِ يوم الدين، إيَّاك نعبُدُ وإيَّاكَ نستعين﴾، فهذا رجوعٌ من الغيبة إلى الخطاب ، ثم قال ﴿اهدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ ، صراطَ الذينَ أنعمتَ عليهِم ، غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالِّين ﴾ . فهذا رُجُوعٌ من خطاب إلى غيبةٍ . وكقوله تعالى ﴿ إنَّ هذهِ أمتُكُم أمةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبُدُونِ ، وتقطَّعُوا أمرَهمْ بينَهم ﴾ (٢) وإنما كان حقه أن يقول فى متابعة الكلام وتقطَّعتُم أمركُم بينكُم فلما صرفَ الكلامَ من الخطاب إلى الغيبةِ كان على طريقة الالتفات، كأنه نفَى عنهُم حالهم إلى قومٍ آخرينَ ، وذلك تمثيلٌ لاختلافِهم فى دينِ الله وتباينهم. فهذا أبلغُ فى التنكيل بهم ، ومن ورود الكلام على سبيل الخطاب لهم .

ومنها الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر . مثاله قوله تعالى : ﴿قالُوا يا هُودُ ما جئتَنا ببيِّنةٍ وما نحنُ بتاركى آلهتِنا عن قولكَ ، وما نحنُ لكَ بمؤمنينَ ، إن نقولُ إلاَّ اعتراكَ بعضُ آلهتِنا بسُوءٍ ، قالَ إنِّى أُشهدُ اللهَ واشهدُوا أنِّى برىءٌ مما تُشركُونَ ﴾ (٣).

---

(١) راجع المثل السائر — باب الالتفات ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، وراجع الطراز « بيان الالتفات » ٢/١٣١.

(٢) سورة الأنبياء ٩٢ ، ٩٣

(٣) سورة هود ٥٣ وما بعدها ، وراجع الطراز ٢/١٣٦ — ١٣٧ .

فانظر إلى قوله: ﴿ أُشْهِدُ اللَّهَ واشْهَدُوا ﴾ ولم يقل وأشهدُكم، وذلكَ استهوان (١) بهم لأن شَهادةَ الله على براءته من الشك صَحيحَةٌ، وأمرهُم بالشَّهادةِ عَليْهِ اسْتِهْزَاءٌ بِهم وتَهاونٌ بِتَذنيبهم. كما تقُولُ لِمَنْ تخاصِمُه: اشْهَد على أنى لا أحبُّكَ، نِكايةً واستهانةً بحالِه. وفى هذا معنًى لطيفٌ أيضا، وهو أنه لم يجْعل الشهادةَ للّه وشهادَتَهُ صيغةً واحِدَةً، بل أتى بصيغَتيْنِ مُخْتلِفتَيْنِ، ليكونَ ذلكَ أكثر أدبًا من الله تعالى، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للخَطيب الذى قال: ومن يُطِعْ اللّه ورَسُولَهُ فقد اهْتدَى، ومن يَعْصِهُما فقد غوى. فقال: بئسَ خَطِيبُ القَوْمِ أنتَ. لم لا قلت: ومن يَعْصِ اللّه ورسُولَهُ. فكره رسولُ اللّه صلى اللهُ عليه وسلّم أن يُعبّر الخطيبُ عنهما بصيغَةٍ واحدة.

ومن أقسام الالتفات الرجوعُ منَ التثنية إلى الجمع ومن الجمع إلى الواحد. والمثال فى ذلك قوله تعالى ﴿ وأوحيْنَا إلى مُوسَى وأخيه أن تَبوَّءَا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتًا، واجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، وأقيمُوا الصَّلاةَ، وبَشِّرِ المُؤْمِنينَ ﴾ (٢).

فرجع من التثنية إلى الجمع ثم إلى الواحد، وذلك أنه لما ثنى كان المُرادُ موسى عليه السَّلام فى قوله: (وبَشِّرِ المُؤْمِنين). لأنه كانَ الرَّسُولَ المُشَارُ إليه فى ذلكَ الوَقْت.

ومثال الرُّجُوع مِنْ خِطابِ الواحِدِ إلى خِطابِ الجَمْعِ قوله

---

(١) كذا فى الأصل

(٢) يونس ٨٧.

تعالى : ﴿ ومالِيَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وإلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ . (١)

ومن أقسامِ الالتفات * : الإخْبَارُ بالفِعْلِ المُضَارِعِ عن الماضِي، وبالعكس . مثالُ الأول قولُه سُبْحَانَهُ وتعالى ﴿ واللَّهُ الَّذِي أرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحابًا فَسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ (٢) . فقوله أرسل فعل ماض ، وتثير فعل مضارع ، فهذا إخبار بالمضارعِ عن الماضي .

ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿ وأشْرَقَتْ الأرْضُ بِنُورِ رَبِّها ، وَوُضِعَ الكِتَابُ ، وجِيءَ بالنَّبِيِّينَ والشُّهَدَاءِ ، وقُضِيَ بينَهُم بالحَقِّ ، وقِيلَ الحمْدُ للّه ربِّ العَالَمِينَ ﴾ (٣) . وهذه كُلُّها صِيَغُ أفْعَالٍ قد مَضَت وإنْ كانَتْ مُسْتَقْبَلَةً لم يَمْضِ منها شيءٌ ، غير أنهَّا لمَّا كانَتْ مُحقَّقَةً عُبِّر عنها بالماضي الذي قدْ كانَ ووُجِدَ ، ولم يَبْقَ فيه حِيلَةٌ .

---

(١) سورة ياسين آية ٢٢

(٢) سورة فاطر آية ٩

(٣) سورة الزمر آية ٦٩

(*) لم يورد المؤلف أقسام الالتفات في صيغ الأفعال متتابعة كما جاء في الطراز بأن جعلها الرجوع عن الفعل المستقبل إلى الأمر وشاهده قوله تعالى : (إني أشهد الله وأشهدوا) الآية والثاني من صيغ الأفعال الانتقال من الماضي إلى المضارع ومثاله قوله تعالى : (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا) الآية فوسط قوله : فتثير سحاباً ، وجاء به على جهة المضارعة والاستقبال بين فعلين ماضيين ، وهما قوله «أرسل» و «سقناه» . والسر في مثل هذا هو أن الفعل المستقبل يوضح الحال ويستحضر تلك الصورة ، حتى كأن الإنسان ليشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي .

ومن أقسام شجاعة العربية قسم يقال له: «عكس الظاهر»، وحقيقته أن تذكر كلاما يدل ظاهره على معنى، ويراد به معنى آخر عكسه. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه ﴾ (١). فهذا يدل ظاهره على أن (هناك) من يدعو مع الله إلها آخر، وله به برهان، وما المراد ذلك، بل المراد أن كل من يدعو مع الله إلها آخر لا برهان له به.

وقوله: ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ﴾ (٢). فقوله: «بغير حق» يقتضي أن ثم من يقتل بحق، والمراد أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق. وهذا من الصفات اللازمة التي لا مفهوم لها خلاف منطوقها.

من أقسام شجاعة العربية أنواع: كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث، وتصور معنى الواحد للجماعة، ومعنى الجماعة للواحد، وتقدم المفعول على الفعل، وتقديم الظرف على المظروف وتقديم الخبر على المبتدإ، ونوع الاستفهام، وتقديم الظلمات على النور، والتقديم بالذات * وتقديم السببية **،

(١) سورة المؤمنون آية ١١٧

(٢) سورة البقرة آية ٦١

* التقدم بالذات: أورده صاحب الطراز في الحالة الثانية من الفصل الثاني (في التقديم والتأخير» (الطراز ٢/٥٧)

يقول: وهذا نحو تقدم الواحد على الأثنين، على معنى أن الوحدة لا يمكن تحقق الاثنينية إلا بسبقها، وليس من باب العلة والمعلول. فإن الوحدة ليست علة في الاثنينية.

(**) تقديم السببية: يسميه صاحب الطراز: تقدم العلة على معلولها، وتقديم الأسباب—

وتقديمُ الرُتبة، والتقديم بالشرف ، وتقديم الأكثر على الأقل .

فأما تأنيث المذكر فكقول الشاعر :

أتهجرُ بيتًا في الحجازِ تلفَّعت
به الخوفُ والأعداءُ من كلِّ جانبِ

ذهب بالخوف إلى المخافة . وقول الآخر :

يا أيها الراكب المُزجي مطيَّتهُ
سائلْ بني أسدٍ ما هذهِ الصوتُ

ذهَبَ بالصوتِ إلى الاستغاثة .

وأما تذكير المؤنث فكقوله تعالى ﴿فلما رأى الشمسَ بازغةً قالَ هذا ربِّي﴾(١)

والمعنى : هذا المرئيُّ . وكقوله تعالى : ﴿إنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ منَ المُحسنينَ(٢)﴾، يعني بالرحمة الغيث والمطر

وأما تصور معنى حمل الواحد على الجماعة فكقوله تعالى : ﴿ومنَ الشياطينِ من يغوصونَ له﴾(٣) ، وإنما الحمل للفظِ على المعنى . وأما تصور حمل الجماعة على الواحد فكقوله تعالى : ﴿بلى من أسلمَ وجهَهُ للهِ وهو محسنٌ ، فلهُ أجرُهُ عند ربِّه ولا

= على مسببًاتها . وهذا نحو تقدم السراج على ضوئه . وجعله الحالة الأولى من الفصل الرابع في التقديم والتأخير (الطراز ٢/٥٧)

(١) سورة الأنعام آية ٧٨

(٢) الأعراف ٥٦

(٣) سورة الأنبياء آية ٨٢

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاهُمْ يحْزَنُون ﴾ (١). فحمل الكلام فى أوله على لفظ الواحد وآخره على لفظ الجمع .

وأما تقديمُ المفعول على الفعل فكقوله تعالى : ﴿ إيَّاكَ نعْبُد وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فقدمَ المَفْعُولَ للاهْتِمام بتَخْصِيص اللَّه للعِبَادَة دُونَ غَيْره .

وأما تقديم الظَّرف على المظْروفِ وتأخيرُه ، فإن كانَ فى الآيات فتقديمُ الظَّرفِ أكثرُ وأبلغُ ، كقوله تعالى ﴿ إنَّ إلينَا إيَابَهُمْ ، ثم إنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) (٢) . وأما تأخيرُ الظرفِ فكقوله تعالى : (ألم ، ذلكَ الكِتابُ ، لا رَيْبَ فِيهِ) (٣) ، والقِياسُ لا فيه ريب وإنَّما أخَّرَ الظَّرْفَ لأنَّ القَصْدَ نفىُ الرَّيب عن هذا الكتاب ، فوقع الاهتمامُ بتأخيرِ الظَّرفِ لحصر النَّفْى .

وأما تقْديمُ الخبر على المُبتَدأِ فكقوله تعالى عَنْ آزرَ قالَ : (أرَاغِبٌ أنتَ عنْ آلِهَتِى يا إبرَاهِيمُ) (٤) ، فقدَّمَ الخبرَ على المَبتدأِ للاهتمامِ به ، وشِدَّةِ تعَجُّبه بما فعَلَه إبراهيم صلَواتُ الله عليه . وأما تقْديمَ الظُّلماتِ على النُّور ، فكقوله تعالى : (وجعَل الظُّلُماتِ والنُّورَ) (٥) ،

---

(١) سورة البقرة آية ١١٢

(٢) الغاشية آية ٢٥

(٣) البقرة ١ ، ٢

(٤) مريم ٤٦

(٥) الأنعام ١ ، وقال صاحب الطراز فى تقديم االظلمات على النور إنه لتقدم الزمان وجعله حالة خامسة من التقديم والتأخير (الطراز ٢/٨٥)

فقدَّم الظُّلمات لأنها سابقةٌ في الزمان . وأما التقديم بالذات فكقوله تعالى :
﴿ما يَكُونُ من نَجْوَى ثلاثةٍ إلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ﴾(١)، فمراتب العدد
كلما كانت مَرْتَبةٌ أدنى من الأخرى تقدَّمتْ على ما فوقها ، فتقديمُ
الواحِدِ على الاثنينِ ، والاثنينِ على الثَّلاثة . . إلى ما لا نهايةَ لَهُ .

وأما تقديم السببية فكتقديم العزيز على الحكيم ، لأن سبب الحُكْمِ
العِزَّة ، يقال : عَزَّ فحكَمَ .(٢) وأما تقديم الرُّتبة فكقوله تعالى :
﴿وأَذِّنْ في النَّاسِ بالحَجِّ يأتوكَ رِجالاً وعلى كُلِّ ضامِرٍ﴾(٣)
فجعلَ رُتْبةَ الإتيانِ مشْيًا أعلاَ من رُتْبةِ الإتيانِ على
الضامِرِ .

وأما تقديمُ الشَّرفِ ،فكقولِهِ تعالى:﴿أولئكَ الَّذينَ أنْعَمَ اللهُ
عَلَيْهِمْ من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالِحينَ وحَسُنَ
أولئِكَ رَفيقًا﴾(٤). وكقولِهِ تعالى:﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا إذا قُمْتُمْ
إلى الصَّلاةِ فاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ وأيْدِيَكُمْ إلى المَرافِقِ﴾(٥)

---

(١) المجادلة ٧ : وراجع الطراز ٥٩/٢

(٢) قال صاحب الطراز : « ومن التقدم بالسببية قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم)
لأن العزيز هو الغالب ، ولأنه تعالى لما عز في ذاته بالغلبة حكم على كل شيء .

(٣) الحج ٢٧ . وجعل صاحب الطراز التقديم هنا في « الرجالة » إما تقديم رتبة
أو تقديم فضل (الطراز ٦٠/٢) .

(٤) النساء ٦٩، وراجع الطراز ٦١/٢

(٥) المائدة٦

وعكس ذلك تقديمُ المَشْرُوفِ على الشَّرِيفِ ، كقَوْلِه تَعَالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (١)، فَقَدَّمَ الجِنَّ على الإنس لاشْتِمَالِ الجِنّ على المَلائِكَةِ . وكقوله تعالى : ﴿تأكُلُ منه أنْعَامُهُم وأنْفُسُهُم﴾(٢) . فقدّم الأنْعَامَ على الأَنْفُس لأنَّ الزَّرعَ أولُه يكونُ طعَامَ الأنعامِ خَاصَّةً ، فإذا يَبِسَ وصَارَ فيه الحَبُّ صَارَ طَعَامَ الأنْعامِ وبَنِي آدمَ ، فحَسُنَ تقديمُ المَشْرُوفِ لهذه العِلَّةِ .

وأما تقديمُ الأكثرِ على الأقلّ فكقَوْلِه تعالى : ﴿وأورَثْنَا الكِتَابَ الَّذِين اصْطَفَيْنَا من عبادنا ، فمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِه ومِنْهُم مُقْتَصِدٌ ومِنْهُم سَابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللّهِ﴾(٣) فقدم الظَّالِم لِنَفْسِه لأنَّه كثيرُ الوُجُودِ ، ثم تَلاَهُ بالمُقْتَصِدِ ، لأنَّه أقَلُّ منه ، ثم تَلاه بالسَّابق لأنه أقلُّ مع المُقْتَصِد .

---

(١) الذاريات ٥٦ وراجع الطراز ٢/٦١ ، ٢/٦٢

(٢) السجدة ٢٧ (٣) فاطر ٣٢ ، ٣٣

باب

الاعتراض*

هذا البابُ اختلفَ النّاسُ في تسميتهِ ، فمنهُم من سمّاهُ الاعتراضَ ، ومنهم من سمّاهُ الحشوَ ومنهُمْ من سماهُ التّمام [1] ، فأما من سماه بالحشو فلم ينصفه بهذه التسمية ، إذ الحشو [2] إنما هو فضلةٌ في الكلام يُستغنَى عنها . وبابُ الاحتراسِ متداخلٌ في هذه الأبواب أيضا وذلك لأنَّ التّمام والاحتراسَ والاعتراضَ والحشوَ ، وكلّ ذلك نوعٌ واحدٌ وإن كانَ مختلفَ الأسماءِ ، وسببُ ذلكَ أنَّ حدَّ الجميع أنْ يكونَ ظاهرُ اللّفظِ يُفهَمُ منه الاستغناءُ عن الكلمةِ التي تُزادُ فيه ، فتارةً تكونُ الزّيادةُ محتاجًا إليها في المعنى ، فلا يُفهَمُ المرادُ إلاّ بها ، وتارةً يكونُ الإتيانُ بالجملة الزّائدةِ احترازًا من دخول خللٍ في المعنى . فما كانَ الاحتياجُ إليه لتمامِ المعنى سُمّيَ اعتراضاً ، وما كان الاحتياجُ إليه للاحترازِ من دُخولِ خللٍ في المعنى سُمّيَ التّمام والاحتراس أيضا ، لأنه احترسَ بدخُول شيءٍ بين الجُملتين من خللٍ يقعُ فلهذا سُمّيَ الاحتراس .

---

* أورده صاحب الطراز بهذا الاسم [الطراز ٢/١٦٧]

(١) أورده قدامة بهذا الموسم وتبعه ابن أبي الاصبع في بديع القرآن ٥٤ وسماه الحاتمي التتميم . وراجع العمدة لابن رشيق ٢/٥٠ .

(٢) كذلك سماه ابن رشيق في العمدة ٢/٦٩ .

وحدُّ الاعتراض: أنَّه اللَّفظُ الدَّاخلُ بينَ الجُملتَينِ لتكميلِ الفائدةِ في معناهُما، مثالُ ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (١) فانظر إلى هذا الاعتراضِ ما أحسنَ موقِعَهُ في موضعِهِ، إذْ هوَ مُشتملٌ على اعتراضَينِ في آيةٍ واحدة، أحدُهُما اعتراضٌ بينَ القَسَم في قوله: ﴿ فلا أُقسِمُ بمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ وبين جوابه في قوله: ﴿ إنَّه لقرآن كريم ﴾ فاعترضَ بينهما في الجملة التي هي (وإنه لقسَمٌ لو تعلَمُونَ عظيمٌ) والاعتراض الثاني بَيْنَ المَوْصُوفِ والصِّفَةِ.

وقوله: (قَسَمٌ لَوْ تعلَمُونَ عَظِيمٌ) تقديرُ الكلام: قسمٌ عَظِيمٌ، ولَوْ تَعْلَمُونَ، هو الاعتراض. وفائدة الاعتراض تعظيمَ حال الأمر بالجملة المعترضة، ليفهم السَّامِعِ مع ذلكَ الكلام فائدةً أخرى لم يتمَّ حُسْنُها إلا بالجُمْلَةِ المعْتَرِضَةِ (٢). وقد ورد من ذلك في الكتاب العزيز كثيرٌ مثل قوله تعالى: ﴿ ويجعَلُون للهِ البَنَاتِ، سبحانه، ولهم ما يشتهون ﴾ (٣) ولفظَةُ، سبحَانَه، في هذا المكَانِ في غايةِ الكَمالِ

---

(١) الواقعة آية ٧٥، ٧٦.

(٢) يقول صاحب الطراز: [٢/١٦٩] «في هذه الآية اعتراضان أحدهما بجملة إسمية ابتدائية، وهي قوله: (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) فأتى بها اعتراضاً بين القسم وجوابه، وإنما أتى به على قصد المبالغة للمقسم به واهتماما بذكر حاله قبل جواب القسم. وفيه الإعظام له والتفخيم لشأنه وذلك يكون أوقع في النفوس وأدخل في البلاغة. وثانيهما بجملة فعلية بين الصفة والموصوف وهو قوله تعالى: (لو تعلمون) فإنه وسطه بين الصفة وموصوفها تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره، كأنه قال: وإنه لقسم لو علمتم حاله أو تحققتم أمره لعرفتم عظمه وفخامة شأنه. فهذان الاعتراضان قد اختصا بمزيد البلاغة وموقع الفخامة مبلغا لا ينال».

(٣) النحل آية ٥٧

لحُسْنِها ، لأنَّهُ حيثُ نُسِبَ إليه الوَلَدُ وجَبَ التنزيهُ(١) . وكقوله تعالى: ﴿ تَا للَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ ﴾(٢) فائدتُها تقرير إثبات البَراءَةِ . وكقوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : ما مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصلِّي للهِ في اليَوْمِ اثنى عشرةَ ركْعَةً من غيرِ الفَرِيضة إلا ابْتَنَى اللهُ لهُ بيتاً في الجَنَّةِ . فالجملةُ المعْتَرِضَةُ هي قوله غيرَ الفَريضة .

والفرق بين هذا البَاب المسمى بالاعتراض وبين الالتِفَات الذى هُو من بعضِ أنواع « شجاعة العربية » المتقدِّم ذكرُها أنَّ الالتفاتَ هو انتقالٌ من غيبة إلى حُضُور وعكسُه ، كما تقدَّم شرحُه ، والاعتراضُ هو الجُمْلَةُ الزَائِدَةَ المعْتَرضُ بها في الكلامِ بين فعل وفاعلٍ ، أو صفةٍ وموْصوف ، أو مبتدأ وخَبَر . فهذا هو الفرقُ بينهما .

ومن شواهِد الاعتراض قَولُ الشاعر: (٣)

إن الثَّمانِينَ وبُلِّغْتَها ... قد أحوجَتْ سمعِي إلى ترْجُمَان

وقولُ الآخر: (٤)

ألا زَعَمتْ بنُو سعدٍ بأنِّي ... ألا كَذَبُوا كبيرُ السِّنِّ فَانِ

---

(١) قال صاحب الطراز ٢/١٧١ : فقوله « سبحانه » كلة تنزيه أوردها أعتراضاً بين الجملتين ، مبالغة في التنزيه عما نسبوه إليه من إتخاذ البنات ، ومبالغة في الإنكار عليهم في هذه المقالة ، فانظر إلى ما أشتملت عليه هذه اللفظة ،أعنى قوله « سبحانه » من حسن الموقع بكونها واردة على جهة الاعتراض » .

(٢) سورة يوسف آية ٧٣ وراجع الطراز ٢/١٧٠ — ١٧١

(٣) البيت لعوف بن محلم الشيبانى ، وهو شاهد مشهور . راجع العمدة ٢/٤٥ ، بديع أسامة ص ١٣٠

(٤) النابغة الذبيانى . راجع العمدة ٢/٤٥ وجعله من شواهد الالتفات وروايته « ألا زعمت بنو عبس »

وقول الآخر :(۱)

وتحتقرُ الدُّنيا احتقارَ مُجرِّبٍ
تَرى كُلَّ ما فيها وحاشاكَ فانيا

وقول الآخر :(۲)

لو انَّ الباخلينَ وأنتَ منهم
رأوكَ تعلَّموا منكَ المِطالا

وقول الآخر :(۳)

ما خانكَ الطرْفُ منِّى قطُّ فى نظرٍ
ولا سَلا عنكَ قلبى فى تقلُّبِه
فأنتَ واللهِ يامنْ كُلُّه حَسَنٌ
أعزُّ فى خاطرى مما أراكَ بِه

---

(۱) البيت للمتنبي من قصيدته فى كافور

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا

(۲) البيت لكثير عزة. راجع الصناعتين ۲۱۲، وبديع أسامة ۱۳۰، والطراز ۱۷۳/۲

(۳) البيتان من شواهد ابن منقذ البديع ص ۱۳۰

باب

التتميم *

هذا الباب من نعوت المعانى . وحقيقته أن تذكر معنى ، فلا تغادر شيئا يتم به ذلك المعنى الا أتيت به مكملا لنقصه وفائدتُه تكميل نقص المعانى وتوفيهُ المقاصد منها . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ من عَمِلَ صالِحًا من ذَكَرٍ وأنثى وهُوَ مُؤمن ﴾ (١) ولو لم يقل هذه اللفظة - وهو مؤمن - لاحتمل أن كل من عمل صالحا يكون له الثواب الموعود به ، فيدخل الكافر إذا عمل صالحا ، وليس المراد دخول الكافر فى هذا العموم .

وكقول الشاعر : (٢)

فسقى ديارَكِ غيرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبيعِ وديمَةٌ تَهْمى

وقول الآخر : (٣)

ومُقَامُ العزيزِ فى بَلَدِ الذُّلِّ إذا أمكَنَ الرَّحيلُ مُحَالُ

(*) ذكره قدامة باسم التمام ، وسماه الحاتمى التتميم . راجع العمدة ٢/٥١

(١) سورة النحل آية ٩٧ .

(٢) طرفة بن العبد . أورده ابن رشيق العمدة ٢/٥٠ ونسبه ابن منقذ لابن الرقاع . البديع ٥٦

(٣) أورده أسامه فى البديع ص ٥٥

باب
الإيغال *

وهو كالتتميم في المعنى، إلا أن التتميم يقع في وسط البيت والإيغال يقع في آخره وإنما سمى إيغالا لأن الناظم أوغل في كل منهما فكره حتى استخرج سجعة أو قافية تفيد معنى زائدا على معنى الكلام. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ولا يُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا ولَّوا مُدْبِرين﴾ (1) فقوله: ﴿إذا وَلَّوا﴾ أتمَّ الكلامَ، وجاءت لفظة «مُدْبِرين» إيغالاً حسنًا. وكذلك لأن مطلقَ التولّي قد يكون من جانب إلى جانب فلما كان التولّي من هؤلاء عن عدم إصغاء إلى ما دُعوا إليه كانوا مُدبِرين، فحسُن تكملة الكلام بهذا الإيغال الحسن. ومن ذلك قول امرىء القيس: (2)

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خِبائنا
وأرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ

(*) أورده صاحب الطراز 3/131 «الصنف السادس عشر من أنواع البديع مما يتعلق بالفصاحة المعنوية». وذكره من قبل قدامة بن جعفر تحت اسم آخر. وراجع بديع القرآن 91

(1) سورة النمل آية 80

(2) شرح ديوانه ص 88 وراجع عيار الشعر لابن طباطبا ص98 والطراز 3/132 وراجع العمدة لابن رشيق 2/57.

بقوله الجزع تم الكلام والمعنى. وقوله « لم يثقب » إيغال حسن. وقول الشاعر : (١)

كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

فقوله العناب والحشف كاف ، والبالي إيغال حسن.

(١) امرؤ القيس . والبيت من قصيدته التي مطلعها :

ألا انعم صباحًا أيها الطلل البالي

راجع شرح الديوان ص ١٠ وعيار الشعر ١٨ والتشبيهات لابن أبي عون ص ٨

باب

الاغراق

والغلو ، والمبالغة

هى ثلاثُ تسميات متقاربة وردت فى باب واحد لقرب بعضها من بعض ، وسنذكر التمييز بين كلّ نوع منها .

فأمّا الإغراقُ : فهو الزّيادةُ فى المبالغة حتّى يُخرجها عن حدّها . وهو مأخوذٌ من قولهم : أغرق فى النّزع إذا استوفى السّهم إلى أن يخرج من كبد القوس إلى النّاحية الأخرى .

ومثال الإغراق قولُ الشّاعر :

صببنا عليها ظالمين سياطنا
فطارت بها أيد سراع وأرجلُ

فقوله ظالمين إغراقٌ ، يعنى أنها بلغت جهدها فى العدو ، فلم نضربها إلا ظالمين .

وأما الغلوُّ : فهو الزّيادةُ فى الخروج عن الحدّ . وهو مأخوذٌ من قولهم : غلا فى الرّمى إذا جعل بينه وبين الغرض مدًى ثم رمى فتجاوز الحدّ عن ذلك المدى ، كما قال الله تعالى : ﴿ يا أهل

الكتاب لا تَغْلُوا فِي دِينِكُم ﴾ (١) أى لا تجاوزوا الحدَّ فيما فُرِضَ عَلَيْكُمْ .

ومثال الغُلُوّ قولُ الآخر فى وصف السَّيْفِ :(٢)

تَظَلُّ تَحْفرُ عنه إنْ ضَرَبْتَ بِهِ
بَعْدَ الذِّرَاعَيْنِ والساقَيْنِ والهَادِى

أراد بذلكَ أنّه إذا ضَرَب أحدٌ بهذا السَّيْفِ قدَّ المَضْرُوبَ ثم نَزَل السَّيْفُ فى الأرْض فحَفَرها طَولَ قَامتيْنِ .

وأما المُبَالَغَةُ *فهِيَ مُشْتَقَةٌ من: بلغَ المنزل واديًا : جَاءَهُ . وحَدُّها بُلُوغُ القَصدِ فى المَعْنَى من غَيْرِ تجاوزِ الحَدّ . والقرآنُ العزيز خلْوٌ من ذلك ، فإن ألفاظه إما إطنَابٌ أو إيجَازٌ ، وفى كلا النوعيْنِ فهُو بليغٌ بالنِّسْبَة إلى المَقْصُودِ منه ، فلا حَاجَةَ إلى إيرادِ مَثَلٍ منه فى هذا المعنى فإنه أكثرُ من أن يُحْصَر أو يُوقَفَ لهَ على غَايَةٍ .

ومثال المبالغة قولُ الشاعر :

لو سِرْتَ حِينَ مَلَكْتَ سِيرةَ مُنْصِفٍ
لَسَنَنْتَ وَحْدَكَ سُنَّةً لمْ تُعْرَفِ

(*) أورد ابن أبى الأصبع أمثلة من المبالغة فى القرآن فى تحرير التحبير ١٥٢ ، وبديع القرآن ٥٥ ـ ٥٦ وسماها الافراط فى الصفة .

(١) سورة المائدة ٧٧

(٢) النمر بن تولب ، وراجع ابن قتيبة فى المشكل ١٣٢ والشعر والشعراء ، والمدامة فى نقد الشعر وغيرهم من علماء البلاغة

من صحّ قبلكَ فى الهوى ميثاقُه حتى تَصِحّ ومنْ وفى حتى تَفِى
عُرِفَ النّوى فى الخلائِق مُذْ عُرِفَ الهوى
فبذِلّةِ الأقوى وعِزّ الأضعفِ
فلأَلبَسَنَّ حملتُ أو لمْ أحتملْ
فيكَ السّقامَ عطفتَ أوْ لمْ تعطِفِ

وقول الآخر :

أُحِبُّكُمُ حُبَّ اليمينِ شِمالَها
وغايةُ جهدِ الحُبِّ ماوسعَ القلبَ
وَبَرْ أتكُمْ مِنهُ الصُّدودُ فلم يكنْ
أسيرُكُمُ مِنهُ مَضيقٌ ولا صَبٌّ
لكم فى الحشا من قبلِ أنْ يُخلَقَ الحشا
سَريرةُ حُبٍّ قبلِ أنْ يُخلقَ الحُبُّ

وقول الآخر:

تَصرّمَ الدّهرُ لا وَصلٌ فيطمِعُنى
فيما لديكَ ولا نأىٌ فيُسْلينى
وكيفَ أعجبُ مِنْ عِصيانِ قلبِكَ لِى
يومًا إذا كانَ قلبِى فيكَ يَعصِينى

وقول الآخر :

ما إنْ تركتُ وداعَه عن سَلوةٍ
ولقدْ أرِقتُ لبَينِه وفِراقِهِ
لكنْ مخافةَ أنْ تُذيبَ فؤادهُ
نارٌ بقلبى مِنهُ عِندَ عِناقِهِ

وقولُ الآخر :

حتى إذا طاحَ عَنها المِرطُ من دَهَش
واشحَلَّ بالقَسمِّ سِلكُ العِقدِ فى الظُّلَمِ

تبسَّمَتْ فأضاءَ الجوُّ فالتقطتْ
حبات مُنْتَثِرٍ فى ضوءِ منتظمِ

وقول الآخر :

بَقِيَّةُ حُبٍّ أذهَبَتْ ما قَدْ بَقِى مِنِّى
فدَعنِى أسْتَشفِى نَسِيمَ الصَّبا دَعنِى

وُخذْ من حَديثى ما يَلينُ له الصَّفَا
ويستَوقِف الاحشاءَ فى مَعْرَكِ الحزْنِ

فإنْ أحادِيثَ الغَرامِ ضَعِيفَةٌ
وما صَحَّ مِنها غَيرُ ما قَدْ رُوِى عَنِّى

باب

الاقتصاد والافراط والتفريط

فأما الاقتصادُ فهو أنْ يَكُونَ المَعْنَى المُضمَّنُ في العِبارةِ على حَسَبِ ما يَقتضيهِ المُعَبَّرُ عنهُ وفي مَنزِلتِهِ، كقولِ الشَّاعر:(۱)

يكادُ يُمسِكُهُ عِرفانُ رَاحَتِهِ
رُكْنَ الحَطيمِ إذا ما جاءَ يَستَلِمُ

وكقولِ البُحتُرِي:(۲)

فلو أنَّ مشتاقاً تكلَّفَ غيرَ ما في وُسْعِهِ لسَعَى إليكَ المِنْبَرُ

وأما التفريطُ والإفراطُ فهو أنْ يكونَ المَعْنى المُضمَّنُ في العِبَارةِ بخِلافِ ما تقتضيهِ البلاغَةَ، أما أنْ يكونَ انحِطَاطاً دونها فهو التَّفريطُ، وأما ما تجاوزَ عنها فهو الإفراطُ، ولهذا قال عليه السَّلام: «الجَاهل إما مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ»، يعْنى إما مُقَصِّرٌ فيما يجِبُ عليه أو مُتَجاوزٌ الحدَّ فيما أمرَ بِه.

فمثال التَّفرِيطِ قولُ أبِي تمَّام:(۳)

---

(۱) البيت مشهور وينسب لكثير عزة، أو الفرزدق في مدح علي بن زين العابدين.

(۲) من قصيدة مشهورة له في مدح المتوكل . ديوانه طبع الصيرفي ۲/۱۰۷۳.

(۳) من قصيدة له في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم . ديوانه طبع الخياط ص ۳۰.

ما زال يَهْذِى بالمَكارِم والعُلا حتّى ظَنَنّا أنهُ مَجْنُونُ

فهذا إذا كان يبالغ فى ذكر المدُوحِ فقال : « مازالَ يَهْذِى » ، فهذه اللفظة قَبِيحةٌ .

ومثله قول الشاعر:(١)

فتأخذُهُ عندَ المكارِمِ هِزةٌ كما انتفضَ المَحْمُومُ من أمّ ملدمِ

فهذا وأمثاله لايجوز أستعماله ، لأن ألفاظ المدح لايجوز أستعمالها فى الذم ، وبالعكس . وهذا يعود إلى العرف دون الأصل ، والدليل على ذلك أنه لايجوز أن تقول : وحق دماغك . قياسا على قولك : وحق رأسك ، فكلاهما سواء، غيرأن ذكر الرأس والكاهل يستعمل فى المدح ، والدّماغ والقَفا والقَذال تستعمل فى الذّمّ ، وإن كانتْ معانى الجميع واحدةً .

ومثال الإفراطِ ماروِىَ أنّ رجُلاً جاءَ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فكلّمه ، فقالَ له : ماشاءَ الله وشِئْتَ . فقالَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتجعَلُنى للّهِ نِدًّا ؟ قُلْ : ما شاءَ اللّهُ وحْدَهُ ؟.

ومن ذلك قول عنترة :(٢)

فَأنا المَنيّةُ فى المواطِنِ كُلّها والطّعْنُ مِنّى سابِقُ الآجالِ

وهذا إفراطٌ لأن الطّعْنَ لا يَسْبِقُ الأجَلَ ، فلو قالَ سابِقُ الأجيال بالياء المثناة من تحتها لكان أقرب .

---

(١) وذكر النقاد وعلماء البلاغة كثيرا من شواهد أستخدام ألفاظ الهجاء فى معانى المديح (راجع سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى)

(٢) ديوانه .

وقول النابغة :

إذا ماغَزا بالجيْش حلّقَ فوقَهُ
عصائبُ طَيْرٍ تهتدِى بعَصائبِ

جوانحُ قــدْ أيقَن أنّ قَبيلَهُ
إذا ماغَزا الجَيْشانِ أولُ غَالِبِ

فلقد أشرفَ النّابِغَةُ فى ذلكِ وأفرطَ .

باب

المختلف والمؤتلف *

وهو أن يريد المتكلم التسوية بين الممدوحين فيأتى بمعنى مؤتلف فى مدحهما ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص به مدح الآخر فيأتى بمعنى يخالف معنى التسوية . كقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بأبيه مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص به مدح الولد : (1)

جَارَى أباهُ فأقبلا وهُمَا ... يتعاوران مُلاءَةَ الحُضْرِ

وهُمَا وقد بَرَزَا كأنَّهُمَا ... صَقْرانِ قد حَطَّا إلى وَكْرِ

حتى إذا نَزَتِ القُلُوبُ وقَدْ ... لَزَّتْ هُنَاكَ العُذْرَ بالعُذْرِ

بَرَقَتْ صَحِيفَةُ وجْهِ والِدِهِ

ومضَى على غُلَوائِهِ يَجْرِي

أولى فأولى أن يُسَاوِيَهُ ... لولا جَلالُ السِّنِّ والكِبَرِ

(*) ذكره ابن أبى الأصبع (بديع القرآن ١٢٧) بعنوان « جمع المختلفة والمؤتلفة » ويكاد ينقل المؤلف هنا عبارات زكى الدين . يقول :

«وهو عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص مدح الآخر ، فيأتى لأجل ذلك الترجيح بمعان تخالف معانى التسوية .

(1) أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء طبع بيروت ص ٤٣

وكقول المتنبي : (١)

مَن مُبلغُ الأعرابِ أنّي بعدَها ... جالستُ (٢) رُسطاليسَ والإسكندرَا

وسمعتُ بطليموسَ دارسَ كتْبِه ... متملّكا متبدّيا متحضّرا

ولقيتُ كُلَّ الفاضلينَ كأنما ... ردّ الإلهُ نفوسَهم والأعصُرا

نسقوا لنا نسقَ الحساب مقدّما ... وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخَّرا

---

(١) ديوانه طبع عزام ص ٥٤٩ من قصيدة يمدح بها ابن العميد مطلعها :

باد هواك صبرت أو لم تصبرا ... وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

(٢) في الديوان « شاهدت »

باب

صحة التقسيم

وحد هذا الباب أن يستوفى المتكلم جميع أقسام الكلمة التى يمكن وجودها، غير تارك منها قسما واحدا . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ ثم أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١) .

فإنه استوفى فى هذه الآية الكريمة الأقسام التى يمكن وجودها ، فإن العالم جميعه لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة .

ومن ذلك قوله تعالى : (٢) ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾(٣).

وهذه الآية تفسير للآية المتقدمة ، فإن أصحاب المشأمة هم الظالمون ، وأصحاب الميمنة هم المقتصدون ، والسابقون السابقون هم السابقون بالخيرات .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ليسَ لَكَ من مالِكَ إلاَّ ما أكلْتَ فأفنَيْتَ أو لبِسْتَ فأبليْتَ ، أو تصَدَّقْتَ

---

(١) آية ٣٢ سورة فاطر ، أوردها ابن أبى الأصبع فى باب صحة التفسير .

(٢) من شواهد ابن أبى الأصبع فى باب حسن النفسير ، وهم

(٣) آية ١٢ سورة الرعد

فابْقَيْتَ ، (١) .

ومن ذلك ما يحكى من أن بعضَ وفُودِ العربِ قدِمَ إلى مَجْلس عمرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللّهُ عنه فكانَ فيهم شابٌّ فقام وتكلّم في المَجْلِس فقالَ : « يا أميرَ المُؤْمنين، أصابتنا سنونُ ، سنةٌ أذابَتْ الشَّحْمَ ، وسنَةٌ أكَلَتْ اللَّحْمَ ، وسنَةٌ أتَتْ على العَظْم،وفي أيديكم فُضُولُ أموال ،فإنْ كانَتْ لنا فعَلامَ تَمْنَعُونَنا عنْها؟، وإنْ كانَتْ للّه ففرّقُوها على عِبادِه، وإنْ كانَتْ لكُمْ فتصدّقُوا علينا بِها ، إن اللّه يجْزِي المُتَصدِّقِينَ » .فقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز : « واللّهِ ما تَرَكَ لنا الأعْرابيّ في واحدةٍ منْها عُذْرًا » .

ومن ذلك قول الشاعر : (٢)

لِمُخْتلِفي الحَاجَاتِ جَمْعٌ ببَابِه
فهـذَا لَهُ فنٌّ وهـذَا لهُ فَنّ

فللخَامِلِ العَلْيا وللمُعْدِمِ الغِنَى
وللمُذْنِبِ العُتْبَى وللخَائِفِ الأمْنُ

وقال أبو تمام في هذا المعنى في رجل مَجُوسِيٍّ أُحْرِقَ بالنّار (٣) :

صَلّى لها حَيًّا وكانَ وقُودَها ... مَيْتًا ويَدْخُلُها معَ الكُفّارِ

---

(١) بديع القرآن ص ٧٢ ، وراجع العمدة ٢/٢١ ونصه فيه : «وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ... »

(٢) ابن شرف القيرواني راجع تحرير التحبير ١٨٨

(٣) من قصيدة له في الأفشين عندما أحرقه المعتصم .راجع ديوانه .

وقال زُهَيْرُ بنُ أبى سُلْمَى:(١)

وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبْلَه
ولكنَّنى عَنْ عِلْمِ ما في غدٍ عَمِ

ومما يلتحق بهذا الباب نوع يسمى التدرج ، لأن أقسامه لا تكون مما كثيرها، بل تكون بالتدريج أولا فأولا ، كقول الشاعر : (٢)

يَطْعَنُهُمْ ما ارْتَمَوْا حتَّى إذَا طَعَنُوا
ضَارَبَ حتَّى إذَا ما ضَارَبُوا اعتَنَقَا

ومثله قول الآخر : (٣)

إنْ يَسْمَعُوا الخَيْرَ يُخْفُوهُ وإنْ سَمِعُوا
شَرًّا أذاعوه، وإنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وقال ابن تميم (٤) في هذا المعنى :

لِمَنْ أفوهُ بشِعْرِى حِينَ أذْكُرُهُ
أم منْ أخُصُّ بمَا فيه منَ الزَّبَدِ
إمَّا جَهُولٌ فلا يَدْرِى مَوَاقِعَهُ
أو فَاضِلٌ فهو لا يخلُو منَ الحَسَدِ

وقال آخر : (٥)

---

(١) معلقته . ديوانه ٢٩ طبع دار الكتب . راجع بديع القرآن ٧١

(٢) زهير بن أبى سلمى . راجع العمدة ٢/٢٣

(٣) طريح بن إسماعيل الثقفى . راجع العمدة ٢/٢٤

(٤) لعله مجير الدين بن تميم الاسعردى الشاعر الشامى من رجال القرن السابع الهجرى

(٥) العمدة لابن رشيق ٢/٢١ ،والبديع لابن منقذ ص ٦٣ ، وينسب للحارثى ويجعله من باب «التجزئة».

فلا كَبِدِى يَفْنَى ولا لَكَ رِقَّةٌ

ولا عنكَ إقصارٌ ولا فيكَ مَطْمَعُ

وفى هذا البابِ نوعٌ غيرُ مُستَحسَنٍ يُسَمَّى : « فَسَادُ القِسْمة »، وذلك أن يكررَ الشاعرُ اللَّفْظَةَ فى تقسيمِهِ أو يأتىَ بالقِسْمَيْنِ، واحدُهما داخِلٌ تحتَ الآخر . أو يدعُ بَعْضَ الأقسامِ لا يأتى بها .

فأما التكرير * فمثاله قولُ الشاعر :

فما بَرِحَتْ تُومِى إلينا بطرْفِها

وتُومِضُ أحيانًا إذا خَصْمُها غُفَلُ

فتومض وتُومى متساويان فى المعنى ، فهذا تكريرٌ .

وأما دُخُولُ أحدِ القِسْمَيْنِ تَحْتَ الآخر فكقولِ الشَّاعر :

لله نعمتنا بتاركِ ربِّنا   ربِّ الانام وربِّ من يتأبَّدُ

فالانام ومن يتأبد واحد ، لأن من يتأبد هو الوحش ، وهو داخل فى قسم الانام

وأما الإخلال بأحد الأقسام فكقولك : « الحيوان إما سابح أو طائر » ويسكت عن الماشى، فقد أخللت بأحد الأقسام .

(*) التكرير : أورده ابن رشيق بعنوان « التكرار » . يقول ابن رشيق : « وللتكرار مواضع يحسنُ فيها ، ومواضعُ يقبحُ فيها . فأكثر ما يقع التكرار فى الألفاظ دون المعانى وهو فى المعانى دون الالفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب على الشاعر أن يكرر اسماً إلاّ على جهة التشوق والإستعذاب اذا كان فى تغزل أو نسيب » . العمدة ٢/٧٤ وأورده ابن منقذ تحت إسم «التكرير». البديع ١٩١

باب

التفسير وصحته *

ومن هذا الباب أنْ تَذْكُرَ المَعانى مُجملةً ثم تفسرها ، فتُقَدِّمُ تفسيرَ المُقدَّمِ ، وتُؤخِّرُ تفسيرَ المُؤخَّرِ . مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ومِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فيه ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه ﴾ (١) ، فلما قدم الليل على النهار قدم تفسيره قبل السكون ، ثم ذكر تفسير النهار وهو الإبتغاء .

والتفسير على أقسام: فمِنْه ما هُوضرورىٌّ ، ومنه ماهُوغيرُضَرُورىٍّ . فالضَّرُورىُّ ما لايتم الكلامُ إلاّ بهِ ، وغيرُ الضَّرُورىِّ يُسَمَّى تبرُّعا ، وهو ينْقَسِمُ إلى قِسْمَيْن ، قسم يتمُّ الكلامُ دونه ولكن لا يكملُ معناهُ إلا بالتَّفْسير ، وقسمٌ يتمُّ الكلامُ ويكمُل تقسيمُه ولكن يحتاجُ فى معناه إلى زيادة تكميل وتوكيد .

ومثال الضرورى قوله تعالى : ﴿ واللهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ من ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى علَى رِجْلَيْنِ ومِنْهُم من يَمْشِى على

(*) أورده ابن رشيق باسم « التفسير » وعرفه بقوله: إنه « أن يستوفى الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملا » ، وراجع بديع القرآن ٧٤

(١) سورة القصص آية ٧٣ ، واستشهد زكى الدين فى بديع القرآن ٧٣ « بهذه الآية على « صحة التقسيم » .

أرْبعٍ ﴾ (١) فاستغرق بذلك أقسام أجناسِ كلِّ ما دَبَّ ودرَجَ مَعَ حُسْنِ الترتيب . وهذا تفسيرٌ ضروريٌّ ، فإنَّه لو اقتصر على قوله: خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من ماءٍ ، ولم يُفسِّر هذَا التّفسيرَ لكانَ الكلامُ غيرَ تامٍّ . ولمَّا فسَّرهُ بهذهِ الأقسامِ الثلاثةِ كمُلَ به المعنى ولم يبْقَ فيه قِسمٌ رابعٌ .

ومن ذلك قولُ الشَّاعرِ : (٢)

عَدِّ الكؤوس عن المُحِبِّ فإنَّ فِي ... وجْهِ الحَبيبِ مُدامةً تكفيهِ

أفعالُهـا في مُقْلتَيْهِ ولونُها ... في وجْنَتَيْهِ وطَعْمُها في فِيهِ

ولابن المعتز في هذا المعنى : (٣)

في وجْهِ هذَا الَّذِي كَلِفْتُ بِهِ ... أربعةٌ ما اجتمعْنَ في أحَدِ

الخدُّ وَرْدٌ ، والصُّدغُ غَاليةٌ ... والرِّيقُ خَمْرٌ ، والثغْرُ مِن بَرَدِ

ولابن المعتز في شمْعَةٍ : (٤)

لقد أشْبَهَتْنِي شَمْعَةٌ في صَبابَتي ... وفي هَوْلِ ما أَلْقَى وما أتَوقّعُ

---

(١) سورة النور آية ٤٥

(٢) ابن النحاس كما في بديع ابن منقذ ص ٧٤

(٣) في بديع ابن منقذ لم ينسب ص ٩٢، وجعله من باب «التطريز» ورواية الأول : « في وجـــه إنسانة كلِفْتُ بها . » والثاني : والخدُّ ورد والريح غالية»

(٤) في بديع ابن منقذ باب التفسير ص ٧٤ غيرُ منسوبَيْن

نُحُولٌ وحُزْنٌ فى فَنَاءٍ ووَحْشَةٍ
وتَسْهِيدُ عَيْنٍ واصْفِرارٌ وأدْمُعُ

وأما تفسير التبرُّع فمِثْلُ قولِ الشَّاعر : (١)

لئن كنتُ مُحْتاجاً الى الحِلْمِ إنَّنِى
إلى الجَهْلِ فى بعْضِ الأحَايِينِ أحْوَجُ

ثم فسره بقوله :

ولى فرسٌ بالحِلْمِ لِلحِلْمِ مُلْجَمٌ
ولِى فَرَسٌ بالجَهْلِ لِلجَهْلِ مُسْرَجُ

ثم فسره بقوله :

فمنْ رَامَ تَقْوِيمِى فإنِّى مُقَوَّمٌ
ومن رَامَ تَعْوِيجِى فإنِّى مُعَوَّجُ

فالثانى تفسير الأول، والثالث تفسير الثانى وكلا التفسيرين من بابِ التبرُّعِ لأنَّ البيتَ الأول تمَّ به الكلامُ واستوفى المعنى ، فهذا هو تفسيرُ التبرُّع. وليس كلُّ كلامٍ يفتقِرُ إلى تفسيرٍ، بلْ ما كانَ منه مُجْمَلاً ومُبْهَماً فيجِبُ تفسيرُه وتبيانُه . وأفصحُ ما كانت الكلمةُ وتفسيرُها فى بيتٍ واحد كقول الشاعر : (٢)

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدُّنيا ببَهْجَتِهِمْ
شمسُ الضُّحَى وأبو إسْحَاقَ والقَمَرُ

(١) من شواهد تحرير التحبير وينسبه لصالح بن جناح اللخمى، وراجع قدامة فى نقد الشعر ٤٨ والصناعتين ٣٤١

(٢) البيت لمحمد بن حبيب فى المعتصم العباسى . تحرير التحبير ١٩٠ ونسبه ابن أبى الأصبع لبعض المغاربة .

وقول الآخر : (١)

صَالُوا وجَادُوا وضَاءُوا واحتَبَوا فَهُمُ

أُسْدٌ ومُزْنٌ وأقمَارٌ وأجبَالُ

وفي بيتين كقول الشاعر :

ولمَّا أبى الوَاشُونَ إلا فِرَاقَنَا

ومالَهُم عِندي وعِندَكِ من ثَارِ

غزوتُهُم من مُقلتَيكِ وأدْمُعِي

ومن نَفَسِي بالسَّيفِ والمَاءِ والنَّارِ

ومن هذا النوع قسمٌ يُقَالُ له تَفْسِيرُ العَدد والتفسيرُ بعدَ الإبهام، من غيرِ تفسير ، والاستثناءُ العددى . فمثال تفسير العدد قول ذى الرمة : (٢)

وليلٍ كجِلبَابِ العَرُوسِ ادَّرَعتُهُ

بأربعَةٍ والشَّخصُ فى العَينِ واحِدُ

---

(١) راجع تحرير التحبير ص ١٩٢ ولهما ثالث يأتي بين الأول والثاني

(٢) ديوانه البيتان رقم ٣١ و ٣٢ من قصيدته : « ألا أيها الربع الذى غير البلى »
ورواية الأول : «وليل كاثناء الرويزى جبته »

وراجع العمدة ٢/٣٦ باب التفسير

وراجع الحيوان ٣/٧٧ والأغانى ٩ /١٣٩

ادرعته : لبستُه، أو ذرعته وجبتُه ،وفي رواية « الرويزيّ »: الثوب من «الرِّيّ»، أخضر اللون .

أحمُّ عُلافِيٌّ وأبيضُ صارِمٌ
وأعيَسُ مَهْرِيٌّ وأرْوَعَ ماجِدُ (١)

ومثال التفسير بعد الإبهام قولُه تعالى : ﴿ وقضَينا إليه ذَلِكَ الأمْرَ إنَّ دابِرَ هؤلاءِ مقطوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾ (٢)، فقوله ذلك الأمر إبهامٌ يُوجِب للفكر استطلاعَ ما هو والتنقيبَ عن حقيقته ، فلمّا أنْ قال : إن دابِرَ هؤلاءِ مقطوعٌ مُصْبِحِين كانَ آكَدَ لِعظَمِ الأمرِ وفخامتِه وموقِعِه من النُّفوس . فإنَّ هذا البابَ من التفسير بعد الابهام المقصود به تفخيم الأمر وإعظامُه ، لأنّ الشيء إذا طرقَ السَّمع مُبْهَمًا ذهَبَ الفكرُ في معرفةِ حقيقتِه كُلَّ مذهَب ، فإذا فُسِّرَ بعدَ ذلكَ كانَ التَّفسيرُ أحْلَى موقِعًا في النَّفْس .

ومثال الابهام من غيرِ تفسيرٍ كقوْله تعالى : ﴿ إنَّ هذا القُرآنَ يهدِي للَّتِي هِيَ أقْوَمُ ﴾ (٣) فهذا إبهام من غيرِ تفسير ، لكنَّ قوةَ الكلامِ تُعْطِي التي هي أقوم معْنَى الطريقة أو المِلَّة .

ومثالُ استثناء العدد كقوله تعالى : ﴿ ولقدْ أرْسَلْنَا نُوحًا إلى قوْمِه فلَبِثَ فيهمْ ألفَ سنةٍ إلاَّ خمْسين عاماً ﴾ (٤)، وإنَّما قال ذَلِكَ لقصْدِ المبالغة ، فإنَّه لو قالَ تسْعمائةٍ وخمْسينَ عاما، ولم يقُل ألفَ سنةٍ لكانَ ذلك أقلَّ رُتْبةً في اللفظ ، فإنَّ ذِكْرَ رأْسِ العدَدِ

(١) وأحَمُّ : أسود ، يعني الرحل ، والأبيض السيف : الأعيَس : البعير ، ومهريٌّ منسوب إلى مهرة من عرب اليمن . والأشعث : يعني نفسَه .

(٢) الحجر ٦٦

(٣) الإسراء ٩

(٤) العنكبوت ١٤

الذى هو الألف أوقعُ فى النفسِ وأوصلُ للغرضِ ، ثم استثنى بعد ذلك بقوله : خَمْسِينَ عامًا وفائدة ذلك أنه لمَّا ابْتَلىَ نوحَ عليه السَّلامُ من أمَّتهِ بالمُخالفَةِ والأذَى لهُ وممَّا كابَدَهُ من طول المُصابرةِ عليهم فى هذه المُدَّة الطَّويلةِ ،فنزَلتْ لفْظَةُ الألفِ تَسْليةً لِرَسُولِ الله صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ ، وتثبيتًا له .

باب

التعريج

هذا الباب يسمى بحُسْنِ الارتباط، ويُسَمَّى حُسْنَ التَّرتيب، ويُسَمَّى حُسْنَ النَّسَقِ (**) وحقيقته ائتلافُ الكلامِ بعضه ببعض حتى كأنَّه أفرغ في قالبٍ واحدٍ . وأكثرُ ما يُوجَدُ هذا النوع مستعملاً في كتاب الله تعالى الدَّالِّ على الإعجاز . وسمى «الارتباط» ، لأنَّه إذا جاءت الآية وعُلِمَ تأويلُ الارتباطِ بيْنَ الآيتين وامتزج معناهما علم حسن الترتيب ، فسمى حسن الارتباط لذلك .

وكذلك تسميته بالتمزيج و[حسن] النسق، وحسن الترتيب. مثال ذلك قوله تعالى :

﴿ ووصَّيْنَا الإنسان بوالدَيْه حُسْنًا ، وإنْ جاهدَاك على أنْ تُشْرِكَ بِي ما ليْس لكَ به عِلْمٌ فلا تطِعْهُما ﴾ (1) ... الآية. ووجه

(*) أورده بهذا الاسم ابن أبي الإصبع في بديع القرآن ص ٢٤٦ وتحرير التحبير ص ٤٣٦ ،وعرفه بقوله «أن يمزج المتكلم معاني البديع بفنون الكلام »

(1) آية ١٠ سورة لقمان

(**) ويسمى بحسن النسق هكذا سماه ابن سنان في «سر الفصاحة» ص ٢١٥ ، وسماه زكي الدين في تحرير التحبير «حسن النسق» ص ٤٢٥ ويعرفه بقوله : «هو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات ، متلاحمات تلاحما سليما مستحسناً » وراجع بديع القرآن ص ١٦٤

تعلقها بما قبلها أن الله تعالى لمّا بَيَّن التكاليفَ وحَرَّضَ على الطاعة عَلِمَ أنْ الإنسان إن انقاد لمْ يَكُنْ انقيادُه لأحد أكثرَ من انقياده لوالديه ، ومن هنا لو أمراه بالمَعْصية فلا يجُوزُ له اتباعهما . فهذا من باب حسن الترتيب ، وتَدريج الكلاَم بعضه من بَعض . وأمثالُ ذلك فى الكتاب العزيز كثيرةٌ ، أكثر مِنْ أنْ تُحْصَى .

باب

الاستدراج

يقال استدرج فلان فلانًا إذا توصل إلى حصول مقصوده من غير أن يشعره من أول وهلة . والمراد بذلك الملاطفة فى الخطاب ولزوم الأدب فى الكلام مع المخاطب بحيث لا تنفر نفسه قبل حصول المقصود منه . مثال ذلك قوله تعالى ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ﴾ (١) ، فانظر إلى ما اشتملت عليه هذه الآية الكريمة من الاستدراج والتوصل إلى حصول المقصود من إنجاء موسى عليه السلام، والعمل على كتمان إيمانه، وحسن النصح لقومه والحرص على هدايتهم بطرق أقام فيها الحجة عليهم، مستدرجا شيئا فشيئا حتى يبلغ غرضه من قبل أن يظهر لهم أنه مع موسى عليه السلام لما أصغوا إلى مقالته .

---

(١) آيات من ٢٦ — ٢٨ سورة غافر

باب

التخلص *

التخلص هو امتزاج ما يُقدِّمُ الشاعرُ على المدح من نسيبٍ أو غزلٍ أو فخرٍ أو وصفٍ أو غير ذلك بأوّل بيتٍ من قصيدةٍ أو بأوّلِ كلامٍ من النَّثرِ، ثم يخرجُ منه إلى المدحِ. مثالُ ذلكَ قول أبي نواس: (١)

تقولُ التي من بيتِها خفَّ محملي
عزيزٌ علينا أنْ نراكَ تسيرَ

أما دُونَ مصرِ للغِنى مُتطلَّبٌ
ألا إنَّ أسبابَ الغِنى لكثيرُ

(*) ويسمى الباب « حسن التخلص » أو « براعة التخلص ». وهو من أبواب البديع القديمة، وقريب منه فى علم المعانى معرفة الفصل والوصل، وذكر العلماء أنه من بديع المولدين، وأن القدماء لم يعرفوه، وتفنن فيه المحدثون. وراجع العمدة ٩/٢٣٤، ويسميه « الخروج »، ويذكر اسم التخلص ص ٢٣٦، وهو فى بديع ابن منقذ « التخلص والخروج » ص ٢٨٨. وراجع تحرير التحبير ص ٤٢٩

(١) ديوانه طبع آصاف ص ٩٩ من قصيدة يمدح بها الخطيب والى مصر ومطلعها :

أجارة بيتينا أبُوكِ غيورُ — ومَيسورُ ما يرجى لديك عسيرُ

ورواية الأبيات :

تقول التى عن بيتها خف مركبى — عزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ

أما دون مصر للغنى متطلبٌ — بلى إن أسباب الغنى لكثيرُ

فقلت لها واستعجلتها بوادرٌ — جرت فجرى فى جريهن عبيرُ

فَقُلْتُ لَها واستَعْجَلَتْها بَوادِرٌ
جَرَتْ فجَرَى في إِثْرِهِنَّ عَبِيرُ

ذَرِيني أُكَثِّرْ حَاسِديكِ بِرِحْلَةٍ
إلى بَلَدٍ فيهِ الخَصِيبُ أَمِيرُ

فانظر إلى محاسن هذا الابتداء ثم [كيف] تخلص منه إلى المديح واستَطْرَدَ في المديح . وأمثال ذلك كثيرةٌ .

باب

سلامة الابتداع من الاتباع *

حقيقةُ هذا البابِ أن يَبْتَدِعَ الشاعرُ معنًى لم يُسْبَقْ إليه ولَمْ يُتْبَعْ فيه . مثال ذلك قوله تعالى :﴿ إن الذينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللهِ لن يَخْلقُوا ذُبابًا ولو اجْتَمعُوا لَه ، وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوه منه ، ضَعُفَ الطالبُ والمَطْلُوبُ ﴾ (١) فذكر ضعف الذباب الذى هو أقل المخلوقات سلبا لما يسلبه،وعجز جميع الخلق عن القدرة على خلق مثله . ومن هذا الباب قول الشاعر : (٢)

وخَلاَ الذُّبَابُ بهِ فلَيْسَ بِبَارِحٍ
غَرِدًا كفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ
هزَجًا يحُكُّ جنَاحَهُ بِجِنَاحِه
قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ

هذا الشاعر ابتدَعَ معنىً لم يُسْبق إليه ، ولم يُشْبِهْهُ أحدٌ فيه .

(*) من أبواب البديع المستحدثة بعد القرن الرابع واستخلصه علماؤه من بحوثهم فى السرقات والمشاركة فى المعانى ، واعتبروا المعانى العقم التى لم يقلدها اللاحقون من المحاسن ومن ثم من البديع . واجع تحرير التحبير ص ٤٧١

(١) سورة الحج ٧٠

(٢) الشاعر عنترة بن شداد العبسى ، والبيتان من معلقته :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدَّمِ

باب

حسن الاتباع *

حقيقة هذا الباب أن يأتيَ المُتكلِّمُ إلى معنًى فيُحسِنُ اتّباعَه فيه، ويجُيدُ فيه إما باختصار لَطيفٍ، أو زِيادةٍ مَليحةٍ تُكسِبُه نوعًا من المَحاسن. مثال ذلك قول جرير: (١)

إذا غَضِبَتْ عَليكَ بنُو تَميمٍ
حَسِبْتَ النّاسَ كُلَّهُمُ غِضابَا

أخذَهُ أبو نُواس وزَادَ عَليْه حُسْنًا فى قوله: (٢)

وليسَ علَى اللّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ
أنْ يجْمعَ العَالَمَ فى وَاحِدِ

آخذ هذا المعنى الوزير المغربى فقال: (٣)

حتى إذَا ما أرادَ اللّهُ يُسْعِدُنِى
رأيْتُه فرأيْتُ النّاسَ فى رَجُلِ

(*) هذا الباب كسابقه من الأبواب المتأخرة فى البديع ونشأ من قضية السرقات ويعتبر تاليا فى الدرجة للنوع السابق. راجع تحرير التحبير ص ٤٧٥

(١) ديوان جرير ط مصر سنة ١٣١٣ ص ٣١ والصناعتين ص ٢٧٦، والموشح ٢٤٥، تحرير التحبير ٤٧٨

(٢) ديوان أبى نواس ط آصاف ص ٨٧

(٣) ورد الشاهد فى تحرير التحبير غفلا ص ٤٧٨

أخذ هذا المعنى غيرُهُ فقال :

يا سائلى عَنْه لمّا جئتُ أمْدَحُه
هذا هُو الرَّجُل العَارى من العَارِ

لَقيتُه فلقيتُ النّاس فِى رَجُلٍ
والدَّهرَ فى سَاعةٍ والأرضَ فى دَارِ

ومثله :

وبَشَّرتُ آمالى بِمَلْكٍ هُوَ الوَرَى
ودارٍ هِى الدُّنيا ويَومٍ هُوَ الدَّهرُ

ومن هذا النوع قولُ ابن الرُّومى : (١)

تخذْتُكُم دِرْعًا حَصِينًا لِتَدْفَعُوا
نِبَال العدَى عَنىّ فكُنْتُمْ نِصَالَهَا

وقد كنتُ أرْجُو منكُمْ حُسْن نَاصِرٍ
فَخَذَلْتُم كخذْلانِ اليَمين شِمالَها (٢)

فإن كُنْتُم لَمْ تَحْفَظُوا لِمَودَّتِى
ذِمَامًا فكُونُوا لا عَلَيْها ولا لَها (٣)

---

(١) الأبيات فى تحرير التحبير ص ٤٨٠

(٢) رواية تحرير التحبير :

على حين خذلان اليمين شمالها

(٣) روايته :

فإن أنتم لم تحفظوا لمودتى

قِفُوا وقْفَةَ المَعْذُورِ عَنِّى بمعْزِل
وخَلُّوا نِبالِى للعِدَى ونِبالَهَا

تَبِعَهُ فى ذلكَ ابنُ سِنان الخَفَاجى * فقَالَ : (١)

أعدَدْتُكُمْ لِدفَاعِ كُلِّ مُلِمَّة
عَوْنًا فكُنْتُمْ عونَ كُلِّ مُلِمَّةِ

وتَخِذْتُكُم لِى جُنَّةً فكأنمَّا
نَظرَ العدُوُّ مقَاتِلى من جُنَّتِى

فلا نُفُضَنَّ يدَىَّ يأْسًا مِنكُمُ
نَفْضَ الأنَامِلِ من تُرابِ المَيِّتِ

وفى هذا المعنى لابن الرومى : (٢)

وإخوان تَخِذتُهُمدُرُوعًا فكانُوهَا ولكِنْ للأعَادى
وخِلْتُهُمُوا سِهَامًا صَائِبات فكانُوهَا ولكِنْ فى فُؤَادِى
وقَالُوا قدْ صَفَتْ منَّا قُلُوبٌ لقَدْ صَدَقُوا ولكِنْ من وِدَادِى

وكقول النَّابِغَةِ : (٣)

وما كانَ دُونَ الخَيْر لوْ جاءَ سَالِمًا
أبُو حَجرٍ إلا ليالٍ قلائِلُ

(١) الأبيات فى تحرير التحبير ٤٨٠

(٢) تحرير التحبير ٤٨٠

(٣) ديوان النابغة ص ٦٢

(*) هو عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبى ت سنة ٤٤٦ هـ صاحب كتاب « سر الفصاحة » وكان تلميذا لأبى العلاء المعرى .

أخذه الحطيئة فى قوله : (١)

وما كانَ بيْنِيِى لو لقيتُكَ سالمًا

وبيْنَ الغِنَى إلا ليالٍ قلائلُ

وقال مالك بن الريب : (٢)

العبد يُقْرعُ بالعَصَا والحُرُّ تكْفِيه الإشارَهْ

وقالَ لَبيد : (٣)

وما المَالُ والأهلُونَ إلاّ ودائعٌ

ولا بُدَّ يومًا تُسْتَردُّ الوَدائِعُ

من قول الأفوه الأودى :

إنمّا نِعْمةُ قَومٍ نِقْمَةٌ

وحَيَاةُ المَرْءِ ثوْبٌ مُسْتَعارْ

وقال آخر : (٤)

---

(١) ديوان الحطيئة ٩٩ . وقد ورد خطأ أن الحطيئة أخذه من النابغة ويريد أن يقول أخذه منه الحطيئة . وقد أورد القاضى الجرجانى الشاهدين فى الوساطة ص ١٩٠/١٩٦ بتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٢) رواه الجرجانى فى الوساطة ٢٠٢ ورواية العجز «والحر يكفيه الوعيد» وأورد بيتين آخرين أحدهما ليزيد بن ربيعة بن مفرغ وهو :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة

ثم قول الآخر :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة (الوساطة ص ١٩٦)

(٣) البيتان فى الوساطة ص ٢٠١

(٤) البيتان فى الوساطة ٢٠٢ والعمدة لإبن رشيق ٢٤/١

ومن يَكُ مِثلى ذا عِيالٍ ومُقتِراً
من المالِ يَطرَحْ نفسَه كلَّ مطرَحِ

من قول الشاعر :

خاطِرْ بِنفسِكَ كي تُصيبَ غَنيمةً
إنَّ القُعُودَ مع العِيالِ قَبيحُ

وقال البحترى : (١)

ويُخشَى أذاهُ وهُوَ غيرُ مُسَلَّطٍ
وقد يُتَوقَّى السَّيْفُ والسَّيفُ فى الغِمْدِ

فقال أبو الطيب المُتَنَبِّى فى مَعْناهُ وزادَ عليه : (٢)

تُهابُ سُيوفُ الهِنْدِ وهىَ حدائِدٌ
فكيفَ إذا كانَتْ نِزارِيَّةً عُرْبَا

ويُرهَبُ نابُ اللَّيْثِ واللَّيثُ وحدَهُ
فكيفَ إذا كانَ اللُّيُوثُ له صَحْبَا

ويُخشَى عُبابُ البَحرِ وهوَ مَكانَهُ
فكيفَ بِمَنْ يَغْشَى البِلادَ إذا عَبَّا

وقال كُثَيِّر : (٣)

---

(١) ديوان البحترى بتحقيق الصيرفى طبع المعارف ٢/٧٤٩ وروايته :
ويَخشَى شَذاهُ وهوَ غيرُ مُسَلَّطٍ

(٢) ديوانه طبع عزام ص ٣١٩ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر بناءه حصن مرعش .

(٣) الوساطة ٢٠٥ والأمالى ٣/١١٩

أريدُ لأنسَى ذِكْرَها فكأنمَّا تَمثَّلُ لِى ليْلى بِكُلِّ سَبيلِ

وقال أبو نواس تابعا له : (١)

مَلِكٌ تَصَوّرَ فى القلوبِ مِثالُه

فكأنَه لم يَخْلُ مِنه مكَانُ

وقال أبو نواس أيضا : (٢)

خُلِّيتَ والحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتقِى مِنْهُ وتَنْتَخِبُ

فقالَ غيرُه وقَصرَ : (٣)

كأنَّكَ جِئتَ مُحتَكِمًا عليْهمْ

تَخَيَّرُ فى الأُبُوَّةِ ما تَشَاء

وقال جرير : (٤)

يَمَشْنَ الهوَى ثم ارتَميْنَ قلُوبَنا

بأسْهُم أعْداءٍ وهُنَّ صَدِيقُ

وأخذَه أبو نواس فقال : (٥)

إذَا امْتَحنَ الدُّنْيَا لَبيبٌ تكَشَّفتْ

لهُ عن عَدُوٍّ فى ثِيَابِ صَدِيقِ

---

(١) ذكره الجرجانى فى الوساطة ٢٢٠ ، ٢٠٥ وراجع ديوانه ص ٥٩

(٢) الوساطة ٢٠٥ وراجع ديوانه طبع آصاف ص ٣٦١

(٣) البيت لعبد الله بن مصعب ، رواه الجرجانى فى الوساطة ٢٠٥

(٤) ديوانه ص ٣٩٨ والوساطة ص ٢٠٦

(٥) الوساطة ٢٠٦

ومن لطيفِ الاتّباعِ ما جاءَ به الشاعرُ على وجهِ القلبِ وقَصَدَ به النَّقضَ، كقول المتنبي :(١)

أأحبّه وأحبُّ فيه ملامةً إنَّ الملامةَ فيهِ من أعدائِهِ

نقض بذلك قول أبي الشيص * : (٢)

أجِدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً

حُبًّا لذكرِكِ فليلُمْني اللُّوَّمُ

وقال ابن أبي طاهر (٣)

يشتركُ العالَمُ في ذمِّه لكنّني أمدحُه وحدِي

وعكسه أبو تمام حيث قال : (٤)

كريمٌ متى أمدَحْهُ أمدَحْهُ والورى

معي ومتى ما لُمْتُه لُمْتُه وحدِي

وقال جرير (٥)

تُجري السِّواكَ على أغرَّ كأنَّه

بَرَدٌ تحدَّرَ من متونِ غمامِ

(١) الوساطة وأورده الجرجاني فيما جاء من السرق على وجه القلب وقصد به النقض ص ٢٠٦ .

(٢) الوساطة ٢٠١

(٣) الوساطة ٢٠٨

(*) أبو الشيص . محمد بن رزين من شعراء العباسيين في القرن الثاني اتصل ببلاط هارون الرشيد ، ومدحه ثم ارتحل إلى الرقة ومات بها ، وكان كلفا بالقول في الخمر والطرد . وله شعر يبكي فيه عينيه لما عمي في شيخوخته وقتله بعض غلمانه وهو سكران سنة ٩٦ هـ / ٨١١م

واجع في ترجمته الشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٣٥ والأغاني ط بولاق ١٠٨/١٥ وتاريخ بغداد للخطيب ٤٠١/٥ وفوات الوفيات لابن شاكر ٢٢٥/٢

(٤) قال الجرجاني: « إنما هو عكس قول أبي تمام » ص ٢٠٦ الوساطة .

(٥) ديوان جرير ط الصاوي سنة ١٣٠٣ هـ ص ٥٤١

أخذه أبو نُواس فقال يَصِفُ الخَمْرَ : (١)

أتتْ دونَها الأيامُ حتى كأنها
تُساقِطُ نوراً من فُتُوقِ سماء

ومن حُسْنِ الاتِّباعِ قولُ أبى تمام رحمه الله : (٢)

لو حارَ مُرتادُ المَنِيَّةِ لم يَجِدْ
إلا الفِراقَ على النُفُوسِ دَليلاَ

فأخذَهُ المُتَنَبِّىُّ وقالَ : (٣)

لولا مُفارقةُ الأحبابِ ما وَجَدَتْ
لها المَنَايا إلى أرْوَاحِنا سُبُلاَ

وقالَ أبُو تَمَّام : (٤)

غَرَّبتْهُ العُلاَ على كَثْرةِ النَّاسِ
فأضْحَى فى الأقربين حَبِيبَا

فليطُلْ عُمْرُهُ فلو مَاتَ فى مرْوَ مُقيمًا بها لمَاتَ غرِيبَا

وقال ابن الخياط المكى : (٥)

لمَسْتُ بِكفِّىَّ كفَّه أبْتَغِى الغِنَى
ولم أدْرِ أنَّ الجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِى

---

(١) ديوان أبى نواس ط القاهرة ١٨٩٨م ص ٦٣ والوساطة ٢١٩

(٢) ديوان أبى تمام ص ٢٤٢ والوساطة ص ٢١٢ ، ٢١٧

(٣) ديوان المتنبى ط البرقوقى وشرح التبيان ٣/١٦٣ والوساطة ٢١٧

(٤) ديوان أبى تمام ص ٢٤٢ والوساطة ٢١٧

(٥) الوساطة ٢٢٣ والبيتان بشرح الديوان ص ٢٢٦ ج ٣ طبع الحلبى ١٩٣٦ م

فلا أنا منهُ ما أفادَ ذَوُو الغنى
أفَدْتُ وأعدَاني فأتلفتُ ما عِندِي

أخذهُ أبو تمّام فقال وقَصَّر : (١)

علّمَني جودُكَ السَّمَاحَ فمَا
أبقَيتُ شيئًا لدىَّ مِنْ صِلتِكْ

وقال أبو العباس الأحنف ه (٢)

بَكَتْ غيرَ آنِسَةٍ بالبُكا   ترى الدَّمعَ في مُقلتَيها غَريبا

فقال المُتنبي : (٣)

أتُنْكِرُ المُصيبةُ غَافِلاتٍ   فدَمعُ الحُزنِ في دَمعِ الدَّلالِ

وقال المتنبي أيضا : (٤)

---

(١) الوساطة ص ٢٢٣

(٢) راجع الوساطة ٢٢٨ وديوانه طبع الجوائب سنة ١٢٩٨ هـ

(٣) ديوان المتنبي ط السندوبي ٢/١٧ . قال الجرجاني «فزاد — المتنبي — وملح بذكر الدلال» الوساطة ٢٢٨

(٤) ديوانه الطبعة السابقة ٢/١١٧

(ه) العباس بن الأحنف . أبو الفضل، من شعراء الدولة العباسية، اتصل بهارون الرشيد ومدحه، وكان من أولاد العرب النازلة بخراسان، واشتهر بالغزل، وكان مطبوعا رقيق الحس . صحب هارون الرشيد في غزواته باذربيجان وأرمينيا وتوفي ١٨٨ هـ/٨٠٣ م وقيل سنة ١٩٨هـ/٨١٣م.

راجع في ترجمته : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني طبع بولاق ج ١٥ ، والموشح للمرزباني وتاريخ بغداد ج ١٢/١٢٧ — ١٣٣ ومعجم الأدباء لياقوت ٤/٢٨٣

أعادَنِى سُقْمَ عَيْنَيْهِ وحَمَّلَنِى
من الهوى ثُقْلَ ما تَحْوِى مآزِرُهُ

فزاد على البحترى حيث قال : (١)

وكأنَّ فى جِسْمِى الذى في ناظِرَيْكَ من السَّقَمْ

وقال البحترى : (٢)

أضرْتَ بضوءِ البَدْرِ والبَدْرُ طالِعٌ
وقامَتْ مَقامَ البَدْرِ لمَّا تَغَيَّبَا

فأخذه المتنبى وقال : (٣)

وما حاجة الأظْعَانِ حَوْلَكَ فى الدُّجى
إلى قَمَرٍ ما وَاجِدٌ لَكَ عَادِمُهْ

وقال بعض المتأخرين : (٤)

غمَّضْتُ عينى لا أرى أحدًا حتَّى أراهُم آخِرَ الأبَدِ

فقال المتنبى :

فلو أنِّى استَطَعْتُ غَمَضْتُ طَرْفِى
فلمْ أبْصِرْ بهِ حتَّى أرَاكَا

وقال أبو تمام : (٥)

---

(١) ديوان البحترى بتحقيق الصيرفى والوساطة ٢٩٩

(٢) الوساطة ٢٣٣ وديوانه ١/١٩٧

(٣) الوساطة ٢٢٣ وقال الجرجانى «فأتى بالمصراع الثانى من قول البحترى»

(٤) الوساطة ٢٣٤ وروايته لبيت المتنبى : «فلو أنى استطعت غمضت طرفى»

(٥) ديوانه ص ٤٦ والوساطة ٢٣٨

فقدْ بثّ عبدُ اللّهِ خوفَ انتقامِهِ
علَى اللّيلِ حتّى ما تدبُّ عقارِبُهْ

فنقله المتنبى : (١)

تصدُّ الرّياحَ الهُوجَ عنْهَا مخَافَةً
ويفْزَعُ فيها الطَّيْرُ أنْ يلْقُطَ الحَبّا

وقال محمود الوراق * (٢)

إذَا أنْتَ لمْ تَسْلُ اصْطِبَارًا وحِسْبَةً
سَلَوْتَ عَلى الأيامِ مثْلَ البَهَائِم

وقال أبو تمام : (٣)

أتَصْبِرُ للبَلْوَى عَزاءً وحِسْبَةً
فتُؤْجَرَ أمْ تَسْلُو سُلُوَّ البهَائِمِ

وقال المتنبى : (٤)

وللواجد المَكْرُوبِ من زفَراتِه
سكُونُ عَزاءٍ أو سُكُونُ لغُوبِ

---

(١) ديوانه ١/٦٨ والوساطة ٢٣٨

(٢) الوساطة ٢٣٨

(٣) الوساطة ٢٣٨ وديوانه ص ٣١٩

(٤) الوساطة ٢٣٩ وديوانه ١/٥٥

(*) محمود الوراق : من شعراء القرن الثالث الهجرى، عرف بالحكمة والزهد وتوفى ٢٢٧ هـ وراجع ترجمته فى تاريخ بغداد ١٣/٨٧ ، وطبقات ابن المعتز ٣٦٨

وقال على بن الجهم * (١)

وإذا رابكم من الدهر ريبٌ

عمَّ ما خصكم جميعَ الأنامِ

فقال أبو هفان : (٢)

قالوا اعتللت فقلت كلا إنما اعتل العباد

والأرض والدين والدنـ ـيا وأظلمت البلاد

فقال المتنبى : (٣)

وما أخصك فى برءٍ بتهنئةٍ

إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وله أيضا :

إذا اعتل سيفُ الدولة اعتلت الأر

ضُ ومن فوقها والناسُ والكرمُ المحضُ

---

(١) الوساطة ٢٣٨ البيت الأول فحسب

(٢) الوساطة ٢٠٩

(٣) ديوان المتنبى من قصيدة يهنىء فيها سيف الدولة بالشفاء من مرض ألم به

(*) على بن الجهم : الخراسانى من شعراء القرن الثالث الهجرى . نال الحظوة عند الخليفة المتوكل ولكنه نفاه لهجائه إلى خراسان . وعذبه واليها . وخرج من خراسان إلى الشام ، وقتل فى الطريق من حلب إلى العراق سنة ٢٤٩ هـ .

راجع ترجمته فى الأغانى ط بولاق ٩/١٠٤ والموشح ٣٤٤ ومعجم الشعراء ٣٨٦ وتاريخ بغداد ١١/٣٦٧ .

وقال عروةُ بنُ الوَرْد * : (١)

وذُو أمَلٍ يَرْجو تُراثِى وإنَّ مَا
يَصيرُ لَه مِنه غداً لقَلِيل

وما لِيَ مَالٌ غير دِرْعٍ ومِغْفَرٍ
وأبيَض من ماءِ الحَديد صَقِيلُ

وأسمَر خَطِّىٌّ القَناةِ مُثقَّفٌ
وأجرَدُ عُرْيانُ السَّراةِ طَوِيلُ

وقال المتنبى : (٢)

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلوءَةً
ذَهَبًا فمَاتَ وكلُّ شىءٍ بَلْقَعُ

وإذَا المَكارِمُ والصَّوارِمُ والقَنَا
وبَنَاتُ أعوجَ كلُّ شىءٍ يجمَع

وقال بكر بن النَطّاح ** بتشديد الطاء المهملة : (٣)

---

(١) الوساطة ٢٤٢ والعمدة ٢/٣٦ ط محيى الدين عبد الحميد ، وأوردها فى باب التفسير ورواية الأول :

وان امرءا يرجو رثائى وان ما

(٢) ديوانه ٢/٢٧٠

(٣) الوساطة ٢٤٤ . وينسب البيتان لأبى تمام . راجع ديوانه ص ٦٣ وروايتهما :

ولو لم يجد فى قسمة العمر حيلة — وجاز له الاعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه — وواساهم من صومه وصلاته

(*) عروة بن الورد بن حابس العبسى . شاعر جاهلى كاد يدرك الإسلام . اشتهر باسم عروة الصعاليك وبقى لنا شعره رواية ابن السكيت .

راجع فى ترجمته : الأغانى ... بولاق ٢/١٩٠

(**) بكر بن النطاح : من شعراء الدولة العباسية واشتهر بمدح أبى دلف العجلى

ولوَ لَمْ يَجُزْ فى العُمُرِ قسم لمَالك

وجازَ لَهُ الاعطاءُ من حَسَنَاتِه

لجادَ بِهَا من غير شِرك بَربِّه

وأشركَنَا فى صَوْمِه وصَلاتِه

ما أحسن قوله « من غير شرك بربه » ، فإنه احترزَ بِذلِكَ من توجُّه إيرادٍ عليه . وهذا هو النَّوعُ المُسَمَّى بالتَّتْميم ، ومنهم من سماه الاعتراضَ ، فأخذَه المُتَنبى وقال : (١)

ولوَ يمَّمْتَهُمْ فى الحَشْرِ تَجْدُو

لأعطُوكَ الذِى صَلُّوا وصَامُوا

وقال متمم بن نويره * : (٢)

فلما تَفَرَّقْنَا كأنِّى ومالِكًا

لِطُولِ اجتِمَاعٍ لم نَبِتْ ليلَةً معًا

أخذه علىُّ بنُ جبله فقال ** : (٣)

---

(١) ديوان المتنبى ٤/٧٧ والوساطة ٢٤٤

(٢) المفضليات ط هارون ص ٦٧

(٣) الوساطة ٢٤٤

(*) متمم بن نويرة : من شعراء المخضرمين . عرف برثائه لأخيه مالك بن نويره وكان من سادات العرب

(**) على بن جبلة : المشهور بالعكوك . ولد سنة ١٦٠ هـ /٧٧٦م بمحله قرب بغداد. وكان أعمى يمدح بعض قواد الدولة العباسية . غضب عليه المأمون وقتله سنة ٢١٣ هـ ٨٢٨ م

شبابٌ كأنْ لمْ يكُنْ وشيْبٌ كأنْ لمْ يزَلْ

أخذَهُ البُحْتُرِىْ فقال : (١)

فلا تَذْكُرا عهْدَ التّصَابِى فإنّهُ
تَقضَّى ولمْ يَشْعُرْ بهِ ذلِكَ العَصْرُ

أخذه أبو الطَّيب فقال : (٢)

ذكرتُ به وصْلاً كأنْ لمْ أفُزْ بهِ
وعيْشًا كأنّى كنتُ أقطَعُه نَهْبَا

وقال أبو تمام : (٣)

وذو النّقصِ فى الدُّنيا بذِى الفَضْلِ مُولَعُ

مثله لمروان ٭ (٤)

ما ضرَّنى حسَدُ اللِّئامِ ولَمْ يزَلْ
ذُو الفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التّقْصِيرِ

مثله للمتنبى :

تُعَادِينَا لأنّا غيْرُ لُكْنٍ وتُبْغِضُنَا لأنَّا غيْرُ عُورِ

---

(١) ديوان البحترى ٢/٣٣٦ من قصيدة فى مدح الفتح بن خاقان

(٢) الوساطة ورواية العجز « أقطعه وثبا »

(٣) عجز بيت صدره :

« لقد آسف الاعداء مجد ابن يوسف » ديوان أبى تمام ص١٩

(٭) هو مروان بن أبى حفصة من شعراء الدولة العباسية . فى القرن الثانى الهجرى . راجع ترجمته بعد

(٤) الوساطة ٢٣٦

ثم نقله وزاد فيه : (١)

وإذا أتتكَ مذمّتي من ناقصٍ
فهي الشَّهادةُ لي بأنّي فاضلُ

وهذا مأخوذٌ من قول الطرمَّاحِ بنِ حكيم * الطائي : (٢)

لقدْ زادَني حُبًّا لنفسيَ أنَّني
بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
وأنّي شقيٌّ باللِّئامِ ولا ترَى
شقيًّا بِهِمْ إلاَّ كريمَ الشَّمائلِ

وقال النمري ** في غير ذلك : (٣)

ومُنصلِتاتٍ كأنَّ حِقْدًا بها على الهامِ والرِّقابِ

أخذَه أبو تمّام فقال : (٤)

كأنّها وهْيَ في الأوداجِ والغةٌ
وفي الكُلَى تجِدُ الغَيْظَ الّذي تجِدُ

---

(١) البيت وسابقه في الوساطة ص ٢٤٧ . قال الجرجاني «ثم نقله وزاد فيه فأحسن»

(٢) الوساطة ٢٤٧ والشعر والشعراء ٢/٥٨٩

(٣) يقصد منصور النمري والبيت في الوساطة ص ٢٤٨

(٤) في الأصل «في الأرواح والغة» والتصحيح من الوساطة والديوان الوساطة ٢٤٨

(*) الطرماح بن حكيم : من شعراء طيء ، من الخوارج ، وكان يعمد إلى الغريب في شعره . راجع الشعر والشعراء ٢/٢٨٥ والأغاني ١٠/١٤٨ والمؤتلف ١٤٨

(**) النمري : هو منصور النمري من شعراء الدولة العباسية ، كان تلميذاً للعتابي ، ومدح الرشيد. راجع الشعر والشعراء ٢/٨٥٩

فأخذهُ المتنبّي وقال : (١)

تحمي السُّيوفُ على أعدائِه معَهُ
كأنّهنَّ بنوهُ أوْ عشائرُهُ

وقال الفرزدق * : (٢)

وما وامرَتْني النَّفْسُ في رِحْلةٍ بها
إلى أحَدٍ إلا إليكَ ضميرُها

أخذهُ أبو نواس فقال : (٣)

وإن جَرَتْ الألفاظُ مِنَّا بمِدْحَةٍ
لغيْرِكَ إنسانًا فأنتَ الذي نَعْني

أخذه أبو الطيب فقال : (٤)

وظنُّوني مَدَحْتُهُم قديمًا وأنتَ بِما مَدَحْتُهُمُ مُرادي

قال البحتري : (٥)

---

(١) ديوانه طبع عزام ص ٣٨

(٢) الوساطة ٢٤٩ وروايته :

وماوامرتني النفس في رحلة إلى جَدَا أحدٍ إلا اليكَ ضميرها

(٣) الوساطة ٢٤٩

(٤) ديوانه طبع عزام ص ٨٠ من قصيدته :

أحادٌ أم سداسٌ في أُحَادِ

(٥) ديوانه بتحقيق الصيرفي ط دار المعارف ص ٧٥١ ج ٢

(*) الفرزدق : همام بن غالب ، شاعر أموى من فحول الإسلاميين ، عرف بنقائضه مع جرير . راجع الأغاني ٨٨

وأشهدُ أنّي في اختيارِكَ دونَهم
مُؤدًّى إلى حظّي ومتّبعٌ رُشْدي

قال أبو الطيب : (١)

وما شِئْتُ إلاّ أنْ أدُلَّ عواذِلي
على أنَّ رأْيي في هَواكَ صَوابُ
وأُعْلِمَ قَوْمًا خالَفُوني وشرّقُوا
وغرّبْتُ أنّي قدْ ظَفِرْتُ وخابُوا

وقال البُحْتُرى : (٢)

إذا سارَ غضَّ الطرْفَ عن كُلِّ مَنْظَرٍ
بَهيجٍ وكفَّ السَّمْعَ عن كلِّ مُسْمِعِ

وقال أبو الطيّب : (٣)

بمن تشخصُ الأبصارُ يومَ رُكُوبِهِ
ويُخْرقُ من زَحْمٍ على الرَّجُلِ البُرْدُ

---

(١) ديوانه ص ٤٨١/٤٨٢ طبع عزام من قصيدته :
« منًى كن لى أنَّ البياض خضابُ »

(٢) الوساطه ٢٥٢ وروايته :

إذا سار كف اللحظ عن كل منظر — سواه وغض الطرف عن كل مسمع
فلست ترى الا افاضة شاخص — إليه بعينٍ أو مُشيرًا بإصْبَعِ

وهى رواية الديوان ٢/١٢٣٩ ورواية المؤلف أضبط وأليق بالمعنى .

(٣) ديوانه طبع عزام ص ١٩٢

وتَلْتَقِي وما تَدْرِي البَنَانُ سِلاحَها
لكثرةِ إيماءٍ إليْــه إذا يَبْدُو

وقال بعضهم فى طاهر بن الحُسَيْن : (١)

عَجِبْتُ لحرَّاقَةِ ابنِ الوَلِيدِ إذَا غَرِقَتْ كيْفَ لا تغْرَقُ
وبحْرانِ مِن تَحْتِها واحِدٌ وآخرُ من فَوْقِها مُطْبِقُ
وأعجبُ من ذَاكَ عِيدانُهـا وقَدْ مَسَّها كيْفَ لا تُورِقُ

فقال أبو الطيب : (٢)

وعَجِبْتُ من أرْضٍ سحَابُ أكُفِّهِمْ
من فَوْقِهَا وصخُورُهَـا لا تُورِقُ

وقال العبَّاس بن الأحنف * (٣)

لو قسَّم اللهُ جُزْءاً من مَحاسِنِها
فى النَّاس طرًّا لتمَّ الحُسْنُ فى النَّاسِ

---

(١) الوساطة ٢٦٠ وروايته :

عجبت لحراقة ابن الحسين — لا غرقت — كيف لا تغرق
وبحرات من فوقها واحد وآخر من تحتها مطبق

(٢) ديوانه ص ٢١

(*) العباس بن الأحنف : من أشهر شعراء الغزل فى صدر الدولة العباسية ، نادم هارون الرشيد ولازمه فى بعض غزواته . وتوفى سنة ٢٨٨ هـ وقيل سنة ٢٩٨هـ . وله ديوان مطبوع

راجع : الشعر والشعراء ٨٢٧/٢ والأغانى ١٤/٨ ،وفيات الأعيان ٣٠٧/١ (يعقب ترجمه) .

(٣) ديوانه ص ٩١ والوساطة ٢١٩ .

أخذه أبو تمام فقال :

لو اقتُسِمَتْ أخلاقُهُ الغُرُّ لم تَجِدْ
مَعِيبًا ولا خَلْقاً من الناسِ عائِبَا

وقال المتنبى فى هذا المعنى : (١)

لو فَرَّقَ الكَرمُ المُفَرِّقُ مالَهُ
فى النَّاسِ لم يَكُ فى الزَّمانِ شَحِيحُ

وقال أبو تمام :

إذا ما أغارُوا فاحتَوَوْا مالَ مَعْشَرٍ
أغارتْ عليهمْ فاحتَوتهُ الصَّنائعُ

مثله لأبى الطيب المتنبى : (٢)

فالسِّلْمُ تَكْسِرُ من جَناحَىْ مالِهِ
بنوالِهِ ما تَجْبُرُ الهَيْجَاءُ

وقال امرؤ القيس :

ألمْ ترَنى كُلَّما جِئْتُ طارِقًا
وجَدْتُ بها طِيبًا وإنْ لَمْ تَطَيَّبِ

فأخذه أبو الطيب وقال : (٣)

أتتْ زائرًا ما خامَرَ الطِّيبُ ثوبَها
وكالمِسْكِ مِنْ أرْدانِها يتَضَوَّعُ

---

(١) ديوانه ص ٦٩ طبع عزام

(٢) ديوانه ص ١١٧ طبع عزام

(٣) ديوانه ص ٢٣

وقال أبو الطيب فى غير هذا المعنى : (١)

إذَا تركَ الإنسانُ أهْلاً وَرَاءَهُ
وَيمَّمَ كافُورًا فمَــا يتغَرَّبُ

وأصله قول بعض العرب : (٢)

وَمِنْ تكرُّمِهِمْ فى المَحْل أنَّهُمُ
لا يعلم الجَارُ فيهم أنَّهم جَارُوا

ومثـــله :

ومازَال بِى إكرامُهم وافْتِقَادُهم
وَبِرُّهم حتَّى حَسِبْتُهم أهْلِى

وقال البعيث * : (٣)

وإنَّا لَنُعْطِى المَشْرَفِيَّةَ حقَّها
فَتَقْطَعُ فى أيْمَانَنا وتَقَطَّعُ

---

(١) ديوانه ص ٤٦٥

(٢) الوساطة ٣٢٦ غير منسوب هو ولاحقه . ورواية عجز الثانى :

« وألطافهم حتى حسبتهم أهلى »

(*) البعيث : من شعراء العصر الأموى وهو خداش بن بشر ، من بنى مجاشع ، قال الشعر كبيرا ، وكان خطيبا مفوهاً . واتصل الهجاء بينه وبين جرير .

راجع الشعر والشعراء ١/٤٩٧ ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والمؤتلف والمختلف للآمدى .

مثله لأبى تمام . (١)

وما كنتَ إلا السيفَ لاقَى ضَرِيبَهُ

فقطّعَهُ ثمَّ انثنَى فتقطَّمَا

وقال أبو الطيب : (٢)

وتكادَ الظُّبَى لِمَا عَوَّدُوهَا تَنْتَضِى نَفْسَها إلى الأعناقِ

أخذه من قول أبى تمام: (٣)

وتهتزُّ مثل السَّيْفِ لَوْ لَمْ تَسُلَّهُ

يَدَانِ لسَلَّتْهُ ظُبَاهُ من الغِمْدِ

وقال أبو تمام فى وصف قصيدة : (٤)

يودُّ وِداداً أنَّ أعضاءَ جِسْمِهِ إذا انشدت شوقا إليها المسَامعُ

أخذه الآخر فقال :

غَنَّت فلَم تبق فىَّ جارحَةٌ إلاَّ تمنَّيْتُ أنهَا أذُنُ

أخذه الآخر فقال :

إنْ تَذَكَّرْتُه فكُلِّى قُلُوبٌ أو تأمَّلتُهُ فكُلِّى عُيُونُ

---

(١) رواية الوساطة :

وما كنت الا السيف لاقى ضريبة فقطعه ثم انثنى فتقطعا

وراجع الديوان ص ٣٧٥

(٢) ديوانه ص ٢٢٥

(٣) الوساطة ٣٣١

(٤) الديوان ص ٤٨٠ وروايته :

«إذا أنشدت شوقا اليها المسامع »

وقال بعضهم : (١)

تَقُومُ عليهِ كلَّ يومٍ قيامةٌ من الحُبِّ إلاَّ أنَّه ليسَ يُقْبَرُ

أخذه سلم الخاسر * فقال : (٢)

أليسَ هَذا عَجيبًا أموتُ طَوْراً وأُنْشَرْ

قيامةٌ كلَّ يَوْمٍ علَى فَتَىً ليسَ يُقْبَرْ

وقال آخر : (٣)

إنَّ الرِّياحَ إذا اشْتدَّتْ عَواصِفُها

فما تَضُرُّ سِوَى العالِى من الشَّجَرِ

وفى السَّماءِ نُجومٌ مالَها عَدَدٌ

وليسَ يُكْسَفُ غَيرُ الشَّمْسِ والقَمرِ

أخذه ابنُ سَناءِ المُلكِ ** فقَال :

لا غَرْوَ إنْ جِسْمِى أصا خَ لِسَطْوةِ البَيْنِ الجَسِيم

---

(١) بديع ابن منقذ ١٨٥

(٢) بديع ابن منقذ ١٨٥

(٣) بديع ابن منقذ ص ١٨٥

(*) سلم الخاسر : سلم بن عمرو . من شعراء العباسيين ، تلميذ بشار بن برد . مدح خلفاء بنى العباس والبرامكة وتوفى سنة ١٨٦هـ . راجع ترجمته فى الأغانى ٢١/٧٣ ، الوزراء للجهشيارى ١/٢٤٨

(**) ابن سناء الملك : القاضى السعيد هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر بن المعتمد . من شعراء المصريين فى القرن السادس الهجرى ، ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفى سنة ٦٠٨ هـ وصحب القاضى الفاضل .

إنَّ الغُصُونَ المَائِلا تِ يَهُزُّهَا مَرُّ النَّسِيمْ

ومن هذا النَّوع نَقْلُ اللَّفظِ اليَسيرِ إلى الكَثيرِ كما قالَ أبو نُواس : (١)

لا تُسْدِيَنَّ إليَّ عارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ ما سَلَفَا

أخذه دعبل * ونظمه فى وزن أكبر منه : (٢)

هجَرْتُكَ ، لَمْ أَهْجُرْكَ كُفْرًا لِنِعْمَةٍ
وهَلْ يُرتَجَى نَيلُ الزَّمانِ على الكُفْرِ
ولكنَّنِي لمَّا أتيتُكَ زائِرًا
وأفرَطْتُ فى حَقِّي عَجزْتُ عن الشُّكرِ

وهذا كله مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى ** : (٣)

---

(١) بديع ابن منقذ ١٨٦

(٢) بديع ابن منقذ ١٨٦ وروايته :

تركتك لم أتركك من كفر نعمة وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكنني لما وأيتك راغبا وأسرفت فى برى عجزت عن الشكر

(٣) أبو العلاء متأخر عن أبى نواس ودعبل فهو الآخذ منهما . والبيت رواه الباخرزى من قصيدة مطلعها :

« ياساهر البرق أيقظ راقد السَّمَرِ لعلَّ بالجزع أعوانًا على السَّهَرِ »

الدمية ١/١٣٤

وراجع شروح سقط الزند ١/١١٤

(*) دعبل بن علي الخزاعي : من شعراء العباسيين . ولد بالكوفة ، وعاش فى بغداد ، ثم ذهب إلى مصر فتولى اسوان ، وأشتهر بالهجاء . قتل فى عهد المعتصم سنة ٢٢٠ هـ راجع الأغانى ١٨/٢٩ والموشح ٢٩٩ .

(**) أبو العلاء المعري : أحمد بن سليمان . الشاعر الفيلسوف الضرير ، صاحب النظم والنثر من شعراء القرن الخامس الهجرى . ولد وعاش ومات بمعرة النعمان بالشام وسمى رهين المحبسين ، راجع ترجمته فى كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » ، والانصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى لابن العديم .

لو اختَصرتُمْ مِنَ الإحسانِ زُرتُكُمُ
والعَذبُ يُهجَرُ للإفراطِ في الخَصَرِ

ومن نقل الجَزْلِ إلى الجَزْلِ قولُ أبي نُواس (١) :

بحَّ صوتُ المالِ لمّا　　منكَ يشكو ويَصيحْ

أخذهُ مسلمُ بنُ الوليدِ ° فنقلَه إلى بِناءٍ أحسَنَ منه :

تَظَلَّمَ المالُ والأعداءُ مِنْ يَدِهِ
لا زالَ لِلمالِ والأعداءِ ظَلّامَا

وقال الآخر :

كريمٌ رعيتُ السِّرَّ حتّى كأنّه
إذا استحدثوه عن حديثِكَ جاهِلُهْ

وعَى سِرَّكُمْ في مُضمَرِ القلبِ والحَشا
شَفيقٌ عليكُمْ لا تُخافُ غَوائِلُهْ

أخذه بعض الشعراء فقال :

---

(١) بديع ابن منقذ ١٨٧ .

(°) مسلم بن الوليد : الملقب بصريع الغواني . ولد بين سنتي ١٣٠هـ و ١٤٠هـ وعاش في بغداد ، ومدح خلفاء بني العباس ، وخاصة هارون الرشيد والمأمون كما قدم على البرامكة والفضل بن سهل فمدحهم . وكان معروفاً بالميل إلى صنعة البديع في شعره . وأحسن ما قال في الخمر والغزل . وتوفي سنة ٢٠٨ هـ راجع في ترجمته الشعر والشعراء لابن قتيبة ٨٣٢/٢ ، معجم الشعراء للمرزباني، والموشح، وتاريخ بغداد ٦/١٣ وعصر المأمون للرفاعي، وبروكلمان ﺟ ٢ ص ٢٢ — ٣٣

ومُستَخبِرٍ عن سرِّ ليلَى ردَدْتُهُ
بعَمْياءَ مِنْ ليلَى بغَيْرِ يَقِينِ

يقولُونَ خَبِّرنَا فأنتَ أَمِينُها
وما أنا إنْ خَبَّرتُكُم بأَمِينِ

وقال أبو تمام : (١)

وإذَا طَلَبْتُ لدَيْهِمُ ما لَمْ أَنَلْ
أدْرَكْتُ من جَدْواكَ ما لَمْ أَطْلُبِ

أخذه ابن حيوس * فقال :

ولقد دَعَوْت نَدَى الكرامِ فلَمْ يُجِبْ
فلأَشْكُرَنَّ نَدًى أجاب ومَادُعِي

قال أبو تمام : (٢)

بكلِّ فتى ضَرْبٍ يعرِّضُ بالقَنَا
محيَّا مُحَلاًّ حَلْيُهُ الطَّعْنُ والضَّرْبُ

أخذه المتنبى فقال : (٣)

وكلُّ فتىَ لِلحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِه
من الضَّرْبِ سَطْرٌ بالأسِنَّةِ مُعْجَمُ

---

(١) ديوان أبى تمام : لم نعثر عليه فى ديوانه

(*) ابن حيوس : أبو الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس الغنوى الدمشقى ولد سنة ٣٩٤ ﻫ وتوفى سنة ٤٧٣ﻫ . طبع ديوانه بدمشق بعناية خليل مردم سنة ١٩٥١

(٢) ديوان أبى تمام ص ٣٣ من قصيدة يمدح خالد بن يزيد الشيبانى وفى الأصل اضطراب فى السطر الأول وصحته من الديوان .

(٣) ديوان المتنبى وراجع الوساطة ٢٢٤

وقال آخر وهو كُثَيِّر :

فكانَ علَى الفتى الإقدامُ فيها وليسَ عليه ما جنَتْ المَنُونُ

أخذَه الآخرُ فقال :

على المرءِ أن يَسْعى لما فيه نفْعُه
وليسَ عليه أنْ يُسَاعِدَه الدَّهْرُ

ومثله :

يسقُط الطير حيثُ يُلْتَقَطُ الحَبْ
وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرمَاءِ

أخذه الآخر فقال :

يزدَحِمُ النَّاسَ على بَابِه والمَنهلُ العَذْب كثيرُ الزِّحامْ

ومن هذا الباب نوع يقال له النقل ، وهو نقل المعنى إلى غيره ، كما قال أبو العلاء المعرى فى تفسير قول المتنبى : (١)

فى خَطِّه من كُلِّ قَلْب شهوةٌ حتَّى كأنَّ مِدَادَه الأهواءُ

هذا يسميه أهل النقد بالنقل ،لأنه نقله من قول البحترى فى الخمر:(٢)

أفرِغَتْ فى الزُّجاج من كلِّ قلبٍ
فهِىَ محْبوبَةٌ إلى كلِّ نَفْسِ

ومنه قول البحترى : (٣)

---

(١) البيت من قصيدته التى مطلعها « أمن ازديارك فى الدجى الرقباء »

(٢) فى الأصل غير واضحة كلمة «الخمر» ، وقد نلب البيت فجاءت كلمة قلب فى القافية بدلا من نفس ، ونفس بدلا منها فى أول الشطر الثانى . وراجع بديع إبن منقذ ص ٢٠٥ .

(٣) من قصيدة يمدح بها المتوكل مطلعها « أخفى هوى لك فى القلوب وأظهر »

ولو أنَّ مُشْتاقاً تكلَّفَ فوقَ ما

في وُسْعِهِ لسَعى إليكَ المنبرُ

نقلهُ من قول الشاعر : (١)

وأُهِنَّ بالبيتِ العتيقِ لُبانةٌ

والبيتُ يعرِفُهنَّ لو يتكلَّمَ

لو كانَ حيَّى قبلَهُنَّ ظعائنًا

حيَّى الحطيمُ وجوهَهُنَّ وزمزمُ

وقال الآخر : (٢)

سَأَلتُ بِهِ طَيِّئنا كُلَّها فكُلٌّ أباهُ وكُلٌّ أنِفْ

وقالُوا لَحِيقٌ ظُلِمْنَا بِهِ كما ظُلِمَتْ مائةٌ بالألِفْ

فأخذه أبو نُواس فقال : (٣)

أيُّها المُدَّعِي سُلَيْمًا كَواوٍ

أُلحِقَتْ في الهِجاءِ ظُلْمًا بعَمْرو

وقال أبو نواس : (٤)

تدورُ علينَا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ

حَبَتْهَا بأنواعِ التَّصاويرِ فارسُ

---

(١) البيتان في بديع ابن منقذ لمجهول ص ٢٠٥ — ٢٠٦

(٢) راجع بديع ابن منقذ ٢٠٦

(٣) ديوانه طبع القاهرة ص ١٧٩ يهجو زنبور بن حماد وروايته .

إنما أنت من سليمى كواو .....

(٤) ديوانه طبع آصاف ، وراجع المثل السائر لابن الأثير

قَرارتُها كِسْرى وفي جَنَباتِها
مَهًا تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَوارِسُ

فللراحِ مازُرَّتْ عليهِ جُيوبُها والمَاءِ ما دارَتْ عليهِ القَلانِسُ

نقله الرفاء * فقال : (١)

وموسُومةٍ كاساتُها بفَوارِسٍ
من الفُرْسِ تَطْفُو في المُدامِ وتَغْرَقُ

تقابَلَ منها كلُّ شاكٍ سلاحَهُ وفي يَدِه سهمٌ إليهِ مُفَوَّقُ

كأنَّ الحبَابَ المُسْتَديرَ قِلادَةٌ
عليهِ وتوريدَ المُدامَةِ يَلْمَقُ

ومن ذلك قولُ أبي مُسلم الخُراساني : (٢)

أفسَدْتُ أمْرِي بإصْلاحِي خَلائِقَهُمْ
وكانَ إصْلاحُها للدِّينِ إفْسادَا

ما قرَّبُوا أحَدًا إلاَّ ودَأبُهُمو
أنْ يُعْقِبُوا غِبَّ ذاكَ القُرْبِ إبْعادَا

---

(١) ديوانه ط القاهرة ص ١٩١ وبديع ابن منقذ ص ٢٠٦ .

(٢) بديع ابن منقذ ص ٢٠٧

(*) الرفاء : السرى الرفاء من شعراء بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب في القرن الرابع خلف في تاريخ وفاته بين سنة ٣٦٥ هـ وسنة ٣٦٢ هـ وسنة ٣٦٦ هـ

راجع في ترجمته : اليتيمة للثعالبي ٤٥٠/١ وتاريخ بغداد ١٤٩/٩ ومعجم ياقوت ٢٢٦/٤ .

أخذه ابنُ مُقْلة الكاتبُ فقال : (١)

ما مللتُ الحياةَ لكنْ توثّقـ ـتُ بأيمانِهم فبانَتْ يميني

بعتُ دِيني لهُمْ بِدُنْيايَ حتّى

حَرَمُونِي دُنْيَاهُم ثمّ دِينِي

كم تحمّلتُ ما استطعتُ بجُهْدِي

حِفْظ أرواحِهِم فما حفِظُونِي

ومنه قولُ سيفِ الدّولةِ بنِ حمْدَان، وكتبَ بها إلى ناصِر الدّولة :

تركتُ لكَ العَاليَا وقدْ كُنْتُ أهْلَهَا

وقُلْتُ لَهُمْ ما بَيْنِي وبينَ أخِي فَرْق

وما كانَ بي عنْها نُكُولٌ وإنَّمَا

تجاوَزتُ عنْ حَقّي فتمَّ لكَ الحَقُّ (٢)

أما كنتَ تَرْضَى أنْ أكُونَ مُصَلِّيًا

إذا كنتُ أرْضَى أنْ يَكُونَ لكَ السبْقُ

ومنه : (٣)

أُهَانُ وأُقْصَى ثمّ يَنْتَصِحُونَنِي

ومن ذَا الّذِي يُعْطِي نَصِيحَتَهُ قَسْرًا

---

(١) بديع ابن منقذ ص ٢٠٧ ورواية البيت الأول « فأودت يمينى » ورواية الثالث :

كم تحفظت ما استطعت بجهدى حفظ أرواحهم فما حفظونى

(٢) بديع ابن منقذ ص ٢٠٧ وعجز الثاني « تغافلت عن حقي فتم لك الحق ».

(٣) بديع ابن منقذ ٢٠٨

رأيتُ أكُفَّ المُصْلتين عليكُمُ
ملاءً وكفِّى من عطائكم صِفْرًا

عطاياكُمُ للضاربينَ رقابَكم
كثيرٌ والنبائينَ عزكُمُ نزْرًا

ومن نقل المعنى إلى غيره قولُ أبى نُواس فى الخمر : (١)

لا ينزل الليلُ حيثُ حلّتْ فدهرُ شُرَّابِها نهارُ

نقله الآخر إلى المدْح فقالَ : (٢)

غابَ دُجاها وأىُّ ليلٍ يدْجُو علينا وأنتَ بدرُ

ومنه :

وسُقيتُ من جَدْوَاهُ حمسَ سحائبٍ
جادَتْ علىَّ بهنَّ خمسُ أناملِ

أخذه الشريف الرضى فقال : (٣)

أيسْمَحُ لِى هذَا الزّمانُ بصَاحِبٍ
طَويلِ نِجادِ السَّيْفِ منَ آلِ هَاشِم

أنامِلُهُ فى الحَرْب عشرُ أسنَّةٍ
ولكنها فى السِّلْم عشرُ غمائِمِ

---

(١) ديوان أبى نواس ص ٢٧٤
(٢) البحترى كما فى البديع .
(٣) ديوان الشريف الرضى ٨١٤ وراجع بديع ابن منقذ ص ٢١

وقال الأفوة الأودى * : (١)

وترى الطير على آثارهم رأىَ عينٍ ثقةً أنْ ستُمارْ

أخذه النابغة فقال : (٢)

إذا ما غزا بالجيش حلّق فوقه
عصائبُ طيرٍ تهتدى بعصائبِ

جوانحُ قد أيقنَّ أنّ قبيلَهُ
إذا ما التقى الجمعان أولُ غالبِ

وفى المعنى لحميد بن ثور الهلالى ** : (٣)

إذا ما غزا يومًا رأيتَ غيابةً
من الطير ينظرْنَ الذى هو صانعُ

---

(١) هذا الشاهد أورده إبن منقذ مع الشواهد اللاحقة فى باب «السابق واللاحق ، والتداول والتناول» وعرفه بأنه « أن يأخذ البيت فينقض لفظه أو يزيد فى معناه أو يحرره ، فيكون أولى به من قائله لكن الأول سابق والآخر لاحق » البديع ص ٢٢٢ والشواهد ص ٢٢٤،٢٢٥

(٢) البديع ص ٢٢٤ وروايته «رأيت غمامة » .

(٣) ديوان النابغة ، وهو شاهد مشهور راجع الاستدراك لابن الأثير ص ٩

(*) الأفوه الأودى : صلاءة بن عمرو . كان أمير قبلته ، ويعد من حكماء العرب بما اشتمل عليه شعره من الحكمة . راجع الأغانى . اساسى ١١/٤١ ، والشعر والشعراء . طبع ديوانه بمصر سنة ١٩٣٧.

(**) حميد بن ثور الهلالى : من شعراء صدر الإسلام . توفى فى خلافة عثمان بن عفان . راجع طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الأدباء لياقوت والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٣٩٠ .

أخذه مسلم بن الوليد فقال، وزاد عليه : (١)

قد عوّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وثِقْنَ بِها
فَهُنَّ يَتْبعْنَه فى كُلِّ مُرْتَحَلِ

موفٍ على مُهَجٍ فى يَوْمِ ذِى رَهَجٍ
كأنّهُ أَجَلٌ يسْعَى إلى أمَلِ

فتبعه أبو نواس وقال : (٢)

تتأيّى الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِهْ

ثم أخذه أبو تمام فقال : (٣)

وقد ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أعْلاَمِهِ ضُحىً
بِعِقْبانِ طَيْرٍ فى الدِّماءِ نَواهِلِ
أقامَتْ مع الرَّاياتِ حتّى كأنَّها
مِن الجيْشِ إلاّ أنَّها لمْ تُقَاتِلِ

ثم أخذه المتنبى فقال : (٤)

---

(١) هكذا فى الاصل وفى بديع إبن منقذ، وفى الديوان طبع دار المعارف جاء البيتان مفترقين والثانى قبل الاول وهو رقم ٣٠ فى القصيدة والثانى رقم ٤٠ وراجع الاستدراك ص ١٠ .

(٢) ديوان أبى نواس ص ٦٩ ورواية الديوان : « تتأيى الطير غدوته » والقصيدة فى مديح العباسى بن عبد الله بن جعفر المنصور . وراجع الاستدراك وروايته « تتوخى الطير غُدوتَه » ص ٩

(٣) ديوانه ط محيى الدين الخياط ص ٢٤٨ والإستدراك ص ١٠

(٤) بديع إبن منقذ ص ٢٢٦ وديوانه طبع عزام ٢٤٧

له عَسْكَرا طَيْرٍ وخَيْلٍ إذا رَمَى

بها عَسْكَراً لم تَبْقَ إلاَّ جماجِمُه

وقال قيسُ بنُ ذَرِيح *: (١)

تداويتُ من ليلى بِليلى من الهوى

كما يتداوَى شاربُ الخمْرِ بالخمْرِ

أخذه من الأعشى إذ قال : (٢)

وكأسٍ شَرِبتُ علَى لَذَّةٍ وكأسٍ تداويتُ منها بِهَا

ثم تبعه أبو نواس فقال : (٣)

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فإنَّ اللَّوْمَ إغْرَاءُ

ودَاوِنِي بالَّتِي كانَتْ هِيَ الداءُ

وقال ابن هانيء في الخمْر ، وهو في غَيْرِ المَعْنَى : (٤)

---

(١) بديع ابن منقذ ص ٢٢٦

(٢) ديوانه بتحقيق د. محمد حسين طبع بيروت ص ٢٢

(٣) ديوانه ص ٢٣٤ وهو مطلع أولى خمرياته .

(٤) بديع ابن منقذ وعبارته « أخذه ابن هانئ فوفى عليه » . الديوان ص ٢٢٧ ورواية البيت الثاني

خفت فكادت أن تطير لما بها وكذا الجسوم تخف بالأرواح

(*) قيس بن ذريح من الشعراء الغزلين في عصر بني أمية ، وأكثر شعره في حبه لصاحبته وزوجه لبنى . وراجع في ترجمته الشعر والشعراء ٢/٦٢٨ والأغاني ٩/١٠٧ والمؤتلف والمختلف ص ١٢٠ واللآلئ ٣٧٩ ، ٧١٠ — ٧١١ .

ثقلت زُجَاجَاتٌ أتتنَا فُرَّغاً
حتَّى إذا مُلِئَتْ بصِرْفِ الرَّاحِ

خَفَّتْ علَى أيْدِى السُّقَاةِ جُسُومُها
وكذَا الجُسُوم تخِفُّ بالأرْوَاحِ

ومنه فى الخمر أيضا : (١)

ومَشْمُولةٍ صَاغ الزَّمانُ لرأسِها
أكاليلَ دُرٍّ مالِمنْظُومِها سِلْك

جَرَتْ حركاتُ الدَّهْرِ بينَ سُكُونِها
فذابَتْ كذَوْبِ التِّبْرِ أخلَصَهُ السَّبْكُ

وقد خَفِيَتْ فى ضَوْئِها فكأنَّها
ضميرُ يَقِينٍ كادَ يدْخُلهُ الشَّكُّ

ومنه أيضا(٢):

صَفَتْ وصَفَتْ زُجَاجَتُها عَلَيْها
كمعْنَى دَقَّ فِى وهْمٍ لطِيفِ

(١) بديع ابن منقذ ، والبيت الثانى تكملة منه ، ورواية الثالث :
وقد خفيت من رقة فكأنها

(٢) بديع ابن منقذ ص ٢٢٧ وقبله قوله :
وندمان سقيت الكأس صرفا ... وأفق الصبح مرتفع السجوف

باب

الحـــل والعقــــد *

ومن ذلك نوع يقال له الحل والعقد ، وهو أن يأخذ الناظم لفظا منثورا فينظمه أو شعراً فينثرُه ، فمن ذلك قولُ أميرِ المؤمنين عليّ بنِ أبي طالب رضيَ اللهُ عنه للأشعثِ « إنّكَ إنْ صبرْتَ جرَى عليكَ القضاءُ وأنتَ مأجورٌ ، وإنْ جزعتَ جرَى عليكَ القدرُ وأنتَ مأزورٌ ، وإنّك إنْ لمْ تسلُ احتسابًا سلوْتَ غفلةً كما تسلُو البهائمُ » .

أخذه أبو تمام فقال : (١)

أتصبرُ للبلوى عزاءً وحسبةً ... فتؤجرَ أمْ تسلُو سُلوَّ البهائمِ

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ الزبيرِ لمّا قُتِلَ مصعبٌ أخوهُ « إنَّ التسليمَ والسُّلوَّ لحزَماءِ الرِّجالِ ، وإنَّ الجزعَ والهلعَ لربّاتِ الحِجالِ » . (٢)

فأخذَهُ أبو تمّام وقالَ : (٣)

(*) هذا الباب هو الثامن والثمانون من بديع ابن منقذ ص ٢٥٩ ، ولم يعنون فى النسخة

(١) بديع ابن منقذ ٢٦٠ ، وديوان أبى تمام ٣١٨ من قصيدة يعزى مالك بن الطوق فى وفاة أخيه مطلعها :

أمالكُ إنَّ الحزْنَ أحلامُ نائمِ ... ومَهما يدُمْ فالوجْدُ ليسَ بدائمِ

(٣) بديع ابن منقذ ص ٢٦٠ وديوان أبى تمام من القصيدة السابقة نفسها ص ٣١٩

خُلِقْنا رِجالاً للتَّجلُّدِ والأسى

وتلكَ الغواني للبُكا والمآتِمِ

* * * * *

ومن المناقلة بين الحكيم أرسطاطاليس وبين المتنبي . قال الحكيم : (١)

« إذا كانتْ الشَّهْوةُ دونَ كِبرِ النَّفسِ كانَ هلاكُ الجَسدِ دُونَ بُلُوغِ الشَّهْوةِ »

قال المتنبي :

وإذا كانتْ النُّفُوسُ كِباراً تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسادُ

قال الحكيم : « نُفوسُ الحيَوانِ أغراضٌ لِحَوادِثِ الزَّمانِ »

قال المتنبي :

أفاضِلُ النَّاسِ أغْراضٌ لِذا الزَّمَنِ

يخلو من الهمِّ أخلاهُمْ من الفِطَنِ

قال الحكيمُ : « رَوْمُ نَقْلِ الطِّباعِ من ذَوي الأطْماعِ شديدُ الامتناعِ »

قال المتنبي :

يُرادُ من القَلْبِ نِسْيانُكُمْ وتَأْبَى الطِّباعُ عَلى النَّاقِلِ

قال الحكيم : « إذا تَجَرَّدَتْ اللَّطائِفُ مِنَ الشُّكُوكِ كُسِيَتْ الصُّورةُ رونَقا » .

قال المتنبي :

إذا خَلَعْتَ عَلى عِرْضٍ لهُ حُلَلاً

وجدْتَها مِنهُ في أبْهى مِنَ الحُلَلِ

---

(١) هذه المناقلة أوردها ابن منقذ نصا في البديع ص ٢٦٤ . وراجع رسالة الحاتمي

قال الحكيم : « الألفاظُ المنطقيَّةُ مُضِرَّةٌ بذوى الجهل لنُبُوِّ أجسامِهم عن إدراكِها » .

قال المتنبى :

بذى الغباوةِ مِنْ إنشادِها ضَرَرٌ
كما تَضُرُّ رِياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ

قال الحكيم : « يَسيرٌ من ضِياءِ الحِسِّ خيرٌ من كثيرٍ من دَرْسِ الحِكْمةِ » .

قال المتنبى :

فإنَّ قليلَ الحُبِّ بالعَقْلِ صالحٌ
وإنَّ كثيرَ الحُبِّ بالجَهْلِ فاسِدُ

قال الحكيم : « تَرْدادُ حَركاتِ الفَلَكِ تُحيلُ الكائناتِ عنْ حقائقِها » .

قال المتنبى :

ومن صَحِبَ الدُّنيا طَويلاً تَقلَّبَتْ
على عينِهِ حتَّى يَرى صِدْقَها كِذْبَا

قال الحكيم : « النفسُ الجوهريَّةُ تأبى مُفارقةَ الذُّلِّ ، وترى فَناءَها فى ذَلِك حياتَها ، والنَّفْسُ الدَّنيَّةُ بِضِدِّ ذَلِك » .

قال المتنبى :

فحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أورَدَهُ البَقا
وحُبُّ الشُّجاعِ النَّفْسَ أورَدَهُ الحَرْبَا

قال الحكيم : « مَنْ لمْ يُرِدْكَ لِنَفْسِهِ فهوَ النَّائِي عَنْكَ وإِنْ كنتَ المُتَباعِدَ عَنْه » (١)

قال المتنبي :

إذَا ترحَّلْتَ عن قَوْمٍ وقدْ قَدرُوا
أنْ لا تُفارِقَهُم فالرَّاحِلُونَ هُمُ

قال الحكيم : « من عَلِمَ أنَّ الفَنَاءَ مُسْتَوْلٍ عَلَيْهِ هانَتْ عَلَيْه المَصَائِبُ ».

قال المتنبي :

والهَجْرُ أقتَلُ لِي مِمَّا أُراقِبُه
أنا الغَرِيقُ فما خَوفي مِنَ البَلَلِ

قال الحكيم : « العيانُ شاهِدٌ لنفسه ، والأخبارُ تدخُلُ عليْهَا الزِّيادَةُ والنُّقْصَانُ ، فأوْلَى ما أُخِذَ ما كان دَلِيلاً عَلَى نَفْسِهِ » . (٢)

قال المتنبي :

خُذْ ما تَراهُ ودعْ شيْئاً سَمِعْتَ به
في طَلْعَةِ البَدْرِ مايُغْنيكَ عن زُحَلِ

قال الحكيم : « قد يُفْسِدُ العضوُ لِصالِح غَيْرِه من الأعْضَاءِ كالكَيِّ والفَصْد » .

---

(١) في البديع « وإن تباعدت أنت عنه » ص ٢٦٦

(٢) في البديع « فأول ما أخذته ما كان دليلا على نفسه » ص ٢٦٦

قال المتنبى :

لَعَلَّ عتبكَ محمودٌ عواقبُه فربّما صَحّتْ الأجْسامُ بالعللِ

قال الحكيم: «مباينةُ المُتَكَلِّف للمَطبُوع كمباينةِ الحقّ للباطل».

قال المتنبي :

لأنّ حِلْمكَ حِلمٌ لا تَكَلّفُهُ

ليسَ التَّكَحُّلُ فى العَيْنَيْنِ كالكَحَلِ

قال الحكيمُ : «عِلَلُ الأفهامِ أشَدُّ مِنْ عِلَلِ الأجسامْ».

قال المتنبى :

يَهُونَ علينا أنْ تُصَابَ جسُومُنَا

وتسْلَمَ أعْرَاضٌ لنَا وعُقُولُ

قال الحكيم : «من جعل الفِكرةَ فى مَوضع البَديهَةِ فقد أضَرَّ بخَاطِرِه ، وكذلك مُسْتَعْمِلُ البَديهَةِ فى موضع الفِكرةِ».

قال المتنبى :

ووَضْعُ النّدى فى مَوْضعِ السَّيْفِ بالعُلا

مُضِرٌّ كوضْعِ السَّيْفِ فى مَوْضعِ النَّدَى

قال الحكيمُ : «وقد نَظَرَ إلى غلامٍ حسَنِ الوَجْه فاستنطقَهُ فلمْ يَجِد فيه عِلماً فقال : نِعْمَ البيتُ لو كانَ فيه ساكنٌ». [١]

قال المتنبى :

وما الحُسْنُ فى وجهِ الفتَى شَرَفٌ لهُ

إذَا لمْ يَكُنْ فى فِعْلِهِ والخَلائِقِ

(١) فى البديع «نعم الدار لو كان فيها ساكن».

باب

مساواة اللفظ للمعنى وائتلافه *

هذا الباب ينقسم إلى أقسام : منها ما يساوى اللفظ المعنى وتكون القافية مؤتلفة مع بقية الكلام . ويسمى هذا النوع بالتمكين . مثال ذلك قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أو نفعل فى أموالنا ما نشاءُ ، إنك لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (١) فانه سبحانه وتعالى لما قدم فى هذه الآية الكريمة ذكرَ العبادةِ والتصرُّفَ فى الأموالِ حسَنَ أن تكونَ خاتمةُ الكلامَ الحلْمَ والرُّشْدُ ، لأنَّ الحلْمَ من العَقْلِ ، والعَقْلُ أصْلُ العبادَاتِ ، والرُّشْدُ نقيضُ حُسْنِ التصرُّفِ فى الأَموالِ ، فحَسُنَ أنْ تكونَ خاتِمَةُ هذا الكلام بالحِلْمِ والرُّشْدِ .

ومن ذلك قولُ أبى تمام : (٢)

(*)ورد هذا الباب فى نقد الشعر لقدامة ص ٨٩ وبديع ابن منقذ الباب ٧٥ ص ١٩٤ والتبيان للزملكانى تحقيق مطلوب وخديجة الحديثى طبع بغداد ١٩٦٤

وبديع القرآن لابن أبى الاصبع ص ٧٩ باب حسن الخاتمة ص ٣٤٣ بتحقيق حفنى شرف وتحرير التحبير لابن أبى الاصبع ٢٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٣

(١) سورة هود آية ٨٧

(٢) ديوانه ص ٨١ من قصيدة يعتذر فيها لابن أبى دواد

ومن يأذنْ إلى الوَاشِينَ تُسْلَقْ مسَامِعُه بالسِنَةٍ حِدَادِ

فلما قال : « ومن يأذَنْ إلى الوَاشِينَ ، تمكنَتْ القَافِيةُ ، فلمَّا قالَ : « تُسْلَقْ مسَامِعُه » ، وجبَ أنْ لا يكونَ تمامُ الكلامِ إلا بالسِنةٍ حِدادٍ » . وكقول البحترى : (١)

أَلِنْتَ لِيَ الأَيامَ مِنْ بعْدِ قسْوَةٍ
وعاتبْتَ لِي دَهْرِي المُسِيءَ فأَعتَبَا

فلمَّا قال : « عَاتبْتَ » لم يمكن غيرُ قوله « فأعتَبَا » ، فهذا هو المتمكِّنُ وهو ائتِلافُ القَافِيةِ مع بقية الكلام .

ومنها : ائتِلافُ القَافِية معَ الكلام فى النَّظْم والنَّثر . ويحتاج الشاعر أو النَّاثر إلى قَلْب بَعْضِ الكلامِ عن وجْهِه إما لضرُورة الوَزنِ أو لِضرُورَةِ القَافِيةِ . مثال ذلك قولُ عرْوَةَ بنِ الورد : (٢)

فإنِّى لوْ شَهِدْتُ أَبَا سُعَادٍ
غَدَاةَ غَدَا بِمُهْجتِه يَفُوقُ

فديْتُ بنفسِه نفْسِى ومَالِى
ومَا آلُوه مِمَّا لا أُطِيقُ

فإنه أرادَ أنْ يقُولَ : فدَيْت نَفْسه بنَفْسِى ، فألجأتَهَ ضرورَةُ الوزْن إلى قَلْبِ اللَّفْظِ وإنْ كَان المَعْنَى واحدًا (مهما كان اللفظ

(١) تحرير التحبير ٢٢٧

(٢) أورده ابن أبى الاصبع فى باب ائتلاف المعنى مع الوزن ص ٢٢٣ تحرير التحبير ورواية العجز « وما آلوه الا ما يطيق »

سليما من ذلك) كان هو الذى ائتلف معناه دون لفظه (١) .

ومنها ائتلافُ اللَّفْظِ مع المعْنى (٢) من غير أنْ يَكُونَ في الكَلام لفظة لا تَليقُ بِذَلك المعنى . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ مثَلَ عِيسَى عندَ اللَّهِ كمثلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرَابٍ ﴾(٣) فعدَلَ اللَّهُ سبْحانه وتعالى في هذه الآية عن ذكر الطِّين إلى ذكرْ التُّراب لأنَّ فيه كثافة ، إذ المقصودُ مقَابَلَةُ من ادَّعىَ إلهيَّة المَسيح بما يُصَغِّرُ به أمرَ خَلْقِهِ عندَه ، فلهذا كان الإتْيانُ بلفْظِ التُّرابِ أَمَسَّ بالمعْنىَ من الطِّين .

ومنها : مساواةُ الألفاظِ للمَعَاني من غيرِ زيادة ولا نَقْصٍ ، والمِثَالُ في ذَلكَ قولُه تعَالىَ : ﴿ وقِيل يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ ويا سَماءُ أقْلِعِي وغِيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمرُ واستَوتْ على الجُودِيِّ وقِيلَ بُعْدًا لِلقَوْم الظَّالِمين ﴾ (٤) . فالقَومُ زيادَةٌ في الصُّورة ومانعَةٌ للمُسَاواة ، فإنَّهَ لو قَالَ بُعْدًا للظَّالمين لكانَ كافِيًا وأمَّا في المَعْنىَ فإنَّ لفظَةَ القَوْم زَيَّنَتْ الكَلامَ وإنْ كانَت زائِدَةً ، وذلكَ أنه لما سَبق قولُه تعالى : ﴿ وكُلَّما مَرَّ عَلَيْه ملأٌ من قَوْمِه سَخِرُوا مِنْه ﴾ أوجَبَتْ البَلاغَةُ أنْ يَقُولَ في آخِرِ

---

(١) العبارة مضطربة . هكذا في الأصل ..

(٢) في تحرير التحبير خص هذا الكلام بباب مفرد سماه « باب ائتلاف اللفظ مع المعنى ص١٩٤

(٣) سورة آل عمران ٥٩

(٤) سورة هود آية ٤٤

الكَلامِ ﴿ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . ولو اقتصر سبحانه على لفظة « الظَّالمينَ » دون لفظة « القَوْم » ، لتوهَّم متوهمٌ أنَّ التَّعْرِيف في الظَّالمين للجِنْسِ المُطْلَق ، وهو خِلافُ المُرادِ ، فإنَّ المُرَادَ بالظَّالمين هَاهُنَا قومُ نوحٍ الَّذين قَدَّم ذِكرَهُم ووَصَفَهمْ بالظُّلْمِ ، واللاَّمُ في قولِهِ لِلْقومِ تكونُ لِلْعَهْدِ .

باب

التشكيك *

التشكيك هو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظ يُشكِّكُ المُخاطَبَ هَلْ هوَ حَشْو أو أَصْلِيٌّ لا يستغنى الكَلامُ عَنه . مثالُ ذَلك قولُه تعالى : ﴿ يا أيها الَّذين آمَنُوا إذا تداينتُم بدَيْنٍ ﴾ (1) يعتقدُ السَّامع أنَّ لفظَةَ الدَّيْنِ زائدةٌ ، والبلاغةُ تقتضي أنْ لا غِنىً عنها ، فإنَّ الدَّيْن يُطلَقُ على معانٍ منها الدَّيْنُ المَالِيُّ ، ودَيْنُ المودَّةِ . تقول : داينتُ فلاناً مودَّتي . وديْنُ المُجازاةِ كقولك : كما تَدِينُ تُدَانُ . فلما أرادَ سُبْحانَه في الآية الكريمَةِ الدَّيْن المَالِيَّ ذكرَ لفظَةَ دَيْن ورسَّخَها بقوله (فاكْتُبُوهُ) ، لأنَّ الدُّيُونَ المذكُورةَ ليس فيها ما يُكْتَبُ ويُشْهَدُ به غيرُ الدَّيْنِ المَالِيّ .

(*) تحرير التحبير ٥٦٣ والعمدة ٢/٥٣

(1) البقرة ٢٨٢

باب

الانتقـــال *

الانتقال هو أن يُسأل المتكلم في بحث أو غيره فيُجيب بجواب لا يصلح أن يكون جواب ذلك السؤال، وإنما يحمله على ذلك، إما لأن حجته لم تنهض بالاستدلال عليه، وإما مغالطة عن أداء الجواب عما سئل عنه. مثال ذلك قوله تعالى في قصة الخليل عليه السلام مع الجبار الذي قال له إبراهيم: ﴿ ربي الذي يُحيي ويُميت، قال أنا أُحيي وأُميت ﴾ (1)، واستدعى بإنسان فقتله، واستدعى بآخر وجب عليه القتل فأطلقه، وادعى الجبار أن هذا منه إحياء وإماتة. فلما علم الخليل عليه السلام أن الجبار المذكور لم يفهم معنى الإحياء والإماتة انتقل إلى الاستدلال عليه بنوع آخر فقال: ﴿ إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ (2) فأتاه باستدلال لا يجد له فيه حيلة، فانقطع الجبار، كما قال الله عز وجل: ﴿ فبُهت الذي كفر ﴾.

(*) تحرير التحبير ص ٥٦٥ ويسميه «باب الحيدة والانتقال»

(١)،(٢) البقرة ٢٥٨

والآيات: ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحي وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. فبهت الذي كفر ﴾.

باب

تأكيد المدح بما يشبه الذم*

حقيقةُ هذا النوْع أن يكونَ الإنسانُ آخِذًا في مَدح فيستثني في بعضه، فيعتقد السّامعُ أنّ ما بعدَ الاستثناء يكونُ نوعَ ذمٍّ أو عَيْب في الممْدوح استُثْنِيَ منه المادحُ في مدحه فإذا تكملة الاستثناء تُوجبُ تأكيدًا للمَدْح الأول فَطَمْعاله. مثالُ ذلك قولُ النابغة : (١)

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سُيُوفَهُم
بهنّ فُلُولٌ من قِراعِ الكتائبِ

وقول الآخر : (٢)

فتًى كَمُلَتْ أخْلاقُهُ غيرَ أنّهُ
جَوادٌ فلا يُبْقِي من المالِ باقِيَا

فتىً تَمّ فيهِ ما يَسُرُّ صَديقَهُ
عَلى أنّ فيه ما يسُوءُ الأعادِيَا

(*) أورده جماعة من علماء البلاغة بهذا الاسم كابن المعتز في البديع وأبي هلال العسكري في الصناعتين وابن رشيق في العمدة، وابن أبي الأصبع في تحرير التحبير، ويسميه أبو هلال وابن منقذ الاستثناء، «والرجوع والاستثناء».

(١) من شواهد ابن المعتز في الباب. والعمدة ٢/٣٩ والصناعتين ٤٠٨ وتحرير التحبير ١٣٣ وابن منقذ ١٢١

(٢) البيت للنابغة الجعدي. راجع بديع ابن المعتز وكتاب سيبويه ١/٣٦٨ وتحرير التحبير ١٣٣ وبديع ابن منقذ ١٢١

وقول الآخر : (١)

ولا عيبَ فينَـا غيرَ أنَّ سمَـاحَـتَـا
أضرَّ بِـنَـا والبَـاس مِـنْ كلِّ جَـانـبِ

فأفنَـى الرَّدَى أعمـارَنا غيرَ ظَـالِم
وأفنَـى النَّدى أمْـوالنَـا غيرَ عَـائِـبِ

(١) البيتان لأبى هفان . راجع العمدة ٢/٣٩ وتحرير التحبير ١٣٣

باب

تجاهل العارف *

وهذا الباب له اسمان أحدهما تجاهُلُ العارف والآخرُ يُقالُ له الإعنَاتُ ، فأمَّا الأوّلُ فيُطْلَقُ على ما يأتِي من نوعه في النَّظْمِ والنثر ، وأما الثَّاني فيُطْلَقُ على ما يأتِي من هذَا النَّوْعِ في الكتاب العزيزِ أدبًا مع الآياتِ الكريمَةِ ، إذْ لا يَصِحُّ إطلاقُ تَسْمِيَةِ « تجاهُلُ العارِف » على شيءٍ من آياتِ الكتابِ العَزِيز .

وحقيقةُ هذَا البابِ أنَّ المتكلِّمَ إذَا كانَ آخذاً في كلامِهِ وهو عالِمٌ بحقيقَةِ ما هو متكلِّمٌ فيه ، ثم يَسأَلُ عن بَعْضِه . وهُو يعلَمُ حقيقَتَه ليُخرِجَ كلامَه إلى مَخْرَجٍ آخرَ تَجاهُلاً بما هو عارفٌ به تلَعُّباً بالفصاحة .

وهذا النوعُ ينقَسِمُ إلى أقسام، فمِنْها ما يَخْرجُ مُخْرجَ المَدْحِ أو الذَّمِّ ، ومِنْها ما يَخْرجُ مُخْرَجَ التقرير ، ومِنْها ما يخرجُ مُخرجَ التَّوبيخَ ، فأمَّا ما يخرُجَ مُخْرَجَ التَّقْريرِ فكقوله تعالى :

(*) يورده ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير بهذا الاسم ص ١٣٥ ، وكذا في بديع القرآن ص ٥٠ والبديع لابن منقذ ص ٩٣ . وذكر ابن أبي الاصبع في التحرير والبديع أن هذه التسمية لابن المعتز أما الاعنات فلغيره ويذكره ، وكذلك لم يفرق بين النوعين تفريق المؤلف هاهنا، والذي خص الاعنات بما يجيء من هذا النوع في القرآن الكريم تأدبا .

﴿أأنتَ قُلْتَ لِلنَّاس اتَّخِذُونِي وأمِّيَ إلهيْن من دُونِ اللَّهِ﴾ (١) فهذَا خَارِجٌ مخْرجَ التَّقْرِير. وأما ما يخْرجُ مُخْرجَ التَّعَجُّبِ فكقوله تعالى حِكايَةً عن الكُفَّارِ ﴿أبَشَرًا منَّا واحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ (٢) فهذا مخرَجُ التَّعجُّبِ.

وأما ما يخرجُ مخرجَ التَّوبيخِ فكقولهِ تعَالى حِكايَةً عن قوم شُعَيْب: ﴿قَالُوا يا شُعَيْبُ أصلواتُكَ تَأمُرُكَ أن نتْرُكَ ما يعبُدُ آباؤُنَا وأنْ نفْعَلَ في أموالِنا ما نَشاءُ﴾ (٣). وهذا خَارِجٌ مخرجَ التَّوبيخ.

وأما ما تقدم أولا (٤) وهو خارجٌ مخرج المدح فكقول الشاعر: (٥)

والَّلهِ ما أدرى بأيِّ صِفَاتهِ مَلَكَ القُلُوبَ بأسْرِهَا في أسْرِهِ

أَبوَ جَبْهِهِ أمْ شَعْرِهِ أم نَحْرِهِ

أم ثَغْرِهِ أم رِدْفِهِ أم خَصْرِهِ

وقول الآخر: (٦)

أريقُكَ أم ماءُ الغَمامةِ أم خَمْرُ

بِفَيِّ بَرُودٌ وهيَ في كَبِدِي جَمْرُ

---

(١) سورة مريم

(٢) سورة هود ٨٧

(٣) سورة القمر آية ٢٤

(٤) يعنى « تجاهل العارف »

(٥) بديع ابن المعتز ٩٤

(٦) البيت لأبي الطيب، مطلع قصيدته في عبد الله بن يحيى البحتري

وقولُ الآخر : (١)

أأنتَ أمرْتَ البَدرَ أَنْ يصْدَعَ الدُّجَى
وعَلَّمْتَ غُصْنَ البَانِ أَنْ يَتَمَيَّلاَ

وحرّمْتَ يومَ البَيْنِ وقفةَ ساعةٍ
علَى مُغْرَمٍ ظَنَّ الوداعَ مُحَلَّلاَ

جَمَعْتَ عليهِ حُرْمَةَ الدَّاءِ والأسَى
وما اجْتَمَعَ الدَّاءَانِ إلاّ ليَقْتُلاَ

(١) هو مهيار الديلمي وأورد الأبيات ابن منقذ بالبديع ص ٩٧

باب

في

الهزل الذي يراد به الجد (*)

هذا البابُ من نُعوتِ الألفاظِ ، وحقيقتُه أنْ يقصِدَ المتكلِّم مدحَ إنسانٍ أو ذمَّه فيُخرِجُ ذلكَ مخرجَ المُجون . مثالُ ذلكَ قولُ أبي دُلامَةَ (**) لما خرجَ في جنازةِ عمَّةِ المنصُورِ وجلسَ على القبرِ ينتظِرُ موارَاتَها ، فقال لَهُ المنصُورُ : ما أعددْتَ لهذهِ الحُفرةِ ؟ فقالَ : عمةَ أميرِ المؤمنين :

(*) لم يرد هذا الباب عند ابن منقذ وأورده ابن أبي الإصبع في التحرير ص ١٣٨ وابن الزملكاني في التبيان ص ١٨٩ والطراز ٣/٨٢ وقد ألحقه بباب « تجاهل العارف » قال : « ومما يلحق بأذيال هذا الصنف ويجيء على أثره «الهزلُ الذي يرادُ به الجدُّ» ، ومثاله قول بعضهم :

إذا ما تميميٌّ أتاك مُفاخراً فقُلْ عدِّ عن ذا كيفَ أكلُكَ للضَّبِّ

فالاستفهام جامع لهما جميعاً ، لكنه أورده على جهة التهكم به والهُزءِ والسخرية. والغرض به الجد .

(**) أبو دُلامة : زند بن الجون . كان منقطعا إلى أبي العباس السفاح ، ثم اتصل من بعده بالمنصور والمهدي . راجع ترجمته في الأغاني ج ١٠/١١٥ — ١٣٥ ، وابن خلكان ١/٢٣٧ — ٢٤١ والشعر والشعراء ٢/٢٧٦ طبع أحمد شاكر والمؤتلف ١٣١ .

وكقول الشاعر : [١]

إذا ما تميميٌّ أتاكَ مُفاخرًا
فقُلْ عدِّ عَنْ ذا كيفَ أكلُكَ للضَّبِّ

---

(١) البيت من شواهد التبيان ١٨٩ وهو لأبي نواس وتحرير التحبير ١٢٩ وراجع الطراز ٣/٨٢

باب

التوشيح *

سُمِّيَ هذا البابُ تَوْشِيحًا لكون أنْ الكلامَ يدُلُّ أوَّلُه على معْنَى آخره، وينْزِلُ المعْنَى بمنزِلَة الوِشَاحِ عليْه، وينزِلُ أوَّلُ الكلامِ وآخِرُه بمنْزِلَة العَاتِق والكَشْح اللَّذيْن يجُولُ عليهما الوشاحُ. مثالُ ذلكَ قولُه تعالى: ﴿ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحًا وآلَ إبْراهيمَ وآلَ عمْرانَ على العَالمين ﴾ (١) فبمجرَّدِ ما يَطْرِقُ السَّمْعَ كلمةُ اصْطَفَى يُفْهم أنَّ آخرَ الكلامِ: «على العَالَمين».

ومثله قول الشاعر: (٢)

فَإنْ وُزِن الحَصَى ووزنْتُ قَوْمِي
وجَدْتُ حصَى ضرِيبتِهِمْ رَزِينَا

فلما أرادَ الشاعر المفاخرةَ برَزَانة الحَصا، وذكر الرَّزَانة عُلِمَ أن القَافيةَ تكونُ «رزِينَا». ويُحْكَى أنه لمَّا أنشدَ عديُّ بنُ الرِّقَاع *** قصيدتَه

(*) أورده قدامة وأبوهلال وابن سنان تحت اسم «التسهيم»، وذكره بهذا الاسم ابن منقذ في البديع ص ٨٩، وابن أبي الأصبع في تحرير التحبير ٢٢٨ والبديع ١٠٩

(١) سورة آل عمران ٣٣

(٢) هو الراعي النميري والبيت في نقد الشعر لقدامة ٦٣ والعمدة ٢/٢٦ وتحرير التحبير ٢٢٩

(*) عدي بن الرقاع: وهو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع. نسب إلى جده الأعلى وهو عاملي من عاملة حي من قضاعة. وكان ينزل الشام. وكان شاعراً محسناً. أحسن وصف الظباء: عاش عصر بني أمية، والتقى بجرير والفرزدق في بلاطهم

راجع ترجمته في: الشعر والشعراء ٢/٦١٨. وطبقات ابن سلام، والمؤلف للآمدي ص ١١٦ ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٥٣ والأغاني ٨/١٧٢، ١٧٧

التي يمدَحُ فيها الوليدَ بنَ عبدِ المَلك ، وكانَ بِحَضْرةِ الخليفةِ الفرزْدَقُ وجَرِيرٌ ، فلمَّا أنشدَ عَدِيٌّ قَصيدتَه وهي التي أولها : (١)

عرفَ الدِّيارَ تَوهُّمًا فاعتادَهَا

حتى أتى إلى قوله :

تُزْجِي أغنَّ كأنَّ إبْرةَ رَوْقِهِ

وسكت الوليد عن الاستماع مقدارا لطيفا ، وعديٌّ ساكت حتى يصغى الوليد فيكمل الانشاد ، فقال الفرزدق وجرير ماذا تراه يقول. ؟ فإني أراه يستلب مثلا ، فقال عديٌّ بنُ الرقاع :

قلم أصَابَ من الدَّواةِ مِدَادَها

فقال الفرزدق : والله لمَّا سمِعْتُ صدرَ بيتِه رَحِمتُه ، فلمَّا أنشدَ عَجُزَهُ انقلَبت الرَّحْمَةُ حسَدًا

والتوشيحُ سُمِّى بالإرْصَادِ * أيضًا ، وسببُ تسميتِهِ بالإرْصَادِ أنَّ الشَّاعِرَ يَبْنِي بيتَه على قافية قد أرصدَها وأعدَّهَا في نفسِه فإذا أنشَد صدْرَ البَيتِ عُرِفَتْ قَافِيتُه . مثالُ ذلِكَ قولُه تعالى : ﴿ وما كانَ النَّاسُ إلا أمَّةً واحِدَةً فاخْتَلَفوا ولولا كَلِمةٌ

(١) أورد ابن قتيبة بعض أبياتها : الشعر والشعراء ٢/٦١٨

(*) سماه صاحب الطراز بالارصاد ٢/٣٢٠

سبقتْ من رَبِّك لقُضِيَ بينَهُم فيمَا كانُوا فيهِ يَختَلِفُونَ ﴾ (١)
فإذَا قَرأَ القارئُ إلى قَوله « ماكانُوا فيــه » عرَفَ أنَّ بعدَه
«يَختَلِفُونَ»، فلِهذَا حسُنَتْ تسميتُه بالإرْصَادْ . وهُو قريبٌ
من بابِ التَّمْـكين الذى تقدَّمَ ذِكْرهُ .

---

(١) سورة يونس ١٩ وراجع الطراز ٢/٣٢١

باب

التنكيت *

التنكيت هو أنْ يذكُرَ المُتكلِّمُ شَيْئًا يُمكن إنْ غيْرُ ذَلِك الشيءُ أن يَسُدَّ مَسدَّهُ لولا [1] نكتةٌ فيه تُرجِّحُ اختصاصه بالذكر دون غيره ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿وأنه هُوَ ربُّ الشِّعرى﴾ [2] فخص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم، وهو رب كل شيء . وسبب نزول هذه الآية أنه كان قد ظهر فى العرب رجل يعرف بابن أبى كبشه عَبَدَ الشِّعرى. ودعا خلقا كثيرا إلى عبادتها ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . يعنى أنه رب الشِّعرى الذى ادعى من ادعى فيها الربوبية .

(*) البابُ فى بديع ابن مُنْقِذ ص ٥٦ و «تحرير التحبير» ٤٩٩ ، و «بديع القرآن» ٢١٢

(١) يقصد أنه يمكن أن يسد غير ذلك الشيء مسده ، وهـذا التعريف حاصل تعريف ابن أبى الاصبع فى التحرير إذ يقول « وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء دون أشياء كلها تسد مسده لولا نكتة فى ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر دون ما يسد مسده». وهذا التعريف بدوره شرح لما اراده منه ابن منقذ بتعريفه وهو «واعلم أن التنكيت هو أن تقصد شيئا دون أشياء بالمعنى من المعانى ، ولولا ذلك لكان خطأ من الكلام وفسادا فى النقد .

(٢) سورة النجم آية ٤٩

ومن هذا البَابِ قَولُ الخَنْسَاء ٭ : (١)

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَأَذْكُرُه لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

وهي وإن كانت تذكر أخاهَا في كلّ وقتٍ فإنمَّا خصّتْ هذينِ الوَقتَيْنِ بالذِّكْرِ دونَ غَيْرِهما لِنُكْتَةٍ وهي المبالغَةُ بوصْفِه بالشّجَاعة والكَرمِ ، كأنمَا تقولُ : أذكُرُ حينَ تَطْلُعُ الشمسُ تقدُّمَهُ في الغَارَاتِ والحمْلَ على العدَا ، واذكُرُه وقتَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عندَ مَظِنَّةِ وفُودِ الأضْيافِ عليهِ وقِرَاهُ لَهُمْ . (٢)

(٭) خنساء بنت عمرو ، واسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد من بني سليم ، من شعراء المخضرمين قالت الشعر في الجاهلية ، وأدركت الإسلام . وفضلها النابغة على حسان وكثير من شعراء عصرها . اشتهرت بمراثيها لأخيها صخر بن عمرو ، وكان شريفاً في بني سليم ، وجرح جرحاً بالغاً في غزاة ، فمات منه ، وما زالت الخنساء تبكيه حتى عميت .

راجع ترجمتها في الأغاني ١٣/١٢٩ — ١٤٠ ، الخزانة ١/٢٠٧ — ٢١١ والشعر والشعراء ١/٣٤٣ . ولها ديوان مطبوع طبع الآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٦م وبمقدمته ترجمة وافية لحياتها .

(١) بديع ابن منقذ ٥٧

(٢) يورد نص تحليل ابن منقذ للنكتة في الآية والبيت .

باب

براعة الاستهلال *

ويُسَمَّى حُسْنَ الابْتِدَاءَاتِ ، وهُوَ من نُعُوتِ الألْفَاظِ ، وهُوَ أنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الكَلامِ دَالاً على المقصودِ من حُسْنِ الابْتِدَاءِ . كما قَالَ بعضُ عُلَمَاءِ البيانِ : « أحْسِنُوا معَاشِرَ الكُتَّابِ الابتدَاءَاتِ فإنَّهُنَّ دلائِلُ البَيَانِ » .

ويجب على المُنْشِيءِ أنْ يَحْتَرِزَ في أوَّلِ كِتَابِهِ أو قَصِيدَتِهِ من ذِكْرِ ما يُتَطَيَّرُ مِنْهُ ، أو مَالا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ في المطلع إلا بكلفةٍ ، وأنْ يتأمَّلَ أحْوَالَ الممْدُوحِ فيتجنَّبُ ما يكرهُ الممْدُوحُ ذِكْرَهُ ويَتَعَدَّى إلى غَيْرِهِ ، لأنَّ الابتدَاءاتِ أولُ ما يطْرقُ السَّمْعَ ، فينبغِي أنْ تَكُونَ مُنَاسِبةً للمعنى المطلوب غير أجنبية ولا مكروهة للسامع . مثال حسن الابتداءات قول مهيار الديلمي **

(*) يرد هذا النوع بأسماء مختلفة : واجع عيار الشعر لابن طباطبا ١٢٢ ، ويسميه ابن أبي الاصبع «حسن الابتداءات» ، كما ذكر أنه قد يسمى براعة الاستهلال» ولعل التيفاشي سماه كذلك ، أو الحاتمي في حلية المحاضرة ، وسماه ابن منقذ المبادى والمطالع ص ٢٨٥ البديع . والطراز ٢٦٦/٢ .

(**) مهيار الديلمي : مهيار بن مرزويه الديلمي . كاتب شاعر فارسي الأصل . كان مجوسيا وأسلم على يد الشريف الرضي وتخرج عليه في الشعر . وتوفي ببغداد .

أما وهواها غدرةً وتنصُّلاً

لقدْ نقلَ الواشي إليها فأمحلاَ

سعَى جهدَهُ لكنْ تجاوزَ حدَّهُ

وكثَّر فارتابتْ ولو شاءَ قلَّلاَ

وكما قال أشجع السلمي * : (١)

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ نشرتْ عليهِ جمالَها الأيامُ

وقولُ أبي تمام : (٢)

يا بُعْدَ غايةِ دمعِ العينِ أنْ بَعُدُوا

هيَ الصَّبابةُ طولَ الدَّهرِ والكَمَدُ

وقول البحتري : (٣)

بودِّيَ لو يَهوَى العَذُولُ ويَعْشَقُ

ليعلمَ أسبابَ الهوى كيفَ تعلَقُ

وقول المتنبي : (٤)

---

(١) بديع ابن منقذ ٢٨٦ ، وراجع الطراز ٢/٢٧٧

(٢) تحرير التحبير ١٧٠

(٣) المصدر نفسه ١٧١

(٤) ديوان المتنبي ص ٢٢٤ ط عزام مطلع قصيدة يمدح بها أبا العشائر

(*) أشجع السلمي : أشجع بن عمرو . من بني سليم . من شعراء صدر الدولة العباسية . اتصل بالبرامكة ومدحهم بأشعار كثيرة جيدة وكذلك مدح الرشيد .

راجع ترجمته في الموشح ٢٩٥ ، والأغاني ١٧/٣٠-٥١ ، وتاريخ بغداد ٧/٤٥ والشعر والشعراء ٢/٨٨١ .

أتراهـا لـكثرةِ العُشّـاقِ   تحسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المآقِي

وأما ما قيل من سوءِ الابتداءات فكقولِ ذى الرُّمة (*) من قصيدةٍ يمدحُ فيها ، فابتدأ بقوله :

ما بالُ عَينِكَ مِنْها المَاءُ ينسَكِب (١)

فالخطاب بهذا الاستفتاح لا يخفى على أحد ما فيه من القبح .

[ومنه] حكايةُ أبي نُواسَ لمَّا مدحَ الفَضْلَ بنَ يحْيَى بقصيدة أوّلها : (٢)

أَربْعَ البِلَى إنَّ الخُشُوعَ لبَادِى

فتطير الفضلُ بنُ يحيَى من هذا الابتداء ، فلما أنتهى إلى قوله :

سلامٌ علَى الدُّنيـا إذَا ما فُقِدْتمُ

بَنِي بَرْمَكٍ من رَائِحِينَ وغَادِ

استحكمَ تَطَيُّرُ الفَضْلِ بنِ يَحْيَى ، فلمْ يمضِ ذلك الأسبوع حتَّى نُكِبَ .

---

(١) ديوان ذى الرمة ص ١ وراجع عيار الشعر ص ١٢١ وعجز البيت « كأنه من كلى مفرية سرب » ، الطراز ٢/ ٢٨٠ .

(٢) عيار الشعر ١٢٢ وبقيـة البيت « عليك وإنى لم أخنك ودادى » ، وراجع بديع ابن منقذ ٢٨٥ .

(*) ذو الرمة : غيلان بنُ عُقْبة ، من شعراء عصر الأمويين ، عرف بغزله بمى صاحبته قال جرير عن شعره : أبعار غزلان ونقط عروس . كان ينشد شعره فى البصره راجع ترجمته فى : طبقات ابن سلام ، والشعر والشعراء ١/ ٥٢٤ ، الأغانى ١٦/ ١٠٦ـ ١٢٥ وابن خلكان ١/ ٥١٠ ، وخزانة الأدب ١/ ٥٠

ومما جاءَ من سُوءِ الابتــداءات أيضاً قولُ إسحاق النديم المنصُور (١) فى قصيدة يُهنّيه فيها بِبناءِ القَصْر الذى أنشأه فقالَ فى أوّلها :

يا دارُ غيَّركِ البِلىومحَاكِ   يا ليتَ شِعْرِى ما الّذىأبْلاكِ

فتطيّر المنصُورُ من هذا المَطلع تطيُّراً كثيراً ، وربّما حرمه الجائزة .

وكذلك ورد لأبى نواس : (٢)

يادَارُ ما صَنَعتْ بِكِ الأيّامُ

لمْ يَبْقَ فيكِ بشَاشَةٌ تُستَامُ

ومما جاء من الألفاظ المغلقة فى سوء الابتداء قول أبى تمام : (٣)

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى بديع ابن منقذ أن المعتصم تطير لما مدحه ابن ابراهيم الموصلى وهو إسحاق . وقال صاحب الطراز : ويحكى أن المعتصم لما فرغ من بناء قصره بالميدان وأعجب به جمع أهله وأصحابه فيه وأمرهم أن يخرجوا فى زينتهم، فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم . وأستاذنه ابراهيم بن إسحاق الموصلى فى الإنشاد فأذن له فأنشده قصيدة أجاد فيها كل الإجادة خلا أنه افتتحها بافتتاح قبيح لا يلائم ما هو فيه .. ويورد البيت» . ثم عقب بقوله: فتفاءل الناس به وتطير به المعتصم ، وعجبوا من عقل ابراهيم كيف غفل عن مثل ذلك (الطراز ٢/٢٧٩) .

(٢) ديوانه والطراز ٢٧٩/٢٨٠

(٣) هكذا فى الأصل وتتمته

قدْكَ اتّئبْ أربيتَ فى الغُلَواءِ   كم تَعْذِلُونَ وأنتم سُجَرائى

وقدك بمعنى يكفيك واتئب استحى ، والسجراء الأخلاء .

قَدْكَ اتَّئِدْ أسرفْتَ فى الغُلَواءِ .

فانظر ما أشنع لفظ هذا المطلع .

وأما براعة الاستهلال فهى كُلُّ كلامٍ دَلَّ أولُه علىَ المعنَى المقصُودِ منه كما تقدم ذكره . وأمثاله كثيرة فى الخطب والرسائل والقصائد ، وغير ذلك من أنواع الكلام .

ومن حُسْنِ براعة الاستهلال قولُ الخياط المكى : (١)

لستُ بكفِّى كفَّهُ أبتَغِى الغِنَى
ولم أدْرِ أنَّ الجُودَ مِن كفِّه يُعْدِى

فلا أنَا مِنْه ما أفَادَ ذَوُو الغِنَى
أفدْتُ وأعْدَانِى فأتْلَفْتُ مَا عِنْدِى

وأحسن منه قول البحترى : (٢)

أعدت يدَاهُ يَدِى وشَرَّدَ جُودُه
بُخْلِى فَأفْقَرنِى كمَا أغْنانِى

ووثِقْتُ بالخُلقِ الجَميلِ مُضَاعفاً
منهُ فأعطيْتُ الَّذِى أعْطَانِى

(١) فى تحرير التحبير لمحمد بن الخياط ص ١٧٢ ، راجع الوساطة ص ٢٢٣ والتبيان فى شرح الديوان ٣/٢٣٦

(٢) الشاهد فى تحرير التحبير ص ١٧٢ ورواية البيت الثانى

ووثقت بالخلق الجميل معجلا

وكذلك أورده ابن منقذ فى باب التلطف ص ٢٨٤

ورواية الديوان — تحقيق الصيرفى جـ ٤ ص ٢٥٥

« ووثقت بالخلف الجميل معجلا »

باب

الاستقصاء *

والاستقصاءُ هوَ أنْ يتناولَ الشَّاعِرُ معنًى فيستقصيه بحيثُ لا يتركُ فيه شيئًا يُقال إنَّه يحتاجُ إليه. مثالُ ذلكَ قولُ ابنِ الرُّومي: (١)

وحَديثُها السِّحرُ الحلالُ لو انَّهُ
لم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المتَحَرِّزِ

إنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ وإنْ هِيَ أوجَزَتْ
ودَّ المُحَدَّثُ أنَّها لم تُوجِزِ

شَرَكُ العُقُولِ وفِتْنَةٌ ما مِثْلُهَا
لِلمُطْمَئِنِّ وعُقْلَةُ المستَوْفِزِ

فلم يترك نوعا من أنواع الحسن إلا وصف به هذا الكلام.

(*) هو الباب التاسع والتسعون فى تحرير التحبير ص ٥٤٠

(١) تحرير التحبير ٥٤٠

باب

التوليد *

وهو على ضربين : ضرب يتعلق بالألفاظ ، وضرب يتعلق بالمعاني .

فالمتعلق بالألفاظ هو أن يضم المتكلم كلمة إلى كلمة فيتولد منهما كلام ليس هو غرض المتكلم لكن ينتج من تلك اللفظتين ، فاحتاج المتكلم أن يتكلم على ما نتج من اللفظتين . مثال ذلك قول بعض الشعراء (١)

كأن عذاره في الحسن لام
ومبسمه الشهي العذب صاد

وطرة شعره ليل بهيم فلا عجب إذا سرق الرقاد

وأما المتعلق بالمعاني فهو أن يذكر المتكلم معنى من المعاني ويلحقه بما هو من لوازم ذلك المعنى مثال ذلك قول ابن الساعاتي :

(*) الباب في تحرير التحبير ٤٩٤

(٢) تحرير التحبير ٤٩٤ . قال ابن أبي الاصبع « فان هذا الشاعر ولد من تشبيه الفم بالصاد لفظة لص وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل في البيت توليد وإغراب وإدماج » .

وينسبه إلى بعض العجم – راجع خزانة الأدب لابن حجة ص ٣٥٩

أصْبَحتَ مذْهَبكَ السَّماحةُ والنَّدى

فالحمدُ لا يُخْشَى عَليكَ خلافُه

فلما ذكر أن مذهبه السماحة والندى ، كان من لوازم من كانَ مُتَّصفًا بالسَّمَاحَة والنَّدَى أنْ يَكُونَ الحمْد جزَاءَهُ . فألحَقَ هذا المعْنَى بما هُو من لوازمِه . ومثلُه قولُ الشَّاعرِ :

قالُوا به رَمَدٌ يَشْتَكِي لواحِظَهُ

فلا يَخافُ على قَلْبٍ ولا كَبِدِ

قُلْتُ احذَرُوا مقْلَتَيْهِ فَهي قَاتلةٌ

وضَعْفُها الآنَ يُنْجِيها من الكَمَدِ

ألم تَرَوْا عَارِضَيْهِ كيفَ قدْ لَبِسَا

من خَوفِ عَارِضه ثَوبا من الزَّرَدِ

إنَّ السِّنَانَ مخُوفٌ وهوَ مُخْتَبِئٌ

والسَّيْفُ يقْطَعُ منه الحدُّ وهوَ صَدِي

ومن التوليد قولُ ابنِ السَّاعَاتي : (١)

ولو لم تكنْ سِحْراً سُيُوفُ جُفُونِهِ

لمَا جَرحَتْ قَلبي وفى خدِّه الدَّمُ

وأعجبُ مِنْهـا أَنَّ مِرآةَ وَجهِهِ

أُقَابِلُهَا أَبْكِي دَمًا وهيَ تَبْسِمُ

ويحكى من هذَا النَّوع أن مُصْعَبَ بنَ الزُّبيرِ وسَمَ خيْله بلفظة

---

(١) ديوان ابن الساعاتي ٢ ص ٤ من مقطوعة ثلاثة أبيات

« عُدَّة » . فلما قتله الحجاج وأخذَ الخَيْلَ وسمَ عليها إلى جانب لفظة عُـدة « الفرَار » ، فتولَّد من اللفظين معنى غيرُ ما أراده المُتكلم الأول ، فإنَّ مصْعَبًا إنما أرادَ بقوْله : « عُدّةً » يعني « عُدّةَ الحَرْب قصْدًا للشجاعة فلما قُتِلَ وأضافَ الحجاجُ إلى جانبها « الفرار » صار المعنى يُعْطِي ضدَّ ما أرادهُ مُصْعَب ، وهو الذّلّة والهروب . (١)

---

(١) بديع ابن منقذ ص ٢٨٤ وتحرير التحبير ٤٩٤

باب

النوادر *

ويُسمَّى هذا البابُ بالإغراب (١) وهو أن يأتى المُتكلِّمُ بمعنى غَرِيبٍ نادِرٍ لم يُسْمَعْ بمثلِه أو سُمِعَ وهو قليلُ الاستعمال . مثال ذلك قولُ أبى تمام : (٢)

إقْدامُ عَمْرٍو فى سَماحَةِ حاتِمٍ
فى حِلمِ أحنَفَ فى ذَكاءِ إيَاسِ
لا تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَهُ
مثلاً شَرُوداً فى النَّدى والبَاسِ
فاللهُ قدضَرَبَ الأقلَّ لنُورِهِ   مَثَلاً من المِشْكَاةِ والنِّبراسِ

(*) الباب فى تحرير التحبير رقم ٩٢ ص٥٠٦ وأورده ابن منقذ تحت اسم « الأغراب ص ١٣٢

(١) يقول ابن أبى الاصبع « وهو الذى سماه قدامة قديما « الأغراب والطرفة » ، وسماه من بعده « التطريف » وسماه قوم « النوادر » ، وقوم أبقوا عليه تسمية قدامة وأفردوه بابا فتبعتهم فى ذلك » .

(٢) فى بديع ابن منقذ ص ١٣٣ وتحرير التحبير ٥٠٧ ولم يورد البيت الأول .

وراجع ديوانه ص ١٧٤ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم مطلعها :

ما فى وقوفِكَ ساعةً من باسِ   نَقْضِى ذِمامَ الأرْبُعِ الأدْرَاسِ

باب

التدبيج *

والتدبيج أن يذكر المتكلم كلاما من نوع الكناية أو التورية يكنى به عما يريد وصفه. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ﴾ (١) والمراد بهذه الكلمات في هذه الآية الكريمة الكناية عن المشبه والواضح من الطرق، لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك فيها جداً حتى تصير أوضح الطرق، وتسمى المحجة البيضاء، ودون ذلك الطريق التي هي قليلة السلوك وتسمى الحمراء، ودون ذلك الطريق التي لم تسلك وتسمى السوداء. فإن الألوان الثلاثة الأبيض والأحمر والأسود طرفان وواسطة، فالطرف الأعلى في الظهور هو البياض والطرف الأسفل في الخفاء هو السواد، والأحمر هو المتوسط بينهما على حكم وضع الألوان في التركيب. ولما كانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الثلاثة ألوان أتت الآية الكريمة على هذا

(*) تحرير التحبير ٥٣٢ والطراز ٧٨/٣ . قال : « ومعناه أن تذكر في الكلام ألواناً من الأصباغ تدل على المدح والذم واشتقاقه عن الديباج ، وهو نوع من الحرير »

(١) سورة فاطر آية ٢٧

التّقسيم (١) .

ومن التدبيج قول الشاعر : (٢)

إن تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عنْ يَقِينٍ
فالْقَهُمْ فى مَنَازِلٍ أو نِزَالِ

تَلْقَ بِيضَ الأَعْرَاضِ سُودَ مُثَارِ النَّقْـ
ـعِ خُضْرَ الأَكْنافِ حُمْرَ النِّصَالِ

وقول الآخر :

إذَا سُودَّ خَطْبٍ دُونَه المَوْتُ أَحْمَرُ
أَتَتْ بالأَيادِى البيضِ أعلامُه الصُّفْرُ

(١) كلامه ها هنا مأخوذ بجملته من ابن أبى الاصبع ، وقد ذهب ابن أبى الاصبع إلى أن هذا الباب من مخترعاته .

(٢) هو ابن حيوس الدمشقى ص ٥٢٣ تحرير التحبير ورواية عجز الأول :

فالقهم يوم نائل أو نزال

وكذلك أورده صاحب الطراز ٧٩/٣ وصدر البيت الثانى روايته :

تَلْقَ بيض الوجوه سُودَ مَثَارٍ ..

وذكر صاحب الطراز أن من التدبيج ما يكون واردًا فى المدح ومثاله البيتان السابقان. ومنه ما يرد فى الذم. ومثاله ما قاله بعض الشعراء :

وأحببتُ من حُبِّها الباخلينَ ... حتى ومقتُ ابنَ سَلْمٍ سَعِيدا

إذا سيل عرفًا كسا وجهَهُ ... ثيابًا من اللؤم بيضًا وسودًا

بابُ

حصر الجزئى والحاقه بالكلى (*)

وهو أن يُعَظِّمَ المُتَكلمُ جنسًا من أنواعِ الكلامِ ويحصُر فيه الأنواعَ المستغرقةَ لنوعِ ذلكَ الجنسِ حتّى يُبالغَ فيه . مثالَ ذلكَ قولُ الشاعر : (١)

فبشّرتُ آمالِي بِمَلِكٍ هو الوَرَى
ودارٍ هِيَ الدُّنيا ويومٍ هُوَ الدَّهرَ

فعظَّمَ الممدُوحَ بأنْ جعَلَه كلَّ النَّاسِ وهُو جزءٌ مِنَ النَّاسِ ، وفخَّمَ أمرَ دَارِهِ الّتِي قَصدَهُ فِيها حتّى جعَلها الدُّنيا ، وهِي جزءٌ مِن الدُّنيَا ويومَه الذِي لَقِيَهُ فيه حتّى جعَلَهُ الدَّهرَ وهو جُزءٌ من الدَّهرِ . فهذَا هُو حصْرُ الجُزئِيّ والحاقُه بالكُلّيّ .

(*) الباب بتحرير التحبير ص ٦٠٠ وهو من مخترعات ابن أبى الاصبع.

(١) الشاعر هو السلامى ، وأورد ابن أبى الاصبع بيتين قبل هذا الشاهد هما :

إليك طوى عرض البسيطة جاهدٌ   قصارى المطايا أن يلوح لها القصر
وكنت وعزمى فى الظلام وصارمى   ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر

باب

الإبـــداع *

الابداع أن يأتىَ المتكلمِ فى كلامِهِ بأنواعٍ من البديعِ فى قليلٍ منَ اللفظِ. وربما كان فى كل كلمة ضربٌ من البديع أو ضربانِ، ومتى لم تكنْ كلُّ كلمةٍ بهذهِ المثابةِ فليستْ بإبداعٍ. وقد وردَ فى الكتابِ العزيزِ ما لا يُحصَى كثرةً حتى لقدْ تضمنتْ آيةٌ واحدةٌ واحدًا وعشرينَ بابًا من البديعِ، وهى قولُه تعالى : ﴿وقيلَ يا أرضُ ابلعِي ماءَكِ ويا سماءُ أقلِعِي، وغيضَ الماءُ وقُضِيَ الأمرُ واستوتْ على الجودىِّ وقيلَ بُعْدًا للقومِ الظالمينَ﴾ (١).

ففى هذهِ الآيةِ : المُناسبةُ والمطابقةُ ، والمجازُ والاستعارةُ ، والإشارةُ ، والتمثيلُ والإردافُ والتعليلُ ، وصحةُ التقسيمِ ، والاحتراسُ ، والإيضاحُ والمساواةُ وحسنُ النسقِ ، والإيجازُ والتسهيمُ ، والتهذيبُ ، والتمكينُ ، والتجنيسَ ، والمقابلةُ ، والذمُّ والوصفُ .

فأما المناسبةُ فهى موجودةٌ فى قولهِ : « أقلعِى » ، « وابلعِى » . أما

(*) ذكرَ ابنُ أبى الإصبعِ أنهُ من مخترعه وإنْ لمْ يسلم لهُ فقد سبقه إليه بعض علماء البديع راجع تحرير التحبير ٦١١

(١) سورة هود آية ٤٤

المطابقة فذكر الأرض والسماء ، وأما المجاز فقوله: «يا سماء» والمراد: «يامطر» . والاستعارة قوله: «أقلعي» والإشارة قوله: «وغيض الماء»، فإنها إشارة إلى معان كثيرة . والتمثيل قوله: «وقضي الأمر»، فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظة فيها بعد عن لفظة المعنى الموضوع له .

والإرداف قوله: «واستوت على الجودي» . فقوله: «استوت» كمل الكلام، (وردّ) «الجودي» مردفا، قصدا للمبالغة في الجلوس بهذا المكان . والتعليل: فإن «غيض الماء» علة الاستواء، وصحة التقسيم فإنه تعالى استوعب أقسام الماء في حالة نقصه إذ ليس إلا احتباس ماء السماء، واحتقان ماء الأرض، وغيض الماء حاصل على ظهرها . والاحتراس قوله: «وقيل بعدا للقوم الظالمين» وهو أيضا الذم لهم والدعاء عليهم بهذه الجملة المعترضة . والإيضاح قوله: «للقوم»، ليبين أن القوم هم القوم الذين سبق ذكرهم في الآية المتقدمة . حيث قال: ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾. فالألف واللام في «القوم» هي للعهد إذ لو سقطت لفظة القوم هاهنا لحصل بسقوطها لبس في المعنى . والمساواة ، لأن لفظ الآية مساو لمعناها . وحسن النسق، لأنه سبحانه وتعالى عطف قضايا بعضها على بعض . والإيجاز ، لأنه سبحانه وتعالى قص القصة بلفظها القصير مستوعبا المعاني الجمة . والتسهيم ، لأن أول الآية : «يا أرض ابلعي» فاقتضى آخرها «ويا سماء أقلعي» . والتهذيب،

لأنَّ مفرداتِ الألفاظِ موصوفةٌ بكمالِ الحُسْنِ، كلُّ لفظةٍ سهلةُ مخارجِ الحُروف، عليها رونقُ الفصاحةِ وحسنُ البيان، والتمكينُ، لأنَّ الفاصلةَ مستقِرَّةٌ في قرارِها مطمئنَّةٌ في مكانِها. والتجنيسُ بين قوله تعالى: «اقلعِي»، «وابلعِي»، والمقابلة بين قوله: «يا أرضُ ابلعِي»، «ويا سماءُ أقلعِي». والوصفُ لأنَّه سُبحانه وتعالى قصَّ القصَّةَ ووصفها بأحسنِ وصف، بحيثُ استعمَل نعُوتَ ألفاظِها وصفاتِ معانيها، فما أعظمَ إعجازَها من آية، عِدَّةُ ألفاظِها تسعةَ عشرَ لفظةً، فيها واحدٌ وعشرُونَ بابًا من البديع.

باب

التكميل *

التكميل هو أن يرد المتكلم على المعنى التام فيكمله بمعنى زائد على التمام، مثال ذلك قول الشاعر : (١)

حَلِيمٌ إذَا مَا الحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ
مَعَ الحِلْمِ فِي عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ

فوصفه بالحِلْمِ، وهذا معنى، ثم رأى وصفه لمُجَرَّدِ الحِلْمِ دُونَ غَيْرِه، رُبَّما يَطْمَعُ فيه عدُوُّه فقال «مع الحِلْمِ فِي عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ».

(*) هذا الباب بتحرير التحبير ص ٣٥٧

(١) هو كعبُ بنُ سعد الغنوي كما ذكرهُ ابنُ أبي الإصبع في المرجع السابق.

باب

المواربة *

المواربةُ حقيقتها أنْ يقولَ المتكلّمُ قولاً يتضمّنُ ما يُنكَرُ عليه ، فيستعدُّ لمَا يتخلّصُ مِن الإنكارِ بجوابٍ حاضرٍ أو حُجّةٍ بالغَة ، أو تصحيفِ كلمةٍ أو تحريفها أو زِيادة أو نقْص .

مثال ذلكَ قولُ الشّاعرِ فى المفاخرة : (١)

فإنْ يَكُ منكُمْ كانَ مرْوانُ وابنُه
وعَمْرٌو ومنكُمْ هاشِمٌ وحَبيبُ

(*) هذا الباب ببديع القرآن ص ٩٤

(١) هو عتبان الحرورى ، وهو عتبان بن أصيلة ، وأصيلة أمه . من شراة الجزيرة (الحرورية) والبيتان من أربعة أبيات أوردهما المرزبانى فى الموشح ص ٢٦٦

ورواية البيت الثانى :

فمِنّا سُوَيْدٌ والبُطينُ وقَعْنَبٌ
ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ

يقصد شبيب بن يزيد الأنصارى وسويد بن سليم بن خالد الشيبانى ، والبطين من بنى عمرو بن محلم . وقعنبُ منهم .

فمِنّا حُصَيْنٌ والبُطَيْنُ وقَعْنَبٌ
ومِنَّا أمـيرَ المُؤْمِنينَ شَبِيبُ

فلمَّا بَلغَ هذا الشِّعْرُ هاشِمًا طَلَبَ الشَّاعِرَ وقالَ له : أنتَ القائِلُ « ومِنَّا أميرُ المُؤمِنينَ شَبِيبُ » . فقالَ : ما قُلْتُ إلاَّ : « ومنا أميرَ المُؤْمِنينَ » بفتحِ الرَّاءِ يعني يا أميرَ المؤمنين .

باب

العنوان *

وهوَ أنْ يأخُذَ المُتَكَلِّمُ فى غَرضٍ فيأتى فى ضِمْنِه بأخْبارٍ مُتَقدِّمةٍ تُلائِمُ ما هُوَ آخِذٌ فيه وتكونُ كالعُنْوانِ لِمَا مَضَى من القَصَصِ والأخْبَارِ . مِثالُ ذَلِكَ قولُ أبِى تَمَّام فى استِعْطَافِ مالِكِ بنِ طَوْق لقَوْمِه : (١)

رفَدُوكَ فى يَوْمِ الكُلابِ وشَقَّقُوا
فيه المَزادَ بِجَحْفَلٍ غَلاّبِ

فمضَتْ كُهُولُهُم فدبَّر أمْرَهُمْ
أحْداثُهم فِى الدِّينِ غيرَ صَوابِ

لكَ فى رَسُولِ اللَّهِ أعْظَمُ أسْوَةٍ
وأجَلُّها فى سُنَّةٍ وكِتَابِ

أعْطَى المُؤَلَّفَةَ القُلُوبِ رِضَاهُمْ
كَمَلاً وردَّ أخَايِذَ الأحْزَاب

(*) تحرير التحبير ٥٥٣ وبديع القرآن ٢٥٧

(١) الأبيات فى تحرير التحبير ٥٥٤ ولم يورد المؤلف الأبيات كلها . وراجع ديوان أبى تمام ص ١٨ .ولم يورد الأبيات كما جاءت فى القصيدة بالديوان . وجواب لقب لمالك بن كعب ورواية البيت الأخير « عن ذكر أحقاد وذكر ضباب » . ورواية المؤلف مماثلة لرواية الديوان .

والجعفريّون استقلّت ظعنهم
عن قومهم وهم نجوم كلاب

حتّى إذا أخذ الفراق بقسطه
فيهم وشطّ بهم عن الأحباب

ورأوا بلاد الله قد لفظتهم أكنافها رجعوا إلى جوّاب

فأتوا كريم الخيم مثلك صافحا
عن ذكر أحقاد مضت وضباب

ففي هذه الأبيات من عنوان السيرة النبوية وأيام العرب «كيوم الكلاب[١]»، وأخبار بني جعفر (بن كلاب) مع ابن عمّهم جوّاب ما لا يحصى كثره.

(١) الزيادة من تحرير التحبير ص ٥٥٥ ، ويوم الكلاب : يوم لتغلب في الجاهلية . ومالك بن طوق تغلبي .

باب

التعليـــل *

وهو أن يذكر المتكلم شيئا حُكْمه واقِعٌ أو مُتوَقَّعٌ ، فيقدِّمُ قبْلَ ذِكْرِه علة وقُوعِه ، لأنَّ رتبَة العِلّةِ مُقدَّمَةٌ على المعْلُول مثال ذلك قولُه تعالى : ﴿ لولا كِتابٌ من الله سَبَقَ لمسَّكُمْ فيما أخذتُم عذابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) . فسبقُ الكِتَابِ من الله عِلّةٌ في النَّجَاةِ من العَذابِ .

(*) تحرير التحبير ٣٠٩، والعمدة ٢/٨٢ ط محيى الدين.

(١) سورة الأنفال آية ٦٨

باب

الاطـراد *

وهو أن يطرد المتكلم فى أسماء متوالية تزيد الممدوح بها تعريفا وتأتى متسقة صحيحة التسلسل ، غير منقطعة ، ولا متكلفة . مثال ذلك قول الشاعر :

أصَحُّ وأقوَى ما رَوَيناهُ فى النَّدَى
من الخَبَرِ المأثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أحاديثُ تَرْوِيها السُّيُولُ عن الحَيَا
عن البَحْرِ عنْ كفِّ الأميرِ تَمِيمِ

(*) تحرير التحبير ۳٥٢ والعمدة ۲/۸۲ط محيى الدين

ويقول ابن رشيق : ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة ولا حشو فارغ ، فانها إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر .

باب

المناسبة *

وهو ينقسم على ضربين : ضربٌ فى الألفاظ ، وضرب فى المعانى .

فأما المناسبةُ المعنويةُ فهو أنْ يكونَ ما فى آخرِ الكلامِ من قافيةٍ أو غيرِها مُناسِبًا للمعنى الآخذ فيه المُتكلمُ ، لا يكون بعيدًا عنه .

مثال ذلكَ قولُه تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ من القُرُونِ يَمْشُونَ فى مَسَاكِنِهِمْ ، إنَّ فى ذَلكَ لآياتٍ ، أفلا يَسْمَعُونَ ، أو لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأرضِ الجُرُزِ فنُخْرِجُ به زَرْعًا تأكُلُ مِنْه أنعامُهُم وأنفُسُهُمْ ، أفلا يُبْصِرُونَ ﴾ (١) فلمَّا ذَكَر فى صَدْرِ الآيةِ الأولى تاريخَ الأوَّلين ، وذلك لمْ يُدْرَكْ إلاَّ بالسَّمْعِ ، فحسُن أنْ يقولَ فى تمامِ الآية « أفلا يَسْمَعُون » ، ولما صوَّر فى الآيةِ الثَّانية سَوْقَ الماءِ وإخْراجَ الزَّرْعِ وأكلَ الطَّعامِ ، وذلك كلُّه مما يُدْرَكُ بحاسَّةِ البصر حَسُنَ أنْ يكُونَ تمامُ الآية « أفلا يُبْصِرُونَ » .

أما المناسبةُ اللَّفظيةُ فهو أن يقصِدَ المُتكلِّمُ أنْ يأتِىَ

(*) تحرير التحبير ٣٦٣

(١) سورة السجدة آيات ٢٦ ، ٢٧

بالكلماتِ مُتوازناتٍ وهذا النَّوْعُ ينقسِمُ إلى قسمين : قسمٌ تامٌّ ، وقِسْمٌ غيرُ تامٍّ ، فالتَّامُّ أنْ تأتِيَ الكلماتُ المتوازِناتُ مقفَّاةً . وغيرُ التَّامِّ عكسُ ذلك . مثالُ الأول قولُه تعالَى : ﴿ ن ، والقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ ﴾ الآية . فهذه كلماتٌ متوازِناتٌ مقفَّاةٌ متناسباتٌ . ومثالُه قولُهُ تعالى : ﴿ ق . والقرآنِ المَجِيد ، بَلْ عجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُم ، فقالَ الكافِرُون هذا شَيءٌ عَجِيبٌ ﴾ (١) . فهذه كلمات متوازنات غير مقفاة وهي ضد النوع الأول .

(١) سورة ق آية ١ ، ٢

باب

الموازنة *

وهو أن تأتى الجملةُ من الكلام أو البيت من الشّعر متزنَ الكلمات ، مُتعادلَ اللّفظاتِ فى السَّجْع . والتَّجزئةِ ، مثالُ ذلكَ قولُ امرىءِ القيْس : (١)

أفادَ وسَادَ وقَادَ وزَادَ   وشَادَ وجَادَ وزَادَ وأفضَل

وقولُ الآخر :

وهوبٌ مهيبٌ رحيبُ الفنَاءِ   ربيعٌ مَريعٌ رفيعُ الذرى

والفرق بين الموازنة والمماثلة التزام السجع فى الموازنه ، وخلو المماثَلةِ منه . والفرقُ بين الموازنة أيضا وبين التجزئة مُخالَفةُ السَّجْع فى آخرِ التَّجْزِئة ، ومشَابهَةُ السَّجْعِ فى آخرِ المُوازنةِ .

(*) بتحرير التحبير ٣٨٦ وورد بالجامع الكبير لابن الأثير . وحاصل كلامه هنا من تحرير التحبير .

(١) فى الأصل البيت غير صحيح وصححه من تحرير التحبير .

باب

التذييل *

وهو أن يذيّلَ المتكلّمُ كلامَه بجملةٍ يُحقّقُ بها ما قبلَها من الكلامِ . وتلكَ الجملةُ على قسمين : قسمٌ لا يزيدُ على المعنى الأول . وإنما يُؤتى به للتأكيد والتحقيق وقسمٌ يُخرجهُ المتكلّمُ مخرجَ المثلِ السائرِ ليُحقّقَ به ما قبلَهَ مما تضمّنَ زيادةً في المعنىَ . ، مثالُ ذلكَ قولُه تعالى : ﴿ إنَّ اللّهَ اشترى من المؤمنينَ أنفسَهُمْ وأموالَهُمْ بأنّ لهم الجنّةَ ، يُقاتِلُونَ في سبيلِ اللّه فيَقتُلُونَ ويُقتَلُونَ وعداً عليه حقّاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ، ومن أوفىَ بعهدِه منَ اللّهِ ، فاستبشِرُوا ببيعِكُم الّذي بايعتُمْ بِه ﴾ (١) . فهذه الآيةُ الكريمةُ تضمنتْ القسمَين من التذييل ، أحدُ القسمَينِ قولُه تعالى : ﴿ وعداً عليه حقّاً ﴾ فقد تم الكلامُ ثمَّ أتَى سُبحانَهُ بهذِه الآيةِ تحقيقاً لِما سَبَقَ ، والآخرُ قولُه سبحانَه وتعالىَ : ﴿ ومنْ أوفىَ بعهدِه منَ اللّه ﴾ ، فخرَجَ هذَا الكلامُ مخرجَ المثَلِ السائرِ لتحقيقِ ما تقدّمَهُ . ومنْ هذَا النّوعِ قولُ ابنِ نُباتةَ السّعديّ : (٢)

(*) تحرير التحبير ٣٨٧

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) ديوان ابن نباتة ص ٤١١ طبع التمدن ١٣٢٣ هـ وتحرير التحبير ٣٨٦

لم يُبْقِ جودُكَ لى شيْئاً أُمّلُهُ

تركتنى أصْحَبُ الدنيا بِلا أمَلِ

فبقوله : « لم يُبْقِ جودُكَ لى شيئاً أُمّلُه » تمَّ الكلامُ . وقوله : « تركتنى أصْحَبُ الدُّنيَا بِلاَ أملِ » تَذْيِيلٌ حسَنٌ .

باب

الاستثناء والاستدراك *

فأما الاستثناءُ فهوَ ينقسمُ إلى قسمينِ ، لُغَوىّ وصِناعِىّ فاللغوىُّ إخراجُ القليلِ من الكثيرِ والصناعىُّ هو الذى يفيدُ بعد إخراجِ القليلِ من الكثيرِ معنىً زائدًا يُعَدُّ من محاسنِ الكلامِ مثالُ ذلكَ قولُه تعالى : ﴿ فسجدَ الملائكةُ كلهمُ أجمعُونَ إلا ابليسَ أبىَ واستكبرَ ﴾ (١) ، فبقوله : « إلاَّ إبليسَ » ، قدْ تمَّ الكلامُ ، وأبىَ واستكبر هو تعظيمٌ للمعصيةِ ، وهذا معنًى زائدٌ على مقدارِ الاستثناء .

ومثلُه قولُ الشاعرِ (٢) :

إليكَ وإلاَّ لا تُشَدُّ الركائبُ
وعنكَ وإلاَّ فالمُحدِّثُ كاذبُ

وفيكَ وإلاَّ لا تُقَالُ مَديحَةٌ
ومنكَ وإلاَّ لا تُعَدُّ المَواهِبُ

(*) أورده ابن أبى الاصبع فى تحرير التعبير فى بابين منفصلين ، الاستثناء ص ٣٣٣ والاستدراك ٣٣١ ، وأورده ابن رشيق فى العمدة ٢/٤٨ ، وبديع القرآن ص ١٢١

(١) سورة الحجر آية ٣٠ ، ٣١

(٢) فى تحرير التعبير يورد البيت الاول

وأما الاستدراكُ (١) فهو مِثْلُ ذلكَ إلاَّ أنَّه يُفارِقُ الاستِثْناءَ بِلَفْظةِ «لكن». مثال ذلك قولُ الشاعر : (٢)

وإخْوانٍ تَخِذْتُهمُ دُرُوعًا
فكانُوهَا ولكنْ للأعادِي

وخلْتُهُمُ سِهامًا صائِباتٍ فكانُوها ولكنْ في فُؤادِي

وقالُوا قد صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ
لقد صَدَقوا ولكنْ من وِدادِي

وقال الشاعر : (٣)

غالطَتْني إذْ كَسَتْ جِسْمِي أسًى
كُسْوةً أعرتْ مِنَ اللَّحْمِ العِظامَا

ثم قالتْ أنتَ عِنْدِي في الهوى
مثلُ عَيْني صَدَقَتْ لكنْ سقامَا

---

(١) يسميه ابن أبي الاصبع «الاستدراك والرجوع» ص ٣٣١ . وتكلم فيه ابن المعتز باسم الرجوع .

(٢) هو ابن الرومي وأوردها ابن أبي الاصبع في التحرير ص ٣٣١

(٣) هو القاضي الأرجاني كما ذكر ابن أبي الاصبع ص ٣٣٢

باب

التسهيم *

وهو من نُعُوتِ الألفاظِ ، مأخوذٌ من الثَّوْبِ المُسَهَّمِ الذى يدلُّ أحدُ سِهامِه على الذى يليه لكون لونه يقتضى أنَّ الذى يليه لونٌ مخصوصٌ له بمُجاورةِ اللَّوْنِ الذى قبلَهُ أو الذى بعدَهُ . وقال آخرون : التَّسْهِيمُ هو أن يكونَ ما تقدَّمَ من الكلامِ دَليلاً على ما تأخَّر . مثالُ ذلك قوله تعالى : ﴿ أفَرَأيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ ، أأنتُم تزْرعُونَهُ أمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ، لو نَشَاءُ جعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تفَكَّهُونَ ، إنَّا لمُغْرَمُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، أفرأيْتُمُ الماءَ الَّذى تَشْرَبُونَ ، أأنتُمْ أنزلتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أمْ نَحْنُ المُنْزِلُونَ ، لوْ نشاءَ جَعَلْناهُ أُجَاجًا فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ ، أفرأيتُم النَّارَ الَّتى تُورُونَ أأنتُمْ أنشأتُمْ شَجَرَتَها أمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ ﴾ (١) فإنَّ هذا الكلامَ اقتضى أنَّ كُلَّ آيةٍ مِنْهُ تقتضِى معرفةَ

(*) ذكره صاحب تحرير التحبير ص ٢٦٣ وتحدث فيه حديثا مسهبا ، وأورد كثيرا من شواهد الشعر التى أغفلها المؤلف والتى يفرق فيها بينه وبين التوشيح .

(١) سورة الواقعة الآيات ٦٣ ـ ٧٣

أخرها اقتضاءً لفظيًا ومعنويًا ، فإنَّ ذِكْرَ الماءِ يُناسِبُ أنْ يكُونَ بعدَهُ الإنزالُ من السَّماءِ وذكر الحرثِ يُناسِبُ الزَّرعَ ، وذكرُ النَّارِ (يُناسِبُ) قوله تورُونَ أى تقدَحُونَ . والقدْحُ إظهارُ موجُودٍ من مَعْدُومٍ . وهذا يُناسِبُ ذِكْرَ الإنشاءِ .

باب

الطـــاعة والعصيان *

وهذان الوصفان من نعوت المعـانى والألفاظ . ومعناهما أن يريد المتكلم معنى من معانى البديع فيستعصى عليه لتعذر دخول لفظ فى الوزن الذى هو آخذ فيه فيأتى موضعه بكلام غيره يتضمن معنى كلامه ويقوم به وزنه ويحصل به معنى من البديع غير المعنى الذى قصده . مثال ذلك قول المتنبى : (1)

يَرُدُّ يداً عَنْ ثوبِها وهوَ قَـادِرٌ

ويَعصى الهَوى فى طَيْفِها وهو رَاقِدُ

فإنْ هذا البيتَ أرادَ المتنبى أنْ يكونَ فيه مُطَابقَة ، فاحتَـاجَ إلى أنْ يقُولَ :«يَرُدُّ يداً عن ثَوْبِها وهو مستيقِظٌ ». فعَصَاهُ الوزْنُ وأطَاعَه مَا هُوَ فى مَعْنَاهُ ، فقَال : « قَادِرٌ » ، لأنَّ القَادِرَ مستَيْقِظٌ وزيادَة .

وقيـل : إنّ أبا العَلاءِ المعَرِّىّ حينَ شرحَ أبْياتِ المتَنبى سَمَّى

(*) فى تحرير التحبير ص ٢٩٠ ، وفى بديع ابن منقذ باسم التجزئة ص ٦٣

(١) ديوانه ص ٣١٠ ط عزام من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

هذَا النوّعَ بالطّاعَةِ والعِصْيَانِ . وقد أخذَ عليه (١) كونُه جعلَ هذَا البيْتَ من بَابِ الطّاعة والعِصْيَان . ولذلك تعليل .

(١) وربما يشير بذلك إلى ابن أبى الأصبع الذى اعترض على أبى العلاء المعرى بقوله أنه ليس فى هذا البيت طاعــة ولا عصيان ص ١٩١ وقال إن أبا العلاء المعرى هو الذى استنبط هذا النوع ولم يورد غير هذا الشاهد من شعر أبى الطيب ، وكذلك تبعه علماء البديع فلم يهتدوا إلى ما يشبه .

باب

التسميط (*) (والتجزئة)

ويلتحق به التسجيع ، فأما التسميط فهو أن يعتمد الشاعر تغيير بعض مقاطع الأجزاء فى البيت على سجع يخالف قافية البيت . مثال ذلك قول الشاعر : (١)

هم القوم إن قالوا أصابوا ، وإن دُعُوا

أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وأما التجزئةُ فمعناها أن يجزىء الشاعرُ البيتَ ثلاثة أجزاء أو أربعة. مثال الثلاثى قول الشاعر : (٢)

هِنْدِيَّةٌ لحظاتها ، خطِّيَّةٌ خطراتها ، دُرِّيَّةٌ نفحاتها

ومثال الرباعى قول المتنبى :

فنحنُ فى جَذَلٍ ، والرومُ فى وَجَلٍ

والبرُّ فى شُغُلٍ ، والبحرُ فى خجَلٍ (٣)

(*) فى تحرير التحبير ص ٢٩٥ ، وقد سلك فيه المؤلف هنا ثلاثة أبواب منفصلة عند ابن أبى الاصبع هى : التسميط والتجزئة والتسجيع .

(١) ذكر ابن أبى الاصبع أنه مروان بن أبى حفصة .

(٢) أورده ابن أبى الاصبع من شواهد باب التجزئة ص ٢٩٩

(٣) يرد الشاهد مع بعض الخلاف فى بديع ابن منقذ ص ٦٣

فنحن فى جذل ، والروم فى وجل والبحر فى خجل ، والبر فى شغل

وأما التسجيع * فهو أن يتوخى المتكلمُ أو الشاعرُ السجعَ فى أجزاء من كلامه فيكون بعضها موزونا بوزن عروضى ، ولا تكون الكلمات محصورة فى عدد معين . ويشترط أن يأتى روىُّ الشعر كروىِّ القافية . والفرق بينه وبين التسميط أن أجزاء التسجيع على روىِّ قافيته ، والفرق بينه وبين التجزئة اختلاف وزن أجزائه ومجيئها على غير عدد محصور . مثال ذلك قول الشاعر : (١)

حُرُّ الإهابِ وسيمُه برُّ الإيا ب كريمه محضُ النِّصابِ صَميمه

فالأجزاء المسجعة من هذا البيت متَّزِنةٌ زنةً عروضية .

(*) فى تحرير التحبير باب مستقل ص ٣٠٠

(١) هو لديك الجن كما فى تحرير التحبير ص ٣٠٠ وفى شرح شواهد التلخيص ١/١٣٠ وفى مجموع شعره ص ١٩١ بتحقيق أحمد مطلوب ط. بيروت دار الثقافة .

باب

الترصيع *

وهو من نعوت الألفاظ ، ومعناه أن تكون ألفاظ الجملة (١) أو ألفاظ البيت من الشعر منقسمة، كل لفظة تقابلها لفظةٌ على وزنها ورويّها ، وقلّ ما يأتى ذلك فى الكلام إلا مقصودا متكلفا . مثال ذلك قول الحريرى : «فهوَ يَطبعُ الأسجاعَ بِجَواهرِ لفظِه ، ويَقرعُ الأسماعَ بزَواجرِ وعظِه» . فكلّ لفظةٍ من هذا الكلام قابلَتْ أختَها من حيثُ الوزن والقافِية .

وعلة الترصيع وفائدته انبعاث الطباع إليه ، لتوافقِ الألفاظ وتشابه الصِّيَغ ، فكانت ألذ فى الأسماع من المختلفة والمتباينة . ومثال ذلك قوله صلى

(*) فى تحرير التحبير ص ٣٠٢

(١) فى الطراز : «وهو فى لسان علماء البيان مقول «على ما كان من المنظوم والمنثور من الكلام ألفاظ الفصل الأول فيه مساوية لألفاظ الفصل الثانى فى الأوزان ، واتفاق الأعجاز» (٢/٢٧٣)

وقال ابن أبى الإصبع : «والترصيع كالتسجيع فى كونه يجزىء البيت إما ثلاثة أجزاء إن كان سداسياً ، أو أربعة إن كان ثمانياً ، ويسجع على ثانى العروضين دون الأول ، وأكثر ما يقع الجزءان المسجع والمهمل فى الترصيع مدمجين إلا أن أسجاع التسجيع على قافية البيت» ومثال الترصيع قول أبى صخر الهذلى . وهو من أناشيد قدامة :

وتلكَ هيكلةٌ ، خودٌ مبتّلةٌ صفراءُ رعبلةٌ ، فى منصبٍ سَنِمِ
عذبٌ مقبّلُها خدلٌ مخلخلُها كالدّعصِ أسفلُها مخضوبةُ القدمِ

الله عليه وسلم : « خيرُ المَـال سِكَـةٌ مأبُـورَةٌ ومُهْـرةٌ مأمُـورَة » .
فقـال مأمورة لأجل مأبُـورَة ، لأن القياس أن يقـال : مُـؤَمَّـرةٌ ، وهى
الـكثيرة النتاج . يقال أمَّـرهـا الـله إذا كثَّـرها فـهى مُـؤَمَّـرةٌ . مثل
أعلمها فهى معلمة ... ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ﴾
أى كثر عماهم (١) .

(١) فى اللسان أمرنا مترفيها بـكسر الميم قراءة الحسن وهى على مثال علمنا بـكسر
اللام . ونقل عن الجوهرى أنه قد قيـل إن معنى أمرنا بالـكسر كثرنا مترفيها ، ومهرة
مأمورة أى منتوج ولود .

باب
الاطناب *

وهو من نعوت الألفاظ وهو مأخوذ من أطنب فى الكلام إذًا بالغ فيه . والفرق بينه وبين التطويل أن التطويل يأتى لغير فائدة ، أما الاطناب يأتى لفائدة التأكيد والمبالغة (١) . ومثال ذلك قوله تعالى ﴿ وما جعَلَ اللّهُ لرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ فى جَوْفِه ﴾ (٢) . والفائدةُ فى قوله تعالى : « فى جَوْفِه » هى زيادة فى التَّصَوُرِ . وكذلك قوله تعَالى ﴿ فإنَّها لا تَعْمَى الأبْصَارُ ، ولكنْ تعْمَى القُلُوبُ الَّتى فى الصُّدُور ﴾ (٣) . فقوله : « الَّتى فى الصُّدُور » زيادةُ توكيدٍ فى التَّصَوُّرِ .

(*) فى تحرير التحبير سماه البسط ، ص ٥٤٤

وأورده صاحب الطراز فى الفصل الاول من القاعدة الثالثة من أحوال التأليف .

قال : « اعلم ان الإطناب واد من أودية البلاغة ، ولا يرد الا فى الكلام المؤلف ، ولا يختص بالمفردات لان معناه لا يحصل الا فى الأمور المركبة . والاطناب مصدر أطنب فى الكلام اطنابا اذا بالغ فيه وطول ذيوله لإفادة المعانى .. وهو بضد الإيجاز فى الكلام »

(١) قال به أكثر علماء البلاغة ، وأخذ به ابن الاثير فى المثل السائر ، ويخالفهم أبو هلال العسكرى والقانمى . راجع الطراز ٢/٢٣٢

(٢) سورة الانعام آية ١١٥ والطراز ٢/٢٣٦ ، وعلق علي الآية بقوله : « فقد علم أن القلب لا يكون الا فى الجوف . ولكن الغرض المبالغة فى الإنكار بأن يكون للانسان قلبان ، أكد ذلك بقوله : فى جوفه » .

(٣) سورة الحج ٤٦ ، والطراز ٢/٢٣٧

ومن هذا النوع الذى هو الاطناب ضربان ، أحدُهما ما يُسَمَّى توكيدَ الضمير المُتَّصِل بالمُنفصِل ، والآخر يُسَمَّى التكرير .

فأما توكيدُ الضمير المُتَّصِل بالمنفصِل فكقوله تعالى : ﴿ قَالُوا يا مُوسَى إمَّا أنْ تُلْقِى ، وإمَّا أنْ نَكُونَ نَحْنُ المُلْقِين ﴾ (١) ، فقولهُم : « نَحْنُ المُلْقِين » ولم يقولوا : « وإما أنْ نُلْقِى » ، ذلك لرغبتِهم فى أنْ يُلْقُوا قَبْلَهُ تقدُّمًا عليْه ، فلهذا أتى الضميرُ المتَّصِلُ مؤكدا بالمنفصل .

وأما التكرير : فهو قسمان أحدُهما يوجَدُ فى اللَّفظِ والمعْنَى ، والآخرُ يوجَدُ فى المَعْنَى دونَ اللفظ . فأما الذى يُوجَدُ فى اللَّفظِ والمَعْنى فكقولك لمن تستَدعيه : أسْرِع أسْرِعْ .

وأما الذى يوجد فى المعنى دون اللفظ فكقولك : أطِعْنى. ولا تَعْصِنى فإن الأمرَ بالطَّاعةِ هُو النَّهْىُ عن المعْصِيَةِ. ولا فائِدةَ التكرير إلاَّ التَّوكيد .

وكلُّ قسْم من هذيْن القِسْمَيْن ينقَسِم إلى مُفيد ، وغير مُفيد ، فالمُفيدُ الذى يأتى فى الكَلام توكيدًا له وتسديدًا من أمْرِه ، وإشْعارًا بعظَمِ شأنِه . وهو يأتى فى اللَّفظِ والمعْنَى . والمقصُود منْه غرضَانِ مختلفَان ، كقوله تعالى : ﴿ إنِّى أمِرْتُ أنْ أعبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا له الدِّينَ وأمِرْتُ أنْ أكونَ أوَّلَ المُسْلِمينَ . قُل إنى أخافُ إن عصيتُ ربِّى عذابَ يَوْمٍ عَظِيم ﴾ (٢) . ثم قال بعد ذلك ﴿ قُلْ اللَّهَ أعبُدُ

---

(١) الأنعام آيتان ١٤ ، ١٥

(٢) الزمر ١٤

مُخلصًا له ديني ﴾ فإن الأمرَ بالإخلاص في العبادة للّه قد جاء مكررًا فيهما لفظًا ومعنًى، والمقصود به غرضان مختلفان، الغرضُ الأول أرادَ به الإخبارَ ، لأنّه مأمورٌ من جهة اللّه تعالى بإخلاص العبادة له ، والغرضُ الثاني أرادَ به تخصيصَ اللّه وحدَه دُونَ غيره. ولدلالته على ذلك قدّمَ المعبودَ على فعل العبادة في الثّاني وأخّره في الأوّل لأنَّ الكلامَ أولاً واقعٌ في الفعل نفسه وإيجاده ، وثانيًا فيمَن يفعَلُ الفعل لأجله . فهذان غرضان مختلفان .

وأما إذا جاء التكرير في اللفظ والمعنى المراد به غرضٌ واحدٌ فكقوله تعالى: ﴿ والله الذي يرسلُ الرياح فتثيرُ سحابا فيبسطه في السماء كيفَ يشاءُ ويجعله كِسَفًا، فترى الودق يخرج من خلاله ، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ، وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ (١) فقوله من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول ، فاستحكم يأسهم ، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم .

وأما القسم الذي هو غير مفيد فهو الذي يأتي في الكلام توكيدًا له . ويجيء في اللفظ والمعنى ولكن المقصودُ منه غير مفيد . مثال ذلك قول المتنبي :

---

(١) سورة الروم آيات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢

(٢) ديوان المتنبي طبع عزام ص ٩٣ من قصيدة يمدح أبا الحسن العمي.

ولم أرَ مِثلَ جيرانِي ومِثلِي

لِمثلِي عندَ مِثلِهِمُ مُقَامُ

وكقوله أيضا : (١)

وقَلقَلتُ بالهَمِّ الّذِي قَلقَلَ الحشَا

قَلاقِلَ عِيشٍ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ

وهنا تكرارٌ جاءَ في اللفظِ والمَعنَى ، لكنْ بِغيرِ فائِدة ، فهو المَعِيبُ من التَّكرارِ .

وأما ما جاءَ من التكريرِ في المعنَى دُونَ اللفظِ فمثلُ قولِه تعالَى : ﴿ وقال اللّه لا تَتَّخِذُوا الهَينِ اثنَينِ ، إنما هُو إله واحِدٌ ﴾ (٢) ، فإنه يسبق إلى الوهم أن ذلك تكريرٌ في المَعنى . فإنَّ العرب إنما جمَعَت بينَ العَدَد والمعدود فيما وراء الواحِدِ والاثنَينِ فقالوا : عِندِي رِجَالٌ ثَلاثَةٌ وفرسَانٌ أربعَةٌ فهذا عارٍ من الدّلالةِ علَى المعدُودِ ، وأما رجلٌ ورجُلانِ وفرَسٌ وفرَسانِ فمعدُودَانِ . فالفائدةُ إذَنْ في قوله تعالى : ﴿ إلهَينِ اثنَينِ ﴾ تأكيدُ معنَى المعدُودِ .

---

(١) ديوان المتنبي طبع عزام ص ٢٨ وهو في «الحاتمية» في عيبه . طبع المعارف في ذيل الإبانة ص ٢٠٨ وروايته « قلاقل عِيس ... » وراجع الوساطة ٨٣

(٢) سورة النحل آية ٥١

باب

الترديد *

وهو أن يُعَلِّقَ المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر ، كقوله تعالى : ﴿ حتى يؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾ (١) فالجلالة الأولى مضاف اليها ، والثانية مبتدأ بها . فصار ترديدها لمعنيين وهذا الباب يدخل فيه التصدير، والتعطف ، والمشاكلة ، ورد الأعجاز على الصدور ، فإن كل هذه الأبواب مادتها واحدة لكن فرّق أهل البديع بينها بفروق ، وقالوا الترديد ما تردد لفظه فى البيت سواء كان أولا أو آخرا . والتصدير ما كان أحد اللفظين فى صدر البيت والآخر فى عجزه ، وهو أيضا المسمى رد الأعجاز على الصدور .

** وأما **التعطف** : فهو أن تكون إحدى الكلمتين فى المصراع الأول والأخرى فى المصراع الثانى ، وكذلك المشاكلة . وحاصل الأمر أن هذه الأنواع كلها مادة واحدة وشواهدها متقاربة ، وهى باب واحد . مثال ذلك

(*) ورد فى تحرير التحبير بهذا التعريف ص ٢٥٣ وكذلك فى العمدة ٣٢٣/١ وبديع ابن منقذ ٢٦ والطراز ٨٢٠/٣ وحسن التوسل ٧٠

(**) أورده ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير فى باب مستقل ص ٢٥٧ ، وسماه قوم المشاكلة .

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤

قول أبى نواس : (١)

صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتَها　　لو مسَّها حجرٌ مسته سرَّاءُ

فقد ردد لفظة مسه ومسته ، لكن الأولى بمعنى والثانية بخلافه .

ومثل ذلك قول الشاعر : (٢)

سريعٌ إلى ابن العم يشتُمُ عِرضَه　　وليس إلى داعى النَّدى بسريعِ

فردد لفظة سريع فى أول البيت وآخره . وهذا هو رد العجز على الصدر .
وأمثال ذلك كثيرة .

---

(١) ديوان أبى نواس ص ٢٣٤ من قصيدته المشهورة « دع عنك لومى »

(٢) هو الأقيشر . راجع تحرير التحبير ١١٦ والأغانى ٨٤/١٠ وأورده ابن أبى الاصبع فى باب « رد الاعجاز على الصدور » .

التضمين *

وهو ينقسم إلى قسمين ، معيب وغير معيب فالمعيب لا تعلق له بعلم البديع، لإنه من علم العروض، وهو أن يكون البيت الأول لا يفهم معناه إلا بإيراد الثاني. وغير المعيب معناه أن يضمن الشاعر شعره ، أو الناثر كلامه كلام غيره ليكون للكلام طلاوة وحلاوة بالتضمين ، لا سيما إذا كان التضمين آية من القرآن الكريم أو فقرة من الحديث النبوي . وفي ذلك شرط، وهو إذا ضمن المتكلم كلامه قرآنا وحديثا يشترط عليه أن لا يتعرض إلى نقص شيء من حكم تلك الآية أو يتعرض إلى تنقيص أحد من الانبياء ، وأما إذا ضمن كلامه تنقيص أحد دلت الآية على تعظيمه أو ضمّن اشارة لحكم الآية بتنقيص أو مخالفة ، فإن هذا تمد إلى الكفر .

مثال التضمين الحسن قول ابن نُباتة في بعض خُطَبِه :

«أسكتهُم اللهُ الّذي انطقَهم ، وأبادَهُم الّذِي خلقَهم ، وسيجدُّهُم كما أخلقهم، ويجمعُهم كما فرّقهم، يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا ، يوم تكونُوا شهداءَ على الناس، ويكون الرسولُ عليكم شهيدا،

(*) في العمدة ٢/٨٤ وبديع ابن منقذ وانظر أبواب التضمين ١٤٠ ، الإبداع ٣٨٠ والاستعانة ٣٨٣ والعنوان ٥٥٣ بتحرير التحبير .

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من عَمَل محضرا، وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمدًا بعيدا﴾ (١)

ومن التضمين قول الشاعر :

ولمّا أتاني من حِماكَ تحيةٌ تضوّع من أفنائها المسك والندّ
وقفتُ فأعييتُ الرسولَ مُسائلا وأنشدته بيتا له المثلُ الفردِ
وحدّثتني يا سعدُ عنهم فزدتني جنونا فزدني من حديثك يا سعدُ

وقول الآخر : (٢)

ولو أنّ عينَ زهيرٍ أبصرتْ حسَنًا وكيف يفعل في أمواله الكرمُ
إذا لقالَ زهيرٌ حين يبصره هذا الجوادُ على علاته هَرِمُ

ومثله قول الشاعر في طبيب : (٣)

أقول لنعمان وقدْ ساقَ طِبُّه
نفوسًا نفيساتٍ إلى باطنِ الأرضِ
أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا
حنانيك بعضُ الشيءِ أهونُ مِنْ بعضِ

---

(١) ضمن قوله تعالى في سورة الحج (هو سَمّاكم المُسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شُهداءَ على النّاسِ) آية ٧٨ .

(٢) بديع ابن منقذ ٢٤٩ ورواية العجز :

هذا الجواد على العلات لا هرم

(٣) بديع ابن منقذ ٢٥٠

ومن ذلك أيضا فى طبيب : (١)

عبدُ العزيز طبيبٌ ربُّ معرفةٍ
كمْ ساقَ نحوَ مريضٍ زارَهُ أجَلاَ
فظلَّ يُنشِدُهُ والموتُ يرْهقُهُ
أحيَى وأيسرُ ما لاقيتَ ما قتَلاَ
لولا تطبُّبُهُ فى النَّاس ما وجَدَتْ
لهَا المنايا إلى أرْواحِنَا سُبُلاَ

ومن أمثال التَّضمينِ قولُ الشاعرِ فى كاتب :

عجبًا لواحدِ ذكره من كاتبٍ
مُستعمِلٍ حُرَّ الكلامِ مقدَّمِ
قدْ قالَ سِحْرُ بنانِه وبيانِه
هَلْ غادرَ الشُّعَراءُ منْ متردَّمِ (٢)

---

(١) البديع لابن منقذ وهما بيتان ، ورواية الأول :

عبدُ الغنى طبيبٌ ربُّ معرفةٍ   أحيَى وأيسر ما قاسيت ما قتَلا

والثالث :

لولا تطبُّبُه فى النَّاس ما وجدَتْ   لها المنَايا إلى أرواحِنَا سُبُلا

(٢) وهو تضمين لبيت عنترة :

هل غادرَ الشُّعراءُ من متردَّمِ
أم هَلْ عرفتَ الدَّارَ بعد توهُّمِ

ومنه قولُ الشَّاعرِ فى كتابِ الأنشاء : (١)

أكتابَ دِيوانِ الرَّسائِلِ مالَكُمْ
تجمَّلتُمُ قَــدَمْتُمُ بالتَّجَمُّلِ
وقَفْتُم على بَابِ الوَزيرِ كأنكُمْ
« قِفَا نَبْكِ من ذِكْرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ »
وأرزاقُكم لا تَسْتَبِينُ رُسُومُها
« لِمَا نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْألِ »

ومنه قولُ الشَّاعرِ أيضا : (٢)

عَرِّجْ على حَلَبٍ واقْرِ السَّلامَ لِمَنْ
« وجْدَانُنَا كُلَّ شىءٍ بعدَهُم عَدَمُ »
وقلْ له نِمْتَ عن لَيْلٍ يُؤَرِّقُنى
« واحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ »
إنْ كانَ يُرْضِيكَ تَطْوِيحُ القِفَارِ بِنَا
« فَما لِجُرْحٍ إِذَا أرْضَاكُمُ أَلَمُ »
لا تَنْسَ معْرِفَةً جمَّتْ عَلائِقُهَا
« إنَّ المَعارِفَ فى أهْلِ النُّهَى ذِمَمُ »

---

(١) بديع ابن منقذ ٢٥٦

(٢) بديع ابن منقذ ص ٢٥٥ ورواية البيت الثالث

إن كانَ يرضيكَ تطويحُ النَّوائبِ بِى
فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألمُ

ومنه قولُ الشّاعر في فانُوس :

يقولُ لهَا الفانوسُ لمّا بدَتْ لَهُ
وفي قَلْبِه نَارٌ من الوَجْدِ تُسْعَرُ

خُذِي بيَدِي ثم اكشِفي الثَّوْبَ فانظُرِي
ضَنَى جَسدِي لكِنني أتَسَتَّرُ

ومنه قَوْلُ الشّاعر في نَارٍ بَارِدَةٍ :

لقد أصبَحَتْ من شِدَّةِ البَرْدِ نَارُنا
ومن فَرْطِ مَا قَدْ بَاتَ يُرْعِدُهَا القُرُّ

تَكادُ يَدِي تَنْدَى إذَا ما لَمَسْتُهَا
ويَنْبُتُ في أطرافِها الوَرَقُ الخُضْرُ

ومنه أيضًا قولُ الشّاعر في ذَمِّ شَخْصٍ :

لا بارَكَ اللهُ في شَخْصٍ بُلِيتُ بِهِ
يَضِيقُ صَدْرِيَ مِنْهُ حِينَ أذْكُرُه

أصَمَّ سمْعِي وأعْمَى نَاظِرِي وكَذَا
كَلامُ أكثَرِ من تلْقَى ومنظَرُه

ومن هذا النّوع قولُ بعضِ الشُّعراءِ :

وأهيفَ كمْ مِنْ مُبْتَلًى فِيهِ قَدْ بُلِي
لَهُ جَمَلٌ من حُسْنِه لَمْ تُفَصَّلِ

صَبِرتُ عَلَيْه وانتَظَرْتُ عِذَارَهُ
وقالتْ الموتَى بزمَانِ يومٌ لَهُ وَلِي

فلمْ يكُ الا مــدةً وإذا بــه   وعزّته قدْ بُدِّلتْ بتذلُّلِ

ولحيَتهُ قد ألبَستْ صَحْنَ خدِّه

ظلام الدُّجى ليلاً من الصُّبح الجلي

فقلتُ لخلّي عنْدَ ذاكَ وصاحِبي

« قِفا نبْكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومَنزلِ »

فقالَ اطرحْ هذا وخلِّ ادِّكارَهُ

« فهل عِنْد رسْمٍ دَارِسٍ منْ مُعوَّلِ »

بابُ

الإيجاز *

هذا البابُ هو حذفُ زياداتِ الكلامِ قصداً للبلاغةِ ، والإتيانُ بالمعنى الكثيرِ باللفظِ القليلِ ليكونَ للكلامِ حلاوةٌ ، وعليه بالإيجازِ طلاوةٌ . وقد حدُّوهُ بأنْ قالُوا : هو إيضاحُ المعنى بأقلّ ما يكونُ من اللفظِ .

وأمثالُه كثيرةٌ في الكتابِ العزيزِ ، وفي الأحاديثِ النبويّةِ ، وفي كلامِ الفضلاءِ والبلغاءِ .

فما وردَ من ذلكَ في الكتابِ العزيزِ قولُه تعالى في سورةِ يُوسف : ﴿ ولمّا بلغَ أشُدَّهُ آتيناهُ حُكْماً وعِلْماً وكذلكَ نجزي المُحْسِنينَ ﴾ (١) . وقالَ في سورةِ القصَصِ في ذِكْر

(*) أورده ابن قتيبة في المشكل بعنوان «باب الحذف والاختصار» ص ١٦٢ ، والنكت يذكره باسم الايجاز ويجعله على رأس أقسام البلاغة العشرة . ويعرفه بقوله : « الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، والايجاز على وجهين ؛ حذف وقصر » .(ثلاث رسائل ص ٧٦ ط. دار المعارف) . وراجع الصناعتين لأبي هلال العسكري : وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ١٩٩ ، والعمدة لابن رشيق ١/٢٥٠ ، والطراز ٢/٨٨ ، تحرير التحبير ٤٥٩ . وسماه ابن منقذ اسماً أخرى فأورده تحت باب « التضييق والتوسيع والمساواة » ص ١٥٤ .

(١) سورة يوسف آية ٢٢

مُوسَى عليهِ السَّلامُ ﴿ ولمَّا بَلغَ أشُدَّهُ واستَوى آتيْنَاه حُكمًا وعلْمًا ﴾ (١) . وقد خلتْ قصَّةُ يوسُفَ من لفظةِ الاستواءِ ، مع وجُودهِ فى قصَّةِ مُوسَى ، والحِكمةُ فى ذَلكَ أنَّ بُلوغَ الأشُدِّ مُختَلفٌ فيه ، فقِيل هُوَ أنْ يبْلُغَ الرَّجُلُ ثلاثًا وثَلاثينَ سنَةً ، وقِيلَ خَمْسًا وعِشْرينَ سنَةً ، وقِيلَ غيرُ ذلك ، حتَّى قِيلَ إنَّه الاحْتِلامُ لأنَّ الغُلام إذَا بَلغَ اعْتُبرتْ أعْمالُه وكُتِبت حَسَنَاتُه وسيِّئَاتُه . وقِيلَ : الاستواءُ أنْ يَبْلغَ الرَّجُلُ أربعينَ سَنَةً . ولمَّا كانَ يُوسُفُ عليه السَّلامُ أوتِيَ ما أوتِيَه من الحُكْمِ والعِلمْ قبلَ وصُولهِ إلى الأربعِينَ الذِّى هُوَ وقتُ الاستواء ، فأخبرَ اللَّهُ تعَالى عنه أنه أوحِىَ إليْهِ لما طرحَتْه إخْوتُه فى الجُبِّ قال : ﴿ وأوْحَيْنَا إليْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بأمرِهم هَذَا وهُمْ لا يَشْعُرون ﴾ (٢) . وأراه الله تعالى الرؤية التى قصَّها على أبيه ، ولما مُوسى عليه السلامُ فإنَّه لم يُعْلَمْ ما أرِيدَ به إلاَّ بعدَ أنْ استَأجَرهُ شُعَيبٌ . ومضَتْ سِنُو إجَارتهِ وسَارَ بأهْلِهِ ، وآتَاهُ اللَّهُ ما آتَاهُ من الكَرامةِ ، وذَلكَ بعدَ الأرْبَعِينَ سنةً . فهذَا هُو الفرقُ بينَ قصَّةِ يُوسُفَ فى إسقاطِ ذِكْرِ الاستواءِ فِيها ، وذِكرها فى قصَّةِ مُوسَى عليهِ السَّلامُ .

ومثلُ ذلكَ فى الإيجازِ قولُه تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ يأمُرُ بالعَدْلِ

---

(١) القصص آية ١٤

(٢) يوسف آية ١٥

والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربى وينهى عن الفحشاءِ والمُنكرِ والبغي ﴾ (١). فقد جمعت هذه الآيةُ الكريمةُ جميعَ الأوامرِ والنواهي في كلماتٍ مختصرةٍ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فأوحى إلى عبدِه ما أوحى ﴾ (٢) . وقوله تعالى ﴿ فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿ فاصدعْ بما تُؤمَرْ ﴾ (٤) . وقوله تعالى : ﴿ خُذْ العفوَ وأمُرْ بالعُرفِ وأعرِضْ عن الجاهلينَ ﴾ (٥) . وقوله تعالى : ﴿ ولكمْ في القصاصِ حياةٌ يا أولي الألبابِ ﴾ (٦) . وقوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ فزِعوا فلا فوتَ ﴾ (٧) . وقوله تعالى : ﴿ إنما بغيُكمْ على أنفسِكُم ﴾ (٨) . وقوله تعالى : ﴿ ويحسبُونَ كلَّ صيحةٍ عليهِم، هُمُ العدوُّ ﴾ (٩). فهذه الآياتُ الكريمةُ جميعُها مختصرةُ الألفاظِ كثيرةُ المعاني بحيث أنَّ كلَّ لفظةٍ منها تُفيدُ معانيَ شتّى . فسُبحانَ من أنزلَ الكتاب العزيزَ وجعله معجزةً لرسولهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم .

ومن شواهدِ الإيجازِ ما وردَ أنَّ ابنَ زُبارة كاتبَ الخليفةِ

(١) النحل آية ٩٠ وراجع تحرير التحبير ٤٦٥

(٢) النجم ١٠

(٣) طه ٧٨ — (٤) الحجر ٩٤

(٥) الأعراف ١٩٩ — (٦) البقرة ١٧٩

(٧) سبأ ٥١ — (٨) يونس

(٩) المنافقون ٤ .

المُستمّى بالنّاصر وكانَ الخليفةُ قد أرسلَهُ إلى شيراز يستكشف خبرَ صاحبِ شيراز ، فأحسَّ به صاحبُ شيراز فأمسكَهُ واعتقله ، فتحيّل ابنُ زبارة على أن يوصّل خبرَهُ إلى الخليفة النّاصر، فكتبَ على قشرِ فُستُقة : « القومُ في جُمُوحٍ كقومِ نُوحٍ، ومنَ قرأَ السُّورَةَ عرفَ الصُّورَةَ » : فانظر إلى هذا الكلام الوجيزِ ما أغزرَ معانيه .
فلما وصلَتْ قشرةُ الفُستُقَةِ إلى الخليفةِ قرأَ سُورَةَ ﴿ إنّا أرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ من أوّلِها إلى آخرِها ، فعرَفَ منها عِصْيَانَ صَاحِبِ شيرَاز بعدم الطّاعة ،وتصميمَه على المشاقّة .

ومثل ذلكَ أنصاحبَ الرُّومِ كتبَ إلى المأمُونِ يتوعَّدُهُ ويتهدَّدُه، فلمَّا وصلَ كتابُه إلى المأمونِ كتبَ وراءَ ظهرِه : « الجوابُ ما ترَاهُ إلاَّ أنَّ ما نقُولُه والسَّلامَ » . ومثل ذلك أن رجلاً أرسلَ إلى بعضِ مُلُوكِ بَني أميَّةَ كتابًا يشتُمه فيه ، فقلبَ الكتابَ وكتبَ وراءَ ظهرِه : « عرفتَنَا فهجوتَنا ولو عرفنَاكَ لهجَوْنَاكَ . والسلام » .

ومثل ذلكَ ما كتبه الوَليدُ بنُ يزيدٍ إلى مَرْوَانَ بنِ مُحمد وقدْ توَقفَ عن بيْعَتِه : « أمَّا بَعْدُ فإنّي أرَاكَ تقدّم رِجْلاً وتُؤخّرُ أخْرى ، فاعتَمِدْ على أيّهما شئْتَ . والسَّلامْ » . وكتب المأمونُ كتابًا إلى بعضِ الولاةِ بالوَصيّةِ على حاملِ كتاب ،وأمرَ كاتِبَه أنْ يكُونَ ما يكتُبه سَطرًا واحِدًا لا غير فكتب كاتبُه رُقعةً فيها سطرٌ واحدٌ وهو :

« كتابُنا إليكَ كتاب واثِقٍ بمَنْ كُتِبَ إليه مَعْنيّ بمَنْ كُتِبَ لَهُ ، ولَنْ يَضيع بيْن الثّقةِ والعِنَايةِ حامِلُه » .

ومثلُ ذلك ما كتَبهُ الشولِىّ ، كاتبُ الخليفةِ إلى بَعْضِ الخَوارِجِ يتوعَّدُهُ ويتهدَّدُه بِسَطْرٍ واحِدا وهو :

« أمَّا بَعْدُ فإنَّ أميرَ المُؤمِنينَ له أناةٌ ، فإنْ لم تُغْنِ عَقِبَتْها وعيدٌ ، فإنْ لم تُجْدِ أجْدَتْها عَزائمُه ، والسَّلامُ » .

ومِثْلُه قولُ الشَّاعرِ :

وردْتُ وقَدْ حَلَّ لِي ماؤُه   فلمَّا بكيْتُ عليْهِ حَرُمْ

وقول الآخر :

بكيتُ على الوادِى فحرَّمْتُ ماءَهُ
وكيفَ يَحِلُّ المَاءُ أكثرُهُ دَمُ

وهذا البابُ المُسَمَّى بالإيجاز ينقسِمُ إلى أنواعٍ وهى : الاكتفاءُ بالسَّبَبِ عن المُسَبَّبِ وضدُّه ، والإِضْمارُ على شريطة التفسير ، وحَذْفُ المَوْصُوفِ وإقامةُ الصِّفَةِ مُقامَه ، وعَكْسُهُ ، وحَذْفُ الفِعْل وجوابِه ، وحَذْفُ المَفْعُولِ بِه ، وحَذْفُ الشَّرطِ وجوابِه ، وحذفُ القَسَمِ وجَوابِه ، وحَذْفُ لَوْ وجَوابِها ، وحذفُ المُضَافِ ، وحَذْفُ المُضَافِ إليه .

فأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب (١) فكقوله تعالى : ﴿ ومَا كُنْتَ

---

(١) وانظر الطراز ٢/٩٥ . ويقسم صاحب الطراز الإيجاز من حيث الحذف إلى إيجاز بحذف المفردات وإيجاز بحذف الجمل ، ويجعل الضرب الثانى من الايجاز بحذف الجمل من جهة السبب «لأنه لما كان السبب والمسبب متلازمين ، فلا جرم جاز حذف أحدهما وإبقاء الآخر فهذان وجهان : الأول حذف السبب وإبقاء ما هو سبب فيه دلالة عليه ، ومنه قوله تعالى : (وما كنت بجانب .. الآية) والثانى حذف السبب وإبقاء المسبب دلالة عليه مثل قوله تعالى : (فإذا قرأت الآية) .

بِجَانِبِ الغَرْبِي إذْ قَضيْنَا إلى مُوسَى الأمْرَ وما كُنْتَ من الشَاهِدِين ، ولكنَّا أنشأنا قرُوناً فتطاولَ عليهِمُ العُمُرُ ﴾ (١) فمعنى هذه الآية الكريمةِ أنَّه سُبحانَهُ وتعالى قالَ للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ما كنتَ مشاهِداً لمُوسى وما جَرى لهُ وعليه ، ولكنَّا نحن أوْحَيْنَا إليْكَ ، فقد ذَكَر سبحانَه سببَ الوَحْي واكتفَى به عن المُسَبِّبِ . قصداً للإيجَازِ .

وأما الاكتفاءُ بالمُسَبَّبِ وهو عكس الأول فكقوله تعالى ﴿ فإذَا قَرَأتَ القُرآنَ فاسْتَعِذْ باللَّهِ من الشَّيْطَانِ الرَّجيمِ ﴾ (٢) تقديره : إذَا أردْتَ قراءَةَ القُرآنِ فاسْتَعِذْ ، فاكتفَى بالمُسبَّبِ عن السبب والمسبب الاستعاذة والسبب الإرادَةُ .

وأما الاضمَارُ على شَريطَةِ التَّفْسِير (٣) فهو حَذْفُ الجُمْلَةِ منَ الكَلامِ إذَا كان ما بَعْدَها يدلُّ عَلَيْها ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ منْ رَبِّهِ ، فَوَيْلٌ للقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم من ذِكْرِ اللَّه ﴾(٤) . تقديرُ الكَلامِ : أفَمَنْ شَرحَ

(١) سورة القصص ٤٥

(٢) سورة النحل ٩٨

(٣) الطراز ص ٩٧ . ويقول : «الضرب الثالث — الحذف الوارد على شريطة التفسير تقرير هذا أن تحذف جملة من صدر الكلام ، ثم يؤتى في آخره بما له تعلق به ، فيكون دليلا عليه ، ثم انه يرد على ثلاثة أوجه » .

(٤) الزمر ٢٢

اللهُ صَدْرَهُ للإسْلامِ كمَنْ قَسَى قَلْبُه . ودلَّ علَى المحذُوفِ قَوْلُه : « فَوَيلٌ للقَاسِيَةِ قُلُوبهُم » .

وأما حذف الموصوف وإقامةُ الصِّفَةِ مقَامَهُ فكقوله تعالى : ﴿ إن الَّذِين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (١) . فمعنَاه أنَّ الَّذِين آمنُوا وعَمِلُوا الأعْمالَ الصَّالحات .

وأما حَذفُ الصِّفَةِ وإقَامةُ الموصُوفِ مقَامهَا فكقولهِ تعَالى : ﴿ وأما السَّفِينَةُ فكانَتْ لمسَاكينَ يعْمَلُونَ فى البَحْرِ ، فأردْتُ أنْ أعِيبَها وكانَ وراءَهُم مِلِكٌ يأخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (٢) يعنى «سفينة صالحة» .

وأما حذفُ الفِعْل فكقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسانَ بوالدَيْه حُسْنا ، وإن جَاهَدَاكَ لِتَشْرِكَ بِى ما ليسَ لكَ به عِلمٌ ، فلاَ تُطِعْهُما ﴾ (٣) فمعناه . وإن جاهدَاكَ أيُّها الإنسَانُ فلا تُطِعْهُما .

وأما حذف جواب الفعل فكقوله تعالى : ﴿ ولقدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ ، وجَعَلْنَا معه أخَاهُ هارُونَ وزيرًا ، فقُلْنَا اذْهَبَا إلى القَوْمِ الَّذِينَ كذَّبُوا بآياتِنَا فدَمَّرْنَاهُم تَدْمِيرًا ﴾ (٤) فحذف جواب الأمر .

---

(١) سورة البقرة ٢٧٧ وراجع الطراز ٢/١٠٧

(٢) سورة الكهف ٧٩

(٣) سورة العنكبوت ٨ وراجع الطراز ٢/١٠١

(٤) سورة الفرقان ٣٦

وأما حذفُ المَفْعُول بِهِ فكقوله تعَالى : ﴿ ولمَّا ورَدَ ماءَ مَدْيَنَ وجَدَ عَلَيْهِ أمةً من النَّاسِ يَسْقُونَ ووَجَدمن دُونِهمْ امْرأتيْنِ تَذُودَانِ قَالَ ما خَطْبُكما قَالتَا لا نَسْقى حتَّى يُصدِرَ الرِّعَاةُ وأَبُونَا شَيخٌ كَبيرٌ ، فسَقى لَهُما ثمَّ تَولَّى إلى الظِّلِّ ، فقَالَ ربِّى إنى لما أنزَلْتَ إلىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير ﴾ (١) فقد حذَفَ المَفْعَولَ به عن ذكر المواشى فى كلِّ مَكَان .

وأما حَذْف الشَرط فكقولهِ تعالى : ﴿ يا عِبادِىَ الَّذِين آمنُوا إنَّ أَرضْى واسِعَةٌ فإيَّاىَ فاعْبُدُونَ ﴾(٢) ألا ترى أنَّ الفاءَ فى قَوْلِهِ : فاعبُدُونَ جوابٌ والشَّرْط ، والشَّرْطُ محذُوفٌ تقديرُهُ : إنَّ أرضِى واسِعةٌ فإنْ لم تُخْلِصُوا لِىَ العِبَادَة فى أرضٍ فأخْلِصُوها فى غَيْرِهَا .

وأما حذف جواب الشرط فكقوله تعالى : ﴿ قُلْ أرأيْتُم أنْ كَانَ مِن عند اللَّه وكفرتُم بهِ وشَهِدَ شاهِدٌ من بَنِى إسْرائيل ﴾ (٣) . فهذا جوابُ الشَّرط هَاهُنا محذوف .

وأما حذف جوابِ القَسم فكقوله تعالى: ﴿ والفَجْرِ وليَالٍ عشر ،

---

(١) سورة القصص ٢٤ وراجع الطراز ١٠٤/٢ وبديع القرآن لابن أبى الأصبع ص ١٨٦

(٢) سورة العنكبوت ٥٦ وراجع الطراز ١١٦/٢

(٣) سورة الأحقاف ١٠

والشَّفْعِ والوَتْرِ ، واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فى ذَلِكَ قَسَمٌ لِذى حِجْرٍ ﴾(١) . وجواب القسم ها هنا محذوف تقديره فليعبدون أو نحوه .

وأمَّا حَذْفُ لوْ وجَوابِها فكقولهِ تعَالى : ﴿ ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ ولَدٍ ومَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلهٍ ، إِذَا لذَهَبَ كلُّ إِلهٍ بمَا خَلَقَ ﴾(٢) .

وأما حَذْفُ المُضَافِ فكقولهِ تعَالىَ : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يأجُوجُ ومَأجُوجُ وهُمْ مِنْ كَلِّ حَدْبٍ يَنسِلُونَ ﴾(٣) تقديرُهُ حتَّى إذا فُتِحَ سدُّ يأجُوج ومأجُوجَ . وكذلكَ قولُه تعَالىَ ﴿ فاسْأل القَرْيَةَ ﴾(٤) يَعْنِى أهْلَ القَرْيَةِ .

وأمَّا حَذْفُ المُضَافِ إليهِ فكقَولِهِ تعَالىَ : ﴿ لِلَّهِ الأمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ ﴾ تَقْديرُ الكَلامِ من قَبْلِ الأشياء ومِنْ بَعْدِها .

---

(١) سورة الفجر وراجع الطراز .

(٢) سورة المؤمنون ٩١

(٣) سورة الأنبياء ٩٦ وراجع الطراز ٢/١٠٥

(٤) سورة الروم ٤ وراجع الطراز ٢/١٠٦

باب

خبر المبتدأ (*)

خبر المبتدأ قد يكون نكرة ، وقد يكون معرفة ،والأخبار بها مختلف المعنى . فإذا قلت زيد منطلق، فهذا الخبر نكرة ، وقد أخبرت بانطلاق زيد لمن لم يعلم انطلاقه،ويجوز أن يكون أيضا غيره منطلقا . وإذا قلت زيد المنطلق فهذا الخبر معرف بالألف واللام . وقد أفاد أن الانطلاق لزيد دون غيره . فقد اختلف معنى الخبرين،المعرفة والنكرة .

والألف واللام فى الخبر على معنى الجنسية تأتى على أربعة أقسام :

الأول يقصد بها المبالغة فى الخبر ، فيقتصر المعنى على المخبر عنه نحو : زيد هو الجواد ، يعنى أن زيدا هو الكامل فى الجود ، فلا يصح العطف عليه ، إذ لو عطفت عليه غيره لأدى ذلك إلى دخول غيره معه فى الجود، وليس المراد سوى تخصيص زيد بالجود .

الثانى أن يأتى به لا على وجه المبالغة بل على أنه لا يوجد هذا الوصف إلا منه كقول الشاعر :

هو الواهبُ المِائةَ المُصْطَفا ةَ إمَّا مخاضًا وإمَّا عِشَارًا

(*) لم يرد هذا الباب فى تحرير التحبير ولا البديع لابن منقذ ، ولا بديع القرآن ، ولا الطراز وربما أخذه من بعض المصادر التى لم تصلنا ، أو لعله أخترعه .

يعنى أنه لا يَهبُ هذه المائةَ إلا الممدُوح فالقصد بهذا الوصف ليس المبالغةَ ، بلْ إنه لا يوجد بهذا الوصفِ المخصوصِ من الهبَة إلا هذَا الممدُوح .

الثالث أن يُقرِّرَ الخبَر فى جنس منَ الأجنَاسِ اتَّضح أمرُه اتِّضاحًا لا يُنكَرُ ولا يَخفَى كقولِ الخنساء :

إذا قَبُح البُكاء على قَتيلٍ رأيتُ بكاءَك الحسَن الجَميلاَ

فهذه لم تُرِدْ أنَّ البُكاء عَلى غيْرِه ليسَ بحَسَنٍ ولا جَميل ، وإنمَّا أرادَتْ أنْ تَقرِّرَ البُكاءَ فى جِنْس ما حُسْنُه الحُسْنُ البَاهرُ الذِى لا يَخفَى .

الرَّابع : أنْ يَنحُو المتكلِّمُ بالخبَرِ نحوَ التَّعريف لأمرٍ تَخيَّلَه المُخاطَبُ فى ذِهنه لا فى الخَارِج أو يَتَوهَّم أنَّهُ لم يَعرفه فيُقَال له تصوَّر المَعنى فإذا تصوَّرَهُ فى نَفْسِه حينئذٍ يستَملِى من ذَلكَ المعنَى ما تَصوَّرهُ فى نَفْسِه ، كقَولِ الشَّاعر :

هوَ الرَّجُل المَشرُوكُ فى جُلِّ مَالِه

ولكنَّه بالمَجْدِ والحَمْدِ مُفْرَدُ

فهذا كأنَّه قد فكَّر فى أنْ هذَا المَمدُوحَ رجُلٌ لا يَتميَّزُ عن غَيرِه فى مَالِه من جُودِه وكرمِه . وقد تخيَّل الشاعرُ فى ذِهنه صفَةَ المَمدوحِ ، ثم أبْرَزَ ما صَوَّرهُ فى نفْسِه من صِفَةِ المَمدُوحِ .

ومنه قول الشاعر :

أخوكَ الّذى إنْ تدْعُه لِمُلمَّة

يُجِبكَ وإنْ تغضَبْ إلى السَّيفِ يَغضَبِ

كأنه قالَ : المستحقُ لاسمِ الأخوَّةِ هو الّذى اتصّف بهذه الصِّفةِ .

باب

تقديم الأسماء بعضها على بعض *

ومعنى ذلك أنه إذا ورد لنا اسم مقدم على اسم فينبغى لنا أن ننظر فى علة تقديمه عليه ما هى. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وجعلوا الله شركاء الجن ﴾ فتقديم الشركاء ها هنا على الجن. له فائدة عظيمة، وذلك أن تقديم الشركاء يفيد أنه ما كان ينبغى أن يكون لله شريك لا من الجن، ولا من غيرهم، بخلاف ما إذا تأخر لفظ الشركاء، فإن المقصود بها هو نفى الشركاء مطلقا.

والصفة إذا ذكرت مجردة عن الموصوف كان المتعلق بها من النفى عاما فى كل ما يجوز أن تكون تلك الصفة له. نحو قولك: ما فى الدار كريم فقد نفيت كل كريم فلو تأخرت لفظة الشركاء وتقدمت لفظة الجن وكانت الآية الكريمة وجعلوا لله الجن شركاء لكان الجن مفعولا أولا، وشركاء مفعولا ثانيا، أو كان يفهم ذلك أن الانكار إنما وقع لكون أنهم جعلوا الجن شركاء لله. وما المراد ذلك، وإنما المراد نفى الشركاء عاما مطلقا فلهذا أتى لفظ الآية الكريمة على هذا النسق فى نهاية الحسن.

(*) لم يرد هذا الباب فيما وجعنا إليه من كتب النقد والبديع.

باب

التوشيـــع *

والتوشيع عبارة عن أن يأتى المتكلم أو الشاعر باسم مثنى عند العجز ، ثم يتلوه باسمين مفردين هما غير ذلك المثنى ، ويكون الآخير منهما هو القافية أو السجعة ، كأنهما تفسير لذلك المثنى . ويسمى هذا البـاب « التطريز » ** أيضا لأنه يأتى المتكلم عند القافية بأشياء متقابلة فتكون فى القصيدة أو فى الرسالة كالطـراز .

وقـد جاء فى الحديث من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يشيب ابن آدم وتشيب منـه خصلتان ، الحرص وطول الأمـل » .

ومنـه قول الشاعر : (١)

لولا الشـَّقيقـانِ مـن أمنيَّـــةٍ وأسىً
أردَى بِيَ المُرْدِيَانِ الشَّوقُ والفِـكَرُ

(*) أورده صاحب تحرير التحبير ص ٣١٦ وراجع بديع ابن منقذ ص ٦٨ والطراز ٨٩/٣ والمستطرف ٢٣٩

(**) أورده صاحب تحرير التحبير ص ٣١٤ منفصلا وعرفه تعريفاً آخر. الطراز ٩١/٣ .

(١) هو ابن أبى الاصبع ، واستشهد به فى كتابه «تحرير التحبير» ص ٣١٧ على التوشيع وأردفه ببيت آخر .

ولا يَخْتَصُّ هذَا النَّوعُ باسْمَيْنِ اسْمَيْنِ ، بل يَجُوزُ أنْ يكونَ ثلاثةً وأربَعَةً . مثالُ ذلك قولُ أبى تمَام : (١)

أو ما رأيتَ منَازِل ابنَةِ مَالكٍ
رسَمَتْ لهُ كيْفَ الغَرامُ رسُومُها

بثلاثةٍ كثلاثةِ الرَّاحِ استَوَى
لكَ لونُها ومَذَاقُها وشَمِيمُها

وثلاثةِ الشَّجَرِ الجَنِىُّ تكَافَأتْ
أفنَانُها وثِمَارُهَا وأرومُها

وكقول البحترى : (٢)

تعْلُو الوفُودَ ثلاثةٌ فى أرْضِهِ
أفضَالُه وجدَاهُ والإنعَامُ

وثلاثةٌ تغشَاكَ مَنهمَا زُرْتَهُ
إرفَادُهُ والبِرُّ والإكرَامُ

وثلاثةٌ قدْ جَانَبتْ أخلاَقَهُ
قَولُ البَذَا ، والزُّورُ ، والآثامُ

---

(١) بديع ابن منقذ ٦٨

وديوانه ص ٣١٠ من قصيدة يمدح عبد الحميد بن غالب. ورواية العجز فى الأول «ورسمت له كيف الزفير رسومها» . ويفصل بين الاول والثانى أربعة أبيات»

(٢) المصدر نفسه ٦٨

رواية الديوان (ج ٤/٢١١٢) «يعلو الشآم ثلاثة فى أرضها» . ورواية الثانى فى الديوان «... تغشاك إمازرته» ورواية الثالث : « ... منها البذا » .

والثلاثةُ في العُمْرِ من أفعَالِه تدبيرُه، والنَّقضُ، والإبْرامُ

وكقول البحترى أيضا : (١)

لمَّا مَشَيْنَ بِذِي الأراكِ تَشَابَهت
أعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وقُدُودُ

في حُلَّتَيْ رَوْضٍ وَوَشْيٍ فالْتَقَى
وشيَانِ وشْيُ رُبًا وَوَشْيُ بُرُودِ

وسفَرْنَ فامْتَلأتْ خُدُودٌ زَانَها
ورْدَانِ وَرْدُ جَنًى وَوَرْدُ خُدُودِ

فمتَى يُسَاعِدُنا الزَّمَانُ ويَوْمُنَا
يَوْمانِ يومُ نَدًى ويومُ صُدُودِ

ومثله قولُ الآخَرِ :

وكمْ ليلةٍ لا أظْلِمُ الدهْـ ـرَ أنْ يَقْتَصَّ مِنِّي لها الدَّهْرُ

تجمَّعَ فيها من حُلاَها ولفظِها
وزُهرِ النجُومِ الزُّهْرُ والزَّهْرُ الزُّهرُ

---

(١) المصدر نفسه ٦٨/٦٩
وديوانه ٦٩٧/٢ طبع الصيرف ورواية البيت الثانى : « في حلتى صبح وروض ... »
ورواية الثالث : « وسفرن فامتلأت عيون راقها » . والرابع : « ومتى يساعدنا الوصال ودهرنا » .

ومثله : (١)

وشادنٍ ما مثله فى الصّباح
كالشّمسِ أو كالبدرِ أو كالصّباحْ

لِى مِنْ ثَنَايَاه ومِنْ طَرْفه
وخَـــدّهِ راحٌ ورَاحٌ ورَاحٌ

ومثله : (٢)

أقولُ لصَاحِبى والرّاحُ رُوحٌ
بِجِسم الكأسِ فى كَفِّ النّدِيمِ

وقَدْ كَشفَ الدُّجَى عَنَابِوَاكِ
تُسِيلُ نفوسَهُنّ علَى الجُسُومِ

شُموعُك والكئوسُ وشَارِبُوهَا
نُجُــومٌ فى نُجُوم فى نُجُـوم

ومثله : (٣)

أما تَرى اليَوْم ما أحْلَى شمَائِلَه
صَحوٌ وغَيْمٌ وإبْراقٌ وإرْعَاد

كأنَّه أنتَ يَا مَنْ لا شَبِيهَ لَه
وصْلٌ وهَجْرٌ وتقْرِيبٌ وإبْعَادُ

---

(١) المصدر نفسه ٦٩/٧٠

(٢) بديع ابن منقذ ٧٠ وروايته فى الثانى :

وقد كشف الدجى عنا دموع تسيل نفوسهن على الجسوم

(٣) بديع ابن منقذ ٧٠

باب
العكس والتبديل *

وهو أن يأتى الشاعر أو الناثر إلى معنًى لِنَفْسه أو لِغَيْرِه فيَعْكِسُه . ويُسَمَّى هذَا النَّوْعُ بالمغَايِرةِ أيْضًا مِثَالُ ذَلِكَ قولُ الشَّاعِرِ : (1)

قد يُدْرِكُ المتَأنِّى بعضَ حَاجَتِه
وقد يَكُون مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَل

فعكسه غيره وقال : (2)

وربَّما فَاتَ بعضَ القَوْمِ أمرُهُم
مِنَ التَأنِّى وكانَ الحَزْمُ لَوْ عَجِلُوا

ومن ذلك قول الشاعر : (3)

وإذَا الدُرُّ زَانَ حُسْنَ وجُوهٍ
كانَ للدُّرِّ حُسْنُ وجْهِكِ زَيْنَا

(*) يورده ابن أبى الاصبع ص ٣١٨ : وراجع الصناعتين وسر الفصاحة باسم التبديل ص ٢٣٩ والبديع لابن منقذ ص ٥٣ والتبيان للزملكانى ١٣٢، وحسن التوسل ٧٢ والطراز ١٩٨/٣

(1) البيت للقطامى من قصيدة يمدح بها عبدالواحد بن الحارث بن الحكم، راجع عيار الشعر ص ٥٥ وتحرير التحبير ٣١٩

(2) فى تحرير التحبير ص ٣١٩ غير منسوب

(3) كذا فى أنوار الربيع ص ٤٠٣ وفى تحرير التحبير روايته « حسن نساء » ص ٣١٩ .

ومنه قَولَ الآخر : (١)

فَلَوْلاَ دُمُوعِى كتمتُ الهَوَى
ولَوْلا الهوى لم يَكُنْ لِى دُمُوعُ

ومنه قولُ ابنِ الرُّومِى :

إنْ يَخْدِمْ القَلَمُ السَّيفَ الّذِى خَضَعَتْ
لـه الرِّقَابُ ودَانَتْ خوفَهُ الأمَمُ

فالموتُ والموتُ لا شىءٌ يُغَالِبُه
ما زَالَ يتبَعُ ما يَجْرِى بِهِ القَلَمُ

كذَا قَضَى اللهُ لِلأقلام مُذْ بُرِيَتْ
.. أنَّ السُّيوفَ لها مُذْ أُرهِفَتْ خَدَمُ

فنايَرهُ المتنبِّى بقوله : (٢)

حَتَّى رَجَعتُ وأقلاَمِى قَوائِلُ لِى
المَجدُ للسَّيفِ ليسَ المَجدُ للقَلَمِ

وهذا مأخوذ من قول أبى تمَّام :

(١) ينسبه ابن منقذ مع بيت آخر للرشيد ، البديع ص ٤٨

(٢) ديوانه طبع عزام ص ٥١٢ من قصيدة قالها فى فاتك بعد خروجه من مصر سنة ٣٥٧ هـ ومطلعها :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم   وما سراه على ساق ولا قدم

السَّيفُ أصْدَقُ أنباءً مِنَ الكُتُبِ .

ولأميرِ المُؤْمنين عليّ بن أبى طالب رضىَ اللّه عنه فى خُطْبة مَدح فيها الدّنيا فقال :

« هى دارُ صِدْقٍ لمنْ صَدقَها ، وعافية لمنْ فَهِم عَنْها ، ودارُ غِنًى لمن تَزوّدَ مِنْها ، وإنها لمَهْبِطُ الوَحْى ومدْفَنُ الملائِكة» . فقد غايرَ رضى اللّهُ عنهُ أكثرَ النّاسِ فى ذلك ، لأن أكثرَ الناسِ على ذَمّها .

ويحكى عن معاويةَ بنِ أبى سُفيانَ لمّا وَلّى عمْرو بنَ العاصِ مصرَ قالَ لكاتبه : اكتُبْ فى وصايا عمرو أنّه لا ينقض شَرْطٌ طاعةً . فقالَ عَمْرو : لا بَلْ اكتُبْ إنه لا تنقُضْ طاعةٌ شرطًا . فأرادَ معاوية بقوله : لا يَنْقُض شرطٌ طاعةً ، يعنى أنّ طاعةَ عمْرٍو لا تنتَقِضُ بأخْذِ مصرَ عنه التّى شرَطَها له ، ففهم عَمْروُ وقالَ : لا تنقُضْ طاعةٌ شرطًا ، يعنى أنّ طاعتى لكَ معقُودةٌ بدوام ما شرطته لِىَ منْ مِصْر ، فمتى انتقض الشَّرْطُ انتقَض المَشْرُوطُ وهو الطّاعة .

باب

الفرق بين المعرفة والنكرة

والاتيان بالاسم والفعل

فالمعرفه ما دلت على شيء بعينه، والنكرة ما دلت على واحد لا بعينه. ثم المعرفة تنقسم إلى ستة أقسام: معرف بالمضمر، ومعرف بالعلمية، ومعرف باسم الاشاره، ومعرف بالموصول ومعرف بالاضافة، ومعرف بالألف واللام.

وكل نكرة أعم من غيرها فهى أبهم. مثل قولك: موجود أبهم من قولك: حيوان.

ومن قال إن المعدوم شيء فهو أعم من الموجود، ومن منع إطلاق لفظ الشيء على المعدوم فقد جعله خاصا بالنكرة. والمثال فى أن المعدوم شيء قوله تعالى: ﴿ وقد خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ولم تَكُ شيئًا ﴾ (١). وقد تكون النكرة أبلغ من المعرفة فى مواضع لا يتعين سواها. مثال ذلك قوله تعالى ﴿ ولتجِدَنهُم أحرَصَ النَّاسِ على حَياةٍ ﴾ (٢) فقد نكّر لفظ الحياة لأن الإنسان لا يحرص على أصل الحياة المستقرة له، بل يحرص

---

(١) سورة مريم ٩

(٢) البقرة ٩٦

على حياة زائدة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولكم في القِصاص حياةٌ ﴾ (١) لأن الإنسانَ إذا عَلِم أنّه إذا قَتَل قُتِلَ ارتدع عن الفعل فسَلِمَ هو ومن أراد قتله فتصير حياة ثانيةً فلهذا نُكِّرتْ . ولو كان اللفظ بالمعرفة لم تكن له هذه الطلاوة والفرق بين إثبات الاسم والفعل أن الإثبات بالإسم أبلغُ من الإثبات بالفِعل، وذلك لأنَّ الاسمَ موضوع لاثباتِ المعنى للشيءِ من غير إشعار بتجدُّدِه شيئًا فشيئًا ، بل يكونُ كالصِّفةِ الثابتة له كالطُّولِ والعَرْضِ . مثال ذلك قولُه تعالى : ﴿ وكلبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْه بالوَصِيد ﴾ (٢) ولو قال يَبْسطُ ذراعيه لمَا أدَّى الغرضَ ولكانَ يُفْهِم أنَّ الكلبَ يزاولُ البسْطَ ويُحْدِثُ منه شيئًا بعد شيء . فلفظةُ باسط أشعرُ بثبُوتِ الصِّفة . ومثل ذلك قولُ الشاعر :

لا يألفُ الدِّرْهَمُ المصْكُوكُ راحتَنا
حتَّى يمرَّ عليْهَا وهوَ مُنْطَلِقُ

فالإثباتُ ها هُنا باسمِ المفعولِ وهو « مُنْطَلِقٌ » أولى من الإثبات بالفِعل وهو « يَنْطَلِق » .

---

(١) البقرة ١٧٩
(٢) الكهف ١٨

باب

عطف المفردات على الجمل

متى عُطِفَ المُفردُ على المُفردِ لَزِمَ من ذلكَ مُشارَكةُ الثاني للأول في إعرابِه ليُعلَمَ أنَّهُ مِثلُه في المعنى الذي عُطِفَ عليه بسببه . مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وامسَحُوا برُءوسِكُمْ وأرجُلِكُمْ إلى الكعبين ﴾ (١) فمن قرأ بالنصب فقد عطف على الوجه ، ومن قرأ بالخفض كانت الأرجُلُ ممسُوحةً في ظاهر الآيةِ وإنْ خُولِفَ في ذلك ، لكنْ للمُعارِضِ رأىٌ راجح على هذا الظاهر كما في غيره . والظَّاهِرُ في الصِّفاتِ أنه لا يُعطَفُ بعضها على بعضٍ لاتِّحادِ محلِّها ، ولأنَّ الصِّفةَ تجري مُجرى الموصُوف . وقلَّ ما تُعطَفُ صِفاتُ اللَّهِ بعضُها على بعضٍ . والكتابُ العزيزُ مملوءٌ من ذلك ، فمنه قولُه تعالى : ﴿ هُوَ اللَّه الَّذي لا إله إلاَّ هُوَ ، عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، هوَ الرَّحمَنُ الرَّحيمُ ، هوَ اللَّهُ الَّذي لا إلَه إلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ ، السَّلامُ المُؤمنُ المُهَيمِنَ العَزيزُ الجَبَّارُ ، المُتَكَبِّرُ ، سُبْحَانَ اللَّه عمَّا يُشرِكُونَ ﴾ (٢) . فقد كرَّرَ الصِّفَاتِ بِغَيْر

---

(١) سورة المائدة ٦

(٢) سورة الحشر ٢٣

أداةِ عطف . ولا يتعيَّنُ العَطْفُ إلاَّ في الصفاتِ المُتَضادَّةِ مثل : الظَّاهرِ والبَاطِن ، والأوَّل والآخرِ لتَضادِّ المَعْنَى . وكذلكَ ورَد قولُه سبحانَه وتعَالى : ﴿ هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهوَ بِكلِّ شَيءٍ عَليم ﴾ (١). فكان العطْفُ ها هُنا أحسنَ . ومثل ذلك قولُه تعالى : ﴿ عَسَى ربُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يُبدِّلَهُ أزْوَاجًا خيرًا مِنكُنَّ ، مُسْلِمات مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَات تَائبَات عَابِدَات سَائحات ثيِّبَاتٍ وأبْكَارًا ﴾ (٢) . فلما ذكَر الصِّفاتِ المناسبةَ أسْقَطَ أدَاةَ العَطْفِ ، ولمَّا ذَكَر الصِّفَاتِ المُغَايِرَةَ أتَى بحرْفِ العَطْفِ . وأمْثَالُ ذَلكَ في الكتابِ العَزِيزِ كثيرةٌ .

وأمَّا عطْفُ الجُمْلَةِ على الجُمْلَةِ فعَلى نوْعَيْنِ ، أحدُهُما عَطْفُ جُمْلَة على جُمْلَة بشَرْطِ أن يكونَ لهَا موْضِعٌ من الإعْراب ، لأنَّ الجُمْلَةَ لا يَكُونُ لهَا مَوضِعٌ من الإعْرابِ حتَّى تحلَّ مَحلَّ المُفْردِ مثالُ ذلكَ قولُكَ : مررْتُ برَجُلٍ خَلْقُهُ حَسَنٌ ، وخُلُقُهُ قَبِيحٌ . فهاتان الجُمْلتَانِ كلٌّ منهما مبتدأٌ وخَبرٌ ، وهمَا معطوفتَانِ على رجُلٍ ، فهُما في موضع الجرِّ على الصِّفةِ . وكلُّ موضعٍ جاءتْ واوُ العَطْفِ فيه مُنْقَطِعَةً عما قَبْلها في الظَّاهر فلا بُدَّ من اتِّصَالِها بهِ في المَعْنَى . مثالُ ذلك قولُه تعالىَ ﴿ يَسْألُونَكَ عن الأهِلَّةِ قُلْ هيَ مواقيتُ للنَّاسِ

---

(١) سورة الحديد ٣

(٢) سورة التحريم ٥

والحجّ ﴾ (١) ، ﴿ وليس البرّ بأنْ تأتوا البيوتَ من ظهورها ولكنّ البرّ من اتّقى ، وأتوا البيوتَ من أبوابها ﴾(٢) ولقائلٍ أنْ يقولَ : أيّ رابطٍ بينَ أحكامِ الأهلّةِ وبينَ أحكامِ إتيانِ البيوتِ من ظهورها ، فالجواب عنه أنه : لمّا سألَ الجاهليّةُ عن الأهلّةِ وما الحكمةُ في نقصانِها وتمامِها أخبرَهم اللّهُ تعالى أنّ الحكمةَ في ذلك إنما هيَ مواقيتُ للنّاسِ والحجّ . وقوّةُ المعنى تعطي أنّه قد أظهرْنا لكمْ الحكمةَ في نقصانِ الشّهورِ وتمامِها ، وأنّ ذلكَ لحكمةٍ ، وهيَ مواقيتُ النّاسِ والحجّ ، وإنّما أسألُ ما الحكمةُ في كونكم إذا أحرمتُمْ تدخلونَ من ظهورِ بيوتكم ، وما فائدةُ ذلكَ .

فحسُنَ ارتباطُ الجملتَينْ لتضمينِ معنَى الحكمة . والفائدةُ في النّوعَينِ . وقد وردَ في الحديثِ الصحيحِ أنّ أناسًا من الأنصارِ كانوا إذا أحرَموا لمْ يَدخلْ أحدٌ منهم حائطًا ولا دارًا ولاَ فُسطاطًا من بابٍ ، بل ينقُبُ نقبًا من ظهرِ بيتهِ ويخرجُ منه . وإنْ كانَ من أهلِ الوبَرِ خرجَ من خلفِ البناءِ ، فلذلكَ حسُنَ ارتباطُ الجملتينِ ، وعطفُ « وليسَ البرّ » على الجملة الأخرى .

---

(١) سورة البقرة ١٨٩

(٢) سورة البقرة ١٨٩

بابٌ

العام والخاص

واستعمال العام في النفي والخاص في الاثبات

فالعامُّ في اصطلاحِ الأصوليِّين هو اللَّفظُ المستغرقُ لجميع ما يَصلُحُ لهُ بِحَسبِ وضعٍ واحدٍ . والفرقُ بين العامِّ والمُطلَقِ هُو اللَّفظُ الدَّالُّ على الحقيقةِ مِنْ حيثُ هِيَ هِيَ على الاصطلاحِ المُتقدِّم .

وقدْ يُطلَقُ في اصطلاحٍ آخرَ على المعنَى الكُلِّي الذي تَندرجُ تحتَهُ المُقيَّداتُ ، فعلَى هذا من وجدَ الخاصَّ أي المُقيَّدَ وجدَ العامَّ ، أي المُطلَقَ لأنّه جُزءُوُه .

واستعمالُ العامِّ في حالةِ النَّفيِ أبلغُ من استِعمالِه في حالةِ الإثباتِ . واستعمالُ الخاصِّ في حالةِ الإثباتِ أبلغُ من استِعمَاله في حَالَةِ النَّفيْ . مثالُ ذلكَ أنَّ الإنسانيَّةَ خاصٌّ والحيوانيَّةُ عَامٌّ ، فإذا أثبتَّ لزيدٍ الإنسانيَّةَ لزمَ من ذلكَ إثباتُ الحيوانيَّةِ لهُ . وعكسُ ذلك إذا قلتَ : رأيتُ حيوانًا ، وتريدُ به زيدًا ، فلا يُفهم من ذلكَ قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذي استوقدَ نارًا فلمَّا أضاءتْ ماحولَه ذهبَ اللّهُ بنورِهم

وتَركَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ﴾ (١) فقد عَدلَ سُبْحانه وتعَالى عن الضَّوءِ إلى لفظةِ النُّورِ ، وذَلك لأنَّ النُّور أعَمُّ من الضُّوءِ فإِذَا انتَفَى الأخَصُّ. ومِثَالُ ذَلِكَ كثيرٌ .

(١) البقرة ١٧

باب

في التهذيب*

وهو ترداد النظر في الكلام بعد عمله وتنقيحه، واختيار جيد الالفاظ منه وجيد المعاني، وصرف الذهن إلى حسن سبكها وتجنب الالفاظ الرذلة المستكرهة، وحذف ما العلة أباه وقت العمل من الالفاظ التي لا يصلح إيرادها في مثل تلك الواقعة التي عمل فيها، ولا في ذلك العصر الذي هو فيه، فإن كل عصر له اصطلاح، والذي ينكر في هذا الوقت لعله كان يستحسن في غيره، فينبغي مخاطبة كل قوم بما يناسبهم، وذكر كل واقعة بما يناسبها ومراعاة السجع في الكلام حتى لا تكون الاولى أطول من الثانية، والثانية أطول من الثالثة ويكون السجع مناسبا على التدريج في التطويل والتقصير، بحيث لا ينفر السمع منه ولا يأباه الحس. ومهما كانت الفقرات قصيرة منسجمة بعضها آخذ برقاب بعض كانت أحلى وأحسن.

ومن التهذيب تدقيق الفكر في استنباط المعاني وحسن اختراعها وحسن الاقتفاء لطرق المتقدمين في كلامهم إما

(*) أورده ابن منقذ في ختام أبوابه.

بِزِيَادَةٍ عَلَيْنَا أوْ مُسَاوَاة للجَيِّدِ من مَعانِيها،هذا مع ما يَهَبُه الله للمُنْشِيءِ من الفِكْرَةِ الوَقَّادَةِ والفِطْرةِ النَّقَّادَةِ . والغَرِيزَةِ التى هِىَ إلى نَهْجِ الصَّوابِ مُنقَادة ، و بشَرْطِ أنْ يَكُونَ مَعَهُ من مَوادّ الصِّناعةِ الَّتِى قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا كُلُّ ما يحتَاجُ إليه ويُعَوَّلُ عِنْد العَمَلِ عَلَيْهِ . فإذا أتَّصَفَ الكَاتِبُ بهذِهِ الاوصَافِ وسَلَكَ بها طريقَ الإنْصَافِ كانَ المعنىَّ بقَوْلِ الشَّاعرِ :

وإذا دَجَتْ أقلامُهُ ثُمَّ انتحَتْ
برَقَتْ مصابِيحُ الدُّجَى فى كُتْبِهِ
باللفْظِ يقرب فهْمُهُ فى بُعْدِهِ
منَّا ويَبْعُدُ فَهْمُه فِى قُرْبِهِ
وكأنَّها والسَّمْعُ معقودٌ بِهَا
شَخْصُ الحَبِيبِ بدا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

باب

حسن النسق والانسجام (*)

حَقِيقَةُ (حُسْنِ) النَّسقِ أنْ تَأْتِيَ الكَلِمَاتُ النَّظْمِيَّةُ والنَّثْرِيَّةُ مُتَتَالِيَاتٍ مُتَلاحِمَاتٍ تَلاحُمًا سَلِيمًا. والمُسْتَحْسَنُ من ذَلِكَ أنْ يكونَ كلُّ بيتٍ إذا انفَرَدَ قامَ بنَفْسِهِ أو اسْتَقَلَّ مَعْنَاهُ بلَفْظِهِ. مثالُ ذَلِكَ قولُ ابن رشيق ** : (١)

(*) في تحرير التحبير فصل بين حسن النسق والإنسجام وجعلهما بابين متتاليين ، ويورد ملخص تعريف ابن أبي الأصبع لكل منهما ص ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، وتكلم الخفاجي في سر الفصاحة عن «صحة النسق». وأورده ابن حجة في الخزانة ص ٤١٥ ، وذكر ابن منقذ الانسجام ص ١٣٢ البديع .

(١) تحرير التحبير ٤٣١ وتختلف روايته فهو «ألا ليقل من شاء»

** وابن رشيق: هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، الأزدي (ولد سنة ٣٩٠ هـ وتوفي سنة ٤٥٦ هـ) عاش في القيروان ونسب إليها ، وأخذ عن علمائها وشعرائها ، ومدح المعز بن باديس وتميم بن المعز من ملوكها . وله شعر حسن ، واشتهر بكتاب «العمدة» في نقد الشعر ، وله كتاب «الأنموذج» في شعراء القيروان . وعاصره الشاعر ابن شرف القيرواني ، وتلازما ، وتقارضا الشعر وقد غادر في نهاية حياته القيروان إلى صقلية حيث توفي بعد سنة ٤٥٦ هـ

راجع ترجمته في : إنباه الرواة للقفطي ، وبغية الوعاة للسيوطي ، خريدة القصر للعماد الاصبهاني قسم شعراء المغرب طبع تونس ، ونفح الطيب للمقري ، وعنوان الأريب للشيخ محمد النيفر ، وفوات الوفيات لابن شاكر ، والمطرب لابن دحية ، والمؤنس لابن أبي دينار ، وبساط العقيق في القيروان وشاعرها ابن رشيق لحسن حسني عبد الوهاب ، وحياة القيروان لعبد الرحمن ياغي .

جَاوِرْ عَلِيًّا ولا تَحْفِلْ بِحَادِثَةٍ
إذَا ادَّرَعْتَ فَلا تَسْأَلْ عن الأَسَلِ

سَلْ عنهُ وانْطِقْ بِهِ وانْظُرْ إليه تَجِدْ
مِلْءَ المسَامِعِ والأفْوَاهِ والمُقَلِ (١)

ومثله قول أبي نواس : (٢)

وإذا جَلَسْتَ إلى المُدَامِ وشَرْبِهَا
فاجْعَلْ حَدِيثَكَ كُلَّهُ الكَاسِ

وإذا نَزَعْتَ عن الغِوَايَةِ فَلْيَكُنْ
لِلّه ذَاكَ النَّزْعُ لا لِلنَّاسِ

وأما الانسِجَامُ فهو أنْ يأتِيَ الكلامُ مُتَحَدِّرًا كَتَحَدُّرِ المَاءِ المُنْسَجِمِ، بِسُهُولَةِ سَبْكٍ، وعُذُوبَةِ لَفْظٍ حتَّى تكونَ الجُمْلَةُ من المَنْثُورِ والبَيْتُ المَوْزُونُ لهمَا تأثِيرٌ في النُّفوسِ، كقولِ أبي تمام : (٣)

إن شِئْتَ أنْ لا تَرَى صَبْرًا لِمُصْطَبِرٍ
فانْظُرْ إلَى أيِّ حَالٍ أصْبَحَ الطَّلَلُ

وكقول البحتري : (٤)

---

(١) ينسبها ابن أبي الأصبع في التحرير لابن شرف وهما من «حسن النسق» ص ٤٢٧

(٢) تحرير التحبير ٤٢٨ وديوانه ص ٢٩٥ البيت الثاني

(٣) تحرير التحبير ٤٢٩ ديوانه ص ٢٢٦

(٤) تحرير التحبير ٤٣٠ ورواية الأول «فيالاسى» وأبقيناها كذلك بخلاف الأصل وهو زيادة الا قبلها خطأ .

فيالائمي في عَبْرَةٍ قَدْ سَفَحتُها
لبَيْن وأخرى قبلها التَّنَحُّبِ

تُحاوِلُ مِنّي شِيمَةً غَيْرَ شِيمَتي
وتطلُبُ مِنّي مذهبًا غَيْرَ مَذْهبي

وقال الآخر : (١)

ألا لِيَقُلْ ما شاءَ من شاءَ إنَّما
يُلامُ الفَتى فِيمَا استَطاعَ مِنَ الأمْرِ

قَضَى اللّهُ حُبَّ المالِكيَّةِ فاصْطَبِرْ
عَلَيْهِ فقدْ تَجْرِي الأمُورُ على قَدْرِ

(١) تحرير التحبير ص ٤٣١ ومختلف روايته فيه : « ألا ليقل من شاء ماشاء » .

باب

الادماج*

والإدْمَاجُ أن يُدْمِج المتكلِّمُ غرضًا في ضِمنِ كلامِه فيُوهِمُ السَّامِعَ أنَّه لمْ يَقصِدْه إنّما ذَكرَهُ على سبيلِ التَّعريضِ كقولِ عُبيدِ اللهِ الشَّاعِرِ لعبْدِ اللَّه بنِ وَهْبٍ وَزيرِ المُعْتَضِدِ(**):(١)

أبَى دَهْرُنَا إسْعَافنا فى نُفُوسِنَا
فأسْعَفنا فِيمَنْ نُحِبُّ ونُكْرِمُ

فقُلْنَا لهُ نُعْمَاكَ فِيهِمْ أتِمَّهَا
وَدَعْ أمْرَنَا إنَّ المُهِمَّ المُقدَّمُ

(*) أورده فى تحرير التحبير ص ٤٤٩ وفى الصناعتين باسم المضاعفة، وفى بديع ابن منقذ باسم التطبيق والادماج ص ٥٨

(**) عبد الله بن سليمان بن وهب : من وزراء الدولة العباسية المشهورين من آل وهب تولى الوزارة للخليفة المعتضد . قال صاحب الفخرى (ص ١٨٨) «وكان عبيد الله بن سليمان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب . وكان بارعا فى صناعته ، حاذقاً ، ماهراً لبيبا ، جليلا » توفى سنة ٢٨٨ هـ واشتهر عبيد الله بن طاهر بمدحه . وقال فيه الأبيات المشهورة :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده   لم يحمد الأجودان البحر والمطر

(١) ورد فى البديع لابن منقذ ص ٦٠ ونسبه خطأ ، وأورده ابن أبى الأصبع بهذه النسبة ص ٤٤٩ ، ورواية ابن منقذ والتحرير «فقلت له . . »

فأدمجَ شكوى الزمان وشرح حاله فى الموعظة ، والتلطف فى المسألة ، ففطن سليمان الوزير لذلك ووصله بمال جزيل .

ومثل ذلك قولُ ابنِ نُباتةَ السَّعْدِى * : (١)

ولا بُدَّ لِى مِنْ جَهْلَةٍ فى وِصَالِه
ومَنْ لِى بِخِلٍّ أودِعُ الحِلْمَ عِنْدَهُ

فأدمج الفَخرَ فى الغَزلِ لمَّا جَعَل حِلْمَه لا يُفارِقُه ، ولا ترغَبُ نفسُه عنه ، وإنما عَزم علَى إيداعه لمَّا كانَ لابُد لهُ من صِلةِ هذا المَحْبُوبِ . فمفْهُومُ الخِطَابِ بقاءُ حِلْمِه علَيْهِ لِقَدَمِ منْ يُودِعُه إيَّاهُ ثمّ أدْمَجَ شَكْوى الزَّمانِ وتَغيُّرَ الإخْوانِ كلُّ ذلِك فى بيتٍ واحد .

(*) ابن نباتة السعدى : وهو أبو نصر عبد العزيز بن نباتة ، ولد فى بغداد سنة ٣٢٧ هـ ، وقصد حلب شاعراً يمدح سيف الدولة . وعرف بإجادته النظم والنثر ؛ وله ديوان خطب اشتهر به وسار بين الأدباء سيرة مقامات الحريرى . وتوفى سنة ٤٠٥ هـ . راجع فى ترجمته : وفيات الأعيان لابن خلكان . وشذرات الذهب لابن العماد ١٧٥/٣ .

(١) فى تحرير التحبير ٤٥٠

باب

المذهب الكلامي (*)

وحقيقة هذا النوع احتجاجُ المُتكلم على خصمه بحُجَّة تَقطعُ عِنادَهُ، وتُوجبُ لَه الاعترافَ بما ادَّعاهُ المُتكلِّمُ، وإبطالِ ما أوردَهُ الخصمُ. وسُمِّيَ بالمَذهَبِ الكَلامِيِّ، لأنه يَسلُكُ فيهِ مذهبَ أهلِ الكَلامِ في استدلالهم على إبطالِ حُجَجِ خُصُومِهم. والمُرادُ بأهلِ الكَلامِ عُلماءُ أصُولِ الدِّين، وسُمُّوا بذَلِك لأنهُم أوَّلُ من تكلَّم في كلامِ اللهِ تعالى. مثال ذلك قولُه تعالى: ﴿وضربَ لنَا مثَلا ونَسِيَ خَلقَه، قالَ مَنْ يُحيِي العِظام وهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحيِيها الذِّي أنْشأهَا أوَّلَ مَرَّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عليمٌ﴾ (١) فعلَّم تبارَكَ وتعالى نَبيَّه صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم كيفَ يَحتَجُّ علَى مُنكِري البَعثِ احتجاجاً يقطع عنادهم لأن معنى هذه الآية يَكُونُ عن أمرَينِ إمَّا عَجزٍ عن جَمعِ الأجسام المتلاشِيةِ، أو عدَمُ العِلمِ بمَواضِعِ ما تَفرَّقَ منها. وليسَ أمرٌ ثالِثٌ.

(*) ورد في بديع ابن المعتز ، و العمدة في نقد الشعر ، لابن رشيق ٧٩٢، وتحرير التحبير ص ١١٩ .

(١) سورة يس ٧٨ .

ونفت الآيةُ الكريمةُ هاتين المخالفتين بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحييها الذي أنشأها أولَ مرةٍ﴾ يعني [أنَّ] القُدرةَ التي تعلقت بإنشاء العظام أولَ مرةٍ ولم تكن قبلَ ذلك شيئا. تعلقت بإعادة ثانية، وبقوله تعالى: ﴿وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾ لأنه أثبت لذاته العليَّة القُدرةَ أولاً، ثم أثبت لذاته الشريفة إحاطة العلم بكلِّ شيءٍ، فلزم من هذين الوصفين، وهما القُدرةُ والعلمُ وجوبُ البعث قطعًا، إذْ لا مانع له بعدَ القُدرةِ والعلمُ. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لوْ كانَ فيها آلهةٌ غيرُ اللهِ لفسدتا﴾ (١) فانتفاءُ الفسادِ دليلٌ على انتفاءِ آلهة غيرِ الله. وهذا من أقوى أدلةِ التوحيد.

ومثالَ ذلكَ قولُ الشاعر: (٢)

حلفتُ فلمْ أتركْ لنفسِكَ ريبةً
وليسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ
لئن كانَ ما بُلِّغْتَ عني خيانةً
لمُبلِغُكَ الواشي أغشُّ وأكذَبُ
ولكنني كنتُ امرءًا لي جانبٌ
من الناسِ فيه مُستَرادٌ ومَذْهَبُ

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢

(٢) النابغة الذبياني في الاعتذار للنعمان بن المنذر. راجع تحرير التحبير ص ١٢٩

مُلُوكٌ وإِخْوانٌ إذَا ما مَدَحْتَهُمْ
أُحَكَّمُ فى أَمْوالِهِمْ وأُقَرَّبُ

كَفِعْلِكَ فى قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ
فلم تَرَهُمْ فى مِثْلِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا

فقد احتج الشاعر إلى النعمان بقوله : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك ، كما أن قوما أحسنوا إلىّ فمدحتهم ، فكانت حجته بليغة .

باب

الهجاء فى معرض المدح*

حقيقةُ هذا الباب أن يقصِدَ المُتكلم هجاءَ شخص فيأتى بألفاظ موجهة ظاهِرها المدحُ وباطِنها القدحُ فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه.

كقول بعضهم فى بعض الأشراف : (١)

لـهُ حقٌّ وليسَ عليهِ حقٌّ

فمهْمَا قالَ فالحَسَنُ الجَميلُ

وقد كانَ الرَّسُولُ يَرى حُقُوقًا

عليهِ لِغيْرِهِ وهُو الرَّسُولُ

ومن ذَلكَ قولُ المُتَنبِّى فى وصْف كافور : (٢)

(*) فى تحرير التحبير ص ٥٥ وراجع خزانة الأدب لابن حجة ص ١١٧

(١) فى التبيان لمحمد بن حمزة السلمى فى الحسن بن زيد بن الحسن بن على . وراجع أنوار الربيع ص ٣٩٢

(٢) من قصيدته التى مطلعها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان

ديوانه طبع عزام ص ٤١٢

ولِلّهِ سِرٌّ في عُلاكَ وإنّما

كلامُ العِدَى ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيانِ

فهذا مَدْحٌ مُوَجَّه يَحْتَمِلُ أن يكونَ مدْحًا بحكم أن علاك فيه سر لله لم يهبه لغيرك . ويحتمل أن يكون هجوا ، أى أنك غير مستحق للعلى ، وإنما لله تعالى سر فى تقديم من يصلح للتقديم ، ولا يكون أهلا للكرامة .

باب

فى القسم*

حقيقةُ هذا الباب انْ يُريد الشاعرُ أن يحلِفَ على شيءٍ فيحلفَ بما يكونُ له مدحًا وما يكسبُه فخرًا ، وما يكونُ تعريضًا لغيرِه . مثالُ ذلكَ قولُ الشاعرِ : (١)

حلفتُ بمَنْ سوّى السَّماءَ وشادَها
ومَنْ مَرجَ البحرَيْنِ يلتقيان

لمّا خُلقتْ كفاك إلاّ لاربَعٍ
عقائلَ لم تُعقَلْ لهُنَّ ثوانِ

لتقبيلِ أفواهٍ ، وإعطاءِ نائلٍ
وتقليبِ هنديٍّ وحَبْسِ عنانِ

---

*أورده ابن أبى الأصبع فى تحرير التحبير ٣٢٧

(٢) ذكرها ابن أبى الأصبع منسوبة لابن خرداذبه ، وهى أربعة أبيات سقط البيت الثانى (ص ٣١٢/٣٢٩) وهو :

ومن قامَ في المعقولِ من غيرِ رُؤْيةٍ
فأثبتَ من إدراكِ كُلُّ عيانِ

ومثلُه قَوْلُ الشّاعِر : (١)

بَقَّيْتُ وفْرِي وانْحَرَفْتُ عن الْعُلا
ولَقِيتُ أضْيافِي بوجْهِ عَبُوسِ

إنْ لَمْ أشُنَّ علَى ابنِ هِنْدٍ غارةً
لمْ تَخْلُ يومًا من ذَهابِ نُفُوسِ

(١) الشعر للأشتر النخعي كما في تحرير التحبير ٣٢٧ ورواية البيت الأول « وانحرفت إلى العلا »

ورواية الثاني : « لم تخل يوماً من نِهابِ نفوسِ »

قال ابن أبي الإصبع : وأبيات الأشتر تضمنت فخراً له ، ووعيداً لغيره ، فحصل فيها الافتنان مقرونا بالقسم ، وأراد بابن هند هنا معاوية بن أبي سفيان .

باب
الهجاء *

قال الجَوْهَرِيّ ** رَحِمَهُ اللّه : يُقَالُ هَجَوْتُه هَجْوًا وهِجَاءً وتَهْجَاءً وأُهْجِيةً ومُهَاجَاةً ، وهجَوْتُ الحُروفَ هَجْوًا وهِجَاءً ، وهَجَّيْتُها تَهْجِيَةً وتَهَجَّيْتُ كَلِمَةً كَلِمَةً .

والهِجَاءُ ذِكْرُ المَسَاوِىءِ كمَا أنَّ المَدِيحَ ذِكْرُ الفَضَائِلِ الإِنسَانِيَّة ، فإنْ أُضِيفَتْ الفَضَائِلُ الجِسْمِيَّةُ إلى الإِنسَانِيَّةِ والفَضَائِل الاتفاقِيَّة أيضًا ، وهى التى تقَعُ من خَارِج بطريق الاتفاق كانَ أكملَ فى المَدْحِ وكذَلِكَ الهِجَاءُ إنما هُو حقيقةُ الرَّذَائِلِ الإِنسَانِية . فإنْ أُضِيفَتْ إليها النَّقَائِصُ والعُيوب الجِسْمِيَّة والاتِّفَاقِيّة الخَارِجيَّة التى تقعُ بِطَرِيقِ الاتِّفاقِ كانَ ذَلِكَ الهجاءُ

(*) راجع العمدة لإبن رشيق ٢/١٧٠ ونقد الشعر لقدامة بن جعفر

(**) الجوهرى: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى صاحب «صحاح العربية» وهو معجم لغوى مشهور،من علماء اللغة المشهورين فى القرن الرابع. وتوفى سنة ٣٩٣هـ وقيل سنة ٣٩٨هـ أو سنة ٤٠٠ هـ .

راجع فى ترجمته : نزهة الألباء لإبن الأنبارى، واليتيمة للثعالبى ٤/٢٨٩ ، ودمية الباخرزى والإرشاد لياقوت ٢/٢٦٦، وشذرات ابن العماد ٩/١٤٢ وبغية الوعاة للسيوطى، وبروكلمان ٢/٢٥٩ — ٤٦٠

أبلغ فى الذمّ . ومثلهما أنّ الاقتصار فى المديح على الأوصاف الجسمية عيبٌ . وهو عيبٌ فى الهجاء .

ثم إنّ الهجاء يختص بأشياء لا تكون فى المديح ، فمن ذلك أنّ التعريض فى الهجاء أبلغ من التصريح فى كثير من الأوقات وأنجى ، بخلاف المديح فإنّه لا يحسن فيه إلا التصريح ، فإنّ من شأن المحاسن أن تنشر ، ومن شأن المساوىء أن تطوى .

ثم يستحبّ فى الهجاء أنْ لا يكون فى ظاهره فحش يتحاماه ذوو الدين والمروءة ، ولا يقبح إيراده فى المحافل ، ولا يخشى غائلة المهجو به غالبا ... وينبغى أنْ يكون الهجو قليل الأبيات قصير العروض ، سهل اللفظ . ومتى أتى الشاعر فى شعره بالتقذف والإفحاش والسباب دلّ ذلك على لؤم الشاعر وشماتته . ومن يصدر ذلك عنه من الشعراء فقد هجا نفسه قبل المهجوّ واشتهر بين الناس ببذاء اللسان وسلب الأعراض الذى يستحق عليه العقوبة الشرعية ، ويدلّ على فساد عقيدة الشاعر ، إذ ثلب أعراض الناس دليل استهتاره بالدين ومخالفة الشريعة المطهرة وقد تعانى ذلك جماعة من الشعراء واشتهروا به ، وصاروا مثلة بين الناس فى قلة الدين بسبب ذلك ، ومن جملتهم : أبو نواس ،

وابن الرُّومى وابن أفْلحَ (١) ، وابنُ الهَبَّارِيَّة (٢) ، وابنُ منير الطَّرابُلسى (٣) . وصارُوا مَعْرُوفِينَ بينَ النَّاس بِشدَّةِ الهِجَاء .

وقد قِيلَ : خيرُ الهجاء ما تُنْشِدُه العَذْرَاءُ فى خِدْرِها فلا يُنْكَرُ عَلَيْها .

والشَّاعِرُ الجَوادُ لا يَستعْمِلُ الهِجَاء .

ومن اسْتَعْمَلَ فى الهِجَاءِ الإيهَامَ والتَّعْرِيضَ والتَّلْوِيحَ بَقِىَ لهُ مَوْضِعٌ يخْرُجُ مِنْهُ إلى الاعْتِذَارِ ، بِخِلافِ الَّذى يَهْجُو بالقَذْفِ والإفْحَاشِ ، معَ أنَّ التَّعْرِيضَ فى الهَجْوِ أبلَغُ من التَّصْرِيحِ لاتِّساعِ الظَّنِّ فى التَّعْرِيضِ وشِدَّةِ تَعَرُّضِ النَّفْسِ بالكِنَايَةِ عَنْهُ والبَحْثِ عن مَعْرِفَتهِ وطلب حقيقته بخلافِ التَّصْرِيح .

قال يُونُس بنُ حبيب : أشدُّ الهِجَاءِ بالتَّفْضِيلِ ، وهوَ الإقْذَاعُ عِنْدَهُم .

ولما أطلقَ عمرُ بنُ الخَطَّاب رضى الله عنهُ الحُطَيْئَةَ من حَبْسِهِ بِسَبَبِ هِجَائِهِ الزِّبرقَانَ قالَ لهُ : إيَّاكَ والهِجَاءَ المُقْذِعَ . قالَ : وما المُقْذِعُ يا أميرَ المُؤْمنِين ؟ . قالَ : المُقْذِعُ

---

(١) من شعراء الخريدة واشتهر بالهجاء .

(٢) شاعر هجاء توفى بكرمان سنة ٥٢٤ ، ونهج فى هجائه نهج ابن حجاج

(٣) شاعر شامى من القرن السادس الهجرى (توفى سنة ٥٤٨ هـ)

أنْ تَقُولَ هؤلاءِ أفضلُ من هَؤلاءِ ، وتَبْنِى شِعْرَكَ على مَدحٍ لِقومٍ وَذمٍّ لأَعادِيهم . فقال : يا أميرَ المُؤمنين واللهِ أنتَ أعلَمُ مِنّى بمذاهِبِ الشُّعراءِ ، ولكنْ حبَانى هَؤلاءِ فمدحتُهم ، وحَرمَنى هؤلاءِ فذكرتُ حِرْمانهم ولم أنلْ من أعْراضِهم شيئًا (١) .

وقيل : أشد الهِجَاءِ ما عفَّ لفْظه وصدَقَ معْناهُ . فمِنْ وَضيعِ الهِجَاءِ ما خَرجَ مخرجَ التَهَكُّم والاستِهْزَاء وتجاهلِ العارِفِ بالقِصَّةِ التى تجَاهَل فيها . مثال ذلك قولُ زهير : (٢)

وما أدْرِى وسَوْفَ إِخَالُ أدْرِى
أقَـــومٌ آلُ حِصن أمْ نِساءُ

---

(١) العمدة لإبن رشيق ٢/١٧٠ وتتمة العبارة : «وصرفت مدحى إلى من أراده ، ورغبت به عمن كرهه وزهد فيه . يريد بذلك قصيدته المهمورة التى يقول فيها :

وأتيتَ العَشاءَ إلى سُهيلٍ أو الشعرى فطالَ بِىَ الاناءُ

وهى أخبث ما صنع ..»

(٢) العمدة ١٧١/٢ . قال ابن رشيق : ومما يدل على صحة ما قاله صاحب الوساطة (أما الهجو فأبلغه ماخرج مخرج التهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإفحاش فسباب محض) وحسن ماذهب إليه إعجاب الحذاق من العلماء ، وفرسان الكلام بقول زهير فى تشككه وتهزله وتجاهله فيما يعلم : (فى البيتين) وإن هذا عندهم من أشد الهجاء وأمضه .

فإن تكنْ النساءُ مُخَبَّآت

فحُقَّ لِكلِّ محصنةٍ هِداءُ

ومن هذا النوعِ نوعٌ يُقالُ له الاحتقارُ ، كما يُحكَى عن المُستنصرِ الفاطمي خليفةِ مصر أنّه لمَّا كتبَ كتابًا إلى الخليفة ببغدادَ المُسَمَّى بالقائم بأمرِ اللّه وكتبَ عُنوانَه ، من ابنِ عمِّه ، ووصلَ كتابهُ إلى القائم بأمرِ اللّه . ورأى العُنوان فكتبَ إلى جانبِه سطرًا يقولُ فيه :

ومَنْ أنتم إنَّا جَهلنا من أنتُم

ورِيحُكُم من أيِّ رِيحِ الأعاصِرِ (١)

ومن ذلكَ قولُ جرير : (٢)

ويُقضَى الأمرُ حينَ تغيبُ تيمٌ

ولا يُستأذنُونَ وهُمْ حُضُورُ

---

(١) البيت من شعر زياد الأعجم ، ذكره ابن رشيق ضمن خمسة أبيات ، وجعلها من «الاستحقار والاستخفاف» هي :

فقُمْ صاغرًا يا شيخَ جَرْمٍ فإنما

يُقَالُ لشيخ الصِّدْقِ : قم غير صاغرِ

فمن أنتمُ إنَّا نسينا من انتُمُ وريحكم من أيِّ ريحِ الأعاصِرِ

(٢) من هجائه في التيم . العمدة ١٧٣/٢ .

وإنَّكَ لوَ رأيتَ عَبيدَ تَيْمٍ
وتيْمًا قُلْتَ أيُّهُم العَبيدُ

ومما يلتحق بالهجو ذَمُّ الزَّمانِ وأبنائهِ ، ومِثالُ ذَلِكَ قولُ أبى العَلاءِ المَعَرِّى :

زَمانٌ يمُرُّ وعَيْشٌ يمُر ودَهْر يَكُرُّ بمَا لا يَسُرُّ
ونَفْس تَذُوبُ وهَمٌّ يَنُوبُ
ودُنْيَا تُنَادِى بأنْ ليْسَ حُرّ

وله أيضا :

فظَلَّ يُسَايِرُ الإخْوانَ سِرًّا
ولا تأمن على سِرٍّ فُـؤَادَا
فلو خَبَّرتهمُ الجَوْزَاءُ خَبْرى
لمَا طَلَعَتْ مخَافَةَ أنْ تُكَادَا

ولما أنْ تجَهَّمَنى فؤَادِى مَشَيْتُ معَ الزَّمانِ كمَا أرادَا
وهَوَّنتُ الخُطُوبَ علىَّ حتَّى
كَأنِّى صِرتُ أمنَحُها الوِدادَا
سَتَعْجبُ من تَعَثُّرِها ليالٍ تُبَارِينا كواكِبُها سُهَادا

ومنه قول الشاعر :

سَمِعنا بالصَّديق وما نَراهُ على التحقيق يوجد فى الأنام
وأحسبه محـالا أوردوه على جهة المجاز من الكلام

ومنه :

خُلُقُ الصَّدِيقِ لِخَلاقِ لِفِعْلِ الدهر مُتَّبِعٌ

فإن صَفا صافى أو جفاك جفا

ومنه أيضا :

صَدِيقٌ لنَا ما ذُقتُ طعمَ إخائه

شهدت لقد أزرى على الصاب شَهْدُهُ

وأضعفُ من نسج العَناكِب عهْدُهُ

وأضْيَعُ من نارِ الحُبَاحِبِ وِدُّهُ

ومنه أيضا :

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ كنتُ أدْعُو لَهُ

أنْ يَجْعَلَ الدُّنيا كمالاً إليهِ

حتَّى إذَا صارَ وصارَتْ لَــهُ

مديَنا وصَارَتْ رَاحَتيِ في يَدَيْهِ

حالَ عن الوُدِّ وعَنْ عَهْدِهِ   وأظهرَ الشُّح علَى دِرْهَمِيْهِ

فمَا مَضَتْ بَعدَ دُعائِى لَهُ

إلاّ أيّامُ حتَّى صِرتُ أدْعُو عَليْه

ومنه أيضا :

إذَا لمْ يكُنْ عِنْدِي نوالٌ هَجَرْتَنِي

وإنْ كُنتَ ذَا جودٍ فأنتَ صَدِيقِي

تواصلني ما دام مالي موفّرا
وصالَ أخٍ برٍّ عليَّ شفيقِ
إذا ما رماني الدهرُ يومًا بنكبةٍ
فما نلتقي إلا بظهرِ طريقِ

ومنه أيضا :

لي صديقٌ خسرتُ فيه ودادي
حين أضحت سلامتي منه ربحا
حسنُ القولِ سيءُ الفعلِ كالجزّا
رِ سمّى وأتبعَ القولَ ذبحا

ومنه أيضا :

إذا تخلّفتَ عن صديقٍ ولم يُعاتبْكَ في التخلّفْ
فلا تعُدْ بعدَها إليهِ فإنّما ودُّه تكلُّفْ

ومنه أيضا :

لو قيلَ لي خُذْ أمانًا من أعظمِ الحدثانِ
لما أخذتُ أمانًا إلا منَ الإخوانِ

ومنه أيضا لعبد الله بن طاهر حينَ أتى إلى بابِ بعضِ الوزراء من الإخوانِ وحُجبَ عنِ الدخول :

سأتركُ هذا البابَ ما دامَ إذنُه
على ما أرى حتى يلينَ قليلاً
إذا لمْ نجدْ يومًا إلى الإذنِ سُلمًا
وجدْنا إلى تركِ اللقاءِ سبيلاً

وأحسنُ ما قِيلَ في شكوى الزمانِ وأبنائه قولُ ابنِ منير الطرابلسي * : (١)

وإذا الكريمُ رأى الخمولَ نزيلَهُ
في منزلٍ فالحزمُ أنْ يترحَّلا
كالبدرِ لمَّا أنْ تضاءلَ جدَّ في
طلبِ الكمالِ فحازَهُ متنقِّلاً (٢)
سفهاً لحلمِكَ إنْ رضيتَ بمشربٍ
دانٍ ورزقُ اللهِ قدْ ملأ الملا

(*) ابن منير الطرابلسي : أحمد بن منير بن مفلح، أبو الحسين مهذب الدين الطرابلسي . ولد سنة ٤٧٣ هـ . كان شيعياً مغاليا . وقيل إنه كان رافضياً . وكان هجاء ، فخافه الناس . ارتحل من طرابلس الشام إلى دمشق واتصل بصاحبها تاج الملوك بورى بن طغتكين فمدحه وحظى لديه ، وهجا بعض رجال الدولة فأحنقهم عليه فغضب عليه تاج الملوك وسجنه ثم نفاه من دمشق وظل يتردد بين بلاد الشام ودمشق زمن أبناء طغتكين وكان من كبار شعراء الشام هو ابن القيسراني في القرن السادس، وقد جرت بينهما مكاتبات وأجوبة ومهاجاة ، وشبههما معاصروهما بجرير والفرزدق . وتوفي سنة ٥٤٨ هـ .

راجع ترجمته في : خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني « قسم شعراء الشام » ج ١ ، ووفيات الأعيان ج ١ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ، والأدب في العصر الأيوبي للدكتور محمد زغلول سلام ، وأدب الدول المتتابعة للدكتور عمر موسى باشا ،

(١) من قصيدة قالها في منفاه بقلعة شيزر . واجع تاريخ دمشق ١/٩٨ — ٩٩ ، وخريدة القصر (شعراء الشام) ١/٨٩

(٢) روايته : « تضاءل نوره ... فحازه متنقلا »

سامَحتَ عِيسَكَ مُرَّ عَيْشِكَ قاعدًا

أفَلا فَلَيْتَ بِهِنَّ ناصِيَةَ الفَلا

فارِقْ تَرُقْ كالسَّيفِ سُلَّ فبانَ في

مَتْنَيْهِ ما أخْفَى القِرابُ وأخْمَلا

لا تحسَبَنْ ذَهابَ نَفْسِكَ مِيتَةً

ما المَوْتُ إلّا أنْ تَعيشَ مُذَلَّلا

لا تَرْضَ من دُنْياكَ ما أدْناكَ مِنْ

دَنَسٍ وكُنْ طَيْفًا جَلا ثُمَّ انْجَلَى

وصِلِ الهَجيرَ بِهَجْرِ قَوْمٍ كُلَّما

أمْطَرْتَهُمْ شَهْدًا جَنَوْا لكَ حَنْظَلا (١)

من غادِرٍ خَبُثَتْ مَغارِسُ وُدِّهِ

فإذا مَحَضْتَ لهُ الوَلاءَ تأوَّلا

لِله عِلْمي بالزَّمانِ وأهْلِهِ

ذَنْبُ الفَضيلةِ عِنْدَهُمْ أنْ تَكْمُلا

طُبِعُوا على لُؤْمِ الطِّباعِ فَخَيْرُهُمْ

إنْ قُلْتَ قالَ وإنْ سَكَتَّ تَقَوَّلا

---

(١) رواية الخريدة «أمطرتهم عسلا».

ومنه أيضا :

ما رعَى اللهُ آلَ برمَكَ لمَّا
أنْ رمَى مُلكَهُمْ بأمرٍ فظيعِ

إنْ دَهْراً لمْ يَرْعَ حقًّا ليحيَى
غيرُ راعٍ حقًّا لِآلِ الرَّبيعِ

ومنه أيضا قول الشاعر:

قالُوا هجرْتَ الشِّعرَ قُلتُ ضرُورةً
بابُ الدَّواعِي والبَواعِثِ مُغلَقُ

خلَتِ الدِّيارُ فلا كَريمٌ يُرتَجَى
منهُ النَّوالُ ولا مَليحٌ يُعشَقُ

ومنَ العَجائِبِ أنَّهُ لا يُشتَرى
ويُخَانُ فيهِ معَ الكَسَادِ ويُسرَقُ

قال العمادُ الأصفهانِي (*) عند سماع هذه الأبيات : « هذا قولُ

(*) العماد الأصفهاني : محمد بن محمد حامد ، عماد الدين ، أبو عبد الله الكاتب ولد بأصفهان سنة ٥١٩هـ إنحدر من أسرة عريقة في أصفهان ، وانتقل إلى بغداد فتعلم بالمدرسة النظامية ، وقضى أول شبابه ثم عاد إلى بلده أصبهان ، وسجن زمناً ثم أطلق ، وغادر بلده ، وبغداد متجها إلى الشام ، فبلغ دمشق سنة ٥٦٢هـ في عهد نور الدين محمود . وتعرف في دمشق إلى الأمير نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، ثم تعرف إلى ابنائه وعلى رأسهم صلاح الدين . وتولى كتابة الإنشاء لنور الدين بدمشق ، وبعد وفاته تولى لصلاح الدين الكتابة والوزارة =

الشّاعر وَفِى الكرام بَقِيَّة ،وفى الأعراض مِنَ اللّؤم تَقِيَة . قال والدى رحمه الله : فى هذا المعنى الّذى أشارَ إليه العماد الأصفهانى: هذا قولُ الشّاعر فى وقت كانت الفضائلُ فيه نافقَةً ، وجيادُ الفضلاء إلى غايات المعالى سابقة ، فكيفَ الآنَ وقد تنكّرت المعارفُ وجُهِلَ العارفُ ، وبقيت الآدابُ سُبَّةً على أصحابها ، وتمسكت الأيدى من الجهلة بأسبابها . »

والحيصَ بَيْص (*) فى هذا المعنى :

وجوهٌ لا تُحَمَّرُ بانتِصابِ

جَدِيرٌ أنْ تُصَفَّرَ بالصّفارِ

— بالشام وإتصل بالقاضى الفاضل . وصادقه ، وتصاحبا ، وتراسلا . وكتب بعد وفاة صلاح الدين لإبنه الأفضل على بدمشق. ثم آثر الرحلة من دمشق بعد أن لم يطب له المقام بها ، فرحل إلى مصر ، ثم عاد إلى دمشق بعد عزل الأفضل وتولى العادل أمرها . وظل يتردد بين الشام ومصر فى أيام العادل وابنه الكامل . ثم توفى بدمشق سنة ٥٩٧هـ وله مصنفات كثيرة فى الأدب والتاريخ أشهرها . خريدة القصر وجريدة العصر . وأرخ فيها لشعراء القرن السادس ، وقسمها إلى أربعة أقسام تناولت الحديث عن شعراء العراق ، وشعراء العجم وفارسي وخراسان ، وشعراء الشام وجزيرة بنى ربيعة وديار بكر ، والحق به شعراء الحجاز واليمن . والقسم الرابع عن شعراء مصر والمغرب والأندلس .

راجع ترجمته فى : وفيات الأعيان ٢ / ٧٥ ، والروضتين جـ ٢، ومعجم ياقوت جـ ١٩. الأدب فى العصر الأيوبى للدكتور محمد زغلول .

(*) الحيص بيص : شهاب الدين التميمى ، من شعراء القرن الخامس الهجرى له شعر فى الوصف والهجاء والمديح راجع ترجمته بعد .

فما دَانَ اللِّئَامُ بِغَيْرِ بَأْسٍ ... ولا لاَنَ الحَدِيدُ بِغَيْرِ نَارِ

ولغَيْرِهِ :

وجَفَّ النَّاسُ حَتَّى لَوْ بَكَيْنَا

تَعَذَّرَ ما تُبَلُّ بِهِ الخُدُودُ

فما تَنْدَى لِمَمْدُوحٍ بَنَانٌ

ولا يَنْدَى لِمَهْجُوٍّ جَبِين

والتِّهَامِى * :

وإذَا جَفَاكَ الدَّهْرُ وهُوَ أَبُو الوَرَى

طُرًّا فَلا تَعْتِبْ عَلَى أوْلادِهِ

وللشَّرِيفِ الرَّضِىّ فى هَذَا المعْنى:(١)

وإنِّى لِعِرْفَانِ الزَّمَانِ وغَدْرِهِ

أَبِيتُ ومَالِى فِكْرَةٌ فى خُطُوبِهِ

(*) التهامى : على بن محمد ، أبو الحسن، التهامى ، من تهامة وعاش بالشام فى القرن الرابع الهجرى ، وقدم إلى مصر ، وسجن بها ثم قتل بالسجن سنة ٤١٦ هـ فى عهد الخليفة الظاهر الفاطمى. وله ديوان طبع بالاسكندرية سنة ١٨٩٣ م .

راجع ترجمته فى وفيات الأعيان ٣/٦٠، وشذرات الذهب لابن العماد ٣/٢٠٤ ودمية القصر للباخرزى بتحقيق الحلو ١/١١٠، تاريخ ابن الوردى ١/٣٣٧، ومرآة الجنان ٣/٣٠ معجم البلدان (تهامه) ٢/٥١٨ ، ٨١٩. والنجوم الزاهرة ٤/٢٦٣

(١) ديوانه ص ١٠٦ ط بيروت سنة ١٣٠٧ هـ

واصبحُ لا مُستشطاً لمطيةٍ
بِقلبى ولا مُستفجياً لعجيبةٍ

وقوله : (١)

وإذا رمتكَ مِنَ الرّجالِ قوارضٌ
فسهامُ ذى القربى القريبةِ أجرحُ

نظروا بعين عداوةٍ ولو انها
عينُ الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا

والليثُ لما هيبَ خطّ لهُ الزبى
وعوتْ لخشيتهِ الكلابُ النُّبحُ

وله : (٢)

صبراً على حُكمِ الزمانِ الجائرِ
أبياضُ رأسِى واسودادُ مطالبِى

سالمْ تصاريفَ الزمانِ فمَنْ يُرِدْ
حربَ الزمانِ يَعِشْ قليلَ الناصرِ

---

(١) ديوانه ص ٢٠٠ ، ص ٢٠٢ ورواية البيت الثالث :
من حيث خوف الليث خطّ له الزبى وعوت لقدره الكلاب النبح
(٢) ديوانه ص ٢٧٠ ورواية الشطر الثانى : « لاتلق نفسك حرب الزمان تبيت قليل . . . »

وللقاضي الأرَّجاني (*) في هذا المعنى :

زمانٌ قليلٌ مِنْ بَنيه نَجيبُ
وعصرٌ وفاءُ النَّاس فيهِ عَجيبُ

وقلبٌ كقِرْطاسِ الرُّماةِ مُجَرَّحٌ
لهُ صفحاتٌ مِلْؤُهُنَّ نُدُوبُ

ولـه :

ولما بَلَوْتُ النَّاسَ أطْلُبُ عِنْدَهُمْ
أخا ثِقَةٍ عنـدَ اعتراضِ الشَّدائِدِ

تَطلَّبْتُ في يوْمَيْ رَخاءٍ وشِدَّةٍ
ونادَيْتُ في الأحْياءِ هلْ مِنْ مسَاعِدِ

فلم أرَ فيمَا ساءَني غيرَ شَامِتٍ
ولمْ أرَ فيما سَرَّني غيرَ حَاسِدِ

وله في ذَمِّ صَديقٍ لهُ :

(*) القاضي الأرجاني : أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين « ناصح الدين » ، كان قاضياً بتستر وعسكر مكرم ، ذكره العماد بين شعراء الخريدة ، وترجم له ابن خلكان في الوفيات وقال فيه : « وله شعر رائق في نهاية الحسن . توفي سنة ٥٤٤ هـ . راجع ترجمته في : خريدة القصر للعماد الأصبهاني قسم شعراء العراق ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/١٣٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٤/٥١ ، شذرات الذهب لابن العماد ٤/١٣٧ .

كالطَّيْفِ حَظُّ العَيْنِ فيهِ وافِرٌ
لِكنَّهُ لاحَظَّ فِيهِ لِلْيَدِ

يُمْسِي ويُصْبِحُ جَالِسًا فى مَسْنَدٍ
وكَأنَّه تَصْوِيرَةٌ فى المَسْنَدِ

يعْنِي أنَّ هذَا الصَّدِيق لا يتمسَّكُ مِنْه بشيءٍ ، ولا يُوثَقُ منه بالموَدَّةِ .

مثله فى المعنى لابن منقذ * :

لِى صاحِبٌ مِنْ بعضِ أحْلامِ الكَرى
صُوَرٌ ممَثَّلَةٌ بلاَ أرْواحِ

أو مِثْل تَخْيِيلِ المِراةِ فلا تَرى
فيمَا تَخَيَّلُه سِوَى أشْبَاحِ

(*) ابن منقذ : أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد . مؤيد الدولة ، أبو المظفر ، الأمير ، الشاعر ، الفارس ولد سنة ٤٨٨ هـ من أبناء أمراء قلعة شيزر بالشام . نشأ فى أسرة توارث ابناؤها حب الأدب والشعر وكان يحفظ كثيرا من شعر الجاهلية والاسلام . وكانت له جولات فى حروب زنكي مع الصليبين . واتصل بصاحب دمشق معين الدين أنر . ثم إرتحل إلى القاهرة . فاتصل بالخليفة الفاطمى الحافظ ، ولما ساءت الأحوال فى بلاط الخلافة الفاطمية فى مصر ، رجع إلى الشام وتراسل مع وزير مصر الصالح بن رزيك . ثم إتصل بصلاح الدين فى أخريات حياته ، وكان صلاح الدين يكن له إحتراما ويستشيره . تعدى التسعين من عمره وتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

راجع ترجمته فى : وفيات الأعيان ١/٦٣ ومعجم ياقوت ٣/١٧٣ . وله ديوان شعر مطبوع .

كالظِّلِّ يغدُو إن غَدَوْتُ وليسَ لِي

نفعٌ بهِ ويَرُوحُ عِنْدَ روَاحِي

يعنى أنَّ هذَا الصَّدِيقَ لا يضُرُّ ولاَ ينتفعُ ، وليسَ له تأثيرٌ في صُحْبةٍ ولا مَوَدّة .

للأرجاني في ذَمِّ الزَّمَانِ أيضًا :

رُزِقتُ من الدُّنيَا نباهةَ مُقتِرٍ

وما العَيْشُ إلاّ فِي كِفَايَةِ خَامِلِ

تمُرُّ عَلىَّ الحَادِثَاتُ وصَرْفُها

كَمَا مَرَّ بالمَبْنِيِّ فِعْلُ العَوَامِل

ولـه :

ولقَدْ دُفِعْتُ إلى الهُموم تنوبُنِي

مِنهَا ثلاث شَدائِدٍ جمَّعن لِي

أسف على ماضي الزمان وحيرة | في الحال منه وخشية المستقبل
ما أن وصلت إلى زمان آخر | الا بكيت على الزمان الأول

وقال آخر :

ولقَدْ رجَوْنا أنْ نَنَالَ بِمَدْحِكُمْ

رِفْداً يَكُونُ علَى الزَّمانِ مُعِينَا

فالآنَ نَقْنَعُ بالسَّلاَمَةِ مِنْكُمُ

لا تأخُذُوا مِنَّا ولاَ تُعْطُونَا

ومثله :

كنا إذا جئتنا لمن قبلكم
أنصف فى ترحيبه والقيام

فاليوم صرنا حين نلقاكم
نقنع منكم بلطيف الكلام

لا غير الله بكم خيفة
من أن يجي من لا يرد السلام

ومثله :

وأكثر من تلقى يسرك قوله
ولكن قليل ما يسرك فعله

وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي
فأدبني هذا الزمان وأهله

ومثله فى ذم الزمان .

ما سر يوما منه إلا ساءني
قدره فأيامي جروح قصاص

فى المعنى :

لي صاحب ما حيالى لفظ متكررة
ولا له قبلى فى الصدر من أثر

كلامُه يملأ الأسماع قعقعةً

كالرَّعد لكنه يأتي بلا مطرِ

وفى المعنى :

صديقٌ قد ندمتُ على اختياري

له لمَّا تأمَّلتهُ اختيـاري

أنمُّ من النُّصُولِ على مشيبٍ

ومِنْ صافِى الزُّجاجِ على عُقارِ

ومثله فى المعنى :

لنا صديقٌ طائرٌ عقلُه أهوجُ في كلِّ حمىً يسقطُ

يلتقطُ الأخبارَ حتَّى إذا جعلتها زقَّ الذي يلتقطُ

وقيل أيضا :

زهَّدَنِي فى النَّاسِ معرفتِي لهُمْ

وطُولُ اختبارِي صاحِبًا بعدَ صاحِبِ

فلمْ ترنِي الأيامُ خِلاًّ تسرُّنِي

مبادِيه إلاَّ ساءَنِي فِي العواقبِ

ولا كنتُ أرجُوهُ لوقعِ مُلِمَّةٍ

من الدَّهرِ إلاَّ كانَ إحدَى النَّوائبِ

ومثله :

قومٌ صَحِبْتُهُم دَهْرًا فما عَرفُوا
حقًا ولا حَفظُوا عهدًا لمَن صَحِبا

ومنه فى ذمّ الدَّهر :

الدَّهرُ كالميزانِ يرفعُ ناقصًا
أبدًا وينقُصُ زائِدَ المقدَارِ
وإذَا انتَحَى الإنصافَ عادَل عَدلُهُ
فى الوَزْنِ بَيْنَ حَديدَةٍ ونُضَارِ

* * * * *

ومما يلتحق بالهَجْو ما قِيلَ فى الحَسَدِ . وقد فَرَّق الفُضَلاءُ بين الغِبْطَةِ والحَسدِ وقالوا : إنّ الحسَدَ هو تَمنّى ذَهَابِ نعمةِ المَحْسُودِ ، وإنْ لَمْ يحْصُلْ للمتَمنّى من ذلكَ شيءٌ . والغِبطَةُ هُوَ أنْ يَتَمنّى نِعْمةَ المغْبُوطِ منغَيْرِ أنْ يَنقص منهَا شيءٌ ، مع أنه قد ورَد لفظُ الحَسَدِ فى معْنى الغِبْطَةِ ، وهو قولُه صلّى اللهُ عليهِ وسَلّمَ : لا حَسَدَ إلاّ فى اثْنيْنِ ، رجلٌ آتاهُ اللّهَ عِلْمًا فهوَ يعْملُ بهِ ويعَلّمه الناسَ ، ورجلٌ آتاهُ اللّهَ ما لاً فهو يتَصدّقُ بهِ . »

ومن نوع الحَسَدِ قولُ القائِل :

ألاَ قُلْ لِمنْ كانَ لِي حَاسِدًا
أتدْرِي علَى منْ أسأتَ الأدبْ

أسـاتَ علـى الـلّه فى فضـله ... لأنك لم ترضَ لِى ما وَهَبْ
فجازاكَ عنهُ بأنْ زادَنِى ... وسدَّ عليكَ وجُوهَ الطّلبْ

وقـول الآخر :

إنّى لأرْحمُ حـاسِدِىَّ لحَرِّ مَا
ضَمنتْ قلوبُهمُ على الأوْغـارِ
نَظرُوا صَنِيعَ اللّـهِ بِى فعيُونهُم
فى جَنّــةٍ وقلوبُهُم فى نَارِ
ثوبُ الرِّياءِ يشـفُّ عمَّا تحتَهُ
مِن فوقِهِ فكأنمَّا هُوَ عَـارِ
ومكلِّفَ الأيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَـا
مُتَطلِّبٌ فِى المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ (١)

وقول الآخر :

اصبرْ علـى حَسَدِ الحَسُودِ ... فإنَّ صَبْرَكَ قاتِلُهْ
فالنّـارُ تأكلُ نفسَـها ... إنْ لمْ تجِدْ ما تأكُلُهْ

وقول الآخر :

---

(١) البيت من قصيدة لأبى الحسن التهامى يرثى بها ابنه مطلعها :
حكم المنية فى البرية جارى ... ما هذه الدنيا بدار قرار
راجع دمية القصر ١/١١٤

وإذَا أرَادَ اللهُ نَشرَ فَضِيلةٍ
طُوِيَتْ أتاحَ لهَا لِسانَ حَسُودِ(١)

لولا اشتِعَالُ النَّارِ فيمَا جَاوَرَتْ
ما كانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

وفى المعنى :

يا مَنْ ذُنُوبِى عِنْدَه الفَضْلُ الذِى
لولاَ مَزِيَّتُهُ لكَانَ مَسَالِمِى

يُسْقَى القَضِيبُ إذَا ذَوَى أمَّا إذَا
أبْدَى الثِّمَارَ فَكَمْ لَهُ مِن رَاجِمِ

° ° ° ° °

ومن الهجو أيضًا نوعٌ يقالُ له : « الوَعيدُ والإنْذَارُ » . وكثيرٌ من الشعراءِ من يَتَمادَى هذَا النَّوعَ فيُشِيرُ فى شعرِهِ إلى توعُّدِ المهجُوِّ بالهِجاءِ ، ويُحذِّرُهُ من سُوءِ الأحْدُوثةِ ، ولا يَنْطِقُونَ القولَ فى الهِجَاءِ إلاَّ عنْ ضَرُورةٍ حينَ لا يَحسُنُ السُّكُوتُ . مثالُ ذَلكَ قولُ جريرٍ لبنى حنيفةَ حينَ كانَ مَيلُهم مع الفرَزدَقِ :

---

(١) أبو تمام من قصيدة يمدح أحمد بن أبى دؤاد ويعتذر إليه ص ٨٣ ديوانه .

أَبَنِي حَنِيفَةَ حَكِّمُوا سُفَهَاءَكُمْ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا (١)

أَبَنِي حَنِيفَةَ إِنَّنِي إِنْ أَهْجُكُمْ
أَدَعُ اليَمَامَةَ لا تُوَارِي أَرْنَبَا

فهذا قد حَذَّرَهُمْ من هِجَائِه . وقوله « حكِّمُوا سُفَهَاءَكُمْ »، يَعْنِي اتَّخِذُوا لَهُم حِكْمَةً تَكُفُّوهُمْ بِهَا عن النَّاس ، مأخُوذٌ من حِكمةِ اللِّجامِ الَّتِي تكفُّ الفَرَسَ .

قال ابن رشيق : (٢)

لا تَسْتَطِيلُوا عَلَى ضَعْفِي بِقُوَّتِكُمْ
إِنَّ البَعُوضَةَ قَدْ تَعْدُو عَلَى الفِيلِ

وجَانِبُوا المَزْحَ إِنَّ الجِدَّ يَتْبَعُهُ
وُرُبَّ مُوجِعَةٍ فِي إِثْرِ تَقْبِيلِ

ومثله قول القائل :

ولا تَحْقِرَنَّ عَدُوًّا رَمَاكَ وإِنْ كَانَ فِي سَاعِدَيْهِ قِصَرْ
فإِنَّ الحُسَامَ يَحُزُّ الرِّقَابَ ويَعْجَزُ عمَّا تَنَالُ الإِبَرْ

---

(١) ذكره ابن رشيق برواية أخرى : « احْكُمُوا » ، وقالَ أحكموا كُفُّوا من حكمة اللجام . العمدة ١٦٨/٢ . وقد أوردها بعنوان « الوعيد والانذار » .

(٢) راجع العمدة الجزء الثاني ص ١٦٩ ، وديوان ابن رشيق جمع عبد الرحمن ياغي ص ١٥٥ وهما من قصيدة خاطب بها بعض بنى مناده .

ومثله :

قد كنتُ أرْجُوكَ للبلْوى إذا عَرَضَتْ
فَصِرْتُ أخْشَاكَ للأيام والعبر
أخشى وحكمى أن أرجو ولا عجب
وربما يتأذى الروض بالمطر

ومثله :

حِجَابٌ وإعْجَابٌ وفَرْطُ تَصَلُّفٍ
وَمدُّ يَدٍ نَحْوَ العُلاَ بِتَكَلُّفِ
فلوْ كانَ هَذا من وَرَاءِ كِفَايَةٍ
عَذَرْنَا ولكنْ من وَرَاءِ تَخَلُّفِ

* * *

ومن الهجاء الأعظمِ الوصفُ بالبُخْلِ ، وذلِكَ لأنَّ البُخْلَ يَدُلُّ عَلَى لُؤْمِ الطِّبَاعِ فى البَخِيل وسوءِ عَقِيدَتِه فى خلف مايُنْفِقُهُ ، وانهماكِه علَى الدُّنيَا ، كأنَّها مُخَلَّدَةٌ له ، ولأنَّ البَخِيلَ عِنْدَ مُعَانَاةِ البُخْلِ والاستِكْثَارِ مِنْهُ لا يَخْلُو من داهِيَةٍ تَنَالُه من مَرضٍ أو غَرض (١) أو وارِثٍ يخلُصُ من دُنياه على أنحَسِ حالةٍ ، فلم يَنَلْ من الدُّنيا غَرَضاً ، ولا قدَّم للآخرةِ ما يجدُ عنهُ عِوَضاً ، فهُو علَى أسْوإِ حَالِه فى الدُّنيا والآخِرَةِ . وقد وجدَ

---

(١) هكذا فى الأصل وربما كانت « مرض »

الشُعراءُ في هَجْوِهِ أوصافاً كثيرةً أوسَعُوا فِيهَا المَجال، وأطالُوا فيهَا المَقالَ . فمن ذَلِكَ قولُ الشَاعِرِ :

جبانٌ عنِ الإنفَاقِ والمَالُ وافِرٌ
ورُبَّ سِلاحٍ عندَ منْ لَمْ يقَاتِلِ

وما الرِّزْق إلاّ طائِرٌ أعْجَبَ الورَى
وصُدَّتْ لهُ في كُلِّ فَنٍّ حبائِلُ

ومنه قولُ ابنِ الرومي :

يزدَادُ بُخلاً وشُحّاً كلّمَا كثُرَتْ
أمْوالُه فهُو لا تُرْجَى مَواهِبُهُ

كالبَحْرِ كُلُّ مِياهِ الأرْضِ قاطِبةً
تُجْبَى إليْهِ ويَظْمَى فِيهِ شارِبُهُ

وله أيضاً :

إذا غَمَر المَالُ البَخيلَ وجدْتَهُ
يَزِيدُ به بُؤْساً وإنْ كَانَ يَرْطُبُهُ

وليسَ عَجِيباً منهُ ذاكَ لأنّهُ
إذَا غَمرَ الماءُ الحِجَارةَ تَصْلُبُ

وله في المَعْنى :

وكَمْ مِنْ بَخِيلٍ قدْ تأدّبَ حِيلةً
لِيُحْجِمَ عنهُ المَادحُونَ فأحْجَمُوا

يقولون من يُهدي إلى البحر دُرّةً
ويُخرجها منه وفي ذاك مَغرَمُ

ويقول :

إنْ كُنتَ من جهلِ حقّي غيرَ مُعتذرٍ
وكنتَ من ردِّ مدحي غيرَ مُكتئبِ

فأعطني ثمنَ الطِّرسِ الّذي كُتِبَتْ
بِهِ فيكَ القصيدةُ أو كفّارةَ الكذبِ

ولكشاجم* أبيات في وصف بخيل :

صديقٌ لنا مِنْ أبرَعِ النّاسِ في البُخلِ
وأفضلِهِمْ فيهِ وليسَ بذي فضلِ

دعاني كما يدعُو الصّديقُ صديقَهُ
فجئتُ كما يأتي إلى مِثلِهِ مِثلي

فلمّا حضرْنا للطّعامِ رأيتُهُ
يرَى أنّهُ مِنْ بعضِ أعضائِهِ أكلي

أمُدُّ يدي سِرًّا لأسرِقَ لُقمةً
فيلحظُني شزرًا فأعبثُ بالبقلِ

---

* كشاجم : محمود بن الحسين ، شاعر كاتب من شعراء سيف الدولة . عرف بجودة وصفه للطبيعة . أقام بمصر زمنا وظل يحن إليها في شعره . توفي سنة ٣٣٠ هـ.
راجع حسن المحاضرة ج ١ .

ويغتاظُ أحيَاناً فيشتمُ عبدَهُ
وأعلمُ أنَّ الغيظَ والشتمَ من أجلِي

إلى أنْ جنَتْ كفِّى لِحَتْفِى جنايةً
وذلِكَ أنَّ الجُوعَ أعدَمنِي عَقلِى

فجرَّتْ يَدِى للحَيْنِ رِجلَ دَجاجةٍ
فجُرَّتْ كما جرَّتْ يَدِى رِجلَها رِجلِى

وقدَّمَ من بعدِ الطعامِ حَلاوةً
فلم أستطِعْ فيها أمرُّ ولا أحلِى

وقمتُ لو انِّى كُنتُ بَيَّتُّ نيَّةً
وَبحثُ ثوابَ الصَّوْمِ من عَدمِ الأكلِ

ومن هـذا النوع لأيدمر المحيوى * فى ذمِّ البَخيل، وقـد ضمَّنها أبياتِ امرىءِ القَيْس :

ترَى ضيفَه المِسكِينَ جوعاً كأنَّه
لدَى سَمُراتِ الحىِّ ناقِفُ حَنظَلِ

فما مَطعمُ الأضيافِ من مَنزِلي سوَى
نسيمِ الصَّبا جاءَتْ بريَّا القرَنْفُلِ

ولو ذُقتَ لي خُبزاً لفاضَتْ مَدامِعى
على النَّحْرِ حتَّى بَلَّ دَمعِى مَحمَلِى

* أيدمر المحيوى التركى : من شعراء مصر فى القرن السابع الهجرى ، عاصر البهاء زهير وابن مطروح .

ألستَ تَرانى كيف غَطيتُ سُفرَتى
بِشِقٍّ وتَحتى شِقُّها لم يُحَوَّلِ
وكمْ رُمتُ مِنها كِسرةً فتعذَّرَتْ
علىَّ وآلتْ حِلفةً لم تُحَلَّلِ
إذا سُئِلَ الجدوى تمطَّى بِصُلبِه
وأردفَ أعجازًا وناءَ بِكَلْكَلِ
فيالَكَ من رُغفانِ خُبزٍ كأنّما
بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّتْ بيذْبُلِ
أخفُّ من اليَقطِين رأسًا كأنَّه
كجلمُودِ صَخرٍ حطَّهُ السَّيلُ مِنْ علِ

• • •

ومن هذا النوع ماقيلَ فى أشياءَ مُستَحسَنةٍ ، فمِنهُ ماقيل فى ذمِّ إمام :

لنا إمامٌ ظريفٌ	خفيفُ رُوحِ الصلاةِ
يَظلُّ يركُضُ فيها	ركضًا بِغيرِ قراةِ
كراكبٍ فوقَ طِرفٍ	مُستعجلٍ بمِشاةِ

وماقيل فى مُستحدَثٍ بِنعمة :

أقولُ له إذْ طيَّشتْهُ رِياسةٌ
رُوَيدَكَ لاتعْجلْ فقدْ غلطَ الدَّهرُ

تَمهَّلْ يُراجِعْ فيكَ دهرُكَ عقلَهُ
فما سُدْتَ إلاّ والزَّمانُ بِهِ سُكْرُ

وفى المعنى :

فإنْ كانتْ الأيّامُ أعلتْ لهُ يداً
يَطُولُ بِهَا فى ظُلْمِهِ ويُجَاذِبُ
فما مِنْ يدٍ إلاّ يَدُ اللهِ فَوْقَها
ولا غالِبٌ إلا لَهُ اللهُ غالِبُ

وفى المعنى :

مَدَحَتْكَ ألسِنَةُ الأنامِ مَخَافَةً
وتَقرَّبُوا لَكَ بالثَّناءِ الأحْسَنِ
أتَرى الزَّمانَ مؤخِّرا فى مُدَّتى
حتَّى أعِيشَ إلى انطِلاقِ الألْسُنِ

وفى المعنى :

وحَتَّامَ أرْجُو دَوْلَةً ووُلاتُها
يَردُّون إنْ حَيَّيْتَهم بالحَواجِبِ
مُصيبُون فى تَخجيلِهمْ كُلَّ مادِحٍ
وعينُ صوابِ الرأىِ تَخجيل كاذِبِ
سواءٌ لدَيْهمْ ما حَوى سِلْكُ ناظِمٍ
وما ضَمَّهُ فى ظُلْمةٍ حَبْلُ حاطِبِ

وفى المعنى :

النّاسُ أهدَى فى التقبيحِ من القَطَا

وأخَلُّ فى الحُسْنَى من الغِرْبَانِ

* * *

ما قيل فى ذم كحّال :

قد قُلْتُ للكحّال حين رأيتُه

وقفَاهُ يُصفَعُ من هُنَاكَ ومِنْ هُنَا

أقفاكَ هذا من حَديدٍ باردٍ

فأجابَنِى مستَبْشِرًا مُستَهْزِئًا

أنكرتُ طارقةَ الحَوادِثِ مرّةً

ثُم اعترفتُ بهَا فصَارَتْ دَيْدَنَا

وفى المعنى :

رجلٌ توكّل بى وكحّلَنِى فأُصِبْتُ فى عينِى وفى عَيْنِى

وفى كحّال أيضاً شريفٍ عَلَوِىٍّ :

عادى بَنِى العبّاسِ حتّى إنّه

خَلَعَ السّوادَ من العُيُونِ بِكُحْلِه

ماقيل فى أحدب :

يشبه القوس صورة فلهذا أبداً فى الصدور منه ينالُ

ما قيلَ فى ذَمِّ طَبيبٍ :

يَمْشِى وعِزْرَائِيل مِنْ خَلْفِه مُشَمِّرُ الأكْمامِ القَبْضِ

وفى التمثى :

ثلاثةٌ تدْخُل فى دُفْعَةٍ طَلْعَتُه والنَّعْشُ والغاسِلُ

وفى المعنى :

وقدْ كانَ يُؤذِى النّاسَ بالقَوْلِ وحْدهُ
فقد صارَ يُؤْذِى النّاسَ بالقَوْلِ والفِعْلِ

وفى المعنى :

ما عادَ فى صَبيحةِ يومٍ ... مُغنٍّ إلاّ وفى باقيهِ رثاء

ما قيل فى ذم واعظ :

يُعيدُ ما قالَ أمسِ فى غَدِهِ
بلا اختلافٍ لمعْنًى ولا لَفظِ
حضرتُ بعضَ الأيام مَجلِسَه
فكلُّ ما قالَهُ على حِفظِى

ما قيل فى ذَمّ القُضاةِ :

لنَا حاكمٌ حُكمُهُ ماضى ... وأحكامُ زوجتِهِ ماضيَهْ
فياليتَهُ لم يكُنْ قاضِياً ... ويا ليتَها كانتْ القاضيَةْ

وفى معناهُ :

قضاةُ زماننا أضحَوْا لصُوصاً ... عمُوماً فى البريّة لاخُصُوصا
يَرونَ بأكلِ أموالِ اليتامى ... كأنّهمُ رَوَوْا فيها نُصُوصا
وَحقِّكَ إنّهُم لوْ صافحُونا ... لسلُّوا من خواتِمنا الفُصُوصا

وفى معناه :

قاضٍ إذا انفصلَ الخصمان ردّهُمَا
إلى الخِصَامِ بحُكْمٍ غيرِ مُنْفَصِلِ

يبدى الزهادة فى الدنيا وزخرفها
جهراً ويقبل سراً بعثرة الجمل

وفى المعنى :

قاض يرى الحد فى الزنى
ولا يرى على من يلوط من باس

أميرنا يرتشى وحاكمنا
يلوط والرأس شر ما راس

لا أحسب الجور ينقضى وعلى
الأمة وال من آل عباس

وفى المعنى :

ولما أن وليت بغير عدل
وفاض الجور من كفيك فيضا

ذبحت بغير سكين وإنى
لأرجو الذبح بالسكين أيضا

ما قيل فى ذم الشهود :

فلان والجماعة عارفوه
وإن أبدى العبادة والزهاده

يموت على الشهادة وهو حى
إلى لا تموته على الشهاده

ما قيل فى ذم الفقهاء :

دَرَسُوا العُلُومَ ليملكوا بِجِدَالِهم

فيها صُدورَ مراتبٍ ومجالِسِ

وتزهَّدُوا حتَّى أصابوا فُرْصةً فى أخْذِ مالِ مساجدٍ ومدارسِ

ما قِيلَ فى ذم الدَّواوين :(١)

فقد عاشَرْتُهم ولَبِثْتُ فيهمْ

فلَمْ أرَ فيهُم أحداً أمِينَا

فكُتَّابُ الشمالِ هُمُ جَميعاً

فلا صَحِبَتْ شِمَالُهُم اليَمينَا

فكَمْ سَرِقُوا الضَلالَ وما عَرفْنَا

بِهِمْ فكأنَّهُم سَرِقُوا العُيُونَا

وفى المعنى :

إذا هَجَوتُكُمُ لَمْ أخْشَ سَطْوتَكُمْ

وإنْ مَدَحْتُ فَمَا حظِّى سِوَى التَّعَبِ

فحِينَ لمْ يَكُ لا خَوفٌ ولا طَمعٌ

رَغِبْتُ فى الصَّمْتِ إشفاقاً من الكَذِبِ

وفى المعنى :

صَحِبتُ قَوماً يُعَدُّ الشَّرُّ عِنْدَهُم

حَزْماً تُشِيرُ بِهِ الآراءُ والفِطَنُ

---

١ — الأبيات من قصيدة مشهورة للبوصيرى (٦٠٨هـ — ٦٩٥هـ) يعرض فيها الوزير وأمير العربية على موظفى العربة ومستخدميها — راجع ديوانه ، وكتابه «الأدب فى العصر المملوكى» للدكتور محمد زغلول سلام ١/٢٦٦—٢٦٧.

عَمُوا عن الخَيرِ واعتادَتْ نُفوسُهُم
فِعْلَ القَبيحِ وظَنُّوا أنَّه حَسَنُ

ما قيلَ فى ذَمّ النَّصارى :

لا تَقُل تَعرِفُ النَّصارى حِساباً
ليسَ يَدْرونَ غيرَ طُرْقِ الخَباثَة
كيفَ يدْرِي الحِسابَ منْ جَعَلَ الوَ ... احِدَ سُبْحانَه بِجَهْلٍ ثلاثَةْ

وفى المعنى :

إنَّ منْ يُشْرِكُ باللهِ	جهولٌ بالمَعانى
أحولُ العقلِ لهذا	ظنَّ للواحِد ثانِى

ما قيل فى ذَمّ يَهُودِىّ :

لنا صديقٌ يَهُودىٌّ حَماقَتُهُ
إذا تكلَّم تبدو فيه مِنْ فِيهِ
يَتيهُ والكلبُ خيرٌ منهُ مَنزِلةً
كأنَّهُ بعدُ لمْ يَخْرُجْ من التِّيهِ

ما قيل فى ذم الجماعة كلهم لابن الخيمى :(١)

كمْ قد أقمتُ فى البلا	دِ بُرْهَةً وفى القُرَى
فما وَجدْتُ مُفلحاً	فى النَّاسِ مِنْ هذا الوَرَى

---

١ — هو محمد بن عبد المنعم من شعراء المصريين فى المائة السابعة (توفى سنة ٦٨٥ ﻫ) وانظر ترجمته فى فوات الوفيات لابن شاكر ٤٦٤/٢ .

فالأُمَرَاءُ كُلُّهُمْ أَشِحَّةٌ والوُزَرَا
لا يَعْرِفُونَ ما السَّمَا حُ بَيْنَهُمْ ولا القِرَى
والفُقَهَاءُ والقُضَا ةُ حيثُ كانُوا فُقَرَا
لَيْسَتْ لَهُمْ بِضَاعَةٌ إلا الجِدَالُ والمِرَا

ما قيل في ذَمِّ الظَّلَمَة :

إذَا ظَالِمٌ اسْتَحْسَنَ الظُّلْمَ مَذْهَباً
ولَجَّ عُتُواًّ في وَخِيمِ اكْتِسَابِهِ
فَذَرْهُ إلى ظُلْمِ اللَّيالى فإنَّها
سَتُبْدِى لهُ مَا لَمْ يَكُنْ فى حِسَابِهِ
وكَمْ قَدْ رأينَا ظَالِماً مُتَجَبِّراً
يَرَى النَّجْمَ فيها تحْتَ وَطْءِ رِكَابِه
فأحْسَنُ ما قَدْ كانَ عُجْباً بِنَفْسِه
أناخَتْ صُرُوفُ الحَادِثَاتِ بِبَابِه

وفى هذَا المَعْنى يُقَالُ إنَّ الفَضْل بنَ مروان(١) وزير المعتصم وزر للمُعْتَصم بعد الفَضْلِ بن سهل(٢) والفضل بن الربيع(٣)

---

(١) كان أول وزراء المعتصم بعد توليه الخلافة ، وكان عامياً لا علم عنده ولا معرفة ، ردىء السيرة . راجع الفخرى ص ١٧٣ .

(٢) سمى ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم . قالوا : كان من أولاد ملوك الفرس وكان أبوه مجوسيا أسلم فى أيام الرشيد . وكان سخياً ، يجارى البرامكة فى جوده . وزر للمأمون . وقتل سنة ٢٠٢ هـ .

(٣) وزر للرشيد بعد نكبة البرامكة إلى أن مات الرشيد بطوس فوزر لابنه الأمين حتى قتل وتولى المأمون .

والفضل بن يحيى(١)، وأن الفضلَ بنَ مَرْوانَ لما وَزَرَ ظَلَمَ وبَغَى وأساءَ واعْتَدَى فقالَ فيه بعضُ الفُضَلاء :(٢)

تَفَرعَنْتَ يا فَضْلُ بنُ مرْوانَ فاتَّئِدْ
فقبلَكَ كانَ الفَضْلُ والفَضْلُ والفَضْل
ثلاثةُ أملاكٍ مَضَوْا لِسَبيلِهِمْ
أبادَتهُمُ الاقيادُ والحَبْسُ والقَتْلُ
وإنَّكَ قدْ أصْبَحْتَ فى النَّاس ظَالماً
سَتُودى كمَا أودَى الثَّلاثةُ مِنْ قَبْلُ

فلم يَمضِ علَى الفَضْل بنِ مَرْوانَ بعدَ هذه الأبياتِ مُدَّةٌ حتَّى نُكِبَ.

وفى معناه :

لا قرَّب اللهُ دارَ قومٍ ... الشَّرْحُ فى ذَمِّهمْ يَطُولُ
كلامُهمْ كُلُّه كَلامٌ ... وفَضْلُهُم كُلُّه فُضُولُ

وقالَ أبو العلاءِ المَعَرِّى فى رجل شاعرٍ مقرىءٍ :

هذَا أبوُ القَاسِم أعْجُوبَةٌ
لِكُلِّ مَنْ يَدْرِى ولاَ يَدْرِى
لا يُحْسِنُ الشِّعرَ ولاَ يَحْفَظُ الـ
قُرآنَ وهوَ الشَّاعِرُ المُقرِى

(١) الفضل بن يحيى بن خالد ، اشتهر بكرمه ، ونكبه الرشيد مع اخيه جعفر .
(٢) أورد ابن الطقطقى فى الفخرى ص ١٧٣ بيتين منها ورواية الثانى :
أبادهم التقييدُ ، والأسر ، والقَتْلُ

ما قيل فى ذم مريض بغيض :

قُمْ فَمَا السُّقْمُ والحُمَّى ... عَلى جِسْمِكَ وَقْعُ
إنَّما يُخْشَى عَلَى مَنْ ... فيه لِلعَالَمِ نَفْعُ

ومثلهُ فى المَعْنَى :

أيَا عَلِيلاً عَلَيْهِ قَلْبِى ... من كُلِّ ما رَاعَهُ مَرُوعُ
قمْ لَسْتُ أخْشَى عليكَ بأْساً ... فالدِّرْهَمُ الزَّيفُ لا يَضِيعُ

ما قيل فى ذَمِّ قَلْعَةٍ :

لِي علَى الرِّيق كُلَّ يومٍ رُكُوبُ
فى غُبارٍ أغصُّ مِنْه بِرِيقِى
أقصِدُ القَلْعَةَ الخَرابَ كأنِّى
حَجَرٌ مِنْ حِجَارةِ المَنْجَنِيقِ
فثِيَابِى تَبْلَى وعُمْرِىَ يَفْنَى
هَـذِهِ قَلعَةٌ علَى التَّحقِيقِ

وفى ذم أبْنَاء الزَّمَانِ :

هلْ رأيْنَا أوْ سَمِعْنَا من نَهى
أحداً عن سُوءِ فعْل فانْتَهَى
بلْ إذَا عُوتِبَ فى سَيِّئَةٍ
لمْ يَدَعْها وتَعَاطَى أُخْتَها

وقيلَ إن أهجى بيت قاله العرب(١) هو:

قَومٌ إذَا اسْتَنْبَحَ الأَضيَافُ كَلبَهُمُ
قَالُوا لأمِّهِمُ بُولِي عَلى النَّارِ

وذلك لأن كُلَّ كلِمةٍ من هذَا البَيْتِ فيها هَجْوٌ ، فإنَّ قَوْلَه « قومٌ » نكِرةٌ والنَّكِرةُ تدلُّ على جَهَالةِ القومِ . وقولُه إذَا حرفُ شرطٍ فيعطى معنى يُفهَمُ منه أنَّ الأضيَافَ لا يَأْتُون إليهِم أبداً إلاَّ(٢) إذَا أتوا فيكوُن كيتٌ وكيتٌ . وقوله : « استَنْبَحَ » دليلٌ علَى أنَّ كلابَهُم لا ينبحُون الأضيافَ لمهَانتِهِم وجُوعِهِم فلا يَنْبَحُونَ حتى يُستَنْبَحوُا . وقوله : « الأضيافُ » دَليلٌ على أنَّه لا يَطرقُهم غيرُ الأضيافِ لقلَّتِهم وذلَّتِهم ، وقولُه كلبهُمْ استصغارٌ بهم خلافُ مالَوْ ذَكَر رَغَى إبلِهم أو صِياح أغنامِهم ، إذْ هُمْ عاروُن من ذلك . وقولَه : « قالوا » دَليل علَى نُطقِهم بالفُحْش ، وقوله : « لأمهم » أبلغُ فى إساءَةِ الأدبِ منْ أن لوْ كانَ لصبيَّة . وقوله : « بولى » أفحَش فى خطابهم لأُمِّهم ، وقولُه : « علَى النَّارِ » يَعْنِي أنَّ الأضيافَ إنَّما يَروْن منزلَهُمْ ويقْصِدُونَه بهذه النَّار المُوقَدةِ فإذَا أطفأتْهَا أمُّهم ضلَّتْ الأضيافَ عن الطَّريق إليهِم . فهذا أعظَمُ ما يكون فى البُخْل والبيتَ أعظَمُ ما يكون فى الهِجَاءِ . والله أعْلَمُ .

---

(١) البيت مشهور للاخطل التغلبي فى بنى يربوع رهط جرير . راجع العمدة ٢/١٧٥ .

(٢) لعله يقصد حتى إذا أتوا .

باب

المديح

المدحُ أعمُّ من الحَمْدُ ، والحمد على الأفعال ، والمدْحُ للأفعال والأوصافِ اللازمةِ ، فتقولُ : مدحتُ الرَّجُلَ على بِرِّه ، ومدحتُه على شجاعَتِه ، وكذلك : حمَدته على بِرِّه وعلى شجاعتِه . ولا تقول حمدتُ جمالهُ ولا شرفَ عُنصُرِه ، فصارَ المدْحُ يشتركُ مع الحمْدِ على الأفعالِ ، والمدْحُ يُطلَقُ على الأفعَال والأوصافِ .

فالحمدُ أخصُّ بالقُوةِ النُّطقيَّةِ من المَدحْ ، وأخصُّ منهما بالشكرِ ، إذ الشُّكرُ يكُونُ بالقولِ وبالفِعْلِ . قالَ اللهُ تعالى : (اعمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرا)(١) ، وعلى [ذلك] فلا يكونُ كلُّ شُكْر أخصَّ من الحَمْدِ والمَدْح ، لأنَّه يَصْدُقُ على الشُّكْرِ الفِعْليِّ ، ولا يَصْدُقُ عليه حَمْدٌ . والحَمْدُ والمدْحُ والشُّكْرُ ، لا يَطْلَقُ شيءٌ من هذه الثلاثةِ على مالا يُعقَلُ إلاَّ مَجازاً وتوْسِعَةً ، وكلَّ ما كانَ المَدْحُ أقربَ إلى الشَّخصِ وأخصَّ بنوعِهِ الأخيرِ ، بلْ وبصِفتِه الخاصَّةِ ، كانَ أمدَحَ وأدْخلَ في الصِّناعةِ ، لأنك إذا أردْتَ أنْ تمدَحَ ملكاً

---

(١) سورة سبأ ١٣ .

مثلاً لا تمدحهُ بكونهِ جسماً ولا حيواناً ولا إنساناً ، لأنَّ هذهِ الأوصافَ لهُ مشاركونَ فيها ، وكذلكَ الذكوريةُ والرجوليةُ والعقلُ المطلقُ ، ومطلقُ السياسةِ ، فانَّ الرعيةَ وكثيراً ممن بحضرتهِ يشاركونهُ في هذهِ الأوصافِ ، بلْ يوصفُ الملكَ بما تفرَّدَ بهِ واختصَّ بهِ عمَّنْ سواهُ كالملكِ الذى وهبهُ اللهُ تعالى . والكمالِ فى العقلِ والإفراطِ فى السؤددِ وعلوِّ الهمةِ وحسنِ المداراةِ ، وطولِ المصابرةِ على المكارهِ ، والمحاماةِ عنْ حوزةِ الملكِ ، وحبِّ العدلِ وبذلِ النفسِ والمالِ فى الجهادِ والجودِ والكرمِ ، وشرفِ المحتدِ ، وكرمِ الجرمِ وحسنِ السمتِ ، وكمالِ الهيبةِ وقبولِ الصورةِ ، وقوةِ البنيةِ ، وحسنِ طاعةِ العسكرِ لهُ ، واستحقاقهِ الملكَ ، ومساعدةِ القدرِ لهُ على ما يريدهُ وحسنِ الاجتماعِ عليهِ ، واحياءِ الشريعةِ ، والعملِ بأوامرها ، وإقامةِ منارِ الإسلامِ .

وكذلك إذا أردتَ أنْ تمدحَ عالماً أو عابداً أو شاعراً أو تاجراً أو غيرَ ذلكَ من أربابِ الصنائعِ اطَّرحتَ الأمورَ العامَّةَ التى تعمُّ فيها الشركةُ ، وقصدتَ إلى صفتهِ المخصوصةِ بهِ التى ليسَ فيها مشاركٌ . وينبغى أنْ تمدحَ كل إنسانٍ بما هو خاصٌّ بهِ ، فإنَّ الهيئةَ والصورةَ قوةً فى الدلالةِ على أحوالِ الإنسانِ وأخلاقهِ ، واستحقاقهِ الرتبةَ التى هو فيها . قالَ ابنُ عباسٍ : ما رأيتُ قفا رجلٍ إلا علمتُ عقلَه . قيلَ لهُ : فإذا رأيتَ وجههُ؟ قالَ : ذلكَ كتابٌ أقرؤُه .

وينبغي للمادح أن يعطي كلَّ أحد ما يستحقه من المدح ، فلا يمدح الجبان بالشجاعة ولا البخيل بالكرم ، فإن التجأ إلى مدح أحد من هؤلاء فليبرز كلامه في صورة خاصة به يمدحه بها ، ويسكت عن بخله وجبنه أو غير ذلك من عيوبه ، فإن الاقتصاد في القول أقرب إلى طريق الحق وقول الصدق ، فقد قيل : من مدحك بما ليس فيك فقد ذمك ، ولهذا ما أنشد الحطيئة : (١)

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تلك نار موسى عليه السلام . فهذا القول من الحطيئة إفراط . وأصول مدح الرجال أربعة : العقل والشجاعة والعفة والعدل ، وسائر الاوصاف الحسنة تندرج تحت هذه الأوصاف الاربعة . وإذا أراد المادح من الممدوح شيئاً أو علم من نفس الممدوح أنه يميل إلى شيء من الأشياء فليبن المادح مدحه على الأوصاف التي تناسب قصد الممدوح أو تناسب المقصود منه . مثال ذلك إذا مدحت إنساناً تطلب جوده ، فليكن مدحك مبنياً على الكرم وذكر أوصافه ، وذكر الكرماء وفضلهم على من سواهم ، فإن ذلك ، أبعث لنفس الممدوح على بذل العطاء ، وكذلك إذا أردت

---

(١) راجع العمدة لابن رشيق ٢/١٣٧ .

الاستنصارَ بهِ على أحدٍ من عدوٍّ أو غيرِهِ فلتعرَّضْ بذكرِ النجدةِ والقوّةِ والعزْمِ والحزْمِ والحميّةِ ، وما أشبهَ ذلكَ ، توطئةً لما تريدُهُ منه من الاستنصارِ بهِ وكذلكَ فى كلّ صفةٍ تريدُ أن تنالَها من الممدوحِ ،فلتعرَّضْ بمَا يُناسبُها من الأوصافِ ، فإنّها أبعثُ على تحصيلِ المقصُودِ من الممدوحِ .

وقد كانتْ الشُّعراءُ يتباهُونَ فى المديحِ ويفتخرُونَ بهِ حتّى إنّه يُحكى أنّ الشُّعراءَ اجتمعُوا يومًا ببابِ الخليفةِ المُعتصِمِ ، فبعثَ إليهِمْ يقُولُ لهُمْ : من يُحسِنُ أن يقُولَ المدحَ مثلَ مَنصُورٍ النَّميرِيّ * فى أميرِ المؤمنين الرَّشيد حيثَ يقول (١) :

إن المكارمَ والمعروفَ أنديةٌ أحلَّكَ اللّهُ منها حيثُ تجتمعُ

إذا رفعْتَ امرءًا فاللّهُ رافعُهُ

ومنَ وضعْتَ من الأقوام مُتَّضَعُ

فليدْخُلْ إلى أميرِ المُؤمنينَ المعتصِمِ ، فقامَ محمدُ بنُ وَهْبٍ ** الشّاعرُ وقالَ : فينَا منْ يقُولُ خيرًا منه وأنشده :

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢/١٣٩ وروايته « إن المكارم والمعروف أودية »

* منصور النمرى : هو منصور بن سلمة بن الزبرقان . وكان مقدما عند الرشيد، يجزل له الجائزة،واورد له ابن قتيبة جملة من مدائحه فيه ٢/٨٥٩ . راجع ترجمته فى : تاريخ بغداد ج ١٣ والاغانى ج ١٧ .

** محمد بن وهب : من شعراء الكتاب ،ويذكر باسم محمد بن وهيب،وهو بصرى عاش فى بغداد ويعد وسطاً فى الشعر من طبقة دعبل وكان يتشيع . ومدح المأمون والمعتصم . راجع ترجمته فى الأغانى ١٧/١٤١ ومعاهدالتنصيص ١/٧٦ واللالئ ٣/٩٧ .

ثلاثةٌ تُشرقُ الدُّنيا بِبَهجَتِهِم
شمسُ الضُّحَى وأبو إسْحَاقَ والقَمَرُ(١)
تَحكِي أفاعِيلَهُ في كُلِّ نائِبَةٍ
الغَيْثَ واللَّيْثَ والصَّمْصَامَةَ الذَّكَرُ

فأمر الخليفة بادخاله عليه وأجزل صلته ، فمن أراد المديح فليقل هكذا .

ولما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ قالَ : أبلِغُوا الانصَارَ أن أخَاهُم حسّانَ بنَ ثابتَ الانصارِيَّ أمدحُ النّاسِ حيثُ يقول :(٢)

يُغشَوْنَ حتَّى ما تَهِرُّ كِلابُهُم
لا يَسألُونَ عَنَ السَّوادِ المُقبِلِ

ومن المدحِ المشهُورِ بالجَودَةِ قولُ الشّاعِر :(٣)

فإنكَ شمسٌ والمُلُوكُ كَواكبٌ
إذا طَلعَت لم يَبْدُ مِنهُنّ كَوكَبُ

ومن المدح الجيد أيضا قول الشاعر :(٤)

تَراهُ إذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلاً
كأنّكَ تُعطِيهِ الّذِي أنتَ سائِلُه

---

(١) العمدة ٢/١٣٩ وراجع تحرير التحبير ص ١٩١ .

(٢) العمدة ٢/١٩٣ .

(٣) النابغة الذبياني العمدة ٢/١٤٠ .

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى ، وذكر ابن رشيق أن الحاتمي قدمه على غيره (وراجع العمدة ٢/١٤٠) .

وزهيرُ بن أبى سلمى موصوف بجودة المدح ، فمن ذلك قوله :

لو كانَ يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ مِن كَرمٍ
قَومٌ لأوّلِهِمْ أو مجْدِهم قَعَدُوا

قَومٌ سِنانٌ أبوهُمْ حِينَ تَنْسِبُهُمْ
طابُوا وطابَ مِن الأولادِ ما وَلَدُوا

وقول زهير أيضا :(٥)

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُهُم
وأنْدِيةٌ ينْتابُها القَولُ والفِعْلُ

وإنْ جِئْتَهُم ألفَيتَ حَولَ بُيوتهم
مجالِسَ قدْ يُشْفَى بأحْلامِها الجَهْلُ

على مُكْثِرِيهم حقٌّ مَنَ يعْتَرِيهُمُ
وعندَ المُقِلّينَ السَّماحَةُ والبَذْلُ

سعَى بعْدَهُم قومٌ لكَىْ يدركوهُمُ
فلم يُدْرِكُوا ولمْ يُلامُوا ولمْ يَأْلُوا

فما كانَ من خيرٍ أتوه فإنمّا
توارَثَهُ أجْدادُ أجْدادِهم قَبلُ

وهل يُنْبِتُ الخَطّىَّ إلاّ وَشيجُهُ
وتَغْرِسُ إلاّ فى مَنابِتِها النَّخْلُ

---

(٥) العمدة ١٣٤/٢ .

وهذه الأبياتُ مستحسنةٌ غيرَ أنه ما خلتْ ممّنْ أظهرَ لها معايبَ ، من جملتها أنه قالَ عند قوله « مُكثريهمْ » إنّ هذا إخبارٌ أنَّ فيهم مكثرينَ ومُقلّينَ ، فلو كانَ مكثروهم كرماءَ لبذلُوا لمُقلِّيهم الأموالَ حتى يتساووا في الوصف ، كما قالَ حسّانُ :

المُلحِقينَ فقيرَهُمْ بغنيِّهم

والمُشفِقينَ على الفقيرِ المُرْمِلِ

فهذا العيبُ الأول ، والعيبُ الآخرُ قولـه : « حقٌّ من يعتريهمُ » فإذا كانُوا لا يسمحونَ بأكثرَ من إعطاءِ الحقِّ ، فليسَ هذا وصفاً فإنَّ من أعطَى الحقَّ فقدْ قامَ بالواجبِ ولم يتفضَّلْ بما وراءَ الإنصافِ ، والزيادةُ على الإنصافِ أمدحُ . والعيبُ الآخرُ في قوله : « وعند المُقلِّينَ السماحةُ والبذْلُ » . فهذا دليلٌ على أنَّ المُقلِّينَ أكرمُ طباعاً من المُكثرين على قُدْرَتِهم .

ومن المعايبِ أيضاً أنهُم دعَوْا حقَّ القريبِ ، وصِلةُ الرَّحِمِ أولى ما بُدِيءَ به .

وقد ردّ والدي رحمهُ اللهُ على من أنكرَ هذه المعايبَ ، فقالَ : أمّا من قالَ إنّ الزيادةَ على الإنصافِ أمدحُ فهذا صحيحٌ ، لكنه إذا أتى الإنسانُ بمدحٍ وغيرهُ أمدحُ منهُ لا يكونُ ذلك ذمّاً ، وأمّا منْ انتقدَ على الشاعرِ قوله « حقٌّ مَنْ يعتريهمُ »

يعنى أنه إذا طرقهم أحد أوجبوا لأنفسهم حقاً فقاموا به وهذا فى غاية المدح. وأما من زعاب قوله: « وعند المقلين السماحة والبذل »، فهذا ليس بشىء، لأنه بيّن أنّ إقلالهم لم يكن عن فقر فلو كان عن فقر لما نسب إليهم السماحة والبذل، وإنما أطلق عليهم لفظة مقلين بالنسبة إلى قومهم، وإنما هم مكثرون عند من ليس منهم.

ومن محاسن المديح المشهور بالجودة قول زهير بن أبى سلمى أيضاً:(١)

من يلق يوماً على علاته هرماً
يلق السماحة فيه والندى خلقا

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا
ما كذب الليث عن أقرانه صدقا

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا
ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

لو نال حى من الدنيا بمكرمة
أفق السماحة نالت كفه الأفقا

فقد وصف الممدوح باعتلائه على خصومه فى كل صورة.

ومن جيد المدح ما روى عن ابن الرومى فى قوله:(٢)

---

(١) ديوان زهير

(٢) ينسبه ابن طباطبا « فى عيار الشعر » إلى أحمد بن أبى طاهر ص ٧٥.
ورواية البيت الأول:

إذا أبو أحمد جادت لنا يده

إذَا أبُو قَاسِمٍ جَادَتْ لنَا يَدُهُ
لمْ يُحْمَدِ الأجوَدَانِ البَحْرُ والمَطَرُ
وإن مضَى رأيُه أوجَدّ عزْمَتُهُ
تَأخّرَ المَاضِيَانِ السَّيفُ والقَدَرُ
وإنْ أضَاءَ لنَا نُورٌ بِغرّتِه
تضَاءَلَ النَّيِّرَانِ الشَّمْسُ والقَمَرُ
تنَالُ بالظّنّ ما أعْيَى العَيانُ بِهِ
والشَّاهِدَانِ عَلَيْهِ العَيْنُ والأثَرُ
كأنّه وزِمَامُ الدّهْرِ فى يَدِهِ
يَدْرِى عَوَاقِبَ مَا يأتِى ومَا يذَرُ(١)

قال شرحبيل بنَ معن بنِ زائدة(٢) : كنتُ أسيرُ تحتَ قُبةِ يحيى ابن خالد البرْمَكِى لمَّا حجَّ معَ الرَّشِيد ، وكانَ عديلهُ يومئذ القاضى أبو يُوسف إذ أتاهُ أعرابِىّ من بَنِى أسَد كانَ يلقاهُ إذَا حجَّ فيمدَحُهُ ، فأنشَدَ الأعرابىُّ شعراً يمدَحُ به يحيَى بنَ خَالد ، فأنكرَ يحيى منه بيتاً ، فقالَ : يا أعْرابِىّ ألم أنهكَ عن مِثل هذَا الشِّعر ، ألا تَقُول كمَا قال مروانُ بنُ أبِى حَفْصَة* :

(١) ذكرها ابن رشيق — العمدة ٢/١٤٠/١٤١ .

(٢) روى القصه ابن رشيق فى العمدة ٢/١٤١/١٤٢ .

* مروانُ بنُ أبى حفصه : ويكنَّى أبا السمط . وهو مروان بن سليمان بن أبى حفصة ، من أصل أعجمى ويقال إن جده كان يهودياً خراسانيا . كان مولى لمروان بن الحكم ولد سنة ١٠٢ هـ/٧١٢ م ومدح المهدى . وكان عباسياً يتقص من أهل البيت —

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم
أسودٌ لها في غيلِ خفّانَ أشبُلُ

همُ يمنعونَ الجارَ حتّى كأنما
لجارِهمُ بينَ السماكينِ منزِلُ

بهاليلُ في الإسلامِ سادُوا ولم يَكُنْ كأوّلِهم في الجاهليّةِ أوّلُ

همُ القومُ إن قالُوا أصابُوا وإنْ دُعُوا
أجابُوا وإن أعطَوا أطابُوا وأجزَلُوا(٢)

ولا يستطيعُ الفاعلُونَ فعالَهمْ
وإنْ أحسَنُوا في النائباتِ وأجمَلُوا

فنظر القاضي أبو يُوسف إلى يحيَى بن خالدٍ وقال لهُ : يا يحيَى لمن هذا الشِّعر ؟ ما سمعتُ أحسنَ منهُ ، فقال يحيَى : هذا الشِّعر لابن أبي حفصة يقولُه في معنِ بن زائدة أبي هذا الفتَى شرجيل . فقالَ شراحبيل : والله قد كانَ قولُ يحيى عندى أسرَّ من مدحِ

ـــ قتله أحد الطاريه سنة ١٨٢هـ . كان يذهب في شعره مذهب الأعراب والقدماء ، وختم به محمد ابن الأعرابي الشعراء ؛ وكان يطيل تنقيح الشعر . راجع ترجمته في : الشعر والشعراء لابن قتيبه ٢/٧٦٥ ، الأغاني ط بولاق ج ٩. ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١١٧ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ومعجم ياقوت ج ٧ . ومرآة الجنان لليافعي ١/٣٢٩ ، حديث الأربعاء لطه حسين، وعصر المأمون لأحمد فريد الرفاعي .

(٢) أورد ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» بيتين منها ٢/٧٦٥ . وفي لباب الآداب لابن منقذ ص ٣٦٥ ورواية الأول «في بطن خفان» ورواية الثالث «لها مي في الإسلام» وفي ص ٣٦٥ يرويها ابن منقذ الرواية المثبته هنا .

ابنِ أبى حفصةَ فى أبى مَعْن . قال شرحبيل : ثم إنَّ يحيى نظر إلىَّ وقالَ : ياشرحبيل أنشدْنِى ما قالَهُ ابنُ أبِى حفصةَ فى أبِيكَ ، قالَ : فأنشدْتُه :

نِعْمَ المُنَاخُ لراغبٍ ولراهبٍ
مِمَّنْ تُصِيبُ جَوائِحُ الأزْمَانِ
معنُ بنُ زائدةَ الذِى زِيدَتْ بِهِ
شَرفًا عَلى شَرفٍ بنُو شيبانِ
إن عُدَّ أيَّامُ اللِّقاءِ فإنَّما
يومَاهُ يومُ نَدًى ويومُ طِعَانِ(١)

فقال يحي : أنت يا شرحبيل لا تدرى جَيِّدَ ما مُدِحَ به أبُوك . أجودُ من هذا قوْلُ ابنِ ابِى حفصةَ فى مَدْحِ أبِيك :

تَشَابَهَ يومَاهُ علَيْنَا فأشْكَلا
فلا نَحْنُ ندْرِى أىَّ يوْمَيْهِ أفضَلُ
أيومَ نداهُ الغَمْرُ أم يومُ بأسِهِ
وما مِنْهُمَا إلا أغرُّ مُحَجَّلُ

---

(١) أسقط المؤلف مما رواه ابن رشيق من الأبيات ثلاثة أخرى هي :

يكسو الاسرة والمنابر بهجة	وبزينها بجهارة وبيان
تمضى أسنته ويسفر وجهه	فى الحرب عند تغير الألوان
نفسى فداك أبا الوليد اذا بدا	رهج السنابك والرماح دوانى

ومنَ المشهُورين بالمَدْح وجَوْدَتِه أبو تمَّام والبُحتُريُّ ، فأمَّا البُحتُرِيُّ فإنه يَعتَنِى بألفاظِه وبحُسنِ سبْكها وطَلاوتها وسُهُولَةِ مأخَذِها ، وأمَّا أبو تمَّام فإنَّه يعتنى بحسْنِ الصَّنعَةِ والبَديع والإغرابِ فى بَعضِ المَواضِع . فأما ما استُجِيدَ من مدحِ البُحتُرِىِّ فقولُه :(١)

يَكفِيكَ من عُدَّةٍ للدَّهرِ تَجعَلُها
ذُخراً سماحُ أبِى بكرٍ ونائِلُه

وقوله :(٢)

لأكسونَّ بَنِى الفَيَّاضِ مِنْ مِدَحِى
ما باتَ مِنه يَتِيمُ النَّاسِ عُرْيَانَا

وقوله فى الفتح بن خاقان :(٣)

ولما حضَرْنَا سُدَّةَ الإذْنِ أُخِّرتْ
رِجَالٌ عن البَابِ الّذِى أنا دَاخِلُه

فأفضَيتُ من قُربٍ إلى ذِى مهَابةٍ
أُقابِلُ بدْرَ التِّمِّ حِينَ أُقابِلُهْ (٤)

---

(١) فى مدح أبى بكر الكاتب.ديوانه ٢/٢٢١ طبع هندية .

(٢) ديوانه بتحقيق الصيرفى ٤/٢١٥٠ فى مدح ابن الفياض وراجع الموازنة ٢/١٩٩

(٣) فى الديوان أنه قال الأبيات فى مديح المتوكل .

(٤) فى الديوان « أقابل بدر الأفق » ويليه أربعة أبيات لم تذكر هنا .

فسلَّمتُ فاعتاقتْ جنانِىَ هيبَةٌ
تنازِعُنِى القولَ الَّذِى أنا قائِلُه
فلمّا تأمَّلتُ الطَّلاقةَ وانثنى
إلىَّ ببِشْرٍ آنستْنِى مخايِلُهْ
دنوتُ فقبَّلتُ الَّذى فى يدِ امرئٍ
جميلٌ محيّاهُ سِباطٌ أنامِلُهْ
صفتْ مِثلَ ما تصفُو المُدامُ خِلالُه
ورقَّتْ كما رقَّ النَّسيمُ شمائِلُه

أُنظُر إلى هذهِ الفصاحةِ والبلاغةِ فى المدْحِ ووصفِ الممْدُوحِ بالهيْبَةِ العظِيمةِ .

والبُحتُرِىّ :(١)

بلغَ احتياطُك وفْدَ كُلِّ قبيلةٍ
وأغاثَ عدلُكَ أهلَ كُلِّ بِلادِ

وله فى ابنِ المُعْتَز :(٢)

---

(١) ديوانه طبع الصيرفى ٢/٧٣٤ .

(٢) فى الديـوان الأبيات من قصيدة يمدُح بهـا المعتزّ بالله ٢/٥٠ طبع هندية والبيت الأول : « حتى اهتدى به » ، وعجزه « وأبصره » .

وهى من قصيدة مطلعها .

سَرى من خيالِ المالكية ما سَرَى فتيَّم ذا القلبِ المعنَّى وأسْهرا

والبيت الأول هو البيت رقم ٢٠ فى القصيدة ج٢ ص ٩٣٣ .

أقام منارَ الحقِّ حتى اهتدَت بِهِ
وأبصرَهُ من لم يكُنْ قطُّ أبصرَا

وعادَتْ على الدُّنيا عوائدُ فضلِهِ
فأقبلَ منها كلُّ ما كانَ مُدْبِرَا(١)

وللبحترى :(٢)

ولِيَ الأمورَ بنفسِهِ ومحلُّها
متقاربٌ ومرامُها متباعِدُ

إن غارَ فهو من النباهةِ ماجِدٌ
أو غابَ فهو من المهابةِ شاهِدُ

ولهُ :(٣)

واللهِ ما حدَّثتُ نفسِي بنعمةٍ
سواكَ ولا عنَّيتُها باتِّباعِهِ

ولو بعتُ يوماً منكَ بالدَّهرِ كلِّهِ
لكنتُ دهراً ثانياً فى ارتجاعِهِ

---

(١) رواية الديوان : كلُّ ما كان مُدْبِرَا

(٢) ديوانه ١/١٤٢ فى مدح الحسن بن مخلد وبين البيتين ثالث هو :

يتكفل الأدنى ويدرك رأيه الأ   قصى ويتبعه الأبى العاند

وفى طبعة الصيرفى ١/٦٠٢ والبيت الأول رقم ١٥ والثانى رقم ١٧

(٣) يمدح عبدالله بن يحيى الديوان ط. هندية ٢/٩٢ ، وطبع الصيرفى ٢/١٣٢١ .

وله(١) :

بصيرٌ بأعقابِ الأمورِ كأنَّما

لهُ مِنْ وراءِ الغيبِ مُقلةُ شاهدِ

مثله أيضاً(٢) :

يرى عاقباتِ الرأْىِ والرأْىُ مُقبِلٌ

كأنَّ لهُ فِى اليومِ عيْنا على غدِ

وقال البحترى(٣) :

إذا غِبتَ عنْ أرْضٍ ويمَّمتَ غيرَها

فقدْ غابَ عنْها شمسُها وهِلالُها

غدَتْ بكَ آفاقُ البلادِ خَصيبةً

وهلْ تُمْحِلُ الدُّنيا وأنتَ ثِمالُها

قال أبو تمام فى هذا المعنى(٤) :

تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتّى لو انّه

ثناها لقبْضٍ لمْ تُطِعْه أنامِلُهْ

---

(١) فى ديوانه لا يوجد هذا البيت فى طبعة هندية ولا المعارف .

(٢) ديوانه لا يوجد هذا البيت فى طبعة هندية ولا المعارف .

(٣) من قصيدة يمدح بها الخليفة المتوكل على الله ٢/١٧٩ طبع هندية .

(٤) ديوان أبى تمام من قصيدة يمدح المعتصم ص ٢٣٢ طبع محى الدين الخياط .

قال البحترى(١) :

فإن يُتبِعْ النُّعمى بِنُعْمَى فإنَّما
يَزِينُ الَّلآلى فى النِّظامِ ازدِواجُها

وله (٢) :

ما زالَ يَسبِقُ حتَّى قالَ حاسدُهُ
لهُ طريقٌ إلى العَلياءِ مُختَصَرُ

وله (٣) :

باتَتْ خَلائِقُهُم على أموالِهِم
وكأنَّهُن جواشِنٌ ودُرُوعُ
قنعُوا بميسُورِ الفِعالِ وأوْهَمُوا
أنْ المَكارِمَ عِفَّةٌ وقُنُوع

وله (٤) :

ولقدْ جرَيْتَ إلى المعَالى سَابِقاً
وأخذْتَ حظَّ الأوَّلِ المتقدِّم
وكَبا عدوُّكَ حِينَ رامَ بِكَ الَّتِى
تُخشَى فقُلْنا لِليدَيْنِ وللفَمِ

---

(١) ديوانه ١٠٣/١ وروايته « فان تلحق النعمى بنعمى فانه » .

(٢) ديوانه من قصيدة يمدح بها عليا بن مر الأرمنى ٢٠/٤٤ ط. هندية .

(٣) الديوان ٨٦/٢ فى وداع ابراهيم بن الحسن بن سهل .

(٤) آخر بيتين فى قصيدة يمدح بها الهيثم الغنوى ٢٣٣/٢ .

وله (١) :

وَالوَعْدُ كَالوَرَقِ النَّضِيرِ تَأَوَّدَتْ

فِيهِ الغُصُونُ بِحُجَّةٍ أَنْ يُثْمِرَا

وله (٢) :

أَعْطَيْتَ سَائِلَكَ المُحَسَّدَ سُؤْلَهُ

وَطَلَبْتَ بِالمَعْرُوفِ غَيْرَ الطَّالِبِ

مثله لمسلم بن الوليد (٣) :

أَخٌ لِيَ يُعْطِينِي إِذَا مَا سَأَلْتُهُ

وَلَوْ لَمْ أُعَرِّضْ بِالسُّؤَالِ ابْتَدَانِيَا

قال البحترى (٤) :

وَطْبُ الغَمَامِ إِذَا مَا اسْتُمْطِرَتْ يَدُهُ

جَاءَتْ مَوَاهِبُهُ قَبْلَ المَوَاعِيدِ

---

(٤) من قصيدة يمدح فيها اسحق بن كنداج عن تتويجه وتقليده السيفين ٢/٢١ ورواية عجزة « . . . ونجحها أن يثمرا »

(٥) من قصيدة يمدح الحسن بن وهب ٢/٦٧ .

(٦) ملحق ديوانه ص ٣٤٦ طبع دار المعارف بمصر سلسلة « ذخائر العرب » وورد البيت فى الموازنة والوساطة ٧٦ ومعاهد التنصيص ٤٥٠ .

(٧) ديوانه بتحقيق الصيرفى ١/٥٥٧ من قصيدة يمدح أحمد بن عبد الوهاب والبيت رقم ١٠ فى القصيدة .

مثله لابن حيوس فى المعنى (١) :

ولقد دعوتُ ندى الكرام فلمْ يُجبْ
فلا شكرنْ ندىً أجابَ وما دُعِى

وقال البحترى (٢) :

لو انَّ كفكَ لم تجُدْ لمُؤمّلٍ
لكفاهُ عاجلُ وجهِكَ المُتهلِّلِ
ولو انَّ مجدَكَ لمْ يكُنْ متقادماً
أغناكَ آخرُ سُؤددٍ عن أوّلِ

وله (٣) :

تُغنِى طلاقةُ وجهِهِ عن جُودِهِ
فتكادُ تلقى النُّجحَ قبلَ لقائِهِ
وضياءُ وجهِهِ لو تأمَّلهُ امْرُؤٌ
صادِى الجوانحِ لارْتوى من مائِهِ

وقال البحترى (٤) :

إلى فتىً يُتبِعُ النُّعمى نظائرَها
كالبحرِ يُتبِعُ أمواجاً بأمواجِ

---

(١) ديوانه جـ ١ ص ٣١٥ بتحقيق خليل مردم طبع دمشق ١٩٥١ وروايته «إنى دعوت ندى الكرام .. » .

(٢) مطلع قصيدة يمدح ابراهيم بن حسن ديوانه ٢/١٨٠ .

(٣) ديوانه يمدح أبا نوح عيسى بن ابراهيم ٧/١ .

(٤) ديوانه من قصيدة يمدح اسحاق بن كنداج ١/١٠٣ .

وله (١) :

أصبحتَ أجْدَى على العافِينَ مُبْتَدِئاً
مِنْهَا وما كنتَ إلاَّ مُسْتَمِيحَ جَدَا

ومن يَبِتْ مِنْكَ مَطْوِيّاً على أمَلٍ
فَلَنْ يُلاَمَ على إعْطَاءِ ما وَجَدَا

وقال البحترى (٢) :

ومَا مَنَعَ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ نَيْلَهُ
ولكِنَّها الاقدارُ تُعْطِي وتَحْرِمُ

سحَابٌ خَطَانِي جُودُهُ وهوَ مسبلٌ
وبحرٌ عدَانِي فيضُهُ وهُو مُفْعَمُ

وبدرٌ أضَاءَ الأرضَ شرْقاً ومَغْرِباً
ومَوْضِعُ رِجْلِي منهُ أسْودُ مُظْلِمُ

أأشْكُو نَدَاهُ بعْدَ أنْ وسِعَ الورَى
وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الغَيْثَ إلا مُذَمَّمُ

ومثله لأبى تمام (٣) :

على أي أحْوالٍ مضيتَ فشاكِرٌ
لِما كَانَ من بِرِّ الأميرِ وعاذِرُ

---

(١) ديوانه من قصيدة يمدح الفتح بن خاقان ١/٣٥ .

(٢) ديوانه .

(٣) ديوانه طبع الجاحظ لا توجد فيه الأبيات .

فإنْ صدَقَ البرْقُ الذى شمتُ عارضاً
فلا عَجَبٌ من أنْ تَجُودَ المَواطِرُ

وإن عاقت الأسباب فللبحر ربما
تمنع منه جانب وهو زاخر

وقال البحترى (١) :

لم لا أمدُ يدى حتى أنال بها
مدى النجوم إذا ما كنتَ لى عَضُدَا

وله (٢) :

غمامُ حياً ما تستريح بروقُهُ
وعارضُ موت ما تفيد رواعده

تظلُّ العطايا والمنايا قرائنا
لِعافٍ يرجِّيه وغاو يعانده

إذا أفترقت أسيافه وسط جحفل
تَفرَّقَ عنه هامُهُ وسواعِدُهْ

وله (٣) :

ما نَالَ ليثَ الغَابِ إلاَّ مِثْلَهَا
حَتَّى رَعَى مُهَجَ النُّفُوسِ جَمِيعَا

(١) ديوانه من قصيدة يمدح الفتح بن خاقان ١/١٣٥ .

(٢) ديوانه من قصيدة يمدح أبا نهشل بن حميد ١/١٥١ ورواية الأول :

غمام حيا ما تستريح بروقه وعارض موت ماتقيل رواعده

(٣) ديوانه ٢/٢٤٤ يمدح ابراهيم بن الحسن بن سهل .

شارَكْتَه فِى البَأسِ ثُمَّ فضَلْتَهُ
بالجُودِ محقُوقاً بذَاكَ زَعِيمَا

وإذَا ظَفِرْتَ عَفَوْتَ وهوُ إِذَا رأى
ظَفَراً عَلَى الأَقْرانِ كانَ لئيمَا

وله فى القَصِيدةِ الطَّنَّانة المعْرُوفَةِ بالأسَدِيَّة (١) :

أدَلَّ بِشَغْبٍ ثمَّ هالَتْهُ صوْلَةٌ
آراكَ لهَا أمْضَى جَنَاناً وأشْغَبَا

فأحْجَمَ لمَّا لمْ يَجِدْ فيكَ مطْمَعاً
وأقدَمَ لمَّا لَمْ يجِدْ مِنْكَ مهْرَبَا

فَلَمْ يُغْنِهِ أنْ كَرَّ نَحْوكَ مُقْبِلاً
ولمْ يُنْجِهِ أنْ حَادَ عنْكَ مُنَكِّبا

حَمَلْتَ عليْهِ السَّيْفَ لا عزْمُكَ انْثَنَى
ولا يَدُكَ ارتدَّتْ ولاَ حدُّهُ نَبا

وأما مدائحُ أبِى تَمَّام فمِنْها قولُه فى مَدْحِ المَأمون(٢) :

فى دولةٍ لحظَ الزّمانُ شُعَاعَها
فارتدَّ مُنْقَلِباً بِعَيْنَىْ أرْمَدِ

من كانَ مولدُهُ تقدَّمَ قَبْلَها
أو بَعْدَها فكأنَّهُ لم يُولَدِ

---

(١) ديوانه بتحقيق الصيرفى ١/٢٠٠ وفى الأصل « لما لم يرى » ـ صدر البيت الثانى

(٢) ديوانه طبع الخياط ص ١١٢ .

وله (١) :

إذَا سَيفُهُ أَضحَى عَلى الهَامِ حَاكِماً
غَدَا العَفْوُ مِنهُ وهو للسَّيفِ حَاكِمُ

وله (٢) :

ولم يرَ يوماً قادِراً غيرَ صافِـحٍ
ولا صافِحاً عن زَلَّـةٍ غيرَ قادِرِ

مثله لابن هرمه * :

وليسَ بِمُعطِي العَفْوِ عنْ غَيرِ قُدْرَةٍ
ويعفُو إذَا ما أمكَنَتْهُ المَقَادِرُ

وقال أبو تمام (٣) :

فأفْخَرْ فمَا مِنْ سَماءٍ لِلعُلاَ رُفِعَتْ
إلاّ وأفعَالُكَ الحُسْنَى لهَا عمدُ

---

(٤) من قصيدة يمدح ابن أبي دؤاد . ديوانه ص٢٨٧ طبع الخياط .

(٥) الأبيات ليست في ديوانه طبع الخياط .

(٦) من قصيدة يمدح أبا سعيد الطائي ص ١٠٠ .ديوانه طبع الخياط .

* ابن هرمه : ابراهيم ابن علي بن سلمه . شاعر مشهور ، وكان من ساقة الشعراء وكان مغرماً بالشراب ، عاش في أخريات عصر بني أمية وصدر عصر بني العباس . مدح أبا جعفر المنصور .

راجع ترجمته في : الأغاني ٤ ، واللآلي ٢٩٨ ، وخزانة الأدب ١/٢٠٣–٢٠٤ .

وله (١)

لآلِ وهبٍ أكفٌّ كلّما اجتُدِيَتْ

فَضَلْنَ في المَحْلِ مالا تَفعلُ الدِّيَمُ

وله (٢) :

يكادُ نَدَاهُ يتركُهُ عديماً

إذا هطَلَتْ يدَاهُ على عَدِيمِ

تراهُ يذُبُّ عن حرَمِ المعَالِي

فتحسَبُه يُدَافِعُ عن حَرِيمِ

وله (٣) :

رجاؤُكَ الباغي الغِنَى عاجِلُ الغِنَى

وأوّلُ يومٍ من لقائِكَ آجِلُ

وله (٤) :

تردُّ الظنونَ به على تَصْدِيقِها

وتُحكِّمُ الآمالَ في الأمْوالِ

---

(١) في الديوان الأبيات من قصيدة في محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل والأول :

« ولابن سهل أكف كلما اجتديت . . . . »

(٢) من قصيدة يمدح بها بعض الطالبين . ديوانه ص ٢٨٨ .

(٣)

(٤) من قصيدة يمدح الحسن بن رجاء ص ٢٤٧ .

وله (١) :

وأحسن من نَوْرٍ تُفتِّحُه الصَّبَا
بياضُ العَطايَا فى سَوادِ المَطالِبِ

وله (٢) :

مَواهِبُ جُبْنَ الأرضَ حتَّى كأنَّما
أخذْنَ بآذانِ السَّحابِ الهَواطِلِ

وله (٣) :

له كرمٌ لوْ كانَ فى المَاء لم يَغِضْ
او البَرقِ ما شَام امرُؤٌ وبرْقَ خُلَّبِ

وله :

ليس السَّحابُ ببالغٍ فيه الرِّضَى
فأقولُ إن نَدَاهُ صوْبُ سَحابِ

وله (٤) :

قد قُلْتُ للغيثِ الرُّكام ولجَّ فى
إبراقِه وألحَّ فى إرْعادِهِ

(١) من قصيدة يمدح أبا دلف العجلى ص ٤٢ ديوانه .

(٢) من قصيدة يمدح المعتصم ص ٢٤٧ . ديوانه ورواية العجز وأخذن بأذناب . . .

(٣) من قصيدة يمدح عياش بن لهيعة الحضرمى ص ٢٤ ديوانه .

(٤) الابيات ليست فى الديوان .

لا تعْرِضَنْ لجعفرٍ متشبِّهاً
بِندَى يدَيْهِ فلستَ من أندادِهِ

ولـه (١) :

فما يلحظُ العَافِى جَدَاكَ مؤملاً
سِوَى لحْظةٍ حتّى يَصيرَ مؤمَّلاَ

ولـه (٢) :

وإنّى لأرجُو عاجِلاً أنْ تُردَّنِى
مواهِبُه بحراً تُرَجَّى مَواهِبى

ولـه (٣) :

مَلأتْ يدَاهُ يَدى وشردَ جُودُهُ
بُخلِى فافتَرَنِى كمَا أغْنانِى
ووقفتُ بالحلفِ الجَميلِ معجِّلاً
منهُ فأعْطَيْتُ الذِى أعطانِى

مثله قول ابن الخياط المكى :

لمَستُ بكَفِّى كَفَّهُ أبتَغِى الغِنَى
ولمْ أدْرِ أنَّ الجُودَ من كَفِّهِ يُعْدِى

---

(١) من قصيدة يمدح محمد بن عبد الملك الزيات ورواية العجز «سوى لحظة حتى يعود مؤملا» . ديوانه ص ٢٥٢ .

(٢) من قصيدة يمدح أبا دلف العجلى ص ٤٣ الديوان

(٣) لم نعثر عليها فى شعره .

فلا أنا منه ما أصابَ ذوو الغنى
أفدت، وأعدَاني فأتلفت ما عندي[١]

وقال أبو تمام[٢] :

شافَهتُ أسبابَ الغِنَى لِمُحمَّدٍ
حتَّى ظَنَنتُ بأنَّها تتكَلَّمُ

قد إنتُيِمتْ منهُ القَوافِي بامْرىءٍ
مازَالَ بالمَعْرُوف وهو مُتَيَّمُ

لا يَحْسَبُ الاقلالَ عُدْماً بل يرىَ
أنَّ المُقِلَّ من المُروءةِ مُعْدِمُ

وله[٣] :

وعَلَّمتَني أنْ ألبسَ الحَمْدَ أهلَهُ
وأذْكَرتَني ما قدْ نَسِيتُ من الشُكرِ

وله[٤] :

وما سافرتُ في الآفاقِ إلاَّ ومن جَدْوَاكَ رَاحِلَتي وزَادِي
مقيم الظَّنِّ عندَكَ والأماني وإن قَلِقَتْ رِكَابِي في البِلادِ

---

(١) الوساطة طبع محمد أبو الفضل ابراهيم والبجاوى ص ٢٢٣.

(٢) من قصيدة يمدح محمد بن حسان الضبي ص ٢٨٤ والبيت الثالث بعد الأول والثاني بيتين .

(٣) من قصيدة يمدح أبا سعيد ، ديوانه ص ١٤٤ .

(٤) من قصيدة يمدح أحمد بن أبي دؤاد ص ٧٩ من ديوانه .

مثله لأبي نواس (١) :

إذا نحنُ أثنينا عليكَ بصالحٍ
فأنتَ كما نُثني وفوقَ الذي نُثني
وإن جرَتْ الألفاظُ يوماً بمدحةٍ
لغيرِكَ إنساناً فأنتَ الذي نعني

فمن أراد المدح أو ذكر واقعة حال فليقل هذا وإلا فليسكت .

ومن المدحِ الجيّدِ قولُ أبي مُسلِمِ الخُراساني :

قدْ نِلتَ بالحزمِ والتدبيرِ ما عجزَتْ
عنهُ مُلوكُ بني مروانَ إذْ حشدُوا
ما زِلتُ أسعَى عليْهِم في ديارِهِمُ
والقومُ في غفلةٍ بالشامِ قد رقدُوا
حتى علوتُهم بالسَّيفِ فانتبهُوا
من رقدةٍ لمْ ينمْها قبلَهمُ أحدُ
ومنْ رعَى رغنمَهُ في أرضِ مسبعةٍ
ونامَ عنها تولَّى رعيَها الأسَدُ

ومن المدحِ الوصفُ بالكرمِ ، مثلُ قولِ الشاعر (٢) :

للفَضْلِ بن سهْل يَدٌ
يَقْصُرُ عنْها المثَل

---

(١) الوساطة ص ٥٦ ومختارات البارودي ١ / ١١٤ .

(٢) أوردها ابن الطقطقي في الفخري ص ١٦٥ ورواية الأول .

للفضل بن سهل يد
يقصر عنها المثل
فباطنها للندى
وظاهرها للقبل
وبسطتها للغنى
وسطوتها للأجل

والفضل بن سهل وزير المأمون قتل سنة ٢٠٢ هـ

فباطِنُها للغِنى   وظاهِرُها للقُبَلْ
ونائِلُها للمُنى   وسَطوَتُها للأجَلْ

ومن المدحِ قولُ الشاعِر :

مليكٌ إذا عاذَ المُسِيءُ بعفوِه
غفرَ الإساءةَ قادِراً لا يعْجَلُ

لا يعدَمَنْكَ المُسلِمونَ فإنَّهم
في ظِلِّ عدلِكَ أدرَكُوا ما أمَّلُوا

ورَأيتَ وفدَ الرُّوم بعدَ عِنادِهم
عرَفُوا فضائلَكَ التي لا تُجهَلُ

لحظُوكَ أوَّلَ لحظَةٍ فاستَصغَرُوا
من كانَ يعظُم فيهم ويُبَجَّلُ

مُتحيِّرينَ فباهتٌ مما رأى
من هَيبةٍ أو ناظِرٌ متأمِّلُ

ولابنِ الزُّبيرِ الشاعِر * في الكامِل بنِ شاوِر :

وحاكمني بدرُ السَّما فقلبتُهُ
بفَضلِكَ فاسْمَعْ ما الذي أنا قائِلُ

---

* ابن الزبير : المهذب ابن الزبير ، الحسن بن علي بن ابراهيم ، من أسوان ، عاش في أخريات الدولة الفاطمية في القرن السادس الهجري . اتصل بالوزير الفاطمي ابن رزيك وحظى عنده . جمع بين العلم والشعر لاقى محنة في أخريات حياته أيام تولى شاور وزارة مصر فحبسه ظلماً ، وظل في سجنه يستعطف الوزير ويتوسل اليه بابنه الكامل بن شاور . ولابن الزبير في الكامل مدائح كثيرة . وتوفى في عصر الأيوبيين سنة ٥٦١ هـ .

راجع في ترجمته : معجم الأدباء لياقوت ٤٩/٩ ، وكتاب الروضتين ج ١ ، والخريدة (قسم شعراء مصر ٢٠٦/١) ، والأدب في العصر الأيوبي للدكتور محمد زغلول سلام ص ٣١٩ وفي أدب مصر الفاطمية للدكتور محمد كامل حسين .

بدا لى نصفُ الشَّهْرِ يَحْكِيكَ فى السَّنا
وفى الحُسْنِ لكنْ أينَ منهُ شمائلُ
فقلتُ لـه يا بَدْرُ عُمرُكَ نَاقِصٌ
سوى ليلةٍ والكاملُ الدَّهْرَ كامِلُ

والحَيْصَ بَيْصَ فى* مدْحِ شخصٍ يُقالُ لهُ الموَفَّقُ :

أتانِى بنُو الحاجاتِ من كُلِّ وُجْهَةٍ
يقولُون لِى إنَّ المُوفّقَ قاعِدُ
فقُلْتُ لهُمْ فوقَ المجَرَّةِ دَارُهُ
ولكِنَّنِى خَلَّفْتُه وهـوَ صَاعِدُ

وهذانِ البيتانِ وإن كانا فى غايةِ المَدح ففيهما ذمٌّ أيضاً للممدُوحِ من وجهٍ آخرَ وهوُ بُعْدُه عن ذَوِى الحاجاتِ وتعاظُمُه حتَّى يُنْسَبَ إلى عظَمةٍ على النَّاسِ . وهذا عيبٌ فاحشٌ .

ولبعضِ المُتأخِّرِينَ بيتٌ فردٌ فى المدْحِ هُو :

قـومٌ شموسُ عطاياهُم مغَارِبُها
أيْدِى العُفَاةِ وأيْدِيهم مشَارِقُها

* الحيص بيص لقب لشاعر شهاب الدين التميمى ، وذلك نسبة إلى قوله حيص بيص فى وصفه زحمة الناس فلقب بها واشتهر ، وغلبت على اسمه ، وشعره عربى جزل عاش فى فى القرن الخامس الهجرى ببغداد ومات سنة ١١٧٩ م .

ومسلمُ بن الوليد(١) :

مُوفٍ علىَ مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجٍ
كأنَّه أجَلٌ يسْعَى إلى أمَلِ

ينالُ بالرِّفقِ ما يَعْيى الرِّجالُ بِهِ
كالموتِ مُسْتَعْجِلاً يأتِي على مَهَلِ

قد عَوَّدَ الطيرَ عاداتٍ وثِقْنَ بها
فهنَّ يَتْبَعْنَهُ في كلِّ مُرْتَحَلِ

للمهذب بن الزبير :

الخلْقُ دونَكَ في الفِعَالِ وفي البيانِ وفي السَّماع
والناسُ فيكَ ثلاثةٌ مُثْنٍ ومُسْتَمِعٌ وَدَاعٍ

لبعضهم :

ولقدْ ملأتَ الأرضَ عدْلاً كالذي كانت تُحَدِّثُ أُمَّةٌ عُلَماؤُها
حتى تمنَّى لوْ رأى أمواتُها من عدْلِ حُكْمِكَ طرأتْ أحياؤُها

للحطيئة :

أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنُوا البُنَا
وإن عاهدُوا أوْفَوا وإن عَقدُوا شدُّوا

وإن كانتْ النعماءُ فيهم جَزَوْا بِها
وإنْ أنعَمُوا لا كدَّرُوهَا ولا كدُّوا

والبُنا بضمِّ الباءِ هو بِناءُ المجْد ومحاسنِ الأوصافِ ، بخلافِ البِنَا الذى هو بِكسْرِ الباءِ ، فهو مصدرُ بنيْتُ الدَّارَ بِناءً .

---

(١) أبيات مشهورة من قصيدة في مدح يزيد الشيباني ومطلعها :
أجررت حبل خليع في الصبا غزل وشمرت همم العذال في العذل
والأبيات المذكورة رقم ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ من القصيدة ص ٩ ، ١٢ من ديوانه طبع دار المعارف بمصر .

ماقيل فى الحلم

لبعض المتقدمين فى مدح نفسه بالحِلْم :

أصدُّ عن الجَانِى المُسِىءِ تكرُّماً
وأصفحُ عمّا كانَ منه على عِلْمِ

ولى لذَّةٌ فى العَفْوِ لولا استتارُها
عن النَّاسِ أدْنَتْهُم جميعاً إلى ظُلْمى

وقال أبو العتاهية* يمدح الرشيد وأولاده الأمين والمأمون والمعتصم :

وسَدَّ عُرى الإسلام مِنْهُمْ بفِتيَةٍ
ثلاثة أملاكٍ ولاةِ عُهُودِ

همُ خيرُ أولادٍ لهمْ خيرُ والدٍ
لهُ خيرُ آباءٍ مضَت وجدودِ

بنُو المصطفى هارونَ حول سريرِهِ
فبين قيامٍ حوله وقُعُودِ

تُقَلِّبُ ألحاظَ المَهابةِ بينَهُمْ
عيونُ ظباءٍ فى قلوبِ أُسُودِ

ولبعضهم :

إنَّ للنَّاس غايةً فى المعالى   وقفُوا عندها وأنتَ تزيدُ

---

* أبو العتاهية : اسماعيل بن القاسم ، كان يصنع الجرار فى شبابه ثم احترف الشعر وقصد خلفاء بنى العباس وعكف فى أخريات حياته على الزهد وقصر عليه شعره . فاشتهر به . وكان أحد المطبوعين ، وديوانه طبع أكثر من مرة.
واجع ترجمته فى الشعر والشعراء ٢/٧٩١ والأغانى .

فى مدح شخص بالصَّبرْ والحلم :

لقد بُليتُ فلَمْ أخشَعْ لِنائِبَةٍ
وقدْ وَليتُ ولمْ أعْلُ الرُّبَا بَطَرا

ولقد ظَفِرتُ فما عاقَبتُ مجتَرِماً
عَلى الذُّنوبِ وما كذَّبتُ مُعتَذِراً

وللمتنبي من المدائح المشهورة مالا يُحصَى كثرةً وحُسْناً ، فمن ذَلِكَ قولُه(1) :

ودانَتْ لهُ الدُّنيَا فأصْبَحَ جَالِساً
وأيَّامُها فيمَا يُريد قِيَامُ

فتىً يتْبعُ الأزمَانَ فى النَّاس حُكْمُهُ
لِكلِّ زَمانٍ فى يَدَيْهِ زِمَامُ

تنامُ لدَيكَ الرُّسْلُ أمناً وغِبْطَةً
وأجفَانُ رَبِّ الرُّسْلِ ليسَ تَنَامُ

وإنَّ نُفُوساً أمَّمتْكَ مَنيعَةٌ
وإنَّ دماءَ أمَّلتْكَ حَرَامُ

وله(2) :

أعْطَى ومنَّ علَى المُلُوكِ بِعَفْوِهِ
حتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فى أفْضَالِهِ

---

(1) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ومطلعها :

أراع كذا كل الأنام همام وسح له رسل الملوك غمام

ويختلف ترتيب الأبيات هنا عنها فى الديوان طبع عزام ص ٣٨٠ .

(2) من سيفياته الديوان ط عزام ص ٢٧٦ وليست الأبيات بتسلسلها فى الديوان .

يَا أَيُّها القَمَرُ المُبَاهِى وجهُه
لا تُكذِبَنَّ فلَستَ من أشكالِهِ

وإذا طَمى البَحرُ المُحيطُ فقُلْ لَهُ
دعْ ذَا فإنَّكَ عاجِزٌ عن حَالِهِ

وله (١) :

مَلِكٌ زهَتْ بمكانِهِ أيَّامُه
حَتَّى افتخرَتْ به على الأعوَامِ

وكأنَّه سَلَبَ الوَرَى أحلامَهمْ
من حِلْمِهِ فهُمُ بلا أحْلامِ

وله (٢) :

صحَّتْ بِصِحَّتِكَ الغَارَاتُ وابْتَهجَتْ
بِكَ المَكارِمُ وانهَلَّتْ بِكَ الدِّيَمُ

وراجَعَ الشَّمسَ نُورٌ كانَ فارقَهَا
كأنَّما فَقْدُهُ فى جِسْمِها سَقَمُ

وما أَخُصُّكَ فى بُرءٍ بتَهْنِئَةٍ
إذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قدْ سَلِمُوا

وله (٣) :

هُم المُحْسِنُونَ الكرَّ فى حَوْمَةِ الوَغَى
وأحْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فى المَكارِمِ

---

(١) الديوان ص ٤١٠ .

(٢) من قصيدة يهنىء سيف الدولة بالابلال من مرض والبيتان الأولان من أول القصيدة والثالث من آخرها .

(٣) ديوانه طبع عزام ص ١٩٨ من قصيدة يمدح بها ابن طغج .

وَلولا احتِقارُ الأُسْدِ شَبَّهْتُها بِهِمْ
وَلـكِنَّها مَعْدُودَةٌ في البَهائِمِ

فمن أراد المدح فليمدَحْ هكذا .

والقاضي الأرجاني * في المدح :

فَلَهُمْ إذا ما زُرْتَهم وخَبَرْتَهُمْ
شَرفُ المُلُوكِ وسِيرَةُ الزُّهَّادِ

قَومٌ إذا سَفَرُوا حَسِبْتَ وجُوهَهُمْ
للنَّاظِرِينَ أَهِلَّةَ الأَعْيادِ

وتَكادُ إنْ وطِئُوا المنَابِرَ أنْ تُرى
في الحَالِ وهيَ ورِيقَةُ الأَعْوادِ

ولـه :

يصلُ الرسولُ إليكَ وهو مُسَاعِدٌ
ويعودُ عنكَ إليَّ وهو حَسُودُ

ولابن الخَيَّاط الدمشقي في المدْح (١) :

يُعَنَّفُ من لمْ يأْتِهِ يومَ جُودِهِ
ويَعْذُرُ من لمْ يَلْقَهُ يومَ حَرْبِهِ

---

* ابو بكر احمد بن محمد الأرجاني توفى سنة ٥٤٤ هـ من شعراء الخريدة ، عرف بكثرة البديع في شعره . تولى قضاء تستر وعسكر مكرم . قال ابن خلكان : له شعر رائق في نهاية الحسن . راجع وفيات الأعيان ١٣٤ وطبقات الشافعية للسبكي ٤/٥١ وشذرات الذهب ٤/١٣٧ .

(١) ديوانه طبع الهند سنة ١٣٤٣ هـ ص ١٥٠ .

كأنّي إذا حَيَّيْتُه بِصِفَاتِه
أُمِتّ إلى بَدْرِ السَّماءِ بِشِبْهِه

ولما دعَتْهُ عن دِمَشْق عزيمةٌ
أبَى أنْ يَحِلّ البَدْرَ فِيهَا بِقُطْبِه

ترحَّل عَنها وهيَ كاسِفَةٌ لَه
وعادَ إِلَيْهَا وهيَ مُشْرِقةٌ بِه

وإنّ محَلاً أُوطِئتْه جِيَادُه
لَحُقّ على الأفواهِ تقبيلُ تُرْبِه

وإنّ زَماناً أنْتَ من حسَنَاتِه
حَقِيقٌ بأنْ يَخْتَال من فَرْطِ عُجْبِه

وله يمدحُ ابنَ عمَّارٍ الطَّرابُلسيّ(١) :

ولما بلَغْنَاهُ بلَغْنَا بِهِ المُنَى
وشِيكاً وأُعْطِينا الغِنَى مِنْ عطَايَاهُ

فتىً لم تَمِل يوماً بِرُكْنِ سَماحَةٍ
على حدَثَانِ الدَّهرِ إلاّ هَدَمناهُ

أغرُّ صَبيحٌ عِرضُهُ وجَبِينُهُ
كأَنَّهُمَا أفعالُه أو سجَايَاهُ

(١) في ديوانه « يمدح القاضي فخر الملك أبا علي عمار بن محمد بن عمار الطرابلسي
ص ٢٢٨ والأبيات ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

لكَ اللّهَ ما أغـراكَ بالجودِ همّةً
سروراً بما تحبُو كأنكَ مُحيَّاهُ

لأنتَ الذي أغنيتَني وحميتَني
ليالِيَ لا مَالٌ لدىَّ ولا جَاهُ

فدونَك ذا الحمدَ الذي جَلَّ لفظُه
ودَقَّ على الأفهامِ في الفعلِ معنَاهُ

وله أيضا في عمارة (١) :

فجُودٌ علَى العافي وذَوْدٌ عَنِ العُلاَ
وصَدٌّ عَنِ الوَاشِي وصَفْحٌ عَنِ الجُرْمِ
وتُوردُ عنْ فَضْلٍ وتَصْدُرُ عنْ نُهىً
وتَصْمُتُ عَنْ عِلْمٍ وتَنْطِقُ عنْ فَهْمِ

وقال المَعَرِّي في المَدْح :

قومٌ إذا قُوبِلُوا كانُوا ملائكةً
حُسْناً وإن قُوتِلُوا كانُوا عَفارِيتَا

وله :

تَصِيخُ لهُ الأسْمَاعُ ما دَامَ قائِلا
وتَعْشُو لهُ الأبْصَارُ ما دَامَ كَاتِباً

(١) في ديوانه : وقال يمدح أبا النجم هبة الله بن محمد بن بديع الأصبهاني ، ص ١٩٤ ولا يرد البيتان متتاليين في القصيدة ، بل يفصل بينهما عدة أبيات .

وله :

كأنَّ مُحَيَّا الصُّبْحِ قابَل فَضْلَهُ
فَفِي خَدِّهِ من خَجْلَةِ النَّفْسِ تَوْرِيدُ
يَزِيدُ سَمَاحاً والخُطُوبُ مُمِضَّةٌ
كما زادَ طِيباً وهُو يحْتَرِقُ العُودُ
فَضُلْتَ الوَرَى طُرًّا وإن كُنْتَ بعضَهم
كما فَضُلَ الأيَّامَ في السَّنَةِ العِيدُ

والشريف الرضي (١) :

هُوَ اللَّيْثُ لا مُسْتَنْهِضٌ عَنْ فَرِيسَةٍ
ولا رَاجِعٌ عن فُرصَةٍ لِحَياءِ
فخَارٌ لو انَّ النَّجْمَ أُعْطِيَ مِثْلَهُ
تَرفَّعَ أنْ يَطْوِي أديمَ سَماءِ(٢)

وقال ابن حَيُّوس الشَّاعر ، وهو شاعرٌ مُجِيدٌ ، مُطْبِقٌ ، له مدَائِح أجادَ فيها ، وتوخَّى أنواعَ البَدِيعِ البَدِيعَةَ . كان في المائة الخامسة من الشُّعراء الشامِيِّين المادِحين لبَنِي مِرْدَاس أصحابِ حلب . قالَ شِعْرهُ طَبعاً بغيرِ تكلُّف ، حَسَنُ السَّبْكِ جيِّدُ المعَانِي ، مفضَّلٌ علَى كثير من الشُّعَراءِ . ومدائِحُه كالسِّحْرِ الحَلالِ . فمنْها قَصِيدَتُه التي يقُول فِيها (٣) :

---

(١) ديوانه ص ٥ من قصيدة يمدح الخليفة الطائع لله ويهنئه بعيد الأضحى سنة ٣٧٧هـ

(٢) وروايته في الديوان :

فخار لو ان النجم أعطى مثله ترفع أن يأوي أديم سماء

(٣) يمدح بها ناصر الدولة بن حمدان . ديوانه طبع دمشق بتحقيق خليل مردم سنة ١٩٥١ م ج ١ ص ٢٩٨ .

طاوِلْ بِقَدرِكَ مَن علا مقدارُه
فأرى العلا فلكاً عليك مدارُه

من يدفعُ الشرفَ الذى أُوتيتَه
من بعدِ ما أعيى الورى إنكارُه

نطقَ الولىُّ بهِ وأسكتَ حاسِدٌ
عنْ وصفِهِ وسكوتُهُ إقرارُه

لك فى الفضائل والمناقبِ رُتبةٌ
تركتْ حسودَكَ لا يقرُّ قرارُهُ (١)

ليدُمْ لك العزُّ المؤثلُ وليدُمْ
لمُريدِ كيدِكَ ذُلُّهُ وصغارُهُ

فِداكَ ذو مُلكٍ يصيحُ بسامعٍ
شغلتْه عن أوتارِهِ أوتارُهُ (٢)

يابنَ الأُولى لايُعظِمُونَ عظيمَهُمْ
حتَّى يُجارَ من النَّوائبِ جارُهُ

قومٌ إذا حملوا الوشيجَ تطاولتْ
أطرافُه وتقاصرتْ أعمارُهُ

---

(١) رواية الديوان :

وبينه وبين سابقة فى القصيدة عدة أبيات :

(٢) رواية الديوان :

فَدَاكَ ذو ملكٍ يُصيخُ لبربطٍ
شغلتْهُ عن أوتارِهِ أوتارُهُ

والبربط : العود معرب من الفارسية .

يقول فيها (١) :

يُغْنِى غَنَاءَ سُيوفِهِ إِيعَادُهُ
وتنُوبُ عن نَظَراتِهِ أفكارُهُ

مَلِكٌ مُقيمٌ فِى دِمَشْقَ وذِكْرُهُ
فى الخَافِقَيْنِ بَعِيدَةٌ أسْفَارُهُ

لمْ يحْتَجِبْ عنْ رَبِّ مَسْأَلةٍ ولاَ
سَدِلَتْ على غَيْرِ التُّقَى أسْتَارُهُ

أخْبَارُ مجْدٍ كادَ يحفَظُهَا الدُّجَى
مِمَّا يُكَرِّرُ ذِكْرَهَا أسفارُهُ (٢)

لو عاصَرتْ كِسْرَى لكانَ بِوُدِّهِ
لو صِيغَ منهَا تاجُهُ وسِوَارُهُ

وإذا أردْتُكَ بالمَديحِ تَفَتَّحَتْ
أغْلاقُهُ وتَسهَّلَتْ أوْعَارُهُ

والمِسْكُ أوَّلُ من يفوزُ بِعَرْفِهِ
فى وقْتِ فَضِّ خِتَامِهِ عَطَّارُهُ (٣)

وله يهنِّيه بفَتْحٍ (٤) :

فَتْحٌ تقدَّمَ كُلَّ فَتْحٍ قَبْلَهُ
لِيَكُونَ فى الآفاقِ مِثْلَكَ مُفْرَدَا

---

(١) ص ٣٠١ ج ١ ديوانه :

(٢) ديوانه ص ٣٠٢ ج ١ وروايته . « ... مما يكرر ذكرها سماره »

(٣) الأبيات غير متتابعة على نسق القصيدة فى الديوان .

(٤) فى الديوان : يمدح نصر بن محمود ويهنيه بفتح حصن منبج ج ١ ص ٢٠٥ والبيت الأول ص ٢٠٦ .

عَلِمُوا بأنَّ نفوسَهم مأسورةٌ
في حصنِهِمْ وبغيرِها لا تُفتَدَى(١)

لِمَ لا يُطيعُكَ من يراكَ لنفعِهِ
مُتَعَهِّداً ولجُرْمِهِ مُتَغَمِّدَا

فإذَا اشتكى فقراً بذَلتَ له الغِنَى
وإذَا جنَى خطأً صفحتَ تعمُّدَا

فأفدْتَ حتَّى لا مُنَى وأبدْتَ حتْـ
ـتَى لاعدىً وجرَيْتَ حتَّى لا مَدَى(٢)

أنتَ ابتدَعتَ بهذهِ الشِّيَمِ العُلاَ
فمنْ اهتدَى في مثلِها فبِكَ اقتدَى(٣)

وله (٤):

لقدْ أشكلَتْ أعيادُ تامُنذُ أصبحَتْ
تُشاكِلُها في الحُسنِ أيامُكَ الغُرُّ

فلولاَ مواقيتٌ تعالَمَها الورَى
لما عَلِمَ الأضحَى لديْنَا ولا الفِطْرُ(٥)

---

(١) هذا البيت لا يلي البيت السابق ، وبينهما أبيات في رواية الديوان .

(٢) هذا البيت يفصل بينه وبين سابقه ستة أبيات في القصيدة .

(٣) يفصل بين هذا البيت وسابقه « خمسة أبيات .

(٤) من قصيدة يمدح بها الوزير البازورى.ديوانه١/٢٧٥ والبيت الأول ص ٢٨٠ .

(٥) رواية الديوان : « لما عرف الأضحى ... »

وكمْ مِنَّةٍ أسْدَيْتَها فشكَرْتُها
فأسْدَيْتَ أُخْرَى لا يَقُومُ بِهاشُكْرُ(١)

وله فى وصف كتاب(٢) :

ويعْرِبُ عَنهُ حِينَ يُنْشَرُ نَشْرُهُ
وما طِيبُ مِسْكٍ لا يضُوعُ لهُ نَشْرُ

تناءَتْ على الأوصافِ أوصافُكَ التى
يُقَصِّرُ عن إدراكِها النَّظْمُ والنَّثْرُ

ولكِنْ لَفْظِى لارْتِيادِكَ عاشِقٌ
وما بعُدَتْ يوماً علَى عَاشِقٍ مِصْرُ

وله على الوزن (٣) :

كفَى الدِّينَ عِزّاً ما قَضَاهُ لكَ الدَّهْرُ
فمنْ كانَ ذَا نَذْرٍ فقَدْ وجبَ النَّذْرُ

إذَا ما غَمامٌ خصَّ أرضاً بِغَيْثِهِ
همَى هاطِلاً فى كلِّ قُطْرٍ لنا قَطْرُ

---

(١) الديوان ص ٢٨١ ويفصل بينه وبين سابقه ٤ أربعة أبيات .

(٢) الأبيات من قصيدته السابقة فى مدح الوزير الباوردى وهى فى وصف الشعر ، وغير متتابعة فى القصيدة ص ٢٨١/٢٨٢ ديوانه .

(٣) مطلع قصيدة يمدح نصر بن محمود ويرثى والده فى سنة ٤٦٧ هـ فى عيد الفطر ص ٢٤٣ ديوانه .

وهى التى يقول فيها (١) :

ثمانيةٌ لم تفترقْ مُذْ جمعتَها
فلا افترقتْ ماذبّ عنْ ناظرٍ شفرُ

يقينُكَ والتقوى وجودُكَ والغنى
ولفظُكَ والمعنى وسيفُكَ والنصرُ

ومما جُمع فى بيتين قولُ القائلِ :

لمختلفى الحاجاتِ جمعٌ ببابهِ
فهذا لهُ فنٌّ وهذا لهُ فنُّ

فللخاملِ العليا وللمُعدمِ الغنى
وللمُذنبِ العُتبى وللخائفِ الأمْنُ

ومثله أيضاً ما جمع فى بيتين :

لعمرى لقدْ بذّ المُلوكَ جميعَهُمْ
بأربعةٍ فى غيرِه لن تُؤلَّفا

بأمنٍ لمنْ يخشى وقهرٍ لمنْ طغى
وسبْقٍ لمنْ جارى وعفوٍ لمنْ هفا

وبقيةُ القصيدةِ الرائيَّةِ لابنِ حيوسْ :

بِكَ انجابتْ اللأواءُ واعتدّتْ المُنى
وضُوعفتْ الآلاءُ وافتخرَ العصرُ

---

(١) هذان البيتان يليان البيت السابق فى القصيدة .

يقول فيها وقد جمع بين تهنئة وتعزية (١) :

وكُنّا نَظُنُّ الأرضَ تُظْلِمُ بَعْدَهُ
فقمتَ مقامَ الشمسِ إذْ غُيِّبَ البَدرُ

صبرْنا على حُكْمِ الزمانِ وجَوْرِهِ(٢)
على أنّهُ لولاكَ لمْ يُمْكِنِ الصّبرُ

عَرانا بِبُؤْسَى لا يُمَاثِلُها الأسى
تُقَارِنُ نُعْمَى لا يقومُ بها الشُكْرُ

يقول في جملتها :

وحُوشِيتَ من قُرْبِ اللئامِ فإنّهُمْ
إذا نُصِحُوا غَرُّوا وإنْ عُوشِرُوا عَرُّوا

وله (٣) :

سَلْ عَنْ فَضَائِلِكَ الزّمانَ فتُخْبَرا
فَنَظِيرُ مَجْدِكَ ما أراهُ وما يرى(٤)

ما احتَاجَ يوماً أنْ يُقامَ بِشَاهِدِ
حقٌّ أزَالَ الشّكَّ وَاجْتَاحَ المِرا

---

(١) ديوانه ص ٢٤٣ ج ١

(٢) رواية الديوان « حكم الزمان الذي سطا » ص ٢٤٣ الديوان .

(٣) يمدح ناصر الدولة بن حمدان والبيت مطلع القصيدة، ديوانه ١/٢٠٦ .

(٤) رواية الديوان :

سَلْ عن فضائلكَ الزمانَ لتخبرا
فنظيرُ مجدكَ ما رآهُ ولا يُرى

لَوْ لَمْ تُمَلِّكْكَ الأُمُورُ قِيَادَهَا
ضَعُفَتْ قُوًى مِنْهَا عُرًى وَوَهَتْ عُرى

فَطُلِ الكِرَامَ فَأَنْتَ أَثْبَتُهُمْ قُوًى
فِى حَمْلِ نَائِبَةٍ وأَعْجَلُهُمْ قِرى

مَا بَيْنَ مَجْدِكَ وَالمُحَاوِلَ نَيْلَهُ
إِلاَّ كَمَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثَّرَى(١)

مِنْهَا فِى وَصْفِ رِسَالَةٍ (٢) :

تُبْدُو لِرَائِيهَا فَتُحْسَبُ جَوْهَراً
وَتَفُوحُ رَيَّاهَا فَتُحْسَبُ عَنْبَرَا

إِنِّى وَجَدْتُكَ تَاجَ كُلِّ مَلِكٍ
فَكَسَوْتَ هَذَا التَّاجَ ذَاكَ الجَوْهَرا(٣)

لَوْ كُنْتُ خَائِضَ غَيْرِ بَحْرِكَ لَمْ أَكُنْ
مُسْتَخْرِجاً ذَا اللُّؤْلُؤَ المُتَخَيَّرا

وقد رأيتَ جماعةً من الشُّعراءِ عملوا على وزْن هذهِ القَصيدَةِ ، وغالبَهم أجادَ ، فمِنهم أبو الطَّيِّب المتنبى فى قوله (٤) :

بادٍ هَواكَ صبرتَ أمْ لَمْ تَصْبِرَا

(١) ديوانه ص ٢٦٠ وبينه وبين سابقة جلة أبيات .

(٢) البيت الأول وصف لقصيدته . وليس لرسالة .

(٣) هذا البيت والذى يليه ليسا من القصيدة المذكورة لكنهما من قصيدة أخرى على الوزن تليها فى الديوان ص ٢٦٣ .

(٤) قصيدة يمدح أبا الفضل بن العميد ديوانه طبع عزام ص ٥٣٧ :

يقولُ مِنْها فى المَدْحِ :

أنتَ الوحيدُ إذا ارتكبتَ طَرِيقَةً
وَمَن الرَّدِيفُ وقَدْ رَكِبتَ غضَنْفَرا(١)

قطفَ الرِّجَالُ القَوْلَ وقتَ نباتِه
وقطفْتَ أنتَ القَوْلَ لمَّا نَوَّرا

فهو المُتَبَّعُ بالمَسَامِعِ إنْ مضَى
وهُوَ المضاعَفُ حُسْنُه إن كُرِّرا

وإذا سَكَتَّ فإنَّ أبلغَ خَاطِبٍ
قلَمٌ لكَ اتخذَ الأصابعَ مِنْبَرا

يَا مَنْ إذَا ورَدَ البِلادَ كِتَابُه
قَبْلَ الجُيُوشِ ترى الجُيُوشَ تحيّرا

من مُبْلغُ الأعْرابَ أنِّى بعدَها
جَالسْتُ رُسْطَالِيسَ والإسْكَنْدَرا(٢)

ولقِيتُ كُلَّ الفَاضِلِينَ كأنَّما
رَدَّ الإلَهُ نُفُوسَهُمْ والأعْصُرا(٣)

وتَرَى الفَضِيلَةَ لا تَرُدُّ فَضِيلَةً
كالشَّمْسِ تُشْرِقُ والسَّحَابُ كَنَهْوَرا(٤)

---

(١) الأبيات ، ديوانه ص ٥٤٠ .

(٢) يرد البيت فى القصيدة بعد الأول بجملة أبيات .

(٣) بين هذا البيت وسابقه بيتان .

(٤) بين هذا البيت وسابقه بيتان. والكَنَهْوَرُ من السَّحَابِ قطعٌ كالجبال، أو المتراكم منه .

ومنهم ذو الوزارتين أبو بكر بنُ عمّار * أحدُ شعراء قلائدِ العِقيان،
يمدحُ المُعتضِدَ أحدَ خُلفاءِ العَرب رحمهم اللّهُ أجمعين (١):

أدِرْ الزُّجاجةَ فالنَّسيمُ قدْ انبَرى
والنَّجمُ قدْ صرفَ العِنانَ عنْ السُّرَى

والصُّبحُ قدْ أهدَى لنا كافُورَهُ
لمّا استَردَّ اللَّيلُ منّا العَنبَرا

والرَّوضُ كالحَسْنَا كَساهُ زَهرُهُ
وشْياً وقلَّدَهُ نَداهُ جَوهَرا

روضٌ كأنَّ النَّهْرَ فيهِ مِعصَمٌ
صافٍ أطلَّ علَى رِداءٍ أخضَرا

وتَهُزُّهُ ريحُ الصَّبَا فتَظُنُّهُ
سيْفَ ابنِ عَبّادٍ يُبَدِّدُ عَسكَرا (٢)

عبّادُ المُخضَرُّ نائِلُ كفِّهِ
والجَوُّ قدْ لبِسَ الرِّداءَ الأخضَرا

* أبو بكر بن عمار ذو الوزارتين ، وزير آل عباد بأشبيلية وأحد شعرائها المشهورين قتله المعتمد بن عباد بيده . راجع ترجمته فى قلائد العقيان مع شعره ص ٩٣ .

(١) قلائد العقيان فى محاسن الأعيان للفتح به خاقان ، طبع تونس سنة ١٩٦٦ م ص ١٠٨ .

(٢) بعد البيت فى الديوان وقد نصله من الأول بيت هو :

أو كالغلام زهى بورد رياضه خجلا وتاه بآسهن معذرا

مَلِكٌ إذا ازْدَحَمَ المُلُوكُ بِمَنْهَلٍ
وَحَمَاهُ لا يَرِدُونَ حتَّى يَصْدُرَا

أنْدى علَى الأكْبادِ من قَطْرِ النَّدَى
وألذُّ فِى الأجفانِ من سِنَةِ الكَرَى

قَدَّاحُ زَنْدِ المَجْدِ لا يَنْفَكُّ مِنْ
نَارِ الوَغَى إلاّ إلى نَارِ القِرى

أيقَنْتُ أنِّى مِنْ ذُرَاهُ بجَنَّةٍ
لمَّا سَقانِى من نَدَاهُ الكَوْثَرا

ماضٍ وصَدْرُ الرُّمحِ يَكْهَمُ والظُّبَا
تَنْبُو وأيْدِى الخَيْلِ تَعْثُرُ فى الثَّرَى

مَلِكٌ يَروقُكَ خَلْقَه أو خُلْقُه
كالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أو مَخْبَرًا (١)

قولُه فى هذا البيت « أو » يقتضى عدمَ المُبالغة ، وذلك أنه لم يحصُل له كِلا الوصفَين بل أحدَهما ، اللَّهُمَّ إلا أنْ يكونَ أرادَ « بأوْ » مجرَّد العطْف لا التَّخيير ، كما قال الله تعالى (وأرْسلْنَاهُ إلى مائةِ ألفٍ أو يَزِيدُونَ) وكما قال شاعرُ الحمَاسة :

فقالُوا لنا ثِنْتَانِ لا بُدَّ مِنْهُمَا
صدُورُ رِماحٍ أُشْرِعَتْ أوْ سَلاسِلُ

(١) بين البيتين وسابقه بيتان ، ص ١٠٩ قلائد العقيان .

يعني وسَلاسِلُ ، لأنه قال صَدْرِ البَيْت « لا بُدَّ مِنْهُما » ، وقد أوَّلُوهُ بتأويلٍ هو واحد منهما ، والأصل عدمُ التَّأويل . وعلى كلِّ حالٍ فالتَّقدُ في البَيْت ظاهِرٌ . يقول في بقية الأبيات(١) :

فَاحَ الثَّرى مُتَعطِّراً بِثَنائِـــهِ
حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ ثَوْبٍ عنْبَراً

ومن عمل على هذا الوزن والروى شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الأنصارى أحد شعراء الدولة الصلاحية العادلية ، وعاش إلى آخر دولة المعظم (*) . يقول في مديحها (٢) :

العادل الملكُ الذى أسماؤُه في كلِّ ناحِيَةٍ تُشَرِّف مِنْبَرَا
وبكلِّ أرْضٍ جنةٌ من عدْله الصّـ افِى أسالَ نداهُ فيها كوثَرَا

---

(١) قلائد العقيان ص ١٠٩ .

* وابن عنين هو محمد بن نصرالله بن الحسين ، كوفى الأصل ، ولد بدمشق ونشأ ودرس على جماعة من علمائها كالحافظ بن عساكر وقطب الدين النيسابورى ، والشهرزورى قاضي دمشق ، ثم ارتحل الى بغداد فأتم علمه . قال ابن خلكان « وكان غزير المادة من الأدب مطلعاً على معظم أشعار العرب. » .

بدأ قول الشعر شاباً على عهد نور الدين محمود بن زنكى ، وكان من شعراء دولة صلاح الدين ، وهجا جماعة من الفضلاء ومنهم القاضى الفاضل ، ونفى عن دمشق نطاف بالبلاد زمنا ، وجاء إلى مصر فأقام بها وأتصل بادبائها وشعرائها ، ثم عاد الى بلده دمشق وظل به الى وفاته سنة ٦٣٠ هـ أو سنة ٦٣٣ هـ في الثمانين من عمره .

راجع ترجمته في : وفيات الأعيان ، مرآة الزمان ج ٢ ومعجم الادباء ج ٧ ، ومقدمة ديوانه لشر خليل مردم ، والأدب في العصر الأيوبى للدكتور محمد زغلول سلام .

(٢) يمدح الملك العادل أبا بكر بن أيوب . راجع ديوانه ص ٦ طبع خليل مردم دمشق ١٩٤٩ .

ما فى أبى بكرٍ لِمُعْتَقِدِى الهُدَى
شَكٌّ يريبَ بأنَّه خيرُ الورَى

سَيْفٌ صِقَالُ المجدِ أخلَصَ مَتنَهُ
وأبَانَ طِيبُ الأصلِ منه الجوهَرَا

بين الملوكِ الغابرين وبينَه
فى الفضْلِ ما بينَ الثُّرَيَّا والثَّرى

نسخت خلائُقه الحميدةُ ما أتى
فى الكُتْبِ عن كِسْرى المُلُوكِ وقيْصَرا

ثَبْتُ الجَنَانِ تُراعُ من وثَبَاتِه
وثَبَاتِه يومَ الوَغى أُسْدُ الشَّرَى

لا تسمعَنَّ حديثَ مَلْكٍ غَيْرِه
يُروى فكلُّ الصَّيدِ فى جَوْفِ الفَرا

والفَرا اسمٌ لِحمارِ الوَحْش ، وهذا الَّذى ضرَب بِهِ رسُولُ اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّم المثَلَ فى قوله «كلُّ الصَّيدِ فِى جَوْفِ الفَرا» ومن عمل على هذا الوزن أيضاً القاضى ابن سناء الملك (*) ، يمدح

---

* ابن سناء الملك ، هبة الله ابن الرشيد جعفر بن المعتمد السعدى الشاعر المصرى . ولد سنة ٥٥٠ هـ وتوفى سنة ٦٠٨ هـ . التحق بخدمة القاضى الفاضل واختص به ، وأحبه وقال العماد الاصفهانى ان الفاضل كان يكرم ابن سناء الملك جدا ويوقره . وله ديوان مطبوع طبعة بتحقيق محمد ابراهيم نصر وطبع دار الكاتب العربى سنة ١٩٦٦ .

راجع فى ترجمته : وفيات الأعيان ، والروضتين ، والخريدة للعماد ، ومقدمة ديوانه المذكور ، الأدب فى العصر الأيوبى ص ٣١٥ — ٣٠٦ .

القاضى الفاضل** رحمه الله . يقول فى قصيدة أولها (١).

بانَتْ مُعَانِقَتِى ولكنْ فى الكَرَى
أَتَرَى درَى ذاكَ الرَّقِيبُ بِمَا جَرَى

ونَمَّ درَى لَمَّا رَأَى فى بُرْدَتِى
ردفًا وشمًّ من الثياب العنبرا

طيفٌ تخطّى الهولَ حتّى يفتَرِى
بيتَ الخشى فقدْ اشترى وقد اجترا

من شَانه يمضُونَها الكرام فمدوّنه
هذى خلائقُها بتخييس الشعرا

وليس مدحها بالطائل فيذكر ، وانما دعانى الى ذكر غزلها فى غير بابه كونها على الوزن والروى، والشىء بالشىء يذكر .

** والقاضى الفاضل هو القاضى أبو على عبد الرحيم البيسانى ، ولد سنة ٥٢٩ ببيسان ونشأ وعاش بمصر واشتغل بديوان الرسائل فى آخر دولة الفاطميين ، ثم التحق بخدمة صلاح الدين الأيوبى وصار وزيره وكاتبه والرجل المقدم فى دولته . وعاش بعد وفاته زمنا عزف فيه عن المناصب وعكف على الأدب والعلم فى القاهرة ، وكانت له مدرسة عرفت باسمه الفاضلية ، وضمت مكتبته نفائس الكتب . وعرف بطريقة خاصة فى الكتابة نسبت اليه ونهج نهجها جماعة من الأدباء أمثال ابن نباتة . توفى سنة ٥٩٦ .

راجع فى ترجمته : خزانة الأدب ، وخريدة القصر للعماد ، ووفيات الأعيان ، وكتاب الروضتين ، وثمرات الأوراق ، والوشى المرقوم لابن الأثير ، ومرآة الزمان ، والجامع المختصر ، ونهاية الأرب . والأدب فى العصر الأيوبى ص ١٩٢ .

(١) ديوانه ص ١٥٧ والبيت الرابع فى غير موضعه وبعد الثالث جملة أبيات ص ١٥٨ الديوان .

وكذلكَ عمِلَ التَّلعفريُّ(١) في الوزنِ والقافيةِ :

مَهْمَا الجفُونُ كذا مُحَارِبَةَ الكَرَى

مالِي انتِفَاعٌ بالخَيالِ إذَا سَرَى(٢)

كَمْ ذَا التَّجَاهُلُ في الهَوَى عن قِصَّتِي

دَمْعِي يَسيلُ وأنتَ تسمَعُ ما جَرَى

وقولُ ابنِ حيُّوس أيضا في مدح جيش(٣) :

ماعَايَنَتْ صِفَّيْنُ يَوْمَ تَقَابُلِ الصَّفَّيْنِ جَيْشاً جَامِعاً مايَجْمَعُ

حَكَمَاكَ لدُنٌ ذَابِلٌ ومُهَنَّدٌ

ما فِيهِمَا إِنْ حَكَّمَا ما يَخْدَعُ(٤)

---

(١) التلعفرى نسبة الى بلدة تل عفر من شعراء القرن السادس الهجرى ، واسمه مظفر ابن محمد خرج من بلدة تل عفر إلى سنجار فمدح أصحابها بنى مودود ، واختص بقطب الدين مودود ، وتصدر لإقراء النحو والحكمة وضروب الآداب . وكان معظم علومه الفلسفة ، واشتهر بالتنجيم وقول الشعر والأدب . ولختلت أحواله بسنجار فرحل عنها إلى الملك الأشرف موسى ابن العادل الأيوبى بحران . وتوفى وهو يصحبه الملك الأشرف فى وقعة دنيسر سنة ٦٠٢ هـ

راجع ترجمته فى : الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة طبع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٢ ص ٥٩ — وفيات الأعيان لابن خلكان .

(٢) البيتان من قصيدة له ذكرها صاحب تأهيل الغريب ورقة ١١٠ مخطوط أحمد الثالث مصورة بمعهد المخطوطات العربية .

(٣) ديوان ابن حيوس ١/ ٣٢٠ من قصيدة يمدح تاج الملوك محمود بن صالح بعد وصول التشريف ويصف داراً عمرها .

(٤) بين هذا البيت وسابقه أربعة أبيات ورواية عجزه .

« ما فيهما إن حكّما مَنْ يَخدعُ »

يُشيرُ بذلك إلى الحَكَمينِ اللَّذينِ حَكَمَا فى زَمنِ علىٍّ ومُعَاويةَ يومَ صفين وهما أبو مُوسَى الأشعَرِىُّ وعمرُو بنُ العَاص .

وله (١) :

أعطيت لا مُتكلِّفاً ومَنَعْتَ لاَ
مُتَخَوِّفاً وحَكَمْتَ لا مُتحَيِّفَا

حصَّنتَ طَارِفَها وكَمْ مُتَوسِّطٍ
لولاكَ أصبَح بالقَنَا مُتطرِّفَا(٢)

وحمَيْت مِنْ بلْدانِهِمْ ما لَمْ يَزَلْ
غَرضاً لعادِيَةِ الرَّدَى مُستَهدِفَا(٣)

فأجَرْتَنِى لمَّا عَدَا ولَطَفْتَ بِى
لمَّا قَسَى ووَصَلْتَنِى لمَّا جَفَا(٤)

لا تَطْلُبَنْ لَهُنَّ غيرِى ناظِماً
ما كُلُّ مَنْ ألِفَى الجَواهِرَ ألَّفَا(٥)

وله (٦)

تُضحِى سيُوفُكَ لِلبلادِ مفاتِحاً
فإذا فَتَحْتَ جعَلتَها أقفَالاَ

(١) من قصيدة يمدح أمير الجيوش أنوشتكين ص ٣٨٢ جـ ٢ من ديوانه .
(٢) البيت لا يلي سابقه ويفصلها جلة أبيات .
(٣) هذا البيت سابق على سابقه فى رواية الديوان .
(٤) البيت يأتى بعد عدة أبيات ص ٣٨٤ .
(٥) البيت يأتى بعد عدة أبيات من سابقه .
(٦) من قصيدة يمدح أمير الجيوش ص ٤٤٢ جـ ٢ من ديوانه .

أجنَرَا الورَى إنْ صَالَ بَلْ أعلاَهُمُ
إنْ طَالَ بلْ أوْفَاهُمْ أقوالاً(١)
بمَضَائِه وقَضَائِه وعَطَائِه
أمِنَ الرَّدَى والجَوْرَ وإلا مْحَالاً(٢)
وكَتَبتَ أسْجَالاً عَلَى قِمَمِ العِدَى
بشبا الظُّبَى أنْ لا تكُونَ سِجَالاً(٣)

وله (٤) :

لعَمْرِى لَقَدْ أدَّى البَشِيرُ بِشَارَةً
تَرُدُّ على الشَّيبِ الشَّبَابَ إذَا وَلَّى
ويُلْفَى له عزْمٌ كعزْمِكَ والظُّبَا
تَصِلُّ ونَارُ الحَرْبِ تَرْهَبُ أنْ تُصْلَى(٥)
أُصَائِنُ وَجْهِي عَنْ مَعَاشِرَ أصْبَحُوا
لِصَدْرِ العُلاَ غِلاً وفِى نحْرِهَا غُلاً(٦)

---

(١) البيت بعد الأول بعدة أبيات ص ٤٤٣ من الديوان ج ٢ .

(٢) رواية العجز بالديوان:

« أمنوا الرَّدَى والجورَ والإمْحَالا »

(٣) البيت بعد سابقه بعدة أبيات ص ٤٤٤ ج ٢ من ديوانه .

(٤) من قصيدة يمدح بها أمير الجيوش ويهنيه بمولودة « سنة ٤٥٠ هـ » ص ٤٥٠ ج ٢ من ديوانه، والبيت الأول رقم ٥ من أبيات القصيدة .

(٥) البيت بعد سابقه بأربعة أبيات ص ٤٥١ .

(٦) والبيت يلي سابقه بخمسة أبيات ص ٤٥١ ، والغل : الحقد ، والغل : القيد .

وله (١) :

ما زلتَ تلتذُّ طعمَ العفوِ مُقتدراً
حتّى ابتُغى عندكَ الإحسانُ بالزلَلِ

فانعمْ بتخفيفِ ما أسديْتَ مِنْ نِعَمٍ
فكثرةُ النُّورِ تُمْشِى ناظرَ المُقَلِ (٢)

وله (٣) :

قومٌ أقاموا سوقَ كُلِّ فضيلةٍ
كسَدَتْ وقامُوا والأنامُ قعُودُ

وله (٤) :

إنْ تُرِدْ عِلْمَ حالِهِمْ عَنْ يَقينٍ
فالْقَهُمْ فى مَنْزِلٍ أَوْ نِزالِ

تَلْقَ بِيضَ الأعْراضِ سُودَ مُثارِ
النَّقْعِ خُضْرَ الأكْنافِ حُمْرَ النِّصالِ

---

(١) من قصيدة يمدح بها الوزير أبا الفرج المغربى . ديوان ابن حيوس ٢/٤٥٢ . والبيت الأول هو رقم ٣ فى القصيدة .

(٢) يرد البيت فى القصيدة بعد جملة أبيات من الأول هنا .

(٣) من قصيدة يمدح تاج الملوك بن صالح ص ١٥٨ ج ١ من ديوانه ، والبيت الأول هو رقم ٢٦ من القصيدة ص ١٦٠ ج ١ .

(٤) من قصيدة يمدح بها عز الملوك أبا الفضائل سابق بن محمود بن نصر بن صالح ويهنئه بعيد الفطر . ديوان ابن حيوس ٢/٤٥٦ ، والبيت الأول ص ٤٦٠ ورقم ٥٠ فى القصيدة .

أنتَ أنداهُمُ إذا أجدبَ العـا
مُ وأسماهُمُ لِطُرْقِ المَعَالِي (١)

قَصَّرَ السَّابِقُونَ دُونَ مَدَاهَا
وتَملَّكتَهَا بستِّ خِصَالِ

مكرُماتٌ معَ اعتِذارٍ وعفوٍ
باقتِدارٍ وعفةٍ في جَمَالِ

هِيَ أغلَتْ بالعِزِّ كلَّ رخيص
واستهلَّتْ فأرخَصَتْ كُلَّ غالِ (٢)

ولولا خوفُ الإطالةِ لذكرنا من محاسِنِ شِعْرِ ابن حيُّوس ما هُوَ أكثرُ من ذلك، فإنَّ مَدْحَهُ وغزَلَهُ وبَديعَ شِعْرِهِ لا يُضَاهَى.

قال الشريف أبو يعلى ابن المبارية* في المدح:

وإذا سَخِطْتُ على القوافي صُغْتُها
في غيرِهِ لأذِلَّها وأُهِينَها

وإذا رَضيتُ نظَمْتُها بجلالِهِ
كيما أشرِّفَها به وأُزيِّنَها

وقال القاضي الأرجاني **:

(١) البيت يلي السابق بعدة أبيات.

(٢) البيت يأتي بعد سابقه بعدة أبيات.

* ابن المبارية سبقت ترجمته.

** القاضي الأرجاني سبقت ترجمته.

أيا من سكونُ الأرضِ مِنْ حركاتِه
فمَا لِمطاياهُ قرارٌ من الوخْدِ

فتىً كُلَّمَا قلَّبْتُ أمْرِىَ ناظِراً
أرىَ عِنْدَهُ قلْبِى وإحسانَهُ عِنْدِى

والشريفِ الرضى(1) :

وعرَّفنى كيفَ الترقِّى إلى العُلاَ
وكيفَ نَعِيمُ المَرْءِ بعدَ شَقَاءِ

وله(2) :

أرومُك إلاّ أنْ يسُوءَ بِكَ العِدَا
وتُصْبِحَ مُسْتَثْنَى البَقاءِ من الرَّدَى

إذا فَزِعَتْ أيَّامُنا كنتَ معْقِلاً
وإنْ ظَمِئَتْ آمالُنَا كنْتَ مَوْرِدَا(3)

---

(1) ديوانه ص ٥ من قصيدة يمدح الخليفة الطائع لله ويهنئه بعيد الأضحى سنة ٣٧٧هـ والبيت رقم ٤ من القصيدة وروايته :

وعلمنى كيف الطلوعُ إلى العُلاَ وكيف نَعيمُ المرءِ بعد شقاءِ

(2) مطلع قصيدة يمدح الملك بهاء الدولة سنة ٤٠٣ هـ وروايته فى الديوان: (ص ٢١٤)

أبَى اللهُ إلا أن يسوءَ بك العدى
ويصبح مستثنى البقاءِ على الرَّدَى

(3) البيت من قصيدة أخرى على الوزن (ص ٢١٧) وروايته :

إذا جزعت أيامنا كنت معقلاً وإن ظمئت آمالنا كنت موردَا

وللشَّريفِ الرَّضيّ أيضاً (١) :

لأشكرنَّكَ ما ناحتْ مطوَّقةٌ
وإنْ عجزتُ عن الشُّكرِ الّذي وجَبا

فما التفتُّ إلى نعماءَ سابغةٍ
إلا وجدتُكَ فيها الأصلَ والسَّبَبا

وله يستعطف القادر الخليفة (٢) :

عَطْفاً أميرَ المؤمنين فإنَّنا
في دوحةِ العلياءِ لا نتفرَّقُ

ما بيننا يومَ الفَخارِ تفاوتٌ
أبداً كلانا في العلاءِ مُعرَّقُ

إلا الخلافةَ ميَّزتْكَ فإنَّني
أنا عاطلٌ منها وأنتَ مُطوَّقُ

ومن أحسن الاقتصاد المتضمن معنى المَدْحِ قولُ أُمَيَّة بنِ أبي الصَّلْتِ * :

---

(١) مطلع قصيدة يشكر حزة بن ابراهيم على قضاء حاجات له . ديوانه ص ٨٤ :

(٢) القصيدة بالديوان ص ٥٤١ ، والأبيات الثلاثة فى آخرها ص ٥٤٤ .

* أمية بن أبى الصلت : امية بن عبد العزيز من أهل الأندلس وسكن الأسكندرية ، وألف فى الأدب واللغة وشعراء العصر ، وله الرسالة المصرية والحديقة . شاعر ناثر . له ديوان لم ينشر . ولد بدانية بلاد الأندلس سنة ٤٧٠ هـ وقدم إلى الأسكندرية سنة ٤٨٩ هـ أيام المستنصر الفاطمى ، واتصل ببعض كبراء الدولة ، وسجن بمصر ثلاث سنين ، ثم عاد بعد خروجه من السجن إلى القيروان . وتوفى بالمهدية سنة ٥٢٠ هـ أو سنة ٥٢٨ هـ الدولة .

راجع فى ترجمته : الخريدة للعماد (قسم شعراء المغرب) طبع تونس ج١ ، ومعجم ياقوت ٥٢/٧ . وفيات الأعيان ١/ ٨٠ والقفطى ١/ ٥٢٠ .

أأذْكُرُ حاجَتِي أمْ قدْ كفانِي
حياؤُكَ إنَّ شيمتَكَ الحياءُ

إذا أثنَى عَليْكَ المرءُ يوْماً
كفاهُ من تعرُّضِه الثَّناءُ

وما أحسنَ قول الحَيْصَ بيْص . فى الكرم :

حُثَّ الكَريمَ على النَّدى وتَقاضَهُ
بالوعْدِ وابْعَثْهُ على الإنْجَازِ

ودَعِ الوُثُوقَ بِطَبْعِهِ فلَرُبَّمَا
نشَطَ الجَوادُ بشوكَةِ المِهْمَازِ

ومثله فى المعنى :

والوعدُ كالوَرَقِ النَّضيرِ تأوَّدَتْ
فيه الغُصُونُ ونُجْحُهُ أنْ يُثْمِرا

والشريف الرَّضِيّ (١) :

لا تُعْطِشْ الزَّرْعَ الّذِي نَبْتُهُ
بِصَوْبِ إحْسانِكَ قدْ روَّضا

إنْ كانَ لِي ذَنْبٌ ، ولا ذَنْبَ لِي
فلْتَسْتَأْنِفْ العَفْوَ وهبْ مَا مَضَى

قدْ كنتُ أرْجُوكَ لِنَيْلِ المُنَى
فاليَومَ لا أطلُبُ إلاَّ الرِّضَى (٢)

---

(١) الأبيات من قصيدة يمدح الملك بهاء الدولة . ديوانه ص ٤٣٩ ، ورواية الأول :

لا تعطش الزرع الذى نبته
بصوب المعاملة قد روضا

(٢) البيت فى آخر القصيدة وبعقب سابقه بعد عدة أبيات . ص ٤٣٨ .

وفى المعنى :

لستُ أدرى ماذا أقولُ ولكِنْ

أشتهى مِنْ عَريضِ جاهِكَ نفعا

والفتى إن أرادَ نفعَ أخيه

فهوَ يدْرِى فى نفْعهِ كيفَ يسعَى

وقال الرَّشيدُ بنُ الزُّبير * فى المدح

مباسيمُ فى النَّادِى مبَاسيلُ فى الوَغَى

مطَاعِينُ فى الهَيْجا مطَاعِيمُ فى المَحْلِ

فما زالَ بِى إحْسَانُهم واعتِقَادُهُم

وإكرَامُهم حتَّى حَسِبْتُهم أهْلِى

وقال التِّهامى :

قومٌ إذَا لَبِسُوا الدُّرُوعَ حَسِبْتَهُم

سُحُباً وقدْ زُرَّتْ علَى أقْمَارِ

أُسُدٌ ولكِنْ يُؤثِرون بِزَادِهِمْ

والأُسْدُ ليسَ تَدِين بالإيثَارِ

يتَزيَّن النَّادِى بحُسْنِ وجُوهِهِمْ

كتَزيُّنِ الهَالاتِ بالاقمَارِ

لابى العلاء المعرّى مِنْ قصيدة أجَادَ فيهَا مِنْ جُمْلَتِها :

وشِعْرُكَ لوْ مدَحْتَ به الثُّريَّا

لكانَ لهَا على الشَّمْسِ الفخَارُ

---

* القاضى الرشيد بن الزبير أخ المهذب بن الزبير من شعراء المائة السابعة المصريين .

كأنَّ بيوتَه الخُنَّسُ السّواري
فكلُّ قصيدةٍ فلكٌ مُدارُ

يعنى الخُنّسَ السّوارىَ الكواكبَ السّيارةَ التى ذكرها الله تعالى
فى قولِه : (فلا أقسم بالخُنّسِ الجوارِ الكُنّسِ)

وقال أبو العَميثَلِ يمدحُ عبدَالله بنَ طاهر :

يا مَنْ يُحاوِلُ أنْ تكونَ صفاتُه
كصفاتِ عبدِالله أنصِتْ واسمعِ

اصدُقْ وعِفَّ وبِرَّ واصبِرْ واحتمِلْ
واصفَحْ وكافِ ودارِ واحلُمْ واشجعِ

والطُفْ وَلِنْ وتأنَّ وارْفُقْ واتَّئِدْ
واحزِمْ وجِدَّ وحامِ واحمِلْ وادفعِ

هذا البابُ لتكملةِ سبعين نوعاً من أنواعِ البديع ، وقد أتبعتُه بذكرِ أنواعِ البديعِ ، وما بهِ من الانواع والفنون ، وبعد ذلك كيفيةَ استعمالِ النظم والنثر وتعليم الإنشاء للمريد فقلتُ وبالله التوفيق:

باب

فى ذكر الشعر

حده ، وتصريعه ، وعروضه ، وضروبه ، وقوافيه ، وفضله ، ومنافعه ، ومضاره ، والطريق إلى عمله ، ونوع البديهة والارتجال ، والفرق بينهما ، والافتخار ، والرثاء ، والأغراء ، والتحريض ، والاعتذار ، والزهد ، والعتاب والحكم ، والأمثال .

ذكر الشعر وحده وتصريعه وأعاريضه وضروبه وقوافيه :

فأما حده : فهو اللفظ الدال على معنى المقصود فيه الوزن والقافية

وأما تصريعه فهو : ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضروبه وتنقص وتزيد بزيادته .

وأما عروضه : فالعروض فى اصطلاح العروضيين هو اسم الجزء «الأخير من النصف الأول من البيت» ، وإنما سمى عروضاً لكثرة دَوْرِه كما سَمَّوا علم قِسْمة المواريث فرائض، لكثرة قولهم فرض الزوج كذا، وفرض الزوجة كذا ، وفرض الأم والابن كذا .

وهو مأخوذ من العروض التى هى الناحية . وقيل مأخوذ من قولهم : ناقة عروض ،أى صعبة لم تُرضْ . وقيل هو مأخوذ من العروض التى هى

الطريق فى الجبل(١)

وأصولُ أجزاءِ العَرُوضِ سبَبانِ ووَتِدَانِ وفاصِلَتَانِ ، فالسَّببُ الأول خفيفٌ وهو حرفان ، متحرِّكٌ والآخرُ ساكن ، والسبب الثانى ثقيلٌ وهو حرفان متحركان(٢) .

والوتِدُ الاولُ مَجْمُوعٌ(٣) ، وهو حَرْفانِ مُتَحرِّكَانِ بعدَهُمَا سَاكِنٌ . والوَتَد الثَّانِى مفرُوقٌ وهو حرفانِ متحرِّكَانِ بينهُمَا ساكِن(٤) .

والفاصِلَةُ الاولَى صُغْرى ، وهىَ ثلاثَةُ أحْرُفٍ متحركاتٌ بعدَهَا حرفٌ سَاكِنٌ(٥) والفاصِلَةُ الثَّانيةُ كُبْرى وهىَ أربعَةُ أحْرُفٍ متَحَرِّكَاتٌ بعْدَها حَرْفٌ سَاكِنٌ(٦) . ولا يُجْمَعُ

---

(١) قال الخطيب التبريزى فى كتاب « الكافى فى العروض و القوافى » ص ١٧ [طبع معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية مجلد ١٢ ج ١ مجلة معهد المخطوطات .] :

« وأصل العروض فى اللغة الناحية ، من ذلك قولهم : « أنت معى فى عروض لا تلائمنى » أى فى ناحية . . ولهذا سميت الناقة التى تعترض فى سيرها عروضا ، لأنها تأخذ فى ناحية دون الناحية التى تسلكها ، فيحتمل أن يكون سمى هذا العلم عروضاً لأنه ناحية من علوم الشعر . وقيل يحتمل أن يكون سمى عروضاً لأن الشعر معروض عليه ، فما وافقه كان صحيحاً ، وما خالفه كان فاسداً » .

(٢) السبب الخفيف مثل « قدْ » « لمَنْ » « هَلْ » والسبب الثقيل مثل « صَحَ » « بِكَ » .

(٣) الوتد المجموع مثل « قَضَى » و « دَعَا » و « مضَى »

(٤) مثل « كيف » و « قبل » و « بعد » .

(٥) مثل « علما » و « ضرَبا » .

(٦) مثل « قلتا » و « ضرَبتا » .

بينَ ساكِنينِ إلاَّ في قوافٍ مخصُوصَةٍ (١) .

وقدْ شُبّهَ البَيْتُ مِنَ الشِّعْرِ بالبَيْتِ من الشَّعْرِ ، لأنَّ البَيْتَ من الشِّعْرِ لا يقُومُ إلا بالأسْبابِ والأوْتادِ التي ذكرنَاهَا .

وإنما سميت الفاصِلة فاصِلةً لأنهَا تَفْصِلُ بينَ الأسبابِ والأوتادِ .

وأما ضُرُوبُهُ : فالضَّرْبُ في اصْطِلاحِ العَرُوضِيِّينَ هو اسْمٌ للجُزْءِ الأخيرِ من البَيْتِ مأخُوذٌ من الضرْبِ الذي هُو الجِنْسُ والمَثَلُ ، وقيل من الضَّرْبِ الذي هو الإسْراعُ .

والشعر كُلُّه فلاَ يخْرُجُ عن خمسةَ عشَرَ بحْراً إلاَّ ما شَذَّ كالبَحْرِ المُسَمَّى « بالخَبَبِ » . وقد حَصرَتِ الأعاريضُ فجاءتْ أربعاً وثلاثين عرُوضاً ، وحُصِرَتْ الضُّرُوبُ ثلاثاً وستِّينَ ضرباً ، وتفْصِيلُ أسمائِها في كُتُبِ العَرُوضِ ، فلا حَاجَةَ إلى ذِكْرِها .

---

(١) لا يتوالى في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركات .

بابُ

القــوافى

وأما قوافيهِ فهى تنقسِم إلى قِسمين، قِسمٌ مقيدٌ، وقِسمٌ مُطلَقٌ[1]

فالقوافِى المقيَّدةُ ثلاثٌ هِى: مُجرَّدٌ، ومُردَفٌ، ومُؤسَّس

فمقيدٌ مجرد. كقولِ الشاعر[2]:

أتهجُرُ غانيةً أمْ تَلُمْ

أمِ الحبْلُ واهٍ بِها مُنجَذِمْ

وإنَّما سُمِّيَ مجرَّداً لأنَّهُ ليسَ فيهِ رِدفٌ ولا تأسِيس.

ومقيد مردف كقولِ الشَّاعِرِ[3]:

يارُبَّ من يُبغِضُ أذوادُنا

رُحْنَ على بَغضائِه واغتَدَيْنْ

ومقيد مؤسس كقولِ الشَّاعِرِ[4]:

نَهْنِهْ دمُوعَكَ إنَّ مَنْ

يَبكِي على الحَدَثانِ عاجِزْ

---

(١) راجع كتاب العمدة لابن رشيق ١/ ١٣٤ وكتاب «مناهج البلغاء» لحازم ابن الخوجة ص ٢٧١. وذكر أن القوافي تسعٌ: ثلاثٌ مقيدةٌ وستٌّ مُطلَقةٌ. راجع الكافي في العروض والقوافي ص ١٤٦؛

(٢) الكافي للتبريزي ص ١٤٦ وهو من قول الأعشى. ديوانه ص ٢٨.

(٣) لعمرو بن لأي التيمي، راجع الوحشيات ص ٩ والكافي ١٤٦.

(٤) رواية الكافي: «يبكي من الحدثان».

وأما المُطْلَقَةُ السِّتَّةُ فهيَ : [مطلقٌ] مجرَّدٌ ، ومُطْلَقٌ بوَصْلٍ ، ومُطْلَقٌ مُرْدَفٌ بوَصْلٍ ، ومُطْلَقٌ مُرْدَفٌ بَوَصْلٍ وخُرُوجٍ ، ومُطْلَقٌ ومُؤَسَّسٌ بوَصْلٍ ، ومُطْلَقٌ بتأسيسٍ وَوَصْلٍ وخُرُوجٍ (١) .

فالمطلق المجرد كقول الشاعر(٢) :

حمِدْتُ إلهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا

خِراشٌ وبعضُ الشَّرِّ أهوَنُ مِنْ بَعْضِ

والمطلق بَوْصلٍ كقول الشَّاعر (٣) :

إلا فتًى نَالَ العُلاَ بِهِمَّةِ

والمطْلَقُ المُردَفُ بَوصْلٍ كَقولِ الشَّاعِر (٤) :

أَلاَ قَالَتْ قُتَيلَةُ إذْ رأَتْنِي

وقدْ لاَ تَعْدَمُ الحَسْنَاءُ ذَامَا

ومُطْلَقٌ مُرْدَفٌ بوَصْلٍ وخُروجٍ كَقولِ الشَّاعِر:(٥)

عَفَتْ الدِّيَارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها

---

(١) والستة المطلقة عند التبريزى هى : مطلق مجرد ، ومطلق بخروج ، ومطلق بردف، وخروج ، ومطلق بتأسيس : ومطلق بتأسيس وخروج .

(٢) التبريزى ص ٤٦ ،والشعر لأبى خراش الهذلى. ديوان الهذليين ٣/١٢٣٠ وشرح الحماسة ٢/١٤٣ ، ١٤٨ .

(٣) ويسميه التبريزى المطلق بخروج .

(٤) التبريزى ص ١٤٧ وسماه المطلق المردف . والشاعر هو الأعشى والبيت فى ديوانه ١٣٤ .

(٥) التبريزى ص ١٤٧ ؛ وراجع العمدة ١٥٩ والشاعر لبيد ، وهذا مطلع معلقته .

والمُطْلَقُ المُؤَسَّسُ بِوَصْلٍ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ(١) :

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ

والمطلقُ المُؤَسَّسُ بِوَصْلٍ وخُرُوجٍ كقولِ الشَّاعِرِ (٢) :

فى لَيْلَةٍ لا تَرى بِهَا أَحَداً

يَحْكِى عَلَيْنَا إلاَّ كَوَاكِبُهَا

والقافيةُ هى من آخِرِ سَاكِنٍ معَ المُتَحَرِّكِ قَبْلَه(٣) ، وهذا مذهبُ الخَلِيلِ بن أحْمَد ، وعندَ الاخفَشِ . أنَّ القَافيةَ هى آخرُ كَلِمةٍ فى البَيْتِ(٤) ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأنَّها تَقْفُو الكَلاَم أىْ تَتْبَعُهُ . ومن علماءِ القَوافِى من يُسَمِّى البيت جميعَه قافِيَةً ، ومنهم من يُسَمِّى القصيدةَ قافِيةً ، ومنهمْ من يَجْعَلُ حرفَ الرَّوِيِّ قَافِيةً . وأجودُ الأقوالِ قَوْلُ الخَلِيلِ .

وألقاب القوافى خمسةٌ قد نَظَمَها بعضُ الشُعراءِ فى بيتَيْنِ :

نَظَمْتُ ألقابَ القَوافِى خَمْسةً

نَظْماً ليعرفها الأديبُ العَارِفُ

أسماؤُها مُتَكَاوِسٌ مُتَرَاكِبٌ

مُتَدَارِكٌ مُتَوَاتِرٌ مُتَرادِفُ

---

(١) التبريزى يسميه « المطلق المؤسس » والشاعر النابغة .

(٢) التبريزى يسميه « المطلق بتأسيس وخروج » والشاعر على بن فيد أبو لحية الطلاح ، وراجع سيبويه ٣٦٨/١ وخزانة البغدادى ١٨/٢ والأغانى ٣٩/١٤ .

(٣) قال ابن رشيق [العمدة ١٠١/١] « واختلف الناس فى القافية ما هى ؟ فقال الخليل : هى من آخر حرف فى البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذى قبل الساكن » . ونقل المؤلف قول التبريزى ص ١٤٩ .

(٤) العمدة ١٥٢/١ .

فالمتكاوس أربعة حروف متحركة بين ساكنين ، كقول الشاعر(١) :

قد جَبَرَ الدِّينَ الإلهُ فجَبَرْ

والمتراكبُ ثلاثةُ أحرُفٍ متحركةٍ بينَ ساكنينِ كقولِ الشاعرِ(٢) :

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ منكُم بداهيةٍ

لم يَلْقَها سوقةٌ قبلي ولا مَلِكُ

وأما المتدارِكُ فهو حرفانِ متحركانِ بينَ ساكنينِ ، كقولِ الشاعرِ(٣) .

قفنا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وأما المتواتِرُ فهوَ حرفٌ متحركٌ بينَ ساكنينِ كقولِ الشاعرِ(٤) :

---

(١) الكافى للتبريزى ص ١٤٧ والشاعر العجاج الراجز .

* وقال التبريزى : وإنما سمى متكاوساً للاضطراب ومخالفة المعتاد . ومنه كاست الناقة إذا مشت على ثلاث قوائم ، وذلك غاية الاضطراب والبعد عن الاعتدال .

(٢) قال التبريزى : وإنما سمى متراكباً لأن الحركات توالت فركب بعضها بعضاً . ص ١٤٨ .

(٣) التبريزى ١٤٨ والشاعر هو امرؤ القيس .

قال : والتدارك دون التراكب ، لأن الخيل وغيرها إذا جاءت متداركة كان أحسن من أن يركب بعضها بعضا .

(٤) الكافى للتبريزى ص ١٤٨ والشاعر جميل بن معمر ، راجع ذيل الأمالى والنوادر ١٠٤ ، وسمط اللآلى ٤٩ .

وسمى متواتراً لأن المتحرك يليه الساكن ، وليس هناك من تتابع الحركات ما فى المتدارك وما فوقه . يقال تواترت الإبل إذا جاء شيء منها ثم انقطع ، ثم جاء شيء آخر منها كذلك . [الكافى للتبريزى ص ١٤٨]

ألا يا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ من نَجْدِ

وأما المترادف فهو اجتماعُ ساكنين ليسَ بينهما متحرّكٌ ، كقولِ الشاعرِ(١) :

لا يَغُرَّنَّ امرأً عَيْشُهُ   كلُّ عيشٍ صائرٌ للزَّوالْ

فهذهِ ألقابُ القَوافِي ، وبعضُهم يُسَمِّيها حدُود، يجمَعُها في لفظةٍ واحدةٍ « سبكرف »، فالسينُ للمتكاوِس ، والباءُ المتراكِب ، والكافُ المتدارِكُ ، والرّاءُ للمُتَواتِر والفاءُ المترادِف. ولفظةُ « سبكرف » شاهدةٌ على تفصيل ألقابِ القَوافِي ، فانك إذا حذَفْتَ السّين بقيت أربعة أحرفٍ وهي عدد حركات المتكاوس . وإذا حَذَفْت البَاءَ مع السّين بقيتْ ثلاثةُ أحرف، وهي عددُ حَركاتِ المُتَراكِب ، وإذا حَذَفْتَ السّين والبَاءَ والكَاف أبقيْتَ حرفين هُما عددُ حركتي المُتَدارِك ، وإذا حذَفْتَ السّينَ والبَاءَ والكَافَ والرّاءَ بَقِيَ حرفٌ واحدٌ وهو حَركةُ المتَواتِر .

وحروفُ القَوافي ستّةٌ يجمَعُها قولُ القائِل :

نظَمتُ حرُوفاً للقَوافِي بِسِتّةٍ   بِنَظْمِ رَشِيقٍ مُوجَزٍ وطَوِيلِ

رَوِيٌّ ووَصْلٌ والخُرُوجُ وردْفُها   وتأسِيسُها قد تُمِّمَتْ بِدخِيلِ

(١) المترادف عند التبريزي : « اجتماع ساكنين في القافية ، وإنما سمي بذلك لأن أحد الساكنين ردف الآخر نحو قوله :

ما هَاجَ حسَّانَ رسُومُ الدِّيارْ

فالرَّوِيُّ(١) هو الحَرْفُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ القَصِيدةُ كالدَّال في قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ
تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

وجميع حروف المعجم تَصلُح رَوِيًّا إلا الألف المُشْبَعَة(٢) والمُبْدَلَة من التَّنوين(٣)، والنُّون الخَفِيفة(٤) وياء الإطلاق وياءُ الضمير ، وواوُ الجَمْع(٥) ، والهمزةُ المُبْدَلَةُ من أَلِفِ التأنيث(٦) ، والهاءُ المبيِّنةُ للحَرَكَة(٧) ، وهاء التَّأْنِيثِ(٨) والهاءُ المُسمَّاةُ بهاءِ السَّكْتِ(٩).

---

(١) قال التبريزى : وسمى رويا لأن أصل روى فى كلامهم للجمع والاتصال والضم ، ومنه الرواء الحبل الذى يشد على الأحمال والمتاع ليضمها ، وكذلك هذا الحرف الروى يضم وتجتمع إليه حروف البيت . ص ١٤٩/ ١٥٠ .

(٢) مثل « قاما » « وقعدا » .

(٣) مثل : « رأيت زيدا »

(٤) يقصد الألف المبدلة من النون الخفيفة نحو قوله : « صبرت أم لم تصبرا »

وقد أورد التبريزى خمسة أضرب من الألف التى لا تصلح لأن تكون قافية تزاد على المؤلف حرفين هما : ألف الإطلاق والألف التى تتبين بها الحركة . ص ١٥٠ الكافى.

(٥) وأضاف التبريزى واو الإطلاق .

(٦) قال التبريزى : « والهمزة المبدلة من ألف التأنيث فى الوقف لا تكون رويا البتة كقولك : « هذه حبلاء » فى « حبلى » .

(٧) مثل : اقضه وارمه .

(٨) نحو طلحة ، وحمزة .

(٩) أورد التبريزى ثلاثة هاءات أخرى لا تصلح للروى راجع الكافى ص ١٥٠ .

والهاء الوصل سُمّى بذلكَ لأنهُ وصلُ حركةِ المجرى وهى أربعةُ أحرفٍ : الألِفُ والواوُ والياءُ والهاء ، فالألف كقوله (١) :

أقِلّى اللّومَ عاذِلَ والعِتابا

والواوُ كقولهِ (٢) :

سُقيتِ الغيثَ أيتُها الخيامُ (مُو)

والياء كقوله (٣) :

... برقة ثمهد (دِى)

والهاء كقوله (٤) :

عفتْ الدّيارُ محلُّها فمُقامُها

وأما الخُروجُ فيكونُ بثلاثةِ أحرفٍ : الألفُ والواوُ والياءُ فالألفُ كقولهِ : فمُقامُهَا

---

(١) جرير بن عطية ديوانه ص ٦٤ .

(٢) جرير بن عطية ديوانه ص ٥٠٢ والكافى للتبريزى ص ١٥١ وصدر البيت .

متى كانَ الخيامُ بذى طلُوحِ

(٣) من صدر البيت . وهو لطرفة بن العبد :

(٤) صدر بيت لبيد وقد مر ذكره . والمثال هنا للهاء المتحركة . وقد تأتى الهاء ساكنة كقول ذى الرمة .

وقفتُ على ربْعٍ لميّةَ ناقتِى

فما زلتُ أبكى حولَهُ وأُخاطِبُهْ

فالباءُ الروى ، والهاءُ بعدها وصلٌ

والواو كقوله (١) :

وبلدٍ عاميةٍ أعماؤُه (هُو)

والياء كقوله (١) :

تَجَرُّدَ المَجْنُونِ مِن كِسائِهِ (نِـهى)

ويُسَمَّى بذلِكَ لِبُرُوزِهِ وظُهُورِهِ، وتَجَاوُزِهِ الوَصْلَ التَّابِعَ للرَّوِيِّ .

الردف : يُسَمَّى بذلِكَ لأنه مُلْحَقٌ بحرفِ الرويِّ ولازِمٌ لهُ فيجرى مُجْرى المُردَفِ للرَّاكِبِ لأنه يَلِيه . وهو يجيءُ قبلَ حرْفِ الرَّوِيِّ لابَعْدَهُ ، ولهذا سُمِّيَ . أوردُوا فى ذلِكَ إيراداً . وقالو : إنَّ الرَّدِيفَ هوَ الَّذِي يَتْلُو الرَّاكِبَ ، والرِّدْفُ فى القافِية هوَ الَّذى يَجِيءُ قبل حرفِ الرويِّ لابعدَهُ ، فكيفَ جازَ التَّشْبِيه به ؟ .

وأجابَ والدى رحمهُ الله عن ذلك بأنْ قال إنَّ الرَّادِفَ وإنْ سَبقَ باللَّفظِ [الحرفَ] المسَمَّى بالرويِّ فإنَّه لا يخرجُ عن كونهِ تالِياً ، وذلِكَ لأنَّ القافِيَة فيه لمَّا كانتْ هِيَ آخرَ كلمةٍ فى البيْتِ ، وهِيَ وجهُ القَصِيدَةِ وحِلْيةُ لصنْعَةِ البيْتِ فآخرُ القافِية حِلْيةٌ للقافِية ووجْهٌ لصنْعَتِها .

---

(١) الكلام لرؤبة بن العجاج ، الكافى ص ١٥٣ وديوانه فى مجموع أشعار العرب ج ٣ ص ١

(٢) ابو النجم العجلي . الكافى ص ١٥٢ وشرح الحماسة ٤/١٣٥ .

ويجبُ الاعتدادُ للقافيةِ والعنايةُ بآخرِها أكثرَ من أوّلِها ،

وإذا كانَ كذلكَ فالرّويُّ أقربُ إلى آخرِ القافيةِ من الرِّدفِ ،

فإنْ بهِ وقعَ الابتداءُ فصارَ الرِّدفُ وإن سبقَ الرويَّ لفظاً فهوَ

رِدْفٌ له تقديراً ومعنًى (١) .

وأمّا التأسيس فهوَ مأخوذٌ مِنْ أُسِّ الحائطِ وأساسِه ،

وذلكَ لأنَّ ألِفَ التَّأْسيسِ لتقدُّمِها والعنايةِ بها

والمحافظةِ عليها كأنَّها أساسُ القافيةِ ، وهيَ ألفٌ قبلَ

حرفِ الرَّويِّ بحرفٍ واحدٍ كقولِ الشّاعِرِ(٢) :

خليليَّ عُوجا مِنْ صُدُورِ الرّواحِلِ

بَجُمهورِ حُزْوَى فابْكِيا في المنازِلِ

ويكونُ التّأسيسُ مِنَ الكلِمةِ الّتي حرفُ الرَّويِّ مِنْها ،

---

(١) لم يذكر المؤلف أمثلة للردف . قال التبريزي « والردف ألف أو ياء أو واو سواكن قبل حروف الروى معه ، والواو والياء يجتمعان في قصيدة واحدة ، والألف لا يكون معها غيرها . فالألف نحو قول العجاج :

وبلدٍ يَغْتالُ خطْوَ الخاطي

والياء نحو قوله أيضا :

قد أغتدي للحاجة القَسِيِّ

والواو نحو قوله أيضا :

على دفَقَيِّ المشيِ عَيْشَجُورِ

(٢) ذو الرمة . ديوانه ٤٩١ ، والكافي ص ١٥٤ .

وإنْ كانَ مِنْ غيْرِهَا لمْ يَكُنْ تأْسِيساً كما في قوْلِ عَنْتَرة(١)

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي ولمْ أَشْتُمْهُمَا

والنَّاذِرَيْنِ إذَا لَمْ أَلْقَهما دَمِي

اللّهم إلاّ أنْ يَكُونَ الرَّوِي مِنْ مُضْمَرٍ كقولِ الشَّاعِرِ(٢)

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَرى النَّاسُ ما أرَى

مِنَ الأمْرِ أوْ يَبْدُو لَهُمْ ما بَدَالِيَا

وأما الدخيل فإنَّه سُمِّى بِذَلِكَ لأنَّه دَخِيلٌ في القَافِيةِ ، ألاَ تَراهُ يجِيءُ مُخْتَلِفاً بعْدَ الحَرْفِ الذي لا يجوزُ اختلافه ، وهو الحَرْفُ الذي بين التأسيس والرويّ كقولِ الشَّاعر :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً

مِنَ الوَجْدِ أوْ يَشْفِي نَجِيَّ البَلابِلِ

فحرف الباء الذي هو قبلَ حرفِ الرَّوِيّ هُوَ الدَّخِيلُ .

---

(١) البيت من معلقته المشهورة .
فالألف في « لم ألقهما » ليست بتأسيس لأنها من كلمة والروي من كلمة أخرى .

(٢) الكافي للتبريزي ص ١٠٤ .
فجعل ألف « بدا » وإن كانت منفصلة تأسيسا لما كان الروي اسماً مضمراً وهو ياء « بداليا » .

باب

حركات القوافى

وأما حركات القوافِ فهىَ أيضاً ستةٌ نُظِمَتْ فى بَيْتَيْن

وهُمَا:

إنَّ القَوافى نُظِمَتْ حرَكاتُها
سِتًا كعِقْدِ الدُّرِّ تشبيهَا

مَجرَى غدا ثم النّفاذُ وحَذْوُهَا
والرَّسُّ والإشباعُ مع توْجِيهِهَا

فأما المجرى : فهو حرَكةُ حرفِ الروى ، وسُمِّىَ بذلكَ لأنَّ الصَّوتَ يَبتدِىءُ بالجرَيانِ فى حرُوفِ الوصلِ منه . ألاَ ترَى أنَّك إذا قلتَ

قتيلانِ لم يعلَم لنا النّاسُ مَصرَعَا

فالفتحةُ فى العيْنِ هِىَ ابتداءُ جريانِ الصَّوتِ بالألِف

وأما النفاذ فهُو حركةُ هاءِ الوصلِ ، وسُمِّىَ بذلِك لأنه أنفذ حَرَكة هاءِ الوَصْلِ إلى حَرفِ الخُروجِ .

وأما الحذو فهُوَ حركةُ ما قبلَ الرِّدْفِ ، وسُمِّىَ بذلِكَ ، لأنه لما كانت المَدَّةُ التى تُرْدَفُ بها لا تكونُ إلاَّ تابِعَة

لما قبلَها من الحركةِ ومُحتذاةٌ على جنسِها ، لَزِمَ من ذلكَ أنْ تُسمى التى قبلَ حرفِ الرَّوِيِّ حَذْواً ، لأنَّ سَبيلَ حرفِ الرِّدْفِ أنْ تُحتذَى الحركةُ التى قبلَهُ فتأتى الأَلِفُ بعدَ الفتحةِ والياءُ بعدَ الكسرةِ والواوُ بعدَ الضمةِ .

وأما **الرس** فهو حركةُ ما قبلَ أَلِفِ التأسيس ، سُمِّى بذلكَ من قولِهم : رسَسْتُه أىْ ابتدأتُهُ على إخفاءٍ ، ومنهُ رسُّ الحُمَّى ورَسِيسُها ، وهو أوَّلُ ما تَجِدُه منها . وسُمِّيتْ الفتحةُ التى قبلَ ألـــفِ التأسيسِ رسًّا لأَنَّه اجتمع فيها الخفاءُ والتقدُّمُ ، أمَّا التقدُّمُ فلتراخيها عن حرفِ الرَّوِىِّ ، وأمَّا الخفاءُ فلأنها بعضُ حرفٍ هوَ الأَلِفُ ، وإذا كانَ الكُلُّ خَفِيًّا فالبَعْضُ أولَى بالخفاء من الكُلِّ .

وأما **الاشباع** فهوَ حركةُ الدَّخيلِ (١)

وأمَّا **التوجيه** فهوَ حركةُ ما قبلَ الرَّوِىِّ المُقيَّدِ (٢)

---

(١) قال التبريزى (الكافى ١٥٨) : نحو حركة باء الأصابع من قوله :

وأَوْمَتْ إليهِ بالأَكُفِّ الأَصابعُ

وضمة الفاءِ من التدافُعِ ، وفتحة الواوِ من تَطاوَلى فى قوله :

تطاوَلى ما شِئْتِ أن تَطاوَلِى

(٢) كقول رؤبة :

وقاتمِ الأعماقِ خاوى المُخترَقْ

ففتحة الراء هى التوجيه،وكذلك كسرة ما قبل القاف فى قوله :

أَلَّفَ شَتَّى ليسَ بالرَّاعى الحَمِقْ

وقد استكرهوا نحو المخترَقْ والحمِقْ ، كما استقبحوا نحو : « مُزَوَّدِ » ، « وأسودُ » فى الروىّ فى قول النابغة وعدوه إقواء

وأما عيوب القوافى فهى خَمْسَةٌ نُظِمَتْ فى بَيْتَيْنِ وهُما :

إنَّ العُيُوبَ على القَوافِى خَمْسَةٌ
نَظَمَتْ كَعِقْدٍ قَدْ بَدَا إنشادها

أسْماؤُها إقواؤُها إكفاؤُها إيطاؤُها
تَضْمِينُهَا وسِنَادُهَا

فالاقواء اختلافُ حركَةِ الرَّوِيِّ فى قصيدَةٍ واحِدَةٍ ، وهوَ أنْ يَجِىءَ بَيْتٌ مرْفُوعاً وآخرُ مجَروراً كقولِ النَّابِغَةِ :

من آلِ ميَّةَ رائِحٌ أوْ مُغْتَدى
عَجْلانَ ذَا زَادٍ وغَيْرِ مُزَوَّدِ

فانْ كانَ معَ المَرْفُوعِ والمَجْرُورِ مَنْصُوبٌ يُسَمَّى إصرافاً وقد ذكرهُ أبو العَلاءِ المعرِّى فى قولِه :

بُنِيَتْ على الإيطَاءِ سَالِمَةٌ
من الإقْواءِ والإكْفاءِ والإصْرافِ(١)

---

(١) والإصراف الإقواء بالنصب ، كقوله :

أطعمتُ جابان حتى اشتدَّ مغرضه
وكادَ ينقدُّ لولا أنهُ طافا

فقلْ لجابانَ يتركْنا لطيَّتِه
نومُ الضحَى بعد نومِ الليلِ إسرافُ

التبريزى ص ١٦١ .

والخليلُ لا يُجيزُ ذلك .

واشتقاقُ الإقواءِ من قولك : قَتَلَ الفاتلُ الحبلَ فأقواه(1). وقيل هو من الأضداد. يقال : أقوى الرَّجلُ إذا صارَ ذا قوَّةٍ ، وأقوى إذا نفدَ زادُهُ فضعُفَ . ويُقالُ : أقوى الرَّجل إذا صارَ فى الأرضِ القَواءِ . قالَ الله تعالى (متاعاً لِلْمُقْوِينَ)(2) أى لساكنى الأرضِ القَواء ، والأرض القِىّ بكسرِ القافِ .

والإكفاء اختلافُ حرفِ الرَّوىِّ فى قصيدةٍ [واحدةٍ] ، وأصلُهُ كفأتُ الإناءَ وغيره إذا كببتَهُ . ويقولون أيضاً : كفأتَ الشىءَ أملتَهُ ، فلذلك سُمِّىَ ما اختلفَ حرفُ الرَّوِىِّ فيهِ إكفاءً . وأكثرُ وقوعهِ فى الحروف المتقاربةِ المخارجِ ، كقولِ الشَّاعرِ(3) :

بُنَىَّ إنَّ البِرَّ شىءٌ هَيِّنُ
المَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمُ

والإيطاء تكرارُ القافيةِ فى قصيدةٍ واحدةٍ بمعنىً واحدٍ ، فإنْ كانَ بمعنيينِ لمْ يكنْ إيطاءً وأصلُهُ أنْ يطأَ الإنسانُ فى طريقهِ على أثرِ وطءٍ قبلَهُ ، فيعيد الوطءَ على ذلكَ الموضعِ

(1) وأقواه إذا بنت قوة من قواه .

(2) سورة الواقعة ٧٣ .

(3) الكافى للتبريزى ص ١٦١ ، وراجع الكامل المبرد ٨٠ / ٤ .

فكذلكَ إعادةُ القافيةِ فى قصيدةٍ واحدةٍ ، كقول الشّاعر[1]

يا واضعَ البيتِ فى خرساءَ مظلمةٍ
تقيّدُ العيرَ لا يُهدَى بها السّاري

لا يخفضُ الدرُّ عنْ أرضٍ ألمَّ بها
ولا يضلُّ على مصباحِها السَّاري

وإنْ اختلفَ بالتّعريفِ والتّنكيرِ لا يُسمَّى ذلكَ إيطاءً .

والتضمين : أنْ يتعلّقَ معنى البيتِ الأول بالثّاني .

كقولِ الشّاعرِ[2] :

وهُمْ ردّوا الجِفارَ على تميمٍ
وهُمْ أصحابُ يومِ عُكاظَ إنّي

شَهِدْتُ لهُمْ مواردَ صادقاتٍ
شَهِدْتَ لهُمْ بصِدْقِ الودِّ منّي

وقيل إنه إن كمّلَ البيت الأول بالسكوتِ عليه دُونَ إيرادِه الثّاني لا يكونُ مكرُوهاً .

والسّناد على خمسةِ أضرُبٍ : أحدُها سنادُ التّأسيسِ ، وهُوَ أنْ يأتيَ بيتٌ مُؤسّساً وبيتٌ غيرَ مُؤسّس كقول العجاج[3]

---

(١) النابغة ٥٨/٥٩ جـ ١ . السعادة وطبقات فحول الشعراء، وراجع الكافى للتبريزى ص ١٦٦ .

(٢) النابغة ديوانه ص ١٩٩ وراجع الكافى للتبريزى ص ١٦٦ .

(٣) ينسبها المؤلف لعنترة ، والرجز فى ديوان العجاج ٥٨/١٠ .

يا دارَ سَلْمَى يا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي

ثم قال فيها :

فخِنْدِفٌ هَامَةُ هَـذا العَـالَمِ

ونَقَل فيها الهمزَ (١)

وثانيها سِنادُ الحَذْوِ ، فالضَّمَّةُ مع الكَسْرةِ ليسَ بِعَيْب كقَولِه(٢) :

ألا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَـا

ثم قال :

تَـرَفَّعَتْ الأَجَـارِعَ والحُـزُونَا

وثالثها سناد التوجيه . وهو أنْ يَكُونَ قبلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ المُقَيَّدِ فتْحَةٌ مع ضَمَّةٍ أو كَسْرةٍ (١) ورابعُها : سِنَادَ

---

(١) قال التبريزي : ويحكى أن رؤبة كان يقول : لغة أبي همز العالم . فلا يكون على هذا سناداً .

(٢) عمرو بن كلثوم من معلقته .

(٣) قال التبريزي : فان كانت الضمة مع الكسرة لم يكن سناداً . وإنْ جاءت الفتحة مع أحداهما فهو سناد عند الخليل . وكان سعيد بن مسعدة لا يراه سناداً لكثرته في أشعار العرب . وذلك مثل قول امرىء القيس :

لا وأبيك ابنة العامري ۝ لا يدّعي القومَ أنّي أفِرّ

مع قوله :

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا ۝ تحرّقت الأرضُ واليومُ قُرّ

الإشباعِ . وهوَ تغييرُ حركةِ الدَّخيلِ ، فالضمَّةُ مع الكسرةِ جائزةٌ ، والفتحةُ مع أحدِهما عيبٌ .

وخامسُها سِنادُ الرِّدْفِ ، وهوَ أنْ يجيءَ بيتٌ مُرْدَفاً وبيتٌ غيرَ مُرْدَفٍ ، كقولِ الشّاعرِ :

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً
فأرْسِلْ حكيماً ولا تُوصِهِ

وإنْ بابُ حَزْمٍ عليْكَ التَوَى
فشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِهِ(١)

ومنهمْ منْ يَجْعَلُ كلَّ عيبٍ يَلْحَقُ القافيةَ سِناداً(٢)

---

(١) رواية التبريزي : (الكافي ص ١٦٥) .

إن باتَ أمرٍ عليك التوى   فشاور لبيبا ولا تعصه

والشعر لعبدالله بن معاوية بن جعفر أو صالح بن عبد القدوس . راجع حماسة البحتري ١٣٢ وطبقات فحول الشعراء ٢٠٠ .

(٢) وأصل السناد من قولك : أسندت الشيء إلى الشيء إذا حملته عليه وأضفته أو من قولهم : خرج بنو فلان متساندين ، أي خرجوا على رايات شتى ، فهم مختلفون غير متفقين ، فكذلك القصيدة اختلفت ولم تأتلف بحسب جاري العادة في انتظام القوافي واستمرارها .

باب

فضل الشعر ومنافعه*

وأما فضله ومنافعه فقد قال بعض أهل الادب وهو ابن رشيق**: المنثور في كلام العرب أكثر وأقلُّ جَيِّداً، والشعرُ أقلُّ من المَنْثُور وأكثرُ جَيِّداً(١). وأقلُّ ما فيه من عُلُوِّ الرُّتبة الوزنُ والقافية. وأصلُ الكلامِ كلُّه كانَ منثُوراً، فاحتاجتْ العربُ لاعتنائها بذكرِ أيامِها وامتِزاجِ الوزْنِ بطبائعِها أنْ أبرزوه مَوْزوناً في أعارِيضَ اصطلحوا على وضعِها(٢) وقيلَ إنَّ العَرَبَ أكثَرُوا من المَنْثُور الجيِّد دُونَ النَّظْم، ولم يَحْفَظْ من مَنْثُورِهم عشُره ولا ضاع مِنْ مَوْزُونِهم عُشْرُه(٣).

قال والِدي رحمَهُ اللهُ: «وهذا الذي ذَكَرَهُ ابنُ رشيقٍ من فَضْلِ الشِّعْرِ على النَّثْرِ لا يُسَلَّمُ إليهِ فيما ادَّعاهُ، وذلكَ أن كبارَ أهلِ الادبِ أجمعوا على أنَّ الكلامَ المنثورَ أفضلُ

---

* ورد هذا الباب عند ابن رشيق العمدة ١/١٩.

** سبقت ترجمته.

(١) العمدة ١/٢٠.

(٢) الكلام عن اهتداء العرب إلى الوزن في الشعر جاء عند الباقلاني وابن رشيق بصورة أكثر وضوحاً وتفصيلا. راجع نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني بتحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ص ٢٧٠.

(٣) أورد عبارة ابن رشيق مع بعض الاختلاف. راجع العمدة ١/٢٠.

من الكلامِ المنظومِ واستدلّوا على ذلك من أربعةِ أوجُه : الأول أنّ القرآنَ الكريمَ وردَ نثراً ولولاَ علوّ مرتبةِ النّثرِ لمّا أنزَل اللهُ الكتابَ العَزيزَ على أسلوبِه(١) . والقرآنُ العزيزُ معجزةٌ ، ومن المعلُومِ أنّ المُعجزاتِ لا تجيءُ إلاّ منَ الطريقِ الأصعبِ التى لا يُمكنُ لأحدِ الاتيانُ بمثلها ، فحينئذ لمّا كان النثرُ من أقوالِ المشقّة جعلَه اللهُ تعالى معجزةً لرسولِه ليُعجزَ به فُصحاءَ العربِ . وكانتْ العربُ يسهلُ عليهم الشّعرَ ويصعُبُ عليهمُ النثرُ حتّى إنه لم يُسمعْ لأحدِ منهمْ نثرٌ إلاّ القليلَ مثل قُسّ بن سَاعِدَة(٢) وجماعةِ قليلةِ عُشرِ معشارِ الشُعراء . والنّظمُ فقدْ كانَ سهْلاً على صبيانِهم ونسائِهم ، وهــذا دَليلُ صعوبةِ مَسلكِ النّثرِ وشَرف منزلَته . وضدَ ذَلك النظمُ . ثمّ إنّ والدى رحمَهُ الله أوْرَدَ على ذلكَ إيراداً ثُمّ أجابَ عنْه ليتخلّص ممّن يُوردُه ، والإيرادُ الذى أوردَهُ مليحٌ فى بابه والجوابُ عنهُ أحسَنُ ، فأما الإيرادُ فهوَ أنْ قالَ : لوْ قالَ قائلٌ إنّه إذَا كانَ العربُ لمْ تكثرْ من النّثرِ وأكثرتْ من النّظمِ وقلنا إنّ هذا دليلٌ على أنّ النّثرَ أصْعَبُ فيُوردُ على هذا إيرادٌ وهو أنّا نقُول : إنّ النّثر لمّا كانَ سَهلاً على العرب هيّناً عندهم ،

---

(١) ناقش هذه القضية جماعة من علماء البيان نذكر منهم على سبيل المثال . القاضى وأبا هلال العسكرى وابن سنان الخفاجى فى « سر الفصاحة » وضياء الدين بن الأثير فى « المثل السائر » .

(٢) هو قس بن ساعدة الإيادى من خطباء العرب وحكمائهم ، يضرب به المثل فى البلاغة

والنَّظْم شاقًا مُسْتَصْعَباً ، عمدوا إلى الأصعب ، وتركوا الأسهلَ ، إظهاراً لقوةِ الفصاحةِ والبلاغة في الإتيان بما هو أشقُّ مَسْلَكاً ، وأدلُّ على تمكُّنهم من الكلام ، ولا اعتبارَ في هذا النَّوْع بأنْ يكونَ القرآنُ وردَ نثراً ، فليسَ في ذلك حجة على تفضيل النَّثْر . أمَّا كونُه معجزةً فهذا مُسلَّمٌ ، لكنه لمَّا كانَ النثرُ سهلاً على العربِ ، جاءَ القرآنُ العزيزُ نثراً ، فيكونُ آيةً لرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم ، ومُعْجزةً يُفْحِمُ فُصَحاءَ العربِ . والإتيانُ بما هو أسهلُ / أسْهلُ عليهم ، ومع ذلكَ لا يَقْدِرون على الإتيانِ بآيةٍ واحدةٍ مثله .فهذا إيرادٌ عَظيمٌ .

فقد أجابَ عليهِ والدي رحمه اللهُ بأنْ قالَ : لمَّا كانتْ العَرَبُ لم يُكْثِروا من النَّثْرِ وأكثروا مِنَ النَّظْمِ ، فإنَّ إكثارَهُمْ من النَّظْمِ دَليلٌ على مَلكتهم لهُ وسُهولتِهِ عِنْدَهُم وصُعُوبةِ النَّثْرِ . ولا يُقال: إن الإكثارَ من الشَّيءِ دَليلٌ على تعذُّرِهِ ، لأنَّه لوْ كانَ متعذِّراً لما قدروا على الإكثار منهُ . والنثرُ لمَّا كانَ مُتَعذِّراً عِنْدَهُمْ جاءَ الكِتابُ العزيزُ على أسلُوبِهِ ، لأنَّ المُعْجِزاتِ التي جاءتْ على أيْدِي الأنبياءِ صلَواتُ الله عليهم لم تأتِ بما كانَ سَهلاً على أُمَمِهِمْ ، بل جاءُوا بإحياءِ الموتَى وانشقاقِ البَحْرِ وانفجارِ الماءِ من الحَجَرِ ، وغيرِ ذلكَ من الأشياءِ الشاقَّة على الخَلْقِ. وكذلك نقول: إنَّ النَّثْرَ لمَّا كانَ شاقًّا على العربِ وليسَ

فيهم من يقدرُ على الإتيانِ بهِ أنزلَ اللهُ الكتابَ العزيزَ على تنجيه ليكونَ معجزة قد أتت بما لا يقدر أحدٌ على الإتيانِ به .

والوجهُ الثانى : أن النثرَ ينوبُ منابَ النظمِ ولا ينوبُ النظمُ منابَهُ ، وذلكَ لأنَّ الكلامَ المنثورَ تقبلُ فيه الزيادةُ فى اللفظِ والمعنى بخلافِ المنظومِ ، فإنكَ إذا أضفتَ إليه معنى من المعانى فلا بدَّ من زيادةٍ فى النظم أو نقصٍ ، يُخِل فى النقصِ ويُميلُ فى الزيادةِ ، وهذا إذا تحرّى الوزن فإنه يحتاجُ إلى ذلكَ ضرورة .

والوجهُ الثالثُ : من الأدلةِ على تفضيلِ النثرِ أنا نقولُ إنَّ النثرَ لا يُنالُ إلاَّ بعد تحصيل موادَّ كثيرةٍ من علومٍ شتَّى ، والنظم فإنَّه يقولهُ من لا يشمُّ الفضيلةِ رائحة ولا حصَّل من آلاتهِ شيئاً ، وكثيرٌ من النَّاسِ يقولُ الشِّعرَ الحسنَ من غيرِ مادةٍ حاصلةٍ ؛ لكن بطريقِ الاتفاقِ كالسوقةِ وأربابِ الحِرَفِ .

والوجهُ الرابعَ : إنَّ صاحبَ النثرِ مرموقٌ بعينِ الإكرامِ لعلوِّ منزلته ، بخلافِ الناظمِ ، فإنَّهُ لا تعلو درجتُه عن رُتبةِ المستعطينَ ، وإذا جلَّ عن ذلكَ وعلا شعرُهُ كانَ فى التشبيبِ والغزلِ ، وذلكَ كلّه ضدّ الشرعِ ، فإنَّ النثرَ فى الغالبِ لا يكونُ إلاَّ فى الأشياءِ العظيمةِ كالوعظِ والخُطبِ والزواجرِ والنواهى ، وأحكامِ الدّنيا

والآخرة ، فهو ضد النظم . والمراد من الأمر بن ظاهر .

فدل على أن النثر أشرف من النظم(١) .

وقال بعض أهل الأدب(٢) في تفضيل النظم : إن كعب بن زهير* نجاه شعره من وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو خطأ ممن قاله ، وإنما لم يسلم كعب بن زهير سوى إسلامه والقصة مشهورة ، وهي ما روى أن كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام ويذكر للنبي صلى الله عليه وسلم [ذاك](٣) فأرسل إليه أخوه بجير يقول له : « ويحك إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوعدك لما بلغه عنك . وقد كان أوعد رجلا

---

(١) دفاع بن الأثير الحلبي هنا عن النثر مرتبط بمهنته ، فهو ينتصر للكتابه لأنه كان يعمل بها ، ومثله في ذلك مثل ضياء الدين بن الأثير من قبله .

(٢) يقصد ابن رشيق واستاذه عبد الكريم النهشلي أغلب الظن. راجع العمدة ١/٢٤.

* كعب بن زهير بن أبي سلمى : الشاعر المخضرم المشهور صاحب البردة النبوية ، والذى مدح النبي بقصيدته المعروفة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد ، مكبول

راجع : طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء ١/١٥٤ ، والأغاني ١٥/١٤٢ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٢٦ ، وأسد الغابة ٤/٢٤٠ ، والاصابة ٣/٣٠٢

(٣) العبارة غير واضحة في الأصل وعبارة العمدة « أرسل إلى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام ويذكر النبي صلى الله عليه بما احفظه . » العمدة ١/٢٢ .

بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتله ، (١) فإن كانت لك بنفسك حاجة فصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه آيباً . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً ، فلما صلى الصبح قال : يا رسول الله إن كعب بن زهير أتاك مستأمناً أتؤمنه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو آمن . فحسر عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذا مقام العائذ بك أنا كعب بن زهير . فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحينئذ أنشد كعب بن زهير قصيدته التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

يقول فيها بعد بعدئذ :

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول (٢)

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ
ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة فلم
أذنب ولو كثرت في الأقاويل

فتجاوز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه بردته

---

(١) رواية العمدة : « رجالاً بمكة ممن كانوا يهجونه فقتلهم — يعني ابن خطل وابن حبابة » .

(٢) رواية الشعر والشعراء « والعفو عند رسول الله مبذول » وتتفق رواية المؤلف مع رواية ابن رشيق .

وقِيلَ إنَّ مُعَاوِيةَ اشْتَرَاهَا مِنهُ بثلاثين ألفْ دِرْهم . وهـذه القِصَّةُ فِيهَا دليلٌ على أن إسلامَ كعبٍ هُـوَ الـذى نجَّـاه(١) وبالجملة فكثير من الشُّعَرَاءِ نَفَعَهُم شِعْرُهم ، وكثيرٌ مِنْهُم ضرَّهُمْ شِعْرُهُم .

وأما منافعه ، فممن نفعَهُ شِعْرُه النابغـة الجَعْدى(*) حِينَ أنشَدَ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التى فيها(٢) .

علونَا السَّماءَ مجدُنا وجدُودُنَـا

وإنَّا لنَرْجُـو فوقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فغَضِبَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وقالَ : أين المُظْهَرْ يا أبَا ليْلَى(٣) ؟ فقالَ : الجَنَّةُ بِكَ يا رسُولَ الله . فقالَ النبىُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : أجَلْ إنْ شَاءَ اللهُ ، فقضَتْ لَهُ دعوةُ

---

(١) راجع العمدة لابن رشيق ١/٢٣ والشعر والشعراء ١/١٥٤ .

* النابغة الجعدى : عبدالله بن قيس من بنى جعدة بن كعب بن ربيعة . جاهلى أدرك الاسلام وأسلم ، وكان معمراً . يقال إنه أسن من النابغة لأنه أدرك المنذور وافد النعمان ونادمه وظل حياً حتى ورد على ابن الزبير ، وحتى نازع الأخطل الشعر . مات بإصبهان وعمره مائتان وعشرون سنة . [الشعر والشعراء ١/٢٩١] .

راجع ترجمته : طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغانى ٤/١٧٤ والاستيعاب ٣٢٠ ، وأسد الغابة ٥/٢ ، والروض الأنف ١/٥٣ والخزانة ١/٥٠٠ والاصابة ٦/٢١٨ .

(٢) القصة مذكورة فى العمدة لابن رشيق ١/٥٣ وروايته «عفة وتكرماً» والرواية المذكورة ذكرها ابن قتيبة فى الشعر والشعراء .

(٣) فى الشعر والشعراء : « إلى أين أبا ليلى » ؟ فقال إلى الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شاء الله » . الشعر والشعراء ١/٢٨٩ .

النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالجَنَّة وسببُ ذَلِكَ شعرُه .

وممن نفعه شعرُه حسَّانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ حينَ جاوَب أبا سُفيان بن الحَارث* عن رسُولِ الله صلَّى الله علَيه وسَلَّم بقوله[1] .

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فأجَبْتُ عنهُ
وعِنْدَ الله في ذَاكَ الجَزَاءُ

فقال له رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم : جزاؤُك عندَ الله الجنَّةُ يا حسَّان ، فلمَّا قال :

فإنَّ أبي ووالدَه وعِرْضي
لِعِرْضِ محمدٍ منكمْ وِقَاءُ

فقال له : وقاكَ الله حرَّ النارِ . فقضى ليه بالجنةِ مرَّتيْنِ في ساعةٍ واحِدَةٍ .

ومثلُ ذَلك كثيرٌ لا يُحْصَى عددُه .

---

* أبو سفيان بن الحارث . من شعراء مكة في الجاهلية ، وكانت بينه وبين حسان بن ثابت مناقضات شعرية في بدر وأحد . قال ابن سلام : ولأبي سفيان بن الحارث شعر كان يقوله في الجاهلية فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل . راجع طبقات فحول الشعراء في شعراء مكة .

(١) العمدة لابن رشيق ١/٩٣ .

وأما مضاره ، فمن ضره شِعْرُه المؤمل الشاعر(١) حيث قال :

شفَّ المُؤَمَّلَ يومَ الحِيرَةِ النَّظَرُ
ليتَ المُؤَمِّلَ لم يُخْلَقْ له بَصَرُ
فنامَ ذاتَ لَيْلَةٍ صَحِيحاً فأصْبَحَ أعْمَى .

وممن ضَرَّهُ شِعْرُه دِعْبِل الخُزَاعِي(٢) ، فإنَّهُ كانَ هَجَّاءً لِلْمُلُوكِ حتَّى عُرِفَ ذَلِكَ منهُ فعملَ هذين البيتينِ في أيَّامِ المُعْتَصِم . وقيلَ إنَّها عُمِلَت على لِسَانِه ودُسَّت لِلخليفةِ وهي :

ملوكُ بَنِي العَبَّاسِ في الكُتْبِ سبعةٌ
ولم يأْتِنَا عن ثامنٍ منهُمُ كُتُبُ
كذلِكَ أهلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سبْعَةٌ
ملوكٌ إذا عُدُّوا وثامِنُهُم كَلْبُ

وممن ضرَّهُ شِعْرُه سَدِيفُ فإنَّه طَعَنَ في دَوْلَةِ بَنِي العَبَّاس بقوله لمَّا خرجَ محمدُ بنُ الحَسَنِ بالمدينة في أيَّامِ أبِي جعفر المنصُور من أبياتٍ . — وقيل أيضاً إنَّها عُمِلَتْ على لسانه(٣) .

---

(١) قال ابن رشيق : ويقال إن المؤمل بن اميل لما قال (بيت الشعر) ... الخ ١/٦٨ و٦٩ .

(٢) راجع العمدة لابن رشيق ١/٧٢ ورواية عجز الأول

« ولم تأتنا عن ثامن لهمُ كُتُبُ »

وديوانه جمع محمد يوسف نجم ص ٩٩ طبع دار الثقافة بيروت .

(٣) العمدة لابن رشيق ١/٧٤ .

إنّا لنأملُ أن ترتدّ ألفتُنا
بعد التباعُدِ والشحناءِ والإحَنِ
وتنقضي دولةٌ أحكامُ قادتِها
فينا كأحكامِ قومٍ عابدي وثَنِ
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا
إنّ الخلافةَ فيكم يا بني حسَنِ

فأمرَ المنصورُ أنْ يُدفَنَ سديفٌ حيّاً .

وممن ضره شعرُه أيضاً أبو الطيّب المُتنبي(١) ، فإنّه لما فر ورأى الغلبةَ قالَ لهُ غلامُه : ألا يتحدّثُ عنكَ النّاسُ بالفِرارِ وأنتَ القائلُ(٢) .

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُني
والطعنُ والضربُ والقِرطاسُ والقلَمُ

فكر راجعاً فكانَ سبَب قتلِه شعرُه .

وكان كافورُ الإخشيدى صاحبُ مصر قد وعَد المتنبي بولايةِ بعض الأعمال فلما رأى تعاظُمَه في شعرِه وسُمُوّهُ بنفسِه خافَهُ ، فلمْ يُولّه شيئاً ، فلما عُوتِبَ في ذلكَ قال : يا قومُ ، من ادّعى النبوّةَ كيفَ لا يدّعي المُمالَكةَ . وقيل إنما سمى المُتنبي لقوله(٣) :

---

(١) العمدة ١/٧٥ .

(٢) ديوانه طبع عزام ص ٣٢٤ من قصيدة مدح سيف الدولة مطلعها :
واحر قلباه من قلبه شبم

(٤) ديوانه ص ١٦ .

أنا في أمّةٍ تدارَكَها اللهُ
غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ
ما مُقامي بأرضِ نخلةَ إلاّ
كمُقامِ المسيحِ بينَ اليهودِ(١)

وممن حضره شِعرُه مجنونُ ليلى(*) حيثُ قالَ(٢):

قضى لي بِلَيلى وابتلاني بحُبِّها
فهلاّ بشيءٍ غير ليلى ابتلانيا

فما مات حتى ابتُلِي بالبرَصِ.

وقالَ أبو فِراس**:

لا أقتني لِصُروفِ دَهري عدّةً
حتى كأنّ صُروفَه أحلامي

فلم تمضِ عليه مدةٌ حتّى أُسِرَ.

---

* مجنون ليلى هو قيس بن الملوح العامري من شعراء نجد الغزلين، ممن عرفوا بالعذريين وقصته مع ابنة عمه ليلى معروفة. راجع في ترجمته الشعر والشعراء ٢/٥٦٣، الأغاني ١/١٦١، والخزانة ٢/١٦٩.

(١) البيت في الديوان سابق على الأول بعدة أبيات.

(٢) العمدة ١/٦٨.

** أبو فراس الحمداني: الحارث بن سعيد بن حمدان ولد سنة ٣٢٠ هـ، وهو ابن عم سيف الدولة. أسر في قتال مع الروم وظل عامين بالأسر وقتل أبوه. وقال في الحبس شعراً. وهو من مشاهير شعراء الحمدانيين وقتل سنة ٣٥٧ هـ.

راجع في ترجمته: يتيمة الدهر للثعالبي ج ١، ونشوار المحاضرة للتنوخي، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ والشذرات ٣/٢٤.

وقالَ ابنُ دُرَيْده :

مارَسْت من لوهَوْت الأفلا
كُ من جَوانِبِ الجَوِّ عَليْه ماشكا

فلم يُمتْ حتّى تفتحَ خَشَبُ سقْفهِ فرجَفَ منهُ فأفلِجَ ؛
ولم يزَلْ مفلوجا حتّى مَاتَ .

° ° °

---

* ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، اشتهر بعلم اللغة وأصول الشعر ، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ ، وخرج منها في ثورة الزنج ، ثم قصد خراسان لمدح والبها بمقصورته المشهورة ، وله كتاب الجمهرة في اللغة ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ .

وأما ما قيل فى البديهة والارتجال ، وكون الشعر سمى قريضا ، وفى ذكر الرجز :

أما البديهة :

فإنَّها عِنْدَ كثيرٍ منَ النَّاسِ هِيَ الارْتِجالُ ، وليسَ الامرُ كذَلِكَ ، لأنَّ البَدِيهَةَ فِيها فكرةٌ وتأييدٌ ، والارْتجَالُ ما كانَ انهِمَارا وتدفُّقاً ، لا يتوقَّفُ قائِلهُ فيه ، كما فعَل الفرزدَقُ وقد دَفَعَ إليه سُلَيمَانُ بنُ عبد الملك أسيراً ليقتُلَهُ ، فدَسَّ عليه بعضُ بنى عَبْسٍ سيفاً كهاماً فنبَا حِينَ ضربَ بهِ ، وضحِكَ سُلَيْمانُ ، فقالَ الفرزْدَقَ ، وفى ذَلِكَ يعتَذِرُ لنفْسِهِ ويُعيِّرُ بَنِى عبس بِنَبُوِّ سيْف ورْقَاءَ بنِ زُهَيرْ عن رَأْسِ خالدِ بنِ جَعْفر(١) :

فإنْ يكُ سيفٌ خانَ أو قدَرٌ أبىَ
لتأخير نفس حتْفَهَا غيرُ شاهِدِ

فسَيفُ بنى عبس وقد ضرَبُوا بِهِ
كَبَا بِيَدَىْ ورقاءَ عن رَأْسِ خالِدِ

كذاك سيوفُ الهِند تنْبُو ظُبَاتُها
ويَقْطَعْن أحْيَاناً مَنَاطَ القلائِدِ

---

(١) العمدة لابن رشيق ١ / ١٩٠ وروايتــه كالمثبتة هنا فى الشعر الأول والثانى « حَيْنَها » وبدائع البداهة لعلى بن ظافر ص ٣٢٨ ورواية الأول « أو قدرٌ نبا » والثانى « نَبا بيدَىْ ورْقاء عن رأسِ خالِدِ » .
والثالثُ روايةُ العمدْة : « يَقْطَعْنَ أحْيَاناً » كالمثبتة هُنَا .

ومِثْلُ ذَلِكَ ما رُوِيَ عن أبِي الخَطَّاب عمْر بن عَامر السَّعْديّ المعْرُوف بأبِي الأشد ، وقدْ أنشد موسى الهَادِي شعراً مدحَه به يقول فيه(١) :

يا خيرَ من عقدَتْ كفَّاه حُجزَتَهُ
وخيرَ من قلَّدتْهُ أمرهَــا مُضَرُ

فقال له موسى : إِلاَّ من يا بائس . فقال واصلا كلامه لا يقطعه :

إلا النبيَّ رسولَ الله إنَّ لهُ
فخراً وأنتَ بذاك الفخرِ تفتَخِرُ

فَفطِنَ مُوسَى ومَنْ بحضْرَتِهِ أنَّ البيْتَ مُسْتَدْرَكٌ ، ونظرُوا فى الصَّحِيفةِ فلمْ يَجِدُوهَ ، فضاعَفَ صِلَتَه .

وأمَّا كونُ الشِّعْرِ سُمِّىَ قريضاً(١) ، فقدْ قِيلَ إنَّه منْ

---

(١) العمدة لابن رشيق ١/١٩٠ .
وبدائع البدائه لعلي بن ظافر ص ٢٨٨ ، ولقب الشاعر بأبن الأشد . ورواية البيت :

يا خير من عقلت كفاه حجزته

والحجزة : معقد الإزار من السراويل .

(١) ابن رشيق فى العمدة ١/١٨٤ : قال النحاس : " القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذى ليس برجز ، يكون مشتقاً من قرض الشيء أى قطعه ، كأنه قطع جنساً . وقال أبو إسحاق : وهو مشتق من القرض أى القطع والتفرقة بين الأشياء ، كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره .

قَرْضِ الشَّيءِ أيْ قطعُه كأنَّه قَطعَ جِنْساً من الكلامِ على وجهٍ مَخْصُوص ، وقِيلَ : لأنَّه يُقتَطَّع عند وَزْنه ، وقيلَ لأنَّه قطعَهُ عن الرَّجَزِ .

وأقصرُ ما صنعَ القُدماءُ من الرجز ما كانَ على جُزءين نحوُ قول دريد بن الصمة* :

يا ليتني فيها جذَعْ أخُبُّ فيها وأضَعْ

وقد رأى قوم أن الرجز ليس بشعر لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال متمثلا بقول القائل(١) :

هل أنتِ إلاَّ إصْبَعٌ دمَيتِ (وفي سبيل الله ما لقيت)

وهذا لا يصلح أن يكون دليلا . وانما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصد ، فانه (أي الشعر) مأخوذ من شعرت أي قصدت أو علمتُ ، وبه سُمي شعراً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

---

* دريد ابن الصمة : من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . أحد شجعان العرب شهد يوم حنين مع هوازن وقتل شركاً .

(١) العمدة ١/١٨٤ وهو بيت من رجز قاله يوم حنين . راجع الشعر والشعراء ٧٥٠/٢ .

قال ابن الرشيق : حتى صنع بعض المتعقبين ـ أظنه علي بن يحيى أو يحيى بن علي المنجم أرجوزة على جزء واحد وهي :

طيفٌ ألَمْ بذي سَلَمْ
بعد العتَمْ يطوي الأكمْ

لم يقصد به الشعر[١] .

فأما عمل الشعر فإنه يحتاج الى شحذ القريحة ، لأن الشاعر وإن كان حاذقاً ، فلا بد له من شحذ القريحة . ومن فترة تعرض له ، فإن تمادى عليها قيل : أصفى الشاعر وأفصى ، كما يقال : أصفت الدجاجة وأفصت ، إذا انقطع بيضها[٢] . وكذلك الشاعر إذا خلا شعره من معان فيبقى وزاناً . ويقال أفحم الشاعر إذا انقطع ، كما يقال : أفحم الصبى إذا انقطع صوته من شدة البكاء . فاذا ساء لفظه وفسدت معانيه قيل : أهتر [فهو مهتر][٣] .

* * *

والشعراء طبقات ، فمِنْهُم شُعَرَاءُ الجَاهِلِيَّةِ مثلُ امرىءِ القَيْسِ والنَّابِغَةِ والأعْشَى ، وزُهيرِ بنِ أبِى سُلْمَى المُزَنِى ، وطَرَفَة بن العبد ، ومن يُنَاسِبُهم . هؤلاءُ طبقةٌ واحدَةٌ ، وشِعْرُهُم قريبٌ بعضُه مِنْ بعْضٍ . ثم بَعْدَ هذِهِ الطَّبَقَة طبقةُ المخضرَمين ، وهمْ الَّذين كانُوا فى الجَاهِلِيَّة وأدركوا الإسْلامَ . وسُمِّى الشَّاعِرُ مِنْهُم مخضرَماً لأنه استوفَى حظَّهُ من الشعر فى أيَّام الجَاهِلِيَّةِ ثم لمَّا دخَلَ فى الإسْلاَم

---

(١) العمدة ١/١٨٠ وراجع « نكت الانتصار » للباقلانى بتحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ص ٢٧٧ طبع منشأة المعارف .

(٢) العمدة ١/٢٠٥ .

(٣) الزيادة من العمدة . قال ابن رشيق : قيل فى الذبيانى انه مات عن قرب ولم يهتر . وأكثر ما جاء الإهتار فى صفة الشيخ الذى يخلط كلامه .

صَارَ تَنَفَّسُهُ فِي الشِّعْرِ غَيْرَ ذَلِكَ النَّفَسِ الَّذِي كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، مِنْهُم كَعْبُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى ، وَأَخُوهُ بُجَيْرٌ ، وَالحُطَيْئَةُ ، وَيُكَنَّى أَبَا مُلَيْكَةَ ، وَاسْمُهُ جَرْوَلُ(١) ، وَأَوْسُ بْنُ حَجَرٍ(٢) ، وَأَبُو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ(٣) ، والشماخ(٤) ، ولبيد ، وخداش بن زهير(٥) ، والأسود بن يعفر(٦) والمخبل

---

(١) الحطيئة : جرول بن أوس . لقب بالحطيئة لقصره ، وكان عبسياً . وراوية لزهير شاعر مخضرم ، جاهلي اسلامي ، ويقول ابن قتيبة انه لم يسلم الا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . راجع الأغاني ٢/ ٤١ ، والخزانة ١/ ٤٠٨ والشعر والشعراء ١/ ٣٢٢ .

(٢) أوس بن حجر : كان شاعراً فحلا . قال أبو عمرو بن العلاء : كان فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه وكان أوصفهم للحمر والسلاح ولا سيما القوس تميمي . لم يدرك الاسلام . راجع الأغاني ١٠/ ٨٠٥ .

(٣) أبو ذؤيب الهذلي : خويلد بن خالد . جاهلي إسلامي . خرج مع عبدالله بن الزبير فى مغزى نحو المغرب فمات : وكان شاعراً مخضرماً فحلا ، من أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب . راجع ترجمته فى طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٦٥٣ والأغاني ٦/ ٥٦ .

(٤) الشماخ : الشماخ بن ضرار . مخضرم ، من أوصف الشعراء للقوس والحمر ، وذكر الحطيئة انه أشعر غطفان . راجع ترجمته فى ابن سلام ، والشعر والشعراء ١/ ٣١٥ ، والأغاني ٨/ ٩٧ والخزانه ٢/ ١١٧ .

(٥) خداش بن زهير : من شعراء قيس المجيدين فى الجاهلية . يقال انه شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعدها بزمان . راجع ترجمته فى ابن سلام ، والشعر والشعراء ٢/ ٦٤٥ ، والخزانة ٣/ ٢٣٠ .

(٦) الأسود بن يعفر النهشلي : شاعر جاهلي ، كان أعمى . كان ينادم النعمان ابن المنذر . وله واحدة طويلة رائعة لاحقة بأول الشعر . وهى من المفضليات . راجع ابن سلام ، والشعر والشعراء ١/ ٢٥٥ ، والأغاني ٩/ ١٢٨ .

بن ربيعة(١) ، والنَّمر بن تَوْلَب(٢) ، والكميت بن معروف(٣) .

وبعد هذه الطبقة طبقة الاسلاميين وهم الذين ولدوا فى الاسلام ، منهم جريرٌ والفرزْدَقُ وعُبَيْدالله بنُ قَيس الرُّقَيَّات(٤) ، وعمرُ بنُ أبى رَبِيعة(٥) ، والأخطل(٦) ، وكان نصرانياً ، وذُو الرُّمَّة ، والقَطامِىُّ(٧) ،

---

(١) المخبل بن ربيعة : اسمه ربيعة بن مالك . والمخبل المجنون . شاعر مخضرم فحل . عمر طويلا . راجع الأغانى ٣٨/١٢ .

(٢) النمر بن تولب : كان شاعراً جواداً . جاهلى أدرك الاسلام . مدح الرسول عليه الصلاة والسلام . وراجع فى ترجمته . الشعر والشعراء ٣٠٩/١ وطبقات ابن سعد والاغانى ١٥٧/١٩ ، الخزانة ١٥٢/١ .

(٣) لعله يقصد الكميت بن زيد . وهو شاعر اسلامى . عاش بالكوفة يعلم بمسجدها راجع ترجمته فى الأغانى ١٠٨/١٥ والخزانة ٩٦/٦ وطبقات ابن سلام ٤٥ .

(٤) عبيد الله بن قيس الرقيات : عرف بالرقيات لتشبيبه بثلاث نسوة يقال لهن جميعاً رقية . مدح مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان . وراجع ابن سلام والشعر والشعراء ٥٣٩/١ والاغانى ١٥٤/٤ والخزانة ٣٦٥/٣ .

(٥) عمر بن أبى ربيعة : الشاعر القرشى الغزل فى عصر الأمويين ، واجع ترجمته فى الأغانى ٢٨/١ .

(٦) الأخطل : غياث بن غوث التغلبى ، يكنى بأبى مالك . نصرانى ، مدح خلفاء بنى أمية راجع ترجمته فى طبقات ابن سلام ، والشعر والشعراء ٤٨٣/١ ، وشعراء النصرانية لويس شيخو .

(٧) القطامى : عمير بن شييم التغلبى ، عرف بالتشبيب . وكان نصرانيا فأسلم ، مدح زفر بن الحارث لأنه فكه من الأسر . عاش فى عصر بنى أمية وتوفى سنة ١٠١ هـ واجع فى ترجمته طبقات ابن سلام ، والشعر والشعراء ٧٢٣/٢ ، الاشتقاق ٢٠٤ ، والمرزبانى ٢٤٤ ، والأمالى ١١٨/٢ ، والخزانة ٣٩٢/١ ، ١٨٨/٣ .

والأحـوصُ(١) ، ويزيدُ بنُ الطَّثْرِيَّة(٢) . وهؤلاء الشعراء المذكورون فى هذه الطبقة هُم الذين كانوا شعراءَ الدولةِ الأموية .

ثم مَنْ بعدهم شُعراء الدَّوْلةِ العبَّاسيَّة مثل : سُدَيْف(٣) ورؤبةُ بنُ العَجَّاج(٤) ومن يجرى مجراهم ثم بَعْد هذه الطَّبقة طبقةُ المُوَلَّدِينَ من الشُّعراء . وسُمِّىَ الشاعرُ منهم مُوَلَّداً لأنه كان عربياً غير مَحْض ، فكانَ شعرُهم غيرَ شعرِ العربِ العَارِبة ، ولا يُستَشْهَدُ بأشعَارِهم فى اللُّغَةِ ، وخالطوا العجَمَ ، فصارُوا مولَّدين بهذا الاعتبار مثل : بشَّار بن بُرد وأبى نُوَاس ، ومُسْلم بنِ الوليد صريعِ الغَوانى ، وسَلْم الخَاسِر(١) ، سمى بذلك لأنه باع مصحفا واشترى به طنبورا .

---

(١) الأحوص : عبدالله بن محمد بن عبدالله الأنصارى : من شعراء المدينة الغزلين المحنثين ، نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة ، ثم عفا عنه يزيد بن عبد الملك . توفى بدمشق سنة ١١٠ هـ . راجع فى ترجمته الشعر والشعراء ١/٥١٩ ، الموشح ١٨٧ ، المؤتلف والمختلف للامدى ٤٨ والأغانى ٤/ ٤ والخزانة ١/٢٣٢ .

(٢) يزيد بن الطثرية : هو يزيد بن الطثرية ، والطثرية أمه . قتل سنة ١٢٦ هـ فى موقعة مع بنى حنيفة . وكان مطبوعاً ، عاقلا فصيحاً راجع ترجمته فى ابن سلام ١٥٠ـ١٥١ والأغانى ٧/١٠٤ وابن خلكان ومعجم الادباء .

(٣) سديف بن ميمون : مولى بنى العباس وشاعرهم ، حذم السفاح ، وحرضه على بنى أمية ولكن أبا جعفر المنصور غضب عليه لتآمره ضده ، وأمر بقتله . راجع الشعر والشعراء ٢/٧٦١ ، والأغانى ٤/٩٢ .

(٤) رؤبة بن العجاج من مشاهير الرجاز . كان أشعر من أبيه العجاج ، مدح بنى أمية فى أخريات دولتهم ، ومدح بعض رجال بنى العباس وتنقل فى خراسانه وكرمان ، واستقر بالبصرة . وتوفى سنة ١٤٥ هـ أو سنة ١٤٧ هـ .

(٥) سلم الخاسر : سلم بن عمرو ، كان منافساً لمروان بن أبى حفصة فى مدح خلفاء بنى العباس والبرامكة ، راوية بشار بن برد . ولزم أبا العتاهية . توفى سنة ١٨٦ . راجع الأغانى ٢١/٧٣ .

ثم بعد طبقة المولدينَ طبقةُ المُحْدَثِين(١) ، وهم الذين حَدَثُوا عن المُوَلَّدِين كأبي تمَّامَ والبُحتُرِي ، ومرْوَانَ بنِ أبي حفْصَةَ ، وعليِّ بنِ الجَهْم(٢) ، وعلي بن العباس (الرومي) ومن يجرى مجراهم . ثم من بعدهم الطبقة المسماة بالطراز الذهب ، وهم شعراءُ دَوْلةِ بني حَمْدَان مثل المتنبي وأبِي فِرَاس ، والسلامي(٣) ، وابن نُبَاتَةَ السَّعْدِي(٤) ، وابن حجاج(٥) .

(١) راجع العمدة لابن رشيق ١/١٠٠ — ١٠١ .

(٢) علي بن الجهم القرشي . شاعر عباسي من شعراء القرن الثالث . نال حظوة عند الخليفة المتوكل وظل ينادمه حتى نفاه لهجائه . وصلبه والي خراسان حياً يوما كاملا . ثم غادر خراسان إلى الشام وقتل سنة ٢٤٩ هـ .

(٣) السلامي : ذكره الثعالبي في اليتيمة بين شعراء العراق فقال : أشعر أهل العراق قولا بالاطلاق . ولد بالكرخ ببغداد سنة ٣٣٦ هـ ، واختص بخدمة عضد الدولة وتوفي سنة ٣٩٤ . راجع اليتيمة ج ٩ .

(٤) ابن نباتة السعدي : عبد العزيز بن عمر ، أبو نصر . ولد ببغداد سنة ٣٢٧ هـ . وقصد حلب شاعراً يمدح سيف الدولة ، ثم اتجه إلى العراق ، وتوفي ببغداد سنة ٤٠٥ هـ . وله شعر رائق وديوان خطب مسجوع : ديوانه مخطوط بدار الكتب ، وله مقامة بمكتبة برلين رقم ٨٥٣٦ . راجع وفيات الأعيان . وشذرات الذهب .

(٥) ابن حجاج : الحسين بن أحمد . كان مسفا في شعره ، هجاءاً . عاش في بغداد في القرن الرابع ذكره صاحب اليتيمة بين شعراء العراق . توفي سنة ٣٩١ هـ . وأكثر شعره هزل ومجون . رثاه الشريف الرضي . وأختار من شعره . راجع وفيات الأعيان واليتيمة ٢/٢١١ ، وتاريخ بغداد ١٤/٨ ومعجم الأدباء ٤/٦ ، وتاريخ أبي الفدا ٢/٤٠٦ وشذرات الذهب ٣/١٣٦ .

ثم من بعد هذه الطَّبقة طبقةُ شُعَراء بَنِي صَالِح وبَنِي مِرداس(١) مثل أبي العَلاء المعرّى والشَّريف الرَّضِي ، وابن أبي حَصِيْنَة(٢) وابن حَيُّوس والخَفاجِي(٣) .

ثم من بعد هذه الطبقة شُعراءُ «الخَرِيدة» مثل القاضي الأرجَاني(٤) وأبي عبدالله القَيسُرانى وسعيدُ بنُ سَناءِ المُلْك ، وأبي إسحَاق الغزّى(٥) ، وابن السَّاعَاتى ، وعرَقلة(٦) وابنِ مُنِير الطَّرَابُلُسِي(٧) وابن أفلح ، والشَّريف أبي يعلى ابن الهَبَّارِيَّة ، والحَيْص بَيْص وعَمَارة اليَمَنى(٨) .

---

(١) بنو مرداس : حكموا حلب وشمال سوريا بعد الحمدانيين من سنة ٤١٤ هـ إلى سنة ٤٧٢ هـ . وأولهم أسد الدولة صالح ابن مرداس .

(٢) هو الأمير أبو الفتح بن أبي حصينة السلمى .
واجع بدائع البدائه ٢٢٤ طبع أبو الفضل ابراهيم .

(٣) الخفاجى : أبو محمد عبدالله بن سعد الخفاجى : راجع بدائع البدائه ص ٢٢٤ .

(٤) الأرجاني : القاضي . أحمد بن محمد بن الحسين مرت ترجمته .

(٥) أبو اسحق الغزى .

(٦) عرقلة : الشاعر الدمشقي حسان بن نمير توفى سنة ٥٦٧ هـ وقد قارب الثمانين . راجع فى ترجمته الخريدة قسم شعراء الشام ١/١٨٣ والروضتين ١/١٣٦ ١٢٩٢ ، فوات الوفيات ١/٢٢٢ .

(٧) ابن منير الطرابلسى من شعراء الشام فى القرن السادس الهجرى توفى سنة ٥٤٨هـ
راجع : اعلام النبلاء ٤/٢٣١ وابن القلانسى ٣٢٢ والروضتين ، وفيات الأعيان ١/١٣٩ ، الأدب فى العصر الأيوبى ٢٥٥ .

(٨) عمارة اليمنى : من شعر مصر فى القرن السادس الهجرى ، مدح خلفاء الفاطميين ولما استولى صلاح الدين الأيوبى على الحكم وناهم وذكر دولتهم ، فعاقبه صلاح الدين بصلبه فمات سنة ٥٧٠ هـ . واجع : الروضتين ١/ ٢٢٤ ومفرج الكروب ج ١ ص ٢١٢ والأدب فى العصر الأيوبى ص ٢٥٩ .

ثم بعد هذه الطبقة شعراء دولة بنى أيوب وهم شعراء المائة السادسة مثل راجح الحلى(١) وابن مماتى(٢)، وسعيد الحريرى، وابنُ النَّبيه(٣).

ثم من يَخدمهم طبقةُ شُعَراءِ العصر وهم الذين كانوا فى المائة السَّابعة مثل سَيفِ الدِّين المُشِدِّ(٤) والبهاء زهير(٥)،

---

(١) راجح الحلى: شميم الدين الحلى واجع معجم ياقوت ٥/٣٨ م.

(٢) ابن مماتى: أسعد ابن المهذب بن مماتى من شعراء المصريين فى القرن السادس. من أصل قبطى بصعيد مصر، اتصل بالقاضى الفاضل ومدح صلاح الدين. توفى سنة ٦٠٦ هـ بحلب. واجع فى ترجمته: وفيات الأعيان والروضتين والخريدة والأدب فى عصر الأيوبين ص ٣٣٣.

(٣) ابن النبيه: على بن محمد بن الحسن، من شعراء المصريين فى القرن السادس. اتصل بالقاضى الفاضل والأسعد بن مماتى ومدح ملوك بنى أيوب بمصر والشام، ولزم الأشرف موسى زمناً وتوفى بنصيبين سنة ٦١٩ هـ. راجع فى ترجمته: فوات الوفيات ٢/١٤٦. وخزانة الأدب للحموى، والأدب فى العصر الأيوبى ٣٣٦.

(٤) سيف الدين المشد: على بن قزل من شعراء المائة السابعة. وفرسان الحلبة الشامية، جاء إلى القاهرة ونزلها زمناً. وشعره أكثره مقطعات فى الغزل والوصف (٦٠٢هـ ـ ٦٥٥هـ) واجع خزانة الأدب ص ٤٠٧.

(٥) البهاء زهير: الشاعر المصرى خفيف الروح. ولد سنة ٥٨١ هـ وتوفى سنة ٦٥٦ هـ. نشأ فى قوص بصعيد مصر ثم انتقل إلى القاهرة لمدح الكامل الأيوبى ونجم الدين وولى بعض المناصب، ورافق الشاعر ابن مطروح. راجع: البهاء زهير لمصطفى عبد الرازق فى مصر ١٩٣٠ م. الأدب فى العصر الأيوبى ص ٣٥١.

وابنُ مطـروح(١) ، والسِّراجُ الورّاق(٢) ، والجمـالُ الجزّارُ(٣)، وشرفُ الدّينِ البُوصيري(٤) وتاج الدين الحنفي، ومجدالدين بن الظهير(٥) ، والوجيه المناوى ، ومن يجرى مجراهم ، وأكثرُ ما سلكتهُ هذه الطّبقةُ المتأخرةُ فى شعرِها وعُنيت به نوعُ التّوريةِ والجناسِ والكناياتِ والتّعريضاتِ ، وأكثرُ ما بَنَوا شِعرَهم فيه علَى النّسيبِ والغزلِ ، لأنهم رقّتْ طِباعُهم وتجوهرتْ أفكارُهم وصارُوا فى غايةِ البُعدِ عن شِعرِ العربِ ، وتجنّبوا ألفاظاً كثيرةً مما كانتْ العربُ تذكرُها فى شعرِها . وسيأتى نُبذٌ من أشعارِ هؤلاءِ القومِ تُشنّفُ الأسماعَ ، وتروقَ

---

(١) ابن مطروح : جمال الدين الوزير الشاعر المصرى . ولد بأسيوط سنة ٥٩٢ هـ وذهب إلى قوص ولقى البهاء زهير ، وترافقا بعدها . ولى بعض المناصب السياسية فى الدولة واتصل بالملك الصالح نجم الدين وتمكن عنده . وشارك بشعره فى أحداث عصره توفى سنة ٦٥٠ هـ . راجع ترجمته فى الأدب فى العصر الأيوبى ص ٣٦٣ .

(٢) السراج الوراق : سراج الدين عمر بن محمد بن حسن . ولد سنة ٦١٥ هـ بمصر وعاش بها ونظم الشعر خفيف الروح . وكان مطبوعاً على الفكاهة . اتصل بكثير من رؤساء المصريين فى عصره ، ورافق جماعة من الشعراء من بينهم الجزار ، وتوفى سنة ٦٩٥ هـ راجع الأدب فى العصر المملوكى ١٥٢/٢ .

(٣) الجمال الجزار : أبو الحسين ، جمال الدين ، يحيى بن عبد العظيم ، ولد بمصر سنة ٦٠١ هـ وعمل بالجزارة كأهله ونظم الشعر ، وكان خفيف الظل رقيق النظم . اتصل بجماعة من علماء المصريين وقضاتهم ورؤسائهم وقال فيهم الشعر . أورد له ابن سعيد فى المغرب مختارات من نظمه . وتوفى سنة ٦٧٢ هـ راجع الأدب فى العصر المملوكى ١٣٣/٢ .

(٤) شرف الدين البوصيرى .

(٥) الظهير الاربلى : محمد بن أحمد بن عمر ، مجد الدين الحنفى الإربلى ولد بإربل توفى سنة ٦٧٧ هـ بدمشق . راجع فوات الوفيات ٣٥٦/٢ .

الشَّامِخ وترى منها ما يدُلُّ على رِقَّةِ طباعِهِم ومحاسِنِ أوضاعِهِم وبعدَهم من شُعراءِ الجاهليةِ ومَنْ بعدَهُم . وجوهَرِ كلامِهِم في نظمِه وحلاوتِه ورَونَقِهِ وطَلاوَتِهِ . وسنذكُرُ ذلك إن شاء الله منوعاً .

باب

النسيب والغزل
والفرق بينهما

اختلفَ النّاسُ في الفَرق بيْنَ النّسيبِ والغَزل فقالَ قومٌ : النّسيبُ هو ذِكرُ الشّاعرِ خَلْقَ النّساءِ وأخلاقَهُنّ ، وتصرّفَ أحْوالِ الهَوى بِهِ معهُنّ .

وقيلَ النّسيبُ معنىً مركبٌ من ثلاثةِ أمُور : أحدها : حالُ المرأة نفسِها من خَلْقٍ وخُلُقٍ وقُربٍ وبُعْدٍ .

والثاني : حالُ النّاسِب بِهَا من ولهٍ وقلقٍ وعِشقٍ وجَزَعٍ ووصلٍ وفراقٍ .

والثالث : الأحوالُ المشْتَركةُ بينَه وبينَها من هجرهِ لهَا وتطلّعه إليها ، ومُواصَلته وقَطيعتها ، ومن أحوالٍ جرَت بينَهُما .

فالنّسيبُ حينئذٍ يشْتَملُ على هذه الأحوالِ الثّلاثَة . فمتعاطي النّسيب ينْبغي لهُ أن يتَوخّى من الكلامِ ما كان حلو الألفاظ سهل المأخذ ، قريبَ المعاني ، غيرَ كزٍّ ولا غامض ، ظاهرَ الحسن جيد الرونق . فاذا استعمل ذلك فقد وفّى الصناعة حقها . وهذه الأحوالُ الثلاثةُ الموصوفُ بها النسيب مركبةٌ من عدة معان ، فنيها المدحُ والهجاء

والوصفُ والشكوى ، والاعتذارُ والاستعطافُ والعتابُ ، والرفقُ ،
واستنجازُ الوعد ، وغير ذلك من الأوصاف المليحةِ .

وبعضُ هذه الأوصاف راجعٌ إلى المنسوب بها كالمدح ، وبعضها
راجع إلى الرقيب والواشي والعاذلِ ، كالهجاء والذم .

وأما فائدة النسيب فإنه يُذكر في أول القصائد توطئة للذهن وميلا
النفس إلى ما فيها من ذكر الهوى والعشق وأحواله ، ووصفِ الديار
والمنازل . فإن ذلك مما تميل النفس إليه بالطبع . ثم إذا خرج الشاعر
من ذكر النسيب وأقبل على المدح قبلته القلوبُ بحلاوة ، فيكون ذلك أبلغ
لحصول المقصود .

ولا ينبغي للشاعر أن يُكثِرَ النسيب في أوائل القصائد، بل يأتي بجزء
منه يستدعي قبول النفس، ثم إذا علم أن النفس قد أصغت إلى ما قاله
والاستزادة منه، فحينئذ يخرج إلى المدح فتأخذه القلوب، وتميل إليه
الأسماع .

والفرق بين النسيب والغزل : أن الغزل معنى إذا اعتقده الإنسان في
الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله ، فكان النسيب هو ذكر الغزل
والغزل هو التصابي والاشتهار بالصبة . ويقال : فلان غزِلٌ . إذا كان
متشكلا بالصبوة التي تليق بالنساء . وقيل الغزل هو الأفعال والأقوال
المطاوعة بين المحب والمحبوب . والنسيب ذكر تلك الأحوال . وقيل
مغازلةُ النساء محادثتهن ومراودتهن . واللغويون لا يفرقون بين النسيب
والتشبيب، وهما عندهم بمعنى واحد . وعند علماء البيان أن التشبيب هو

هو التشوّقُ والتذكر لمعاهد الأحبة ، بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، وآثار الديار العافية ، وأطلال المنازل الدارسة .

وشواهد التشبيب كثيرة ، فمنها قول أبي تمام(١) :

أرامةُ كنتِ مألفَ كلِّ ريمِ
لو استمتعت بالأُنسِ المقيمِ

أدارَ البُؤسِ حسَّنكِ التصابي
إليَّ فصرتِ جنّاتِ النعيمِ

ومما ضرَّمَ البُرحاءَ أنّي
شكوتُ فما شكوتُ إلى رحيمِ

أظنُّ الدمعَ في خدّي سيبقى
رسوماً من بُكايَ على الرسومِ

وقال أيضاً(٢) :

قفا نُمْطِرِ المنازلَ من عيونٍ
لها في الشوقِ أنواءٌ غِزارُ(٣)

عفتْ آياتُهنَّ وأيُّ ربعٍ
يكونُ له على الزمنِ الخيارُ

أثافٍ كالخدودِ لُطِمْنَ حُزناً
ونؤيٌ مثلَ ما انفصمَ السِّوارُ

(١) مطلع قصيدة يمدح بها بعض بني عبد الكريم الطائيين ص ٢٨٧ ديوانه .
(٢) ديوانه ص ١٤٠ من قصيدة يمدح أبا الحسن محمد بن الهيثم .
(٣) أنواء : أمطار .

وله أيضاً(١):

قد مررْنا بالدّارِ وهْيَ خلاءٌ
فبكيْنا رُبُوعَها والرُّسوما(٢)

وسألنَا ربُوعَها فانْصرفْنا
بشفاءٍ وما سألنَا حكِيمَا

وله أيضاً(٣):

لهَا منزلٌ قدْ كان بالبيضِ كالدُّمى
فصيحَ المَعانِي ثم أصْبح أعْجمَا(٤)

وردّ عيونَ النّاظِرينَ مهابَةً
وقدْ كانَ مما يُرْجِعُ الطّرْفَ مُكرَما

للبحتري في النسيب(٥):

من سجَايا الطّلولِ ألاّ تُجيبا
فصوابٌ من مُقلَتِي أنْ تَصُوبَا

---

(١) ديوانه ص ٢٩١ من قصيدة يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف وقد قدم من مكة ومطلعها:

إن عهداً لا تعلمان ذميا … أن تناما عن ليلتى أو تنيا

(٢) رواية الديوان « فبكينا طلولها والرسوما »

(٣) ديوانه ص ٢٩٤ من قصيدة يمدح أبا سعيد المذكور أيضاً ومطلعها:

عسى وطن يدنو بهم ولعلما … وأن تعتب الأيام فيهم فربما

(٤) ورواية هذا البيت:

« لهم منزل »

البيض: يقصد النسوة الجميلات. كالدمى: كالصور.

(٥) البيتان مطلع قصيدة لأبي تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري ص ٢٠٥ من ديوانه.

فسألتُها واجعلْ بكاكَ جواباً
تجدِ الدَّمعَ سائلاً ومُجيباً

وله فى التشبيب(١) :

وقفْنا على دارِ البخيلةِ فانبرتْ
سواكبُ قدْ كانتْ بها العينُ تبخلُ
فلم يدرِ رسمُ الدارِ كيفَ يُجيبُنا
ولا نحن من فرْطِ الأسى كيفَ نسألُ

وله أيضاً(٢) :

يا دارُ لا زالت رُباكِ مجودةً
من كلِّ غاديةٍ تَهُلُّ وتَنْهَلُ
أفهمتِنا دُوَلَ الزمانِ وصرفَه
وأريتِنا كيفَ الخطوبُ النُّزَّلُ

وله أيضاً(٣) :

إذا شئتُ أجرتْ أدمُعِى من شئونِها
ربوعٌ لهمْ بالأبرقينِ وأرسُمُ

---

(١) ديوانه طبع المعارف ج ٣ ص ١٧٦٢ من قصيدة يمدح محمد بن عبدالله بن طاهر مطلعها :

فؤاد بذكر الظاعنين موكل ومنزل حى فيه للشوق منزل

والبيتان رقم ٥ ، ٧ وعجز الأول فى الديوان « بوادر قد كانت ... »

(٢) ديوانه ٣/١٧٠٤ من قصيدة يمدح المتوكل والبيتان رقم ٦ ، ٧ ورواية الثانى « أذكرتنا دول الزمان » .

(٣) ديوانه ٣/١٩٢٧ من قصيدة يمدح الفتح بن خاقان مطلعها :

خيالٌ ملمٌّ أم حبيبٌ مسلمُ وبرقٌ تجلّى أم حريقٌ مضرَّمُ

والأبيات رقم ٤ ، ٥ ، ٧ .

وقفتُ بها والرَّكْبُ شتّى سبيلُهُم
يَفيضُونَ مِنهم عاذِرُونَ ولُوَّمُ
يُقَيِّضُ لِي من حيثُ لا أعلَمُ النّوى
ويَسري لِيَ الشّوقُ من حَيثُ أعلَمُ

وله أيضاً(١) :

رحَلَ الظّاعِنُونَ عنكَ وأبقَوا
في حَواشِي الأحشاءِ حُزناً مقيما
إنّ تِلكَ الظّباءَ أشبَهنَ في
الحُسْنِ بُدُوراً وفي البِعادِ نُجُوما(٢)

وله أيضاً(٣) :

نَعَمْ قد تَعاكَينا على الصّبرِ ساعةً
ومِنْ دُونِهِ شِعْبٌ لِلَيلَى مُفَرَّقُ

(١) البيتان من قصيدة له يمدح ابراهيم بن الحسن بن سهل مطلعها :

يا مَغانِي الأحبابِ صِرتِ رُسوما
وغَدا الدّهرُ فيكِ عندي مَلُوما

والبيت الأول هنا هو الثالث في القصيدة : راجع ديوانه طبع هندية بمصر سنة ١٩١١م ٢ ص ٢٤١ .

(٢) على حاشي النسخة تعليق بقوله « لو قال في المغرب لكان أسبك ، وأمثل » وهو تعليق مقبول .

(٣) من قصيدة في مدح محمد بن علي القمي مطلعها : (٢ ص ٥٣٨ ديوانه طبع هندية)

أفي كل دارٍ منكِ عينٌ ترقرقُ
وقلب على طول التذكر يخفقُ

ورواية الأول « نعم قد عناكيها ... » وهو البيت الثالث في القصيدة .

وَقَفْتُ وأَوْقَفْتُ الجَوى مَوْقِفَ الهَوَى
لِيَالِيَ عودُ الدَّهرِ فِينَانُ مُورِقُ
فحرَّكَ حُزْنِي رَبْعُها وهُو سَاكِنٌ
وجَدَّدَ وجْدِي رسْمُها وهوَ مُخْلِقُ

ولـه(١)

دمن تناهَبَ رسْمَها حَتَّى عفَا
عنْها تَعَاقُبُ رَائِحٍ بِقِطَارِهِ
باتَتْ وبَاتَ البَرْقُ يمْرِي عُودَهُ
فيها ويتبع مُثْقَلاَتِ إِعْشَارِهِ
فالأَرْضُ من نَسْجِ النَّباتِ مُجِدَّةٌ
أثوابَهـا والرَّوضُ من نُوَّارِهِ

وله(٢) :

ذاكَ وادِي الأَراكِ فاحبِسْ قَليلاَ
مُقْصِراً عن مَلاَمَتي أو مُطِيلاَ
قف مَشُوقاً أو مُسْعِداً أو حَزِيناً
أو مُعِيناً أو عَاذِراً أو عَذُولاَ

---

(١) من قصيدة يمدح أبا عامر الخضر بن أحمد (ديوانه ص ٨ ج ٥ ط. هندية) ومطلعها:
عند العقيق فما تلاه فبارقه   شجن يزيد الصب في استعباره
والبيت الأول هنا هو الثالث في القصيدة .
(٢) مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي . (ديوانه ٢/٢١٠ طبع هندية)

وله(١) :

بينَ الشَّقيقةِ فالّلوَى فالأجرعِ

دِمَنٌ حُبِسْنَ على الرّياحِ الأربعِ

وله(٢) :

عست دِمَنٌ بالأبرقين خَـوالي

تَرُدُّ سلامي أو تُجيبُ سُؤالي

وللشّريفِ الرّضيِّ في هذا المَعنى(٣)

ولقـد مرَرْتُ على دِيارِهِم

وطلُولُها بيَدِ البِلَى نَهْبُ

فوقَفتُ حتى لَجَّ مِن لَغَبٍ

نِضْوِي وضَجَّ لِعذْلِيَ الرَّكْبُ

وتلفَّتَتْ عَيني فمُذْ خَفِيَتْ

عنّي الطُّلُولُ تلفَّتَ القلْبُ

وله في المعنى(٤) :

تلفَّتَّ حتّى لم يَبِنْ مِنْ بِلادِهِم(٥)

جِبـالٌ ولا مِنْ نارِهِنَّ وَقُودُ

---

(١) مطلع قصيدة يمدح يوسف بن محمد (ديوانه ٢/١٠٠).

(٢) مطلع قصيدة يمدح أبا طلحة بن منصور بن مسلم ٢/٢١٩ .

(٣) ديوانه طبع بيروت سنة ١٣٠٧ هـ ص ١٤٥ ، والنشو : البعير المهزول .

(٤) ديوان الشريف ص ٣٠١ .

(٥) رواية الديوان بلادكم .

ولو قال لى العُذّال ما أنتَ مُشْتَهٍ

غداةَ قطعتَ الرملَ قلتُ أعودُ(١)

فهذا ما حضر من شواهد التَّشبيب .

والنَّسيبُ والغزَلُ فشواهدُهُ أكثرُ من أنْ تُحصَى ، غيرَ أنَّا نُورِدُ منهَا نُبذَةً تُشنِّفُ منهَا المسامع ، ويلتذ بها السامع لتكون داعية القلوب إلى تأملها . فمن ذلك ما قاله الأمير أبو المطاع ابن ناصر الدولة أحد شعراء اليتيمة(٢) :

أفدى الذى (زُرْتُه) بالسَّيفِ مُشْتمِلاً

ولَحْظُ عينيه أمضى مِنْ مضاربِهِ

فما خلعتُ نِجادى فى العِناقِ لهُ

حتَّى لَبِستُ نِجادا من ذوائبِه

فكان أسعدَنَا فى نَيْل بُغْيتِه

مَنْ كان فى الحُبِّ أشقانا بصاحبِه(٣)

---

(١) رواية الديوان :

ولو قال لىَ الغادُونَ ما أنت مُشتهٍ

غداة جزعنا الرَّمْلَ قُلْتُ أعودُ

(٢) يتيمة الدهر للثعالبى ١/٧٤ طبع القاهرة سنة ١٩٣٤م .

(٣) رواية اليتيمة « فكان أنعمنا عيشا بصاحبه » .

والأمير أبو المطاع من أمراء الحمدانيين وكان شاعراً . روى له الثعالبى جملة أبيات .

وله في المعنى(١) :

قالت لطيف خيال زارنا(٢) ومضى
باللهِ صِفْهُ ولا تَنْقُصْ ولا تزدِ

فقالَ خلّفتُهُ لو ماتَ من ظمأ
وقُلتِ قِفْ عن وُرودِ الماءِ لم يَرِدِ

قالتْ : صَدَقْتَ الوَفا في الحُبِّ شِيمَتُهُ
يا بَرْدَ ذاكَ الّذي قالَتْ عَلى كَبِدِي(٣)

وله أيضاً(٤)

خُذُوا بدَمي هذا الغُلامَ فإنّه
رماني بِسَهْمَيْ مُقلَتَيه على عَمْدِ

لا تَقتُلوه فإنّني أنا عَبدُه
وفي مذهبي لا يَقتُلُ الحُرُّ بالعَبْدِ

وقال أبو الفرج الوأواء * :

وزائرٍ راعَ قَلبَ النّاسِ مَنْظَرُهُ
أحلَى من الأَمْنِ عِندَ الخائِفِ الوَجِلِ(٥)

---

(١) اليتيمة ١/٧٤ .
(٢) رواية اليتيمة « زارها » .
(٣) اليتيمة: «قالت صدقت الوفا » وهي خطأ .
(٤) لم يرد البيتان في اليتيمة بعد ما ذكره الثعالبي له .
* راجع الفرج الوأواء : محمد بن أحمد الغساني من شعراء اليتيمة ، ذكره الثعالبي عن شعراء الشام وقال : « من حسنات الشام وصاغة الكلام » . وديوانه مطبوع بدمشق .
راجع يتيمة الدهر ١/٣٤٢ .
(٥) الأبيات في يتيمة الدهر ١/٢٤٩ .

أَلْقَى علَى اللَّيْلِ لَيْلاً مِنْ ذَوَائِبِهِ
فَهَابَهُ الصُّبْحُ أَنْ يَبْدُو مِنَ الخَجَلِ

أَرَادَ بِالهَجْرِ قَتْلِي فَاسْتَجَرْتُ بِهِ
فَاسْتَلَّ بِالوَصْلِ رُوحِي مِنْ يَدَيْ أَجَلِي

فَصِرْتُ فِيهِ أَمِيرَ العَاشِقِينَ وَقَدْ
صَارَتْ وِلَايَةُ أَهْلِ العِشْقِ مِنْ قِبَلِي

وقال أبو طاهر الواسطي* :

صَهْدِي بِنَا وردَاءَ الوَصْلِ يجمعنا
والليل أطوله كاللمح بالبصر(١)

فَالآنَ لَيْلِي وَقَدْ غَابُوا فَدَيْتُهُمُ
لَيْلُ الضَّرِيرِ وَصُبْحِي غَيْرُ مُنْتَظَرِ

وقال الوزير المهلبي** :

قال لي من أحب والبَيْنُ قد جَـ
ـدَّ ودَمْعِي مُوَاصِلٌ لشَهِيقِي(٢)

---

* أبو طاهر الواسطي : في الأصل أبو طالب وصححه من اليتيمة ٢/ ٣٤٢ .

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٣٤٢ .

وروايته « صهدي بنـا ورداء الشمل يجمعنا »

** الوزير المهلبي — أبو محمد الحسن بن محمد الوزير المهلبي — عاش ببغداد في في القرن الرابع الهجري وكان أديباً شاعراً من شعراء اليتيمة .

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٢١٦ .

ما الذى فى الطّريق تَصنَعُ بَعْدى
قُلتُ أبكِى عليكَ طُولَ الطّرِيقِ

وله فى المعنى وقد أوجز(١) :

لو أنْ قلبى وفّاهُ محبّتهُ
أحبّه بقلوبِ العاشقين معـا

وقال التهامى* :

إن كنتَ تصدُقُ فى ادّعاءِ وِدادِهِ
فافكُكْهُ من أسْرِ الهوَى أو فادِهِ

زَوِّدهُ من نظرٍ واقنَعْ مَنْ ترَى
مَنْ كانَ لحظُ العينِ أكبرَ زادِهِ

لا أنتَ عِندَ اليُسْرِ من زُوّارِهِ
يوما ولا فِى اليُسْرِ من عُوّادِهِ

أفدِي الكتَابَ بِناظِرِى فبياضُهُ
كبياضِهِ وسوادُهُ كسَوادِهِ

يقول فى مدحها :

سَالِمتُ ما دامَتْ حياتُك مَغْنَماً
فإذَا يئستُ من الحياةِ فعادِهِ

---

(١) لم يرد البيت فى اليتيمة من شعره .

* التهامى : أبو الحسن على بن محمد التهامى [illegible] وهو مسجون بمصر سنة ٤١٦ هـ وديوانه طبع بالاسكندرية .

وقال أبو عبدالله الخياط الدمشقي الشاعر (١) :

خُذا من صَبا نَجدٍ أماناً لقلبِه
فقدْ كادَ رَيّاها يَطيرُ بلُبِّه

وإياكُما هذا(٢) النسيمَ فإنّه
إذا هَبَّ كانَ الوَجدُ أيسرَ خَطبِه

خَليليَّ لوْ أحبَبتُما لعَلِمتُما
مَحَلَّ الهوى من مُغرَمِ القلبِ صَبِّه

تَذكّرَ والذِّكرى تَشُوقُ وذُو الهوى
يَتُوقُ ومن يَعلَقْ به الحُبُّ يُصبِه

غَرامٌ على يأسِ الهوى ورجائِه
وشَوْقٌ على بُعدِ المَزارِ وقُربِه

فَفي الرَّكبِ مَطويُّ الضُّلوعِ على هوىً
متى يَدعُه داعِي الغَرامِ يُلبِّه

إذا خَطرتْ من جانِبِ الرَّملِ نفحَةٌ
تَضمّنَ منها داؤُه دونَ صحبِه

ومحتجبٍ بينَ الأسِنَّةِ والظُّبا(٣)
وفي القلبِ من إعراضِه مثلُ حجبِه

---

(١) الأبيات بالكشكول ج ١ ص ٢٤٧ منسوبة لابن الخياط وفيها بعض الزيادة والنقص مع اختلاف في الترتيب بين سابق ولاحق . وراجع ديوانه ص ٧ وما بعدها .

(٢) رواية الديوان « ذاك النسيم » .

(٣) رواية الديوان « معرض » .

أغارُ إذا آنستُ في الحيِّ أنَّةً
حِذاراً وخوفاً أنْ تكونَ لِحُبِّهِ

فقد طالما حوَّمتُ في سِنةِ الهوى
ولا بُدَّ لي مِن يقظةِ المُتنبِّهِ(١)

وله أيضاً في الغزل(٢) :

هَبُوا طيفَكُم أعدى على النأيِ مَسراهُ
فمَنْ لِمَشوقٍ إنْ تهوَّم جفناهُ ؟

وهَلْ يهتدي طيفُ الخيالِ لناحلٍ
إذا السُّقمُ عن لحظِ العوائدِ خفّاهُ

فتىً في يدِ الأحلامِ لا أستطيبُه
ولا كُلُّ مأسورِ الفؤادِ مُفدّاهُ(٣)

يرى الصبرَ محمودَ العواقبِ معشرٌ
فمَنْ لي بصبرٍ يحمدُ المرءُ عُقباهُ(٤)

هوىً كُلَّما عادتْ من الشوقِ نفحةٌ
أعادَ لِيَ الوجدَ(٥) الذي كانَ أبداهُ(٦)

---

(١) البيت بعد سابقه بجملة أبيات .
(٢) ديوانه ص٢٢٨ وما بعدها من قصيدة يمدح القاضي فخر الملك أبا علي عمار بن محمد
(٣) رواية الديوان « مقلواه »
(٤) رواية الديوان « وما كل صابر يحمد المرء عقباه »
(٥) رواية الديوان « الشوق » .
(٦) بعد البيت بعد جملة أبيات من سابقه .

وما شغفى بالرِّيحِ إلاَّ لأنَّها
تمرُّ بحىٍّ دونَ دامةَ مثواهُ

ألا حبَّذا عهدُ الكثيبِ وناعمٌ
من العيشِ محرورُ الذُّيولِ لبسناهُ(١)

ليالىَ عاطتْنا الصَّبابةُ درَّها
فلمْ يبقَ منها منهلٌ ما وردناهُ

وله فى الغزل أيضاً(٢) :

أيا بينُ ما سُلِّطتَ إلاَّ على ظُلمى
ويا حبُّ ما أبقيتَ منِّى سوَى الرَّسمِ(٣)

فراقٌ أتى فى إثرِ هجرٍ وما أذى
بأوجعَ من كلمٍ أصابَ على كلمِ

فيا قلبُ كم تشقَى بدانٍ ونازحٍ
فشاكٍ إلى خصمٍ وباكٍ على رسمِ(٤)

أحِنُّ إلى سُقمى لعلَّك عائدى
ومنْ كلفِى أنِّى أحِنُّ إلى سُقمى

---

(١) يرد البيت بعد أبيات من سابقه .

(٢) القصيدة فى ديوانه ص١٩٤ يمدح بها أبا النجم هبة الله بن محمد بن بديع الأصبهانى .

(٣) رواية الديوان « سوى الوهم » .

(٤) يرد البيت بعد سابقه بجملة أبيات .

وقال الغزي* :

ليت الذي بالعشق دونك خصني
يا ظالمي قسم المحبة بيننا[1]

أنا في الهوى مثل الهلال مثقف
ولقد أضرّت بي مشابهة القنا

وقال ابو عبدالله بن صغير القيسراني** :

لا يغرنك في السيف المضاء
فالظبا ما نظرت منه الظباء[2]

مرهفات الحد أمضاها الضنى
وقضاها للمحبين القضاء

خلق ما بين دماها وفمي
فعلى تلك الدمى تجرى الدماء

---

* الغزي أبو اسحق ابراهيم بن عثمان . ولد بغزة بالشام وانتقل إلى العراق وفارس وقال الشعر وطال عمره ، وله خطب . راجع ترجمته في خريدة القصر شعراء الشام ١/٥ وما بعدها .

(١) خريدة القصر قسم شعراء الشام ١/٣٨ من قصيدة يمدح بها مكرم بن العلاء بكرمان .

** القيسراني : راجع ترجمته في الخريدة قسم شعراء الشام ١/٩٦ .

(٢) خريدة القصر قسم شعراء الشام ١/٩٨ .

وله(١) :

أترى فوقَ سَهماً من حُسَامِ
باله من ضاربٍ باللَّحظِ رَامِ
لحظاتٌ بتُّ منها طائحاً
أيُّ سكرٍ دامَ من أيِّ مُدامْ
وبأكنافِ المُصلَّى جيرةٌ
لا يُجيرونَ مُحِبّاً من غرامْ
عرفوا كُلَّ فؤادٍ بهوىً
وأمالوا كلَّ سَمعٍ عن مَلامْ
وأبانوا كُلَّ قلبٍ شاردٍ
مِنْ هواهُمْ في عِقالٍ وزِمامْ
من خُصورٍ وشحوها بالقنا
وعيونٍ كحلوها بالسقامْ(٢)

ولـه(٣):

فيالِيَ مِنْ وجهٍ كقنديلِ هيكلٍ
عليه من الصُّدغين محرابُ مسجدِ

---

(١) خريدة القصر قسم شعراء الشام ١/٩٩ وروايته :
« أترى فوقَ من سَهْمٍ حُسَامْ »

(٢) سبق هذا البيت وسابقه بيت لم يذكره المؤلف .

(٣) خريدة القصر — قسم شعراء الشام ١/ ٨٠٢ .

لقد اسرتني حيث لا أبتغي الفدا
فقل في أسير لا يسر بمفتدى

وله(١):

ليت القلوب على نظام واحد
لتذوق حر الوجد غير الواجد

فنشم عن الشكوى وارقني الجوى
يا بعد غاية ساهر من هاجد(٢)

اضللت قلبا ظل ينشد لبه
من لي بوجدان الفقيد الفاقد

وله(٣):

ابدى السلو خديعة للائم
وحنى الضلوع على فؤاد هائم

ورأى الرقيب يمل ترجمة الهوى
فاستقبل الواشي بثغر باسم

من فض ختم لسانه كتمانه(٤)
قرعت أنامله الملية نادم

---

(١) القصيدة بخريدة القصر قسم شعراء الشام ٣ ص ١٠٣.
(٢) البيت ثالث الأبيات في الخريدة.
(٣) خريدة القصر قسم شعراء الشام ٢/١ ١٩ .
(٤) رواية الخريدة: « سره ».

إنّى لأرحمُ نَاظِرَيْه من الضَّنَا
لو أنَّ مرحُوماً يرقُّ لرَاحِمِ

ولـهُ أيضاً(١) :

خذُوا حديثَ غرامى عن ضَنَى بَدنِى
أغنَى لِسَانُ الهوَى عن دَمْعِيَ الَسِنِ
وخَبِّرونِيَ عن قَلْبِي وسَاكِنِه(٢)
فرُبَّما أشكَلَ المَعنَى علَى الفَطِنِ
هـذَا الَّذِى سَلَبَ العُشَّاقَ نَومَهمُ
أما تَرى عينَه مَلأى مِنَ الوَسَنِ

ولهُ فى حفظ الذّمام :

أرى كلَّ جَارٍ تَحفظُونَ ذِمَامَه
وما لَكُم جارٌ يُضَام سِوَى قَلْبِي

ما قيل فى الهجر :

سواءٌ ليْلَةُ الهجْرَانِ عِنْدِى
ويومُ الحَشْرِ جدٌّ لا مُزَاحُ
فيومُ الحَشْرِ لا يغْشَاهُ ليْلٌ
وليْلُ الهجْرِ ليسَ لهُ صبَاحُ

---

(١) خريدة القصر ١/١٢٧ .

(٢) برواية الخريدة « وساكنه » .

وللعفري في الصدود :

حتّام أرفُلُ في هواكَ وتنفصِلُ
وإلامَ أنزِلُ مِنْ جفاكَ وتنزِلُ

يا مُعتَرِماً في مُهجتي بِصُدودِهِ
حُرَقاً يكادُ لهنّ يذبُلُ يذبُلُ

هبْ أنّ خدّكَ قدْ أُصيبَ بعارِضٍ
ما بالُ صُدغِكَ راحَ وهوَ مُسلسَلُ

ولا مقبِلُكَ المُنتظِمُ عِقدُهُ
ما راحَ من يهواكَ وهو مُقبِّلُ

مثله لسعد الدين بن عربي * (١) :

وعلمت ان من الحديد فؤاده
لما انثنى مِنْ مُخلَتَيهِ مُهنَّدا

آقتبسُ من وجدي بِجانبِ خدِّهِ
ناراً ولكِنْ ما وجدْتُ لها هُدى

لمّا رأيتُ الصُّدغَ منه مُسلسَلاً
أصبحتُ في أسرِ الغرامِ مقيّدا

وغلامَ قلبي في هواكَ مُوحّدٌ
ويظلُّ في نارِ الصُّدودِ مُخلّدا

---

(١) أورده النواجي في تأهيل الغريب ورقة ٧٢ من مخطوطة أحمد الثالث رقم ٢٤٠٦ مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

* سعد الدين بن عربي ابن محيي الدين بن عربي، من شعراء العلم في القرن السابع الهجري .

ومثله قول الحاجري* :

فديتُكَ ، ربعُ الصَّبرِ بعدكَ دارسٌ

على أنَّ فيهِ منزلَ الشوقِ عامرُ(١)

يُمثِّلُكَ الشوقُ الشديدُ لناظري

فأطرقُ إجلالاً كأنكَ حاضرُ

عجبتُ لخالٍ يعبُدُ النارَ دائماً

بخدِّكَ لم يحرقْ بها وهوَ كافرُ

وأعجبُ من ذا أنَّ طرفكَ منذرٌ

يُصدَّقُ في آياتِهِ وهوَ ساحرُ(٢)

ومُذْ خبَّروني أنَّ غصناً قوامُهُ

تيقنتُ أنَّ القلبَ مِنِّيَ طائرُ

وما اخضرَّ ذاكَ الخدُّ نبتاً وإنَّما

لكثرةِ ما شُقَّتْ عليهِ المرائرُ

ولـه :

رعَى اللهُ أياماً تقضَّتْ بقُربِكُمْ

قصاراً وحيَّاها الحيا وسقاها

فما قُلتُ إيهٍ بعدَها لمُسامرٍ

منَ النَّاسِ إلاَّ قالَ قلبيَ آها

---

* الحاجري : عيسى بن سنجر بن بهرام الاربلي الحاجري .

(١) أورده نواجي من جملة الأبيات في « تأهيل الغريب » ورقة ١٠٩ .

(٢) في الأصول « وأعجب من هذا . . » وهو خطأ .

وله(١) :

أعاذلُ هل أبصرتَ مِنْ قبْلِ خدِّهِ
وعارضِهِ ناراً حوتْ جنَّةً خضرا

أرى العَدْلَ معرُوفاً بكسرى ترى
ظلمتَ بأجفانٍ شهدْتُ بها كسرا

وله :

على كُلِّ قلبٍ حُكمُ عينيهِ نافِذٌ
بروحى أميرٌ ما على يَدِهِ يَدُ(٢)

كتبتُ إليه أشتكى الأسْرَ فى الهوى
فوقَّع مِنْ بعْدِ المِطَالِ يُخلّدُهُ

ولبعضهم فى الرِّقَّةِ والنُّحولِ :

وكلُّ فتىً عــلاهُ ثوبُ حُسْنٍ
فــذاكَ السُّقْمَ مِنّى مُستَعارُ

ومثله :

وانحلتنى بالهجرِ حتى لوَ انَّنى
قذًى بيْنَ جفنَىْ أرمدٍ ما توجَّعا

ومثله :

ولو قلمٌ ألقيتُ فى شقِّ رأسِهِ
من السُّقمِ ما غيَّرتُ من خطِّ كاتِبِ

(١) تأهيل الغريب ورقة ١٠٩ ...
(٢) تأهيل الغريب ورقة ٦٤ وروايته : « على كل قلب حكمها ... »

ومثله :

وما أبقى الهوى والشوقُ منى
سوى رُوحٍ تردَّدُ فى خيالِ

ومثله(١) :

كفى بجسمى نحولاً أننى رجلٌ
لولا مخاطبتى إياكِ لم ترنى
روحٌ تردَّدُ فى مثل الخلالِ إذا
أطارت الريحُ عنهُ الثوبَ لم يَبِنِ

ومثله :

لقد رقَّ حتَّى قلتُ عنه لعلَّه
يحاولُ إبراز المعانى بلا لفظِ

ولابن عربى قريبٌ من هذا المعنى(٢) :

أمُبشرى ممَّنْ أُحبُّ بزورةٍ
أهلاً وسهلاً بالبشارةِ والهنا
ما كانَ أسمحنى عليكَ بخلعةٍ
لو كانَ عندى خلعةٌ غير الضنى(٣)

وله فى المعنى فى فانوس(٤) :

قد ذابَ من شوقٍ وإنَّ شفاءَه
تقبيلُ جوهر ثغرك الشفافِ

(١) البيتان لبشار بن برد وهما مشهوران وخاصة الأول منهما .
(٢) أوردها النواجى فى « تأهيل الغريب » فى جملة أبيات . ورقة ١٩٦ .
(٣) رواية « تأهيل الغريب » : « لو أن عندى خلقة غير الضنى » .
(٤) أوردها النواجى فى « تأهيل الغريب » ورقة ٢٠٢ .

أيرقُ خصرُكَ وهوَ يجفو صبَّه
عجباً جفلني وهو ليسَ بجافِ(١)

وفى المعنى لابن سناء الملك(٢) :

وأبصرَ جسمى حسنَ خصرِكَ ناحلاً
فحكاهُ لكنْ زادَ فى دقةِ المعنى

لابن الساعاتى فى المعنى(٣) :

لكُم مِن سقامى فى الهوى شاهدٌ عدلُ
فلا تلزمونى سلوةً مالها أصلُ

نحلتُ إلى أنْ لمْ يرَ الطيفُ مضجعى
ولم يبدُ فى ضوءِ الغزالةِ لى ظلُّ

فمَنْ لى بقلبٍ لا يريمُ صبابةً
ودمعٍ على آثارِكُمْ ليسَ يبخلُ

ولابن الساعاتى فى الغزلِ الجيدِ الرقاقِ ، الحسنِ الصنعةِ ، اللطيفِ المأخذِ شىءٌ كثيرٌ . فمن ذلكَ قولُه(٤) :

كأنَّ المثانى بينَ أعجمها الشحط
بقايا زبورٍ والأثافى لها نقطُ

---

(١) رواية « التأميل » : « أيرق خصرك ... » والعجز « ... ليس بعاف »

(٢) البيت غير مذكور فى ديوانه المنشور . وجاء على الوزن قصيدة يمدح فيها صلاح الدين ويحرضه فى أولها خولا مطلعه :
أبى معدها أن يجمع الحسن والحسنى ووجدى بها أن أجمع الجفن والجفنا

(٣) ديوانه تحقيق أنيس المقدسى ص ٨٢ ج ١ ، والأبيات ليست بهذا الترتيب فى القصيدة

(٤) ديوانه المنشور ص ٧٩ ج ١ ، والمحط البرى ، والزبور : الكتاب ، والأثافى الأحجار توضع عليها القدر وتوقد النار .

وما قطَّعَ الطيفُ الزِّيارةَ عن قِلًى
ولكنَّ دمعى لا يُخَاضُ له نَهْرُ

خلا وعفى سِقْطُ اللوى وكِناسُه
فلا غُصنٌ يُثْنَى ولا جُؤذُرٌ يعطو

٭ ٭ ٭

يجودُ ابتداءً مُظهِراً خَبَرَ النَّدى
فما فى عَطاياهُ جزاءٌ ولا شَرْطُ(١)

وله(٢) :

سرتْ زينبٌ والبرقُ مبتَسِمُ الثَّغْرِ
كما سمِعتْ كفٌّ شهيطًا من التِّبْرِ

بكيتُ ولألائها عقدَها دهشُ النَّوى
فقلتُ لها ما أشبهَ النَّظْمَ بالنَّثْرِ

ولاحتْ ثُريا حُسْنِها فوقَ خدِّها
ورسمُ الثُّريا أنها منزِلُ البدرِ(٣)

ورحنا وفى أفعالنا صحوةُ الحجى
وإن كان فى ألبابنا نشوة السكر

---

(١) والبيت الأخير هنا لا يوجد فى القصيدة المذكورة بالديوان ، وهو فى المديح ولا صلة له بالغزل . وربما جاء بعد آخر بيت فى القصيدة المذكورة :

لذى ملك من جفنة الفقر والغنى ... مهيب السطا فى كفه القبض والبسط

(٢) ديوانه ص ٢٩١ ج ١ .

والأبيات الثلاثة الأولى متتابعة فى القصيدة والرابع بعدها بأبيات .

(٣) فى الديوان « ولاحت ثريا شنفها فوق خدها » والشنف القرط

وله(١) :

أَلَمْ تَثِقِي أَلاّ تَعُودَ إِلى ظُلْمِي
فَلِمْ جَرَّدَتْ أَسْيَافَ عَيْنَيْكِ فِي السِّلْمِ

فَمَا شَاقَهُ العُذَّالُ مِثْلُ مَدَامِعِي
وَخَاطَبَ الوَاشِينَ أَفْصَحُ مِنْ جِسْمِي

أَلُوذُ بِصَبْرِي عَائِداً مِنْ جُفُونِهَا
فَيُسْلِمُنِي مِنْ مُقْلَتَيْهَا إِلَى خَصْمِي

وله(٢) :

عُيُونَ المَهَا مَالِي بِسِحْرِكِ مِنْ يَدٍ
وَلاَ فِي فُؤَادِي مَوْضِعٌ لِلتَّجَلُّدِ

تَأَمَّلْ جَبِيناً وَاضِحاً تَحْتَ طُرَّةٍ
تَرَ الصُّبْحَ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدِ

سَرَى القَلْبُ مِنْهُ بَيْنَ نُورٍ وَظُلْمَةٍ
فَمِنْ أَجْلِ ذَا أَنِّي أَضِلُّ وَأَهْتَدِي

وله(٣) :

كَمْ بَيْنَ أَظْعَانِ الخَلِيطِ الزَّائِلِ
مِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَجِسْمٍ نَاحِلِ

---

(١) هكذا في الأصل وفي الديوان المنشور « ألم تخف ألا تعود » ... وما أثبتناه أضبط والأبيات فيه متتابعة في القصيدة . الديوان ج ١/٢٣٦ تحقيق أنيس المقدسي طبع الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٣٨ .

(٢) الديوان ج ١/١٢٠ ، وبين البيتين الأول والثاني بضعة أبيات والثالث يتبع الثاني في القصيدة .

(٣) الديوان ج ١/٨٣ والبيتان الأول والثاني متتاليان والثالث بعدهما بأربعة أبيات ولا يرد البيت الرابع في القصيدة ، وهو في المدح .

وَمُتَيَّمٍ رَحَلَتْ حُشَاشَةُ قَلْبِهِ
وأقَامَ فاعْجَبْ لِلْمُقِيمِ الرَّاحِلِ

الفاتكاتُ وإنَّ مِنْ عجَبِ الهَوَى
جزَعَ القَتِيلِ بِهَا وأمنَ القَاتِلِ

فضَحَ الغَمَامَ نوالُه أوَمَا تَرَى
ضَحِكَ البُرُوقِ على الغَمَامِ الهَاطِلِ

ولهُ(١) :

ولوْ لَمْ تكُنْ سِحْراً سُيوفُ جُفُونِه
لمَا جَرَّحَتْ قَلْبِي وفي خدِّهَا دَمُ

وأعْجَبُ من ذَا أنَّ مِرْآةَ وجْهِهِ
اقابلها أبكي دما وهي تبسم

وله(٢) :

يا ساكِني قَلْبِي الكَئِيب وبينَهُم
إِلفُ الدِّيارِ وحُرْمَةُ الجيرانِ

خرَّبْتُم ربْعَ السُّلُوِّ بجَوْرِكُمْ
وعِمَارَةُ الأَوْطَانِ بالسُّكَّانِ

(١) من مقطوعة ثلاثة أبيات بديوانه ج١/٤، ورواية الأول « وفي خده الدم ». والثاني « وأعجب منها . . . »

(٢) الديوان ١/٢٠٩، وروايته « . . . فيهم و . . . . وصحبة الجيران » . وفي البيت الأول والبيت الثاني : خربتم ربع العلو بجوركم .

نهبت منام العاشقين جفونه
فلذاك ليس يزال كالوسنان

وله(١) :

ظبي وما للظبي سحر جفونه
غصن وما للغصن لين قوامه

كالمسك نشراً والسلاف مذاقة
والقول قول أراكه وبشامه

وكأنما جمع الزمان فطرسه
كصباحه ومداده كظلامه

أضحت أقاليم البلاد جميعها
تخشى مضاء السمر من أقلامه

وله(٢) :

راح يستمطر الدموع الغزارا
حين جاز الوادي فآنس نارا

وطلال أبانهن الأثيفا
ت وتلك الكواعب الأبكارا

أشبه البدر في السرى فلهذا
أنجد الليل حين زار [illegible]

(١) الديوان ص ٢١٧ . والبيتان الثالث والرابع ليسا في القلائد وهما في الذخيرة [illegible]

(٢) الديوان ١/٦٧ والأبيات في [illegible]

كلّما بِنتُ عنه أدناهُ فِكري
ومطايا الأفكارِ تُدني المزارا

وله(١) :

أُصانعُ فيها الصبرَ لو أستطيعُه
وأنشُد عنها سلوةً لو أُصيبُها
وإنّي لأستهدي شذَى نفحاتِها
وما شبَّ نارَ الوجدِ إلا هبوبُها
فسَلْ إن جهلتَ الحبَّ عن ولهي بها
تُجِبكَ بعلمٍ أضلُعي ولهيبُها

وله(٢) :

غصونُ الحِمى شفَّ المعنّى قدودُها
فهلْ لأحاديثِ الغضا مَنْ يُعيدُها
فإنّ أحاديثَ النسيمِ ضعيفةٌ
وإنْ صحَّ عنْ بانِ الكثيبِ ورودُها
يُجدِّدُ سُقمي ما عفَا مِنْ طلولِها
وأحسنُ أثوابِ السقامِ جديدُها
إذا الحبُّ لمْ يَشفعْ بسقْمٍ وأدمُعٍ
فهاتيكَ دعوى لا يزكّي شهودُها

---

(١) الديوان ٩/١٦٨، والبيت الأول ثاني بيت في القصيدة، ويأتي الثاني بعد الثالث بعدة أبيات.

(٢) الديوان ٩/٢٧٠، ورواية الثاني : فإن أسانيد الغرام ضعيفة.

لقدْ سَقِمتْ مثلَ الجُسُومِ جفونُها
فلا ولا هُمُومُ السُّقْمِ كُنَّا نَعُودُها

وقد كُنْتُ أبكي للصُّدودِ ولا نَوَى
فكيفَ وهذا نأيُها وصُدُودُها

وله(١) :

وعدُ البخيلةِ بالكَرَى لا يَصْدُقُ
حتَّى يزورَ خَيَالُها أو يَطرُقُ

وَجدَتْ بصُحبتِها الحُلِيُّ صَبابةً
فترَى الوِشَاحَ بِهَا يَهِيمُ ويَقلَقُ

غضبانُ بِتُّ لهجرِه في مأتمٍ
فعلامَ دمعِي بالدِّماءِ يَخلَّقُ

قاضٍ وآياتُ الجمالِ شُهودُه
فالصَّدرُ يحبسُ والمَدامِعُ تُطلِقُ

يَهوَى كما حَكَمَ الهوَى مع بُخلِه
وعلى قساوتِه يحِبُّ ويعشَقُ

وأرى دَليلَ جُنُونِ قلبِي أنَّهُ
بسَلاسِلِ الأصداغِ منهُ مُعَلَّقُ

---

(١) الديوان ١/٩٨ ورواية الأول « وعد النحيلة » وضبطه بالنخيلة أوفق ، ويرد الثالث بعد الثاني جملة أبيات ورواية عجزه « فعلام خدي بالدموع مخلق » . ورواية عجز البيت الرابع « فالقلب يحبس والمدامع تطلق » وعلق مطيب بالطيب ومخلق بالخلوق .

أضحَى الفُؤادُ مكاتِباً لجفُونِهِ(١)
ولكنَّهُ ذِمَّةِ صَبْرِهِ لا يَعتِقُ

والحُسنُ قد وجَبَتْ عليهِ زكاتُهُ
أفلا على ابنِ سَبيلِه يتَصدَّقُ (٢)

وله(٣) :

ولِيَ القُلوبِ فسارَ سِيرةَ ظالِمٍ
فيها وخَطُّ عِذارِهِ التَّقْلِيدُ

مثل هذا للعماد الاصفهانى(٤) :

وكأنَّ قلبَ مُحِبِّهِ إقطاعُه
وكأنَّ خَطَّ عِذارِهِ تَوقيعُهُ

ومثله :

أمَّرُوهُ على المِلاحِ وهذا
شعرُهُ إنْ شَكَكْتُمُ المنشورُ

ولابن الساعاتى(٥) :

أغَارُ مِنَ القُرْطَيْنِ خِيفَةَ حُبِّها
ألسْتَ تَراهُ مِثلَ قلبِي يُعذَّبُ

---

(١) المكاتب : العبد الذى يكتب على نفسه بثمنه ، فيكون المعنى ان الفؤاد عبد لجفونه ولكنه لعدم قيامه بما يتطلب منه العتق لم يعتق .

(٢) رواية العجز فى الأصل (أفلا على ابن السبيل يصدق) .

(٣) الديوان ١/٨٥ .

(٤) عماد الدين الاصبهانى من كتاب الدولة الصلاحية الأيوبية .

(٥) الديوان ١/١١٧ وروايته (ألست تراها) ، وبقية الابيات مشهورة فى القصيدة

وأُنكِرُ مِنْ تِلْكَ الغَدائِرِ أنَّها
مَتَى أُرْسِلَتْ ظَلَّتْ معَ الحِجْلِ تَلْعَبُ

وما لاحَ في الغَرْبِ الهِلالُ وإنَّما
هُوَ البَدْرُ إجْلالاً لها يَتَنَقَّبُ

فَلِلحُزْنِ في الأحْشاءِ جَمْعٌ ولِلهَوَى
حَجِيجٌ وخَدِّي بالدُّموعِ مُخَضَّبُ

وله(١) :

يا بَناتِ الغُصونِ شَتَّانَ ما بَيْنَ
بُكاءٍ عَلى الطُّلُولِ وسَجْعِ

لا دَليلُ السَّقامِ بادٍ عَلَيْكُنَّ
كَجِسْمِي ولا شَهِيدُ الدَّمْعِ

غيرَ قَلْبِي فاخْدَعْهُ بالصَّبْرِ إنْ كا
نَ جَلِيداً واحْتَلْ علَى غيرِ سَمْعِي

مثله :

ولوْ صَدَقَتْ فيمَا تَقُولُ من الأسَى
لمَا لَبِسَتْ طَوْقاً ولا خَضَبَتْ كَفّاً

مثله :

خَضَبَتْ كَفَّها وطَوَّقَتِ الجِيدَ
وغَنَّتْ وما الحزينُ كذلِكْ

(١) الديوان ١/٨١٤ ، والبيت الأول هنا هو الثالث في القصيدة .

ولابنِ السَّاعَاتِي(١) :

عَلِقْتُ تُرْكِيَّ المُنَـــا
سِبِ خَاطِرِي فِيهِ تَبَلُّدْ

مُتَأَوِّداً والغُصْنُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ
إذَا تَــــــــــأَوَّدْ

مَا كَانَ جِسْمِي ذَائِباً
لَو أَنَّ لِي قَلْباً تَجَلَّـدْ

ولـه(٢) :

شَكَوْتُ إِلَى خَدَّيْهِ فِعْلَ لِحَاظِهِ
وقد فَوَّقَتْ نَحْوِي سِهَامُ جُفُونِهِ

فقَالَ كَذَا الوَرْدُ الجَنِيُّ بِدَوْحِهِ
يُمَانِعُ عَنْهُ شَوْكُهُ فِي غُصُونِهِ

وقال التلعفرى فى الغزل(٣) :

مَا كُنتُ أَوَّلَ مُغْرَمٍ مَغْرُورِ
يَا عَيْنُ عَنْ سِحْرِ اللِّحَاظِ غَرِيرِ

يَفْتَرُّ مُبْتَسِماً وَيَبْكِي فَاعْتَجِبْ
لِلُّؤْلُؤِ المَنْظُومِ وَالمَنْثُورِ

---

(١) الديوان ٢/٤٩ .

(٢) ديوان ابن الساعاتى .

(٣) الكشكول ١/٤٣٩ .

الثغرُ منه وخدُّهُ وجبينُه
النُّورِ بل النارِ بل النُّورِ

أغنته عن حملِ السلاحِ لواحظٌ
طبعَ الفتورَ بها سيوفُ فتورِ

لم ينتصرْ وهوَ المحاربُ دهرَهُ
إلاّ بذابلِ جفنِهِ المكسورِ

لم أدرِ مِمّ يطيبُ لي طيبُ الشذا
فأميلُ ميلَ المنتشي المسرورِ

من خدِّه الورديِّ أمْ مِنْ خالِه
النَّدِّيِّ أمْ مِنْ ثغرِهِ الكافوريِّ

يابرقُ حُلْ مابرقَ الحنانُ بكتْبِه
وتعرَّ يا جيبَ الحيا المزرورِ

واعدْ جمانَ الطلِّ وهو منتظمٌ
عقداً لجيدِ البانةِ الممطورِ

وإذا الثنيةُ أشرقت وشممتِ من
أرجائها أرجاً كنشرِ عبيرِ

سلْ هضبَها المنصوبَ أينَ حديثُها
المرفوعُ عن ذيلِ الصَّبا المجرورِ

وله :

يا نقيَّ الخدِّ الذي لمْ يزلْ
فيهِ اجتماعٌ مِن بجُمْرةٍ وبياضِ

لكَ وعدُ مُستقبلٍ حالَ قصراً
دونه سيفُ مُقلتيك الماضي

وله :

أرأيتَ أيَّ أكلَّةٍ وخدورِ
أسبلنَ فوقَ أهلّةٍ وبدورِ
وركائبٍ حملت ذواتَ ذوائبٍ
سوداً كأنَّ عيونهنَّ بيضَ نحورِ
سمرِ القدودِ نهبنَ أعطافَ القنا
حمرِ الخدودِ سلبنَ حسنَ الحورِ

وله :

هذي يدي إنْ الكواعبَ لا تَدي
فتهتدي إنْ كنتَ ممَّنْ يهتدي
شفقيُّ خدٍّ أحمرٍ صبحيُّ ثغرٍ أبيضٍ
ليليُّ خالٍ أسودِ
قالتْ لنارِ صبابتي وجنانُه
لكَ أسوتي لا تخمدي وتوقدي

وله :

سَلْ البرقَ عنْ أسماءَ لمَّا استقلّت
تُرى أيَّ دارٍ بعدنا تيممَّت حلَّتِ

بَكَيْتُ فَحرَّمْتُ المِيَاهَ وُرُودَها
ولَوْ لَمْ تُحرِّمْها دُمُوعِي لَحَلَّتِ

أما ولَيَالٍ سَالِفَاتٍ مِن الصِّبَا
تَقَضَّت وأيَّامٍ قِصَارٍ تَولَّت

لقَدْ أخذتْني حيرةٌ يومَ قدَّمت
لتَشْتِيت جمْع الشَّمل كلَّ شِمِلَّةٍ

ولمْ أتحقَّقْ هل قِبابُ أكِلَّةٍ
تُقِل المَطَايا أمْ بُدورُ أهِلَّةٍ

ولابن الساعاتي على الوزن والقافية(١) :

درَتْ أنَّها شمسُ الضُّحى فتجلَّتِ
وأنَّ مُنَايَ وصلُها فتجنَّتِ

أبى عِطْفُها أنْ ينْثَني لِمُتيَّمٍ
وهزَّ الصِّبا أعطافَها فتثَنَّتِ

زعَمُوا عن فُؤادِي سهْمَ طَرْفٍ فطالما
رُمِيتُ فأصْمَى مُقْلَتي لحظُ مُقْلَةٍ (٢)

لقد شفَّني حب التي سفكت دمي
ولولا الهوى ما شفَّني حبي التي

كَسَتْنِي وجْنتي ثوبَ الدموع ملونا
وجسمي في ثوب من السُّقم مصمتا

---

(١) ديوان ابن الساعاتي ١/٩٢ .

(٢) رواية في الديوان :

زعموا من فؤادي سهم طرف فطالما ... رميت فأصمى مهجتي سهم مقلتي

ولوجيه الدين المناوى فى الغزل معان مليحة منها :

واغَنَّ مَعْسُولِ اللَّمَى مِسْكِيِّه
يهْدِيكَ بَارِقَ ثغْرِهْ المُتَأَلِّقِ
لم لا أُحِجُّ عواذِلى فيه وقد
أصبَحْتُ مشغولاً بحلِّ المَنْطِقِ

ولهُ أيضاً :

برُوحىَ مَحْبُودُ الجَمَالِ فمَالَهُ
نَظيرٌ ولاَ فِى حُبِّه لِىَ لائِمُ
تَثَنَّى فمَاتَ الغُصْن مِنْ حَسدٍ لَهُ
ألَمْ تَرَهُ نَاحَتْ عليهِ الحَمَائِمُ

وله أيضاً :

عَتِبَ الحَبِيبُ علىَّ ظَنًّا أنَّنِى
أخبرتُ أنَّ الرِّيقَ مِنْه مُدَامُ
لم لايُلامُ حَقِيقَةً مسواكُه الـ
ـوَاشِى بـهِ وعِـذارُهُ النَّمَامُ

ولابن الحلاوى فى الغَزَل قصيدتُه المشهورة :

حَكَاهُ مِن الغُصْنِ الرَّطِيبِ وريقُهُ
وما الخَمرُ إلا وجْنَتَاهُ وريقُه
هِلالٌ ولكنْ أُفْقُ قَلْبِى مَحَلُّهُ
غزَالٌ ولكِنْ سَفْحُ عَيْنِى عَقِيقُهُ

واسمرُ يحكي الأسمرَ اللدنَ قدّهُ
غدا راشقاً قلبَ المحبِّ رشيقهُ

على خدّه جمرٌ من الحسنِ مضرمٌ
يشبُّ ولكن في فؤادي حريقُـه

أقرَّ لهُ من كلِّ حسنٍ جليلهُ
ووافقهُ من كلِّ معنىً دقيقهُ

بديعُ التثنّي راحَ قلبي أسيرهُ
على أنّ دمعي في الغرامِ طليقهُ

على سالفيهِ للعذارِ جديدهُ
وفي شفتيهِ للسلافِ عتيقهُ

من التركِ لا يُصبيهِ وجدٌ إلى الحمى
ولا ذكرُ بانات الغويرِ تشوقهُ

لهُ مبسمٌ يُنسي المُدامَ بريقهُ
ويُخجلُ نوّارَ الأقاحي بريقهُ

تداويتُ من حرِّ الغرامِ ببردِهِ
فأضرمَ من ذاكَ الحريقِ رحيقهُ

إذا خفقَ البرقُ اليمانيُّ موهناً
تذكّرتهُ فاعتادَ قلبي خفوقهُ

حكى وجههُ بدرَ السماءِ فلو بدا
[illegible] معَ البدرِ قالَ الناسُ هذا شقيقهُ

وأشبَه زَهْرَ الرَّوضِ حُسْناً وقدْ بَدَا
علَى عَارِضَيْهِ آسُهُ وشَقِيقُهُ
فما فَازَ إلاّ مِنْ مبيتٍ صَبُوحُه
شَرابُ ثنَايَاه ومِنْها غبُوقُـه
أرَى النَّاس أضحَوْا جَاهِلِينَ لِوُدِّهِ
فما بَالُه عَنْ كُلِّ صَبٍّ يعُوقُهُ

ولجمَال الدين بن مطرُوح :

لمَّـا طَرقْـتُ خِبَاءَهَـا من قومِها مُتَكَتِّمَا
فوَقفْتُ وقْفَةَ خَائِفٍ أبْتغِي الأمانَ فعِنْدمَا
قالَتْ: عَلَيْكَ ولا تَخَفْ مَنْ أَسْرَى مَطَرَ السَّمَا
قُلْتُ: القِرىَ. قَالَتَ: ابَحتُكَ كُلَّ ما يَحْوِي الحِمَى
قُلْتُ: اللَّمَى فِيمَا سَمحْتِ بِهِ فقَالَتْ: واللَّمَى

وله :

عانَقْتُه فسَكِرْتُ من طِيبِ الشَّذَا
غُصُناً رَطِيباً بالنَّسِيم قدْ اغْتَذَى
وسكرانَ ما شَرِبَ المُدَامَ وإنَّمَا
أضحَى بِخَمْرِ رُضابِه مُتَنَبِّذَا
يا نَاظِرِي أمَّا وقدْ عايَنْتَه
والله لا رمَداً تخَافُ ولا قَذَا
لا انْثنِي لا ارْعَوِي ، لا انْثنِي
عَنْ حُبِّهِ فلْيَهْذِ فِيهِ مَنْ هَذَى

والله لا خَطَرَ السُّلُوُّ بِخَاطِرِى
ما دُمْتُ فى قَيْدِ الحَيَاةِ ولا إِذَا

إنْ عِشْتُ عِشْتُ علَى هَوَاهُ وإنْ أَمُتْ
وجْداً بهِ وصَبَابَةً يا حَبَّذَا

وقال العفيف التلمسانى* فى الغزل :

فيا عجبا والقَلْبُ بيتٌ مقدَّسٌ
بهِ حُسْنُكَ الأَقْصَى وما فيه سُلْوَانُ

وله أيضاً :

يشكو إلى أردافِه خَصْرُهُ
لو تَسْمَعُ الأَمْوَاجُ شَكْوَى الغَرِيقْ

ولابن الفارض** :

ولم أنس وقدْ بِتْنَا معاً فى بُرْدِ
قد لاصَقَ خَدُّهُ اعتناقاً خَدِّى(١)

وحَشَى رَشَحَتْ من عَرَقٍ وجْنَتُهُ
لا زَالَ يُصِيبِنى مِنْهُ ماءُ الوَرْدِ

---

* عفيف الدين التلمسانى الشاعر الصوفى ، سليمان بن على المتوفى سنة ٦٩٠ هـ . راجع ترجمته فى البداية والنهاية لابن كثير ٣٢٦/١٣ ، وفوات الوفيات ٣٦٣/١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٤١٢/٥ ، والادب فى العصر المملوكى الجزء الاول للدكتور محمد زغلول سلام .

** ابن الفارض عمر بن ابى الحسن على بن رشد ولد سنة ٥٧٦ هـ وتوفى سنة ٦٣٢هـ من كبار شعراء الصوفية المصريين ، لقب بسلطان العاشقين لشعره الوجدانى فى الحب الالهى . وديوانه مطبوع اكثر من مرة . وراجع الأدب فى العصر الأيوبى للدكتور محمد زغلول سلام ،

(١) ديوانه طبع المطبعة الحسينية ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م ص ١٠٧ .

ولابن الخيمي* في الغزل :

كأنَّ الشعرَ يطلبُني بدَيْنٍ
فكمْ يجفُو عليَّ ويستطيلُ

ولابن عربي يتغزّلُ في حجّام(١):

كدّرْتَ بالشرطِ الوصالَ فقالَ لي
أوَما علمتَ بأنَّ شرطيَ مؤلمُ

وله :

حبيبي أزِلْ هذا الغبارَ الّذي أرَى
فقالَ جمالي ما عليْهِ غبارُ

مثله :

رأيتُه مثلَ قضيبِ البانِ معتدلاً
والورْقُ ما برحتْ تصبُو إلى البانِ

وللبهاءِ زُهَيرْ في هذا المعنى :

يا ألِفاً مِنْ قدِّه أقبلتْ
باللهِ كوني ألِفَ الوصْلِ

وللمرحوم وجيه الدين المناوي :

غلبَ العواذِلُ منهُ طُولُ قوامِه
فأجبتُهم هــذا المليحُ الطائلُ

---

* الخيمي محمد بن عبد المنعم شاعر مصري سوقي مشهور من شعراء القرن السابع. راجع الأدب في العصر المملوكي ج ١ للدكتور محمد زغلول سلام .

(١) المستطرف ٢/٢٢٥ .

ولابن عربي أيضاً في الغزل :

حكم الحسن أن مالك ثاني
مذ ترديت ثوبك القاضياني

قد روينا أن القضاة بعدن
واحد ، والجحيم فيه اثنان

ففؤادي في النار قاض وفي جنـ
ـة عدن من جسمك القاضيان

وله في غلام خياط :

كلفت بخياط بديع جماله
له بهجة أبهى ضياء من الشمس

تراه على الكرسي للثوب خائطاً
فتشهد حقاً أنه آية الكرسي

وله في غلام سأله عن لفظة لغوية :

تسائلني عن لفظة لغوية
فأجبت مبتدئاً من غير تفكير

خاطبتني متبسماً فقرأتها
من تكلم تخبرك في صحاح الجوهري

وله في غلام نحوي :

لي حبيب بالنحو أصبح مغرى
فهو مني بما أعانيه أدرى

قلتُ ماذا تقُولُ حِينَ تُنَادِي
يا حَبيبي المضَافَ نحوَكَ جَهرًا
قالَ لي يا غَلامِ أو يا غُلامِي
قُلتُ لبَّيكَ ثمَّ لبَّيكَ عَشرًا

وفى المعنى أيضاً :

وأهيف أظهـر لى نحوُه — محاسناً دَلَّت على ظَرفِه
علامةُ التأنيثِ فى لفظه — وأحْرُفُ العِلَّةِ فِى طَرْفِه

وله فى مؤذن(١) :

كيف يُعشقى لما أقُولُ حبيبٌ
واضـعٌ اصبَعيْهِ فى أذُنَيْهِ

وقال ابن زيدون فى غلام يريد السفره :

ودَّعَ الصبْرَ مُحِبٌّ ودَّعَكْ
ذائِعٌ مِنْ سِرِّهِ ما استَوْدَعَكْ(٢)
يقرعُ السِّنَّ على أنْ لمْ يَكُنْ
زادَ فى تِلكَ الخُطَى إذْ شيَّعَكْ
يـا أخَا البَدْرِ سَنَاءً وسَنًا
حَفِظَ اللهُ زمَانًا أطلَعَكْ

---

(١) المستطرف ٢/٢٢٥ وينسبه الابشيهى لابن عربى ويسبقه بيت آخر.

* ابن زيدون . أبو الوليد الشاعر الاندلسى المشهور

(٢) ديوانه .

إن يَطُلْ بعدَكَ ليلِى فلكَمْ
بتُّ أشكُو قِصَرَ الليْلِ معَكْ

وقال سيف الدين المُشِدُّ* فى غُلام يَلْعَبُ الشِّطْرَنج(١) :

لعبت الشطرنج مع أهيفٍ ... ملاحة الاغصان من قده

أحلُّ عقد البند من خصره ... وألثم الشاهاتِ من خَدِّه

وله فى غلام يلعب بالجارح :

هيهات أن أُفلت من قانصٍ ... يصيد بالجارح والجارحة

لزين الدين بن عبيد الله رحمه الله فى غلام يلعب بالبندق :

كم توعد بالوصل ولا تفى به
والصدق من شرط رماة البندق(٢) :

وله فى غلام يرمى فى برجاس البندق(٣) :

وأهيف القد ذى هلال ... طائر قلبى عليه واجب

كالشمس فى كفه هلاله ... يرمى إلى البدر بالكواكب

للملك الأمجد صاحب بعلبك فى غلام مولع بقطع غصون البان :

مَنْ لِي بأهْيَفَ قالَ حِينَ عَتِبْتُه
فى قطعِ كُلِّ قضيبِ بانٍ رائقٍ

---

* سيف الدين المشد ، على بن قزل شاعر شامى من القرن السابع الهجرى (٦٠٢ ـ ٦٥٥ هـ) . جاء الى مصر واتصل بشعرائها وأدبائها ، وشعره على طريقة شعراء مصر المماليك ، يغلب عليه البديع ، وخاصة الجناس والتورية .

(١) المستطرف ٢/٢٢٧ .

(٢) من ألعاب الفروسية فى العصر المملوكى .

(٣) المستطرف ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

سَرِقَتْ غُصُونُ البَانِ لِينَ مَعَاطِفِى
فَقَطَعْتُهَا والقَطْعُ حَدُّ السَّارِقِ

وقيل فى غُلامٍ سقطتْ عليهِ حمامةٌ :

لا يعجب النَاس للورقاءِ إذ سقطتْ
على غُلامٍ بَديعِ القَدِّ فتَّانِ
رأته مِثلَ قضيبِ البَانِ مُعتَدِلاً
والوُرْقُ ما بَرِحتْ تصبُو إلى البَانِ

وقيلَ فى قاضٍ :

كَلَفِى بقَاضٍ قدْ شُغِفتُ بِحُبِّهِ
فالجِسمُ فِيهِ معذَّبٌ والرُّوحُ
كم قُلتُ جَفنى فى المحبَّةِ شَاهِدِى
فيقُولُ هذَا شاهِدٌ مجروحُ
عجباً لهُ قاضٍ يُحَكِّمُ بالهَوَى
وبغيْرِ سِكِّينٍ أنا المذْبُوحُ

وقيلَ فى غلام كحَّال :

إنَّ هــذا الكحَّالَ يتَّمَ قلْبِى
بِمُحَيَّا طَلْقٍ وطَرفٍ كَحِيلِ
كيفَ لِى حيلةٌ إلى لَثْمِ خَدَّيْهِ
وَبَيْنِى وبينَهُ قدرُ مِيلِ

وقيل فى غُلام عَنبَرِىٍّ :

تحكّم فى الألباب حتّى رأيته
يُنَظّم حبّاتِ القلوبِ قلائدا

وقيل فى غُلام يَمُدُّ الشّريط :

بى رشأٌ كالبدرِ والظّبى بَهجةً
وجيداً بقلبى نارُه وهو جَنّتى

مُنَعَّمُ خدِّهِ كاللُّجَيْنِ بياضُه
يمُدُّ نضاراً كاصفِرارى ورِقّتى

وقيل فى غُلام نَصرانِىٍّ :

يصبُو الحَبابُ إلى تقبيل مَبسمِه
ويكتَسى الرّاح من خَدّيهِ أنواراً

من أجله أصبحَ الراوُوقُ مُنعكِفاً
على الصّليبِ وشدَّ الكأسُ زُنّاراً

فى غلام يهودى :

مِن آلِ إسرائيل عُلّقتُهُ ... أسقمنى بالصّدّ والتِّيهِ
قدْ أنزلَ السّلْوى علَى قلبه ... وأنزلَ المَنَّ علَى فِيهِ

لأبى عَبدالله بنِ صغير القَيْسَرانى فى مُقتَنٍ[1] :

تالله لو أنصفتْ الفِتيانُ أنفُسَهُمْ
أعطَوكَ ما ادّخَرُوا مِنها وما صَانوا

---

(١) القيسرانى أبو عبدالله شرف الدين محمد بن نصر بن صغير ، ولد بمدينة عكا سنة [illegible] وبعد استيلاء الصليبيين عليها ظعن الى حلب ودمشق مدح كثيراً من أمراء —

ما أنتَ حينَ تُغنّى فى مجالسِهم
إلاّ نَسيم الصَّبا والقَومُ أغصانُ

ما قِيلَ فى دكّانِ يَدُكَ الفَنانِى :

ويُبدِى بما تُخفيه عَنها عجائباً
فيالَكَ زُوراً يغلِبُ الحَقَّ باطِلُهُ

الإسعرْدِى فى غُلامٍ حَرّاث(١) :

يا حارِثاً يرْوِى مقاماتِ الهوى
عن طَرْفِهِ الفتّانِ غير مُحَوّلَهْ
أضحَى يشُقُّ لحُودَ من قتَلَ الهوى
فى حَرْثِه ليست خطوطاً مُهْمَلَهْ
رُوحى الفِداءُ لبدرِ تمٍّ شائقٍ
للثَّوْرِ ليسَ يرُومُ غيرَ السُّنبُلَهْ

للوجيه المَناوِى فى جَمْرِىٍّ :

سَمَّوهُ جَمْرِيّاً وما أنصَفُوا ... مافِيه جمرِىَ سِوَى خَدِّهِ

= الشام فى عصره واتصل بعماد الدين زنكى ونور الدين محمود وتوفى سنة ٥٤٨ هـ. واجع فى ترجمته : خريدة القصر قسم شعراء الشام للعماد الاصفهانى ١/٩٩، وكتاب الروضتين لابى شامة ووفيات الأعيان لابن خلكان . والأدب فى عصر صلاح الدين الأيوبى للدكتور محمد زغلول سلام ص ٢٨٨ .

(١) الاسعردى . نور الدين أبو بكر محمد بن محمد بن عبد العزيز . ولد سنة ٦١٩ هـ ونادم الملك الناصر الأيوبى صاحب حلب واختص به . غلب على شعره العبث والمجون . أفرد من خمرياته وغزلياته ديواناً خاصاً أسماه « سلافة الزرجون فى الخلاعة والمجون » توفى سنة ٦٥٩ هـ .

ولهُ في غُلامٍ مُكارٍي :

عُلِّقْتُــه مُكارِياً | شَرِدٌ عن عَيْني الكَرى
قد أشبه البدرَ فما | يَمَلُّ من طُولِ السُّرَى

مثله في غُلامٍ مُحَدِّث :

احبَبْتُه مُحَــدِّثاً | شَرَّد عنْ عَيْنِي الوَسَنْ
حَديثُه ووجْهُـــهُ | كِلاهُمَا عِنْدِي حسنْ

في مهندس :

مُحيطٌ بأشكَالِ المَلاحَةِ وجْهُهُ
كأنَّ به إقْليدِسَا يتَحدَّثُ
فعارِضُه خَطُّ استِواءٍ وخَالُهُ
بهِ نُقْطَةٌ والشَّكْلُ شَكْلٌ مُثَلَّثُ

في غلامٍ اسمُه بدرٌ :

يا بدرُ أهلُكَ جارُوا | وعلَّمُوكَ التجرِّي
وقبَّحُوا لكَ وصْلِي | وحسَّنُوا لكَ هَجْري
فليفعَلُوا كيفَ شاؤُا | فإنَّهُم أهلُ بَدْرِ

واحسَنُ ما قيلَ في الغَزَلِ في بابِ التَّشْبيه :

سَفَرْنَ بُدُوراً وانتَقَبْنَ أهِلَّةً
ومِسْنَ غُصُوناً والتَفَتْنَ جآذِرَا

مثله فى التقسيم :

بدتْ قمراً وآدتْ خُوطَ بَانٍ
وفَاحتْ عَنبَراً ورنَتْ غزالا

مثله :

رنتْ غزالاً وفَاحتْ عنبَراً وبَدَتْ
شَمْساً وماجَتْ غَدِيراً وانثَنَتْ غُصُنَا

ومن الغَزَلِ قولُ الشّاعِرِ :

رأتنِى وقَدْ شَبْهتَ بالوَرْدِ خَدّهَا
فتَاهَتْ وقَالتْ : قاسَ خَدّىَ بالوَرْدِ

كَما قَالَ إنّ الأُقحُوانَ كَمَبسَمِى
وإنّ قَضِيبَ البان يُشبِهُهُ قَدّى

وحَقِ صَفا ماءِ الشّبَابِ بوَجنَتِى
وحَقّ الجَبِين الصّلْتِ والفَاحِم الجَعْدِ

لئِنْ عادَ للتشْبِيه يوماً حَرَمْتُهُ
لَذِيذَ الكرى لا بلْ اذوّقُه فَقْدى

إذاً كانَ هذَا فى البسَاتينِ عندَهُ
فقولُوا لَهُ لِمَ جَاءَ يطْلُبُه عِنْدِى

مثله فى المعنى :

وقائِلةٍ لى حينَ شَبّهتُ وجْهَهَا
ببَدْرِ الدّجَى يوْماً وقَدْ ضَاقَ مَنهَجِى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ البَدْرَ عِنْدَ كَمَالِهِ
إِذَا قِيسَ بِالتَّشْبِيهِ كَانَ كَدُمْلُجِي

لأبي الوَلِيدِ في الغَزَل :

دعوا سُؤَالِى فَحَدِيثِى يَطُولْ
اسْكَتَنِى الوَجْدُ فَمَاذَا أَقُولْ ؟

أَرْسَلْتُ دَمْعِى فَوَشَى بِالَّذِى
أُخْفِيهِ مَا أَخْوَنَ هَذَا الرَّسُولْ

والغَزِّيّ في الغزل(١) :

بِجَمْعِ جَفْنَيْكِ بَيْنَ البُرْءِ والسَّقَمِ
لاتَسْفِكِي مِن جُفُونِي بِالفِرَاقِ دَمِي

منها :

حَتَّى إِذَا طَاحَ عَنْهَا المِرْطُ مِنْ دَهَشٍ
وانْحَلَّ بِالضَّمِّ سِلْكُ العِقْدِ فِي الظُّلَمِ

تَبَسَّمَتْ فَأَضَاءَ الجَوُّ فَالْتَقَطَتْ
حَبَّاتِ مُنْتَثِرٍ فِي ضَوْءِ مُنْتَظِمِ

والقاضي الأَرَّجَانِيّ في الغَزَل(٢) :

حيث انتهيتَ مِنَ الهِجْرانِ بِي فَقِفِ
ومن وَرَاءِ دَمِي سُمْرُ القَنَا فَخَفِ(٣)

---

(١) هو ابراهيم بن عثمان — ومضت ترجمته ، وقد أورد النواجي الأبيات في « تأهيل الغريب » ورقة ٢٩٨ .

(٢) القاضي الارجاني (مضت ترجمته) .

(٣) الأبيات في تأهيل الغريب للنواجي مخطوطة أحمد الثالث ورقة ١٨٧ .

يا عَابِثاً بعهدَ آت الوَصْلِ تُخْلِفُها
حَتَّى إذَا جَاءَ مِيعَادُ الفِرَاقِ تَفِى

اعْدِل كفَائِىَ قدّ مِنكَ مُعْتَدِلٌ
واعْطِفْ كمَائِل صُدغ مِنكَ مُنعَطِفِ

ويا عَذُولِى ومَنْ يُصْغِى إلى عذَلِى
إذَا رنَا أحْوَرُ العَيْنَيْن ذُو هَيَفِ

تَلُومُ قَلْبِىَ أنْ أشقاهُ نَاظِرُهُ
فما اعْتِرَاضُكَ بينَ السُّقْمِ والهَيَفِ

لَيسَتْ دمُوعِى لنَارِ الشَّوْقِ مُطْفِئةً
فكيفَ والمَاءُ بَادٍ والحرِيقُ خَفِى

وله :

قد صَوَّرَ الدَّهرُ فى عَيْنِى مِثَالَكُمْ
مِنْ طُول ما أنَا بالذِّكرَى أُعَانِيه

فكُلُّ نَاظِرِ إِنسَانٍ أقَابِلُه
أرَى خَيالَكُمْ مِنْ نَاظِرِى فِيه

ولهُ :

تأمّلْ منه تحتَ الصُّدغِ خَالاً
لِتَعْلم كمْ خَبايا فى الزَّوَايَا

ولا تَلُمِ المُتَيَّمَ فى هَوَاهُ
فعذْلُ العَاشِقِين من الخَطَايَا

واَشيبُ سائِرى أن رَقَ قلبى
وفى ضعفِ المُلوك أذى الرَعايَا

ولنجم الدِّينِ القُوصى:

قل يا رَسُول وما عليكَ ملامُ
بَلَغَ الوُشاةُ بسعيهم ما رَامُوا

اليوم يُستحلى البكاءَ ويُشتهى
فَيضُ الدُموعِ وتَعذُبُ الآلامُ

وله أيضاً:

تُعاتِبُنِى وتَنهى عن أمورٍ
لعَلَّ النّاسَ أنْ ينهوكَ عنها

أتقدر أنَ تكون كمِثل عَينى
وحقّك ما عَلىَّ أضرُّ مِنها

ولهُ:

وتا الله لو خانتهُ عَينى بِلحظةٍ
تُنافِى رضَاهُ ما أدَرْت بِها لحظَا

ولو خانهُ كفّى ابتُ بنانهَا
وحدّ لِسانِى ما نطقتُ به لفظَا

له:

ومُعتنِقٍ قال الإلهُ لِحُسنِهِ
[illegible] كنْ مجمعاً الطيّباتِ فكانهُ

زعَم البنفسَجُ أنه كعِذاره
حُسناً فسَلُّوا مِنْ قفاهُ لِسانَهُ

وله :

أنفاسُها دُخانُ نـدٍّ خالِها
وريقُها من مـاء وردْ خدِّهَا
لو كتبَ البدر إلى مجلِسها
مُلتطفاً ترجمَهَ بِعَبدِهـا

لأحمَدَ المِصْرى :

يا عاذِلى قُلْ إذا بـ	ـدَا كيفَ أسْلُو
يَمُرُّ بِى كُلَّ وقتٍ	وكُلَّ مامَرَّ يحلُو

ولبعضهم فى الوداع :

لما اعتنقنا الوَدَاع وأعربَتْ
عبراتُنا عنَّا بدَمعٍ ناطِقٍ
فرَّقنَ بينَ محاجرٍ ومعَاجرٍ
وجمَعْنَ بَيْنَ بنفسَجٍ وشقائِقٍ

للأرَّجانِى فى المعنَى :

ولما اعتنَقْنَا للوداع ودمعُها
ودَمعِي يشانِ الصَّبابَة والوجْدَا
بكتْ لؤلؤاً رطباً ففاضتْ مدامِعى
عقيقاً فصَار الكلُّ فى نحرِها عِقْدَا

ولبعضهم فيمَنْ ركِبَ البَحْرَ :

ولمّا امتَطى البَحْرَ ابتَهلْتُ تضرُّعاً
إلى الله يا مُجْرى الرِّياحَ بِلُطْفِه
جعلْتَ النَّدى من كفِّهِ مثلَ موْجِهِ
فسَلِّمهُ واجْعَلْ موجَهُ مِثْلَ كفِّهِ

لعليُّ بنِ جبَلَة* الشّاعر :

بأبِي من زارَني متكتِّماً	خائِفاً من كل شيء جَزِعَا
زائرٌ نمَّ عليْهِ حسْنُه	كيف يُخفِي الليلُ بَدْراً طلعا
ارصدَ الغفلةَ حتى أمكنت	ورعى السامِرَ حتى هجعا
ركب الاهوال فى زَوْرَتِهِ	ثم ما سَلَّمَ حتى ودعا

وفى المعنى أيضاً :

اذا رأيت الوداع فاصبر	ولا يُهِمَّنْكَ البِعَادُ
وانتظر العود عن قريب	فان قلب الوداع عادوا

ولبعضهم فى اللقاء :

ولما تلاقينا رأيت بنانها	مُخَضَّبةً تحكى عصارة عندم
فَقُلْتُ خضبت الكف بعدى هكذا	يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت والقت فى الحشا لاعج الهوَى	مقالة من بالود لم يتبرم
بكيتُ دما يوم النوى فمسحته	بِكفِّيَ فاحمرت بنانى من دمى

---

* على بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن : ترجمة رقم ٤٨٢ / ٤٣١ وفيات الأعيان لابن خلكان .

لعلى بن الجهم* فى العناق:

سَقَى اللهُ ليلاً ضَمَّنَا بعدَ هَجْعَةٍ
فأدْنَى فؤاداً من فؤادٍ مُعَذَّبِ
فَبِتْنَا جَمِيعاً لو تُراقُ زُجَاجَةٌ
مِنَ المَاءِ فيمَا بينَنَا لمْ تَسرَّبِ

وللأُرَّجَانِي :

غالطَتْنِى إذْ كسَتْ جِسْمِى أسىً
كُسْوةً اعرَتْ من اللَّحْمِ العِظَامَا
ثُمَّ قالتْ أنتَ عِنْدِى فى الهوى
مِثْلُ عَيْنِى. صدَقَتْ لكنْ سقامَا

ولأبِى الحسَنَ علىِّ بنِ طَاهِرِ الخبَّازْ :

تَنَبَّهْ فقدْ نَمَّ النَّسِيمُ على الزَّهْرِ
ودَلَّت أغاريدُ الحَمَامِ علَى الفَجْرِ
إذا ماثُغُورُ الدَّهْرِ يوماً تبسَّمَتْ
إليكَ ببِشْرٍ فانتَهِزْ فرصَةَ البِشْرِ

---

* على بن الجهم بن بدر بن مسعود ، كنانى من خراسان ، عرف بانحرافه عن أهل البيت. وتعرض لهجاء كثير من الشعراء لهذا السبب . وهو مطبوع عذب اللفظ . سهل الكلام مدح المعتصم والواثق ونادم المتوكل ومات سنة ٢٤٩ هـ . راجع معجم الشعراء ص ٢٨٦ . والأبيات ذكرها المرزبانى ثلاثة .

رعى اللهُ أياماً جنينا ثمارها
بأيدي المُنى من بين أوراقها الخُضْرِ
ليالي أعطتنا الخلاعةُ حقّها
نهاراً وغالطنا بها نُوَبَ الدهرِ
خلعنا على اللذّات أردية الهوى
جهاراً وسلّمنا العقولَ إلى الخمرِ

ولعبد المحسن الصوري الشاعر(١) :

أترى بثأرٍ أم بدَيْنِ
عَلِقَتْ محاسنُها بعَيْني
في لحظها وقوامها
ما في المُثقّفِ والرُّدَيْني
وبوجنتيها ماءُ الشّباب
خليطُ نارِ الوجنتين
بكرتْ عليّ وقالت اخـ
ـتر خصلةً من خصلتين
إما الصـدود أو الفرا
ق وليس عندي غيرُ ذين

---

(١) اليتيمة [illegible] الثعالبي ١/٣٥٧

(٥)

(٥٥) عبد المحسن بن محمد الصوري من شعراء اليتيمة . قال عنه الثعالبي : « أحد المحسنين الفضلاء المجيدين : الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام » اليتيمة ١/٥٧ .

فأجبتُها ومدامعي … تنهلُّ مثلَ المزنِ زمينِ

لا تعذلي إنْ كانَ صدُّ … كِ أو فراقكِ خانَ حيني

فكأنما قلتُ انهضي … فمضت مُسارعةً لبيني

ولنجم الدين القمراوي :

قد ملَّ مريضكَ عُوَّدُه … ورثا لأسيرك حسَّدُه

لم يُبقِ جفاكَ سوى نفسٍ … زفراتُ الشوقِ تُصعِّدُه

هاروتُ ينفثُ فنَّ السحرِ … إلى عينيكَ ويسندُه

وإذا أغمضتَ اللحظَ قتلتَ فكيفَ وأنتَ تُجرِّدُه

كم سهَّلَ خدُّكَ وجهَ رضىً والحاجبُ منكَ يُعقِّدُه

ما أشركَ فيكَ القلبُ فلمْ في نارِ الهجرِ تُخلِّدُه

مثل هذا البيت الاخير قول ابن عربي :

وعلامَ قلبي في هواكَ موحِّدٌ

ويظلُّ في نارِ الصدودِ مُخلَّدا

ولعبدِ المُنعم بن الخيمي * في الغزل(١) :

للهِ قومٌ بجرعاءِ الحمى غُيُبُ

جنَوْا عليَّ ولمّا أنْ جنَوْا عتَبوا

---

* عبد المنعم بن عبد المنعم ولد باليمن ونشأ بها وحضر إلى مصر واتصل بجماعة من شعراء الصوفية بها وعلى رأسهم ابن الفارض . قال عنه ابن العماد : « حامل لواء النظم في وقته » ، توفي سنة ٦٨٥ هـ .

راجع ترجمته في : شذرات الذهب ، وفوات الوفيات ٢/٦٥ ، « الأدب في العصر العصر المملوكي ص ٢٣٣/٢٣٤ .

(١) راجع فوات الوفيات ٢/٥٦٧ ، وأصيل الغريب ورقة ٢٦ .

يارِبِّ هُمْ أخذُوا قلبِي فلِمْ سخطُوا
وإنَّهُم غصَبوا عيْشِي فلِمْ غضِبُوا

ولمجْد الدين ابن الظّهير الإربلي:

طَرْفِي وقلبِي ذَا يَسيلُ دماً وذَا
دُونَ الوَرَى أنتَ العَليمُ بقَرْحِهِ

الجزَّار *:

أجفانُه ضَمِنَتْ لِي صدْقَ موْعِدِه
فكيفَ تُوفي ضَماناً وهي تُنكِرُه

وله:

من أعجَب ما رأيت في شَرْح هوَاك
عَيني نظَرَتْ وتأخُذُ القَلبَ بِذَاكْ

ولغيره:

جَنِيُّ وَرْدِ خُدودِ العَاتِب الجانِي
إلى احتِمالِ التَّجنيّ منـه ألجَانِي

له:

أخذْتَ ثأرِي من دَمِي أو مَا تَرى
بخدَّيك من آثَارِهِ نَضحَ عِنْدِمِ

* الجزار: أبو الحسين جمال الدين يحيى بن عبد العظيم، من شعراء المصريين الظرفاء في القرن السابع الهجري، سمي بالجزار لعمله بالجزارة. وأحب الأدب ونظم الشعر الرائق (ولد سنة ٦٠١ وتوفي سنة ٦٧٩ هـ) راجع فوات الوفيات والمغرب لابن سعيد

تحدّث عن بَردِ الثنايا نسيمُها
فيا طِيبَ ما أدّاهُ عنْ ذلك الفمِ

للحُسام الأحدب :

قف بالدِّيار ورَوِّها من أدمُعِي
وأطِلْ وقوفَك في مَعالِمها مَعِي
لابثْ فِي نادِي الهوى شكوى الجوى
واقصصْ أنباءَ الأسى فعسى تعِي
وذرِ الّذين ضَلالةً في ظنِّهمْ
انّ السُّؤالَ سفاهةٌ للأربُعِ
هذى الصَّدا فيها جوابٌ النَّدا
فمَن المجيبُ لذاكَ لو لمْ تسمَعِ
وأعِدْ عليَّ حديثَ نجْدٍ إنّني
لمْ يَحْلُ غيرُ حديثِهمْ في مَسْمَعِي

المواليا* والدوبيت**

ومن جملة ما يلتحق بالغَزَل ما ورَدَ عن البغادِدَة من المَواليّات والدُّوبيت . وهي وإنْ كانتَ ملحُونَةً فإنَّ اللَّحْنَ يُصلحُها ، ويعذبُ ألفاظَها لِجرَيانِها في ألسِنَةِ النَّاسِ على طِباعِهِمْ ومُصطَلحاتِهم في مُفاوضاتِهم . فمِنْ ذَلكِ قولُ بعضِهم :

صِلْ مُدنَفاً يتقلَّى فَوقَ حَرِّ الجَمْرْ
سكرانَ مِنْكَ بكاسِ الهَجْر لا مِنْ خَمْرْ
إنْ كانَ باقوالِ من مَالِى عليهم أمْرْ
جفيتَني فزَيدٌ لا يُؤاخِذْ عَمْرو

وقول الآخر :

هويت أنا مَنْ على خدُّو كَتَبْ لا مَاتْ
ليت الذى قدْ كَتَبْ ذاق الهوَى لامات
عَشرتْ حمَّام عِشقُه ضيّق العَامَاتْ
وكلّ دَسْتَ لعبتُه لى طَلَعْ شامات

---

* المواليا : ويعرف فى اللغة العامية بالموال ، من أنواع النظم الشعبى الذى ساد فى عصور الأيوبيين والمماليك بمصر والشام . وقد نشأ بالعراق قبل ذلك حوالى القرن الخامس الهجرى . راجع الأدب المملوكى ١/٣٢١ .

** الدوبيت أو الرباعى : ضرب من النظم : اشتهر فى بلاد الفرس ، وخاصة بعد القرن الرابع الهجرى ، ونظم فيه جماعة كبار الصوفية الفرس باللغة الفارسية ، وانتقل هذا اللون من النظم إلى الأدب العربى الفصيح ، وصار من أنواع النظم المعروفة ، ودوبيت معناه بيتان . ونقله بعض النظامين إلى الأدب الشعبى وشاع فى كثير من البلاد العربية .

وقول الآخر :

أبكى فلا عاذِلى يَدرِى لِبعد الدّار
بكاىْ أمْ فِراقْ الظّاعِنْ الغدّارْ
كالشّمع لا يتبيّنْ دَمعَه المِدْرارْ
لفرقةِ الشهد يبكىْ امْ لحرّ النّار

وقول الآخر :

يا من الـح على قتلِى على مَهلَكْ
تصِل لانّ تباريح الجَوى مَهلَكْ
وقد ثبتْ فى يَقينِى أننى ما هلَكْ
إلا بِهَجرك فلا تسمَع كَلامْ أهلَكْ

وقول الآخر :

الشّعر والفرَق دا ليلكْ ودا صُبحَكْ
واللّحظ والقدّ دا سِيفَك ودا رُمحَكْ
والخال والجَفن دا تِرسَك ودا سِيفَكْ
والدّمع والقلب دا شتاكْ ودا صَيفَكْ

وقول الآخر :

اللّيل والصّبح دا شَعرَكْ ودا فَرقَكْ
والماء والنّارْ دا خدّكْ ودا خلقَكْ
والمُرّ والحِلو دا هجرَكْ ودا نُطقَكْ

وقول الآخر :

يا ليلة ما عَرِفْتَ النَّوم فِيهَا قَـطْ
وكُلّْ منْ كَانَ بحْبِي نَامْ حَتّى غَطّ

مِن شُوم بَخْتِي وقَسْمِي لُو رَكِبْت الشَّطْ
نِشِفْ وعادَ الجَمَلْ يِرْعَى مكَانَ البَطّ

مثله :

يا قَلْب مويِنْفَرِى لِى من حُرُوفَكْ خَطْ
تِقْلَقْ ومن قَرْص حُبّه فى الهَوى تِنْقَطْ

اخْضَع وذِلّ لِمَنْ تَهْوَى واوْع تَشَطْ
عَاشِق ولوَ نفُورْ داشِى ما سِمِعْ بُو قَطْ

وأما دوبيت فمثل ذلك قول الشاعِرْ :

قد اسرنى صُدُود غَافٍ غَافِلْ
فى اليقْظة والمَنَام عادَ عَاذِلْ

دمْعِى أبداً عليه هَامٍ هَامِلْ
والوَجْد يجِدّ وهُوَ هَازٍ وهَازِلْ

ومثله :

الـوَرْد بوجنتيك زاهٍ زَاهِرْ
والسّحر بمُقْلَتَيكْ وافٍ وافِرْ

والعاشِقْ فى هَوَاك سَاهٍ سَاهِرْ
يرْجُو ويخَافُ فهوّ شَاكٍ شَاكِرْ

مثله :

قد بُدّد صبرى فمتى أجمعُهْ
والجسم مضنى بهجره أجمعُهْ
يا قومُ وما حيلةٌ من أسكنهُ
حبّه فحدّثت به أدمعُهْ

ومثله :

سُلْوانِى والوَجْد بَعيدٌ وقَريبٌ
والصّبْر وفيضُ الدّمْع عَاصٍ ومُجيبٌ
والعَاذِل والعَاذِر مُخْطِى ومُصيبٌ
والهَجْر ووصْلُه فِعْل وطَبيبٌ

ومثله :

يا منْ عتبوا على رقَادى العَانى
لما بَعثوا لَطيفهم يغشَانِى
لا تعتقدَوا إنّ الكَرىَ وافانِىَ
لكنْ سجَدَتْ لطيفكُم أجْفانِى

ومثله :

أفدى قمرين فى فُؤادِى سكنَا
ما اخترت سواهما لِقلْبِى سكنَا
هذا عجب لساكنين اجْتمعَا
حسبى ولهما بأنّ قلبى لحنَا

ومثله :

لما حمّل النسيم منكم نشرًا

ناديت لقلبى قد أتتك البشرى

ويا حادى ان جمّعت شملى بهم

قبّلت يد المنطى عشرًا عشرًا

باب

الافتخـــــار

وأما الافتخار فهو المَدْحُ بِعَيْنِهِ ، إلا أن الشَّاعِرَ به يَمدَحُ غيره ، والافتخار يَمْدَحُ الشَّاعر به نفسَهُ وقومَه، ويُقَال للّذي يفتَخِرُ بآبائِه وقومِهِ رجل عظامى . وكثيراً ما كانت العرب تفتخر بنفوسها وقبائلها وبيوتها ، حتى إنّهم ليبالِغُون فى ذلكَ . وهلكَ منهم خلْقٌ بكثرة افتخاره بنفسه وآبائه . .

والافتِخَارُ الحَقِيقِيُّ إنّما هوَ بتقوْى اللهِ تعَالى ، كما قَالَ : (إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقَاكُمْ) .

والافتِخَارُ عادةُ الشُّعَراءِ ، لا سيَّما جاهليةُ العَربِ . وقد أنكر قدامةَ الافتخارَ بالآباءِ دون أن يكونَ المُفتخِرُ فيه صفات يفتَخِرُ بها على غيرِه[1] ، والا يكون كما قال الشاعر :

وما الفَخْرُ بالعَظْمِ الرَّمِيمِ وإنَّمَا
فخَارُ الّذي يبْغِي الفخَارَ بِنفْسِهِ

فإذا كانَ المُفْتَخِرُ له صفاتٌ يَفتخِرُ بها ويمُنُّ بِها على غَيْرِه كانَ كما قِيلَ :

نفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصَامَا

---

(١) راجع العمدة لابن رشيق ٢/١٠٣–١٤٥ .

وراجع نقد الشعر ص ١١٢ طبع محمد عيسى منون سنة ١٩٣٤ م .

يعنى أنهُ سَاد بِنَفْسه لا بِقَوْمه . هـذا هُوَ السُّؤْدُدُ ، وإلا كَمْ مِنْ سيِّد آباؤُه فقير فِى نفسِه ، ورؤساء اسلافـه بجارف فى فِعله ، وفضلاء اجدادُه ، جاهل فى قومه ، فماذا يفيدُه الافتخار عن سلَفٍ من آبائه . وإنما إذا انضَافَ إلى سُؤْدُدُ الآباء سُؤدُدُ الابناءِ ، كان هذا غايةَ الفَخَار . مثل قول أبى تمام(١) :

أنا ابنُ الذين اسْتُرضِعَ الجُودُ فيهمُ
وسُمِّى فيهمْ وهُوَ كَهْلٌ ويافِعُ

فتيروا وكانتْ المكرُماتِ لدَيْهِمُ
لكثرةِ مَا وصُّوا بِهِنَّ شَرائِعُ

فأىُّ يدٍ فى المَجْدِ مدَّتْ فلمْ يكُنْ
لها راحةٌ من جُودِهِم وأَصابِعُ(٢)

بهاليلُ لو عاينتَ فيضَ أكفِّهِم
لأيقنتَ أنَّ الرِّزْقَ فى الأرضِ واسِعُ(٣)

إذا ما أغارُوا واحتَوَوْا مالَ معْشَرٍ
أغارَتْ عليهِ فاحتَوتْهُ الصَّنائِعُ(٤)

إذا أسَرُوا لم يَأسِرُوا البَغْى عفوَهم
ولم يُمْسِ عانٍ فيهمُ وهو كانِعُ(٥)

---

(١) ديوانه طبع محمد جمال ص ٣٧٩ من قصيدة مطلعها .

ألا منع البين الذى هو صانع فان تك مجزاعاً فما البين جازع

(٢) رواية الديوان « فأى يدٍ فى الجود » .

(٣) البهاليل جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير .

(٤) رواية الديوان « أغارت عليه فاجتوته » .

(٥) العانى : الاسير وكانع أسير مضموم بالقد وهو سير من الجلد . والأبيات هنا مشهورة بالفصاحة .

هذا هو الافتخار بالآباء ، وبنفسه إذ يقول مثل هذا القول .

وما يضاهى ذالك قولُ السَّمَوْأل بنِ عادياءِ اليَهُودىّ فى قصيدته التى أولُها(١) :

إذَا المَرءُ لم يدْنَسْ من اللُّؤمِ عِرضُه
فكلُّ رِدَاءٍ يرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وإنْ هوَ لم يَحْمِلْ على النَّفسِ ضَيْمَها
فليسَ إلىَ حُسْنِ الثَّناءِ سَبِيلُ

تعيِّرنا أنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فقلتُ لهـا إنَّ الكِرامَ قليلُ

وما ضَرَّنا أنَّا قَلِيلٌ وجارُنَا
عزيزٌ وجارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيل

وما قَلَّ من كانت بقاياهُ مثلُنَا
شَبابٌ تَسامَى للعُلا وكهُولُ(٢)

لنا جبلٌ يحتلُّه من نُجيرُهُ
منيعٌ يردُّ الطرْفَ وهو كليلُ(٣)

هو الأَبلقُ الفَرْدُ الذى سارَ ذِكرُهُ
يَعِزُّ على من رامَهُ ويطُولُ(٤)

---

(١) الحماسة لأبى تمام شرح التبريزى طبع الأزهرية سنة ١٩١٣ م ص ٢٨ ج ١ .

(٢) هذا البيت يأتى فى غير موضعه هنا .

(٣) وهذا البيت فى غير موضعه من القصيدة فى الحماسة . وقيل ان الجبل هنا على المجاز وهو العز والرفعة ، وقيل إنه على الحقيقة وهو الأبلق الفرد كما سيجىء فى البيت التالى .

(٤) هذا البيت غير وارد فى قصيدة الحماسة .

وإنَّا أُناسٌ لا نَرى القَتْلَ سُبَّةً
إذا ما رأتْهُ عامِرٌ وسَلُولُ(١)

يقرّبُ حبُّ المَوْتِ آجالَنا لنَا
وتكرهُهُ آجالُهُم فتطُولُ

وما ماتَ منا سيدٌ في فِراشِهِ
ولا طُلَّ منَّا حيثُ كانَ قتيلُ(٢)

فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنَا
كَهامٌ ولا فِينا يعدُّ بخيلُ(٣)

ونُنكرُ إنْ شِئْنا على النَّاسِ قولَهُمْ
ولا يُنكِرُونَ القَوْلَ حينَ نَقُولُ

إذا سيِّدٌ منَّا خلا قامَ سيِّدٌ
قَئُولٌ لمَا قالَ الكِرامُ فَعُولُ

وما أُخمدتْ نارٌ لنَا دُونَ طارِقٍ
ولا ذمَّنا في النَّازِلِينَ نَزِيلُ

وأيامُنا مَشْهُورةٌ في عَدُوِّنا
لها غُرَرٌ معرُوفةٌ وحُجُولُ

---

(٥) وعامر وسلول قبيلتان عربيتان .

(٦) رواية الحماسة « وما مات منا سيد حتف انفه »

(٧) يسبق هذا البيت في الحماسة بيتان آخران هما قوله :

صفونا فلم نكدر واخلص سرنا ... اناث اطابت حملنا وفحول

علونا الى خير الظهور وحطنا ... لوقت الى خير البطون نزول

وأسْيَافُنَا فى كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ

بِهَا من قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ

مُعَوَّدةٌ أن لا تُسَلَّ نِصالُها

فَتُغْمَدَ حتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ

ومن الأبياتِ المستحسَنةِ قولُ عمرو بنِ كُلْثُوم فى ذِكر أيام تغلب ، والافتِخارِ بهم ، فمنها :

قَولُه :

وقَد عَلِمَ القبائِلُ من معَدٍّ

إذَا قُبَبٌ بأبْطَحِهَا بُنِينَا[1]

بأنَّا المُنْعِمُونَ إذَا قَدَرْنَا

وأنَّا المُهْلِكُونَ إذَا أُتِينَا[2]

وأنَّا المانِعُون إذَا أرَدْنَا

وأنَّا النَّازِلُونَ بحيثُ شِينَا[3]

---

(١) الأبيات من قصيدته المشهورة :

الا هبى بصحنك فاصبحينا ‏ ‏ ‏ ‏ ولا تبقى خمور الاندرينا

والبيت الأول هنا هو البيت رقم ٧٥ بالقصيدة .

(٢) البيت رقم ٧٨ .

(٣) البيت رقم ٧٧ وروايته :

وانا المانعون لما يلينا ‏ ‏ ‏ ‏ اذا ما البيض زايلت الجفونا

وأنَّا العاصِمُونَ إذا أُطِعْنَا
وأنَّا العازِمُونَ إذا عَصِينَا(١)

وأنَّا الشَّارِبُونَ الماءَ صَفْواً
ويَشْرَبُ غيرُنا كدراً وطِينَا(٢)

ملأْنا البرَّ حتَّى ضاقَ عنَّا
وظهرَ البحرِ نملَؤُهُ سَفِينَا(٣)

إذا بلَغَ الرَّضِيعُ لنَا فِطَاماً
تَخِرُّ له الجَبابِرُ سَاجِدِينَا(٤)

وقال لبيدُ بنُ ربيعة(٥) :

لا يَطْبَعُونَ ولا يَبورُ فِعَالُهم
بل لا تَمِيلُ مع الهوى أحلامُها

وإذا الأمانةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ
أوفَى بأوفرِ حَظِّنا قَسَّامُها(٥)

---

(١) البيت رقم ٧٦ وروايته :

بأنا العاصمون بكل كحل   وانا الباذلون لمجتدينا

وكحل سنة شديدة . والمجتدى الطالب .

(٢) البيت رقم ٧٩ .

(٣) البيت رقم ٩٠ وروايته كما اثبتناه والأصل :

ملأنا البر حتى ضاق عنا   ونملؤه [illegible] كذا سفينا

(٤) البيت رقم ٩٤ وروايته :

« اذا بلغ الفطام لنا صبي »

(٥) هما البيتان رقم ٨٣ من معلقته . ولا يطبعون اى لا تدنس أعراضهم .

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكُه
فسما إليه كهلُها وغلامُها(١)
وهم السُّعاة إذا العشيرة أُقطعت
وهم فوارسُها وهم حكّامُها(٢)
وهم ربيعٌ للمجاورِ فيهمُ
والمرملاتِ إذا تطاولَ عامُها(٣)

وقال ابن المعتز فى الافتخار(٤) :

لنا إبلٌ ما وفّرتها دياتُنا
ولا ذعرتها فى الصباح الصوابحُ
إذا غدرت ألبانُها بضيوفنا
وفت بالقِرى جيرانُها والصفائحُ(٤)

وله :

وما زلتُ مذ نيطت علىّ تمائمى
غناىَ لغيرى وافتقارى على نفسى
ودلّ علىّ الحمدَ جودى وعفّتى
كما دلّ إشراقُ الصباحِ على الشمسِ

---

(١) البيت رقم ٨٦ .

(٢) البيت رقم ٨٤ وروايته :

فبنوا لنا بيتا رفيعا سمكه   فسما اليه كهلها وغلامها

(٣) البيت رقم ٨٧ وروايته «وهم السادة إذا العشيرة أطلقت» وأى حل بها أمر عظائم

(٤) ديوانه ص ١٠٥ وروايته لنا وفرة ما وفرتها دياتنا

وله :

ثِقْ بالوفاءِ فإنَّني لا يُغيِّرُني
طُولُ الفِراقِ ولا هَجْرٌ ولا ظَعَنُ

ولا الخِيانةُ من شأني ولا خُلُقي
فليسَ عِنْدِي لها عينٌ ولا أُذُنُ

للفرزدق :

وإنِّي لسهلُ الوَجْهِ للمُبْتَغِي القِرَى
وإنَّ فِنائي للقِـرَى لرَحِيبُ

أُضاحِكُ ضَيْفِي قبلَ إنْزالِ رحْلِهِ
فيخصُبُ عِنْدِي والمَحَلُّ جَدِيبُ

وفي الافتخار أيضاً :

ولا أقبلُ الدُّنيا جميعاً بمنَّةٍ
ولا أشْتري عِزَّ المَراتِبِ بالذُّلِّ

وأعشَقُ كحلاءَ المحَاجِرِ خِلْقَةً
لِئلاَّ أرَى في عَيْنِها سِمَةَ الكُحْلِ

لمَعْنِ بنِ أوْسٍ الطَّائِي* :

لعمرُكَ ما أهْوَيتُ كفِّيَ لِرِيبَةٍ
ولا حَمَلَتْني نحوَ فاحِشَةٍ رِجْلِي

---

* معن بن أوس، راجع ترجمته في الأغاني ١٠/١٥٦-١٦٠، ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٣٩٩ وهو معن بن أوس المزني.

ولا قادني سمعي ولا بصري لها

ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة

من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

ومما قاله أبو فراس في الافتخار ، وله فيه اليد الطولى(١) :

إذا كان منا واحد في قبيلة

كفاها وإن ضاق الخناق حماها

فما اشتوروا إلا وأصبح شيخها

ولا اشتجرت إلا وكان فتاها

ولا ضربت بين القباب قبابه

فأصبح مأوى الطارقين سواها

وله(٢) :

فإن ألفيتني ملكا مطاعا

فإنك واجدي عبد الصديق

أخو العزمات في جد وهزل

أخو الأفضال في سعة وضيق

وللنابغة الذبياني(٣) :

ولا عيب فينا غير أن سيوفنا

بهن فلول من قراع الكتائب

(١) ديوان أبي فراس ص (٢) ديوانه ص

(٣) ديوان النابغة ط .

فأفنى النّدى أموالَنا غيرَ ظالمٍ
وأفنى الرّدى أعمارَنا غيرَ عائبِ

أبونا أبٌ لو كانَ للنّاسِ كلِّهم
أبٌ مثلُه أغناهم بالمناقبِ

وله :

ما مِنْ مُصيبةِ نكبةٍ أُرمى بها
إلا تُشرِّفُني وترفعُ شاني

وإذا سألتَ عن الكرامِ فإنّني
كالشّمسِ لا تخفَى بكلِّ مكانِ

عمرو بن الإطنابة *(١)

أبتْ لي عِفّتي وأبى بلائي
وأخذي الحمدَ بالثّمنِ الرّبيحِ

وإقدامي على المكروهِ نفسي
وضربي هامةَ البطلِ المُشيحِ

---

* عمرو بن الإطنابة الخزرجي ، والإطنابة أمه ، وأبوه عامر بن زيد مناة . وهو شاعر فارس ، معروف قديم ، اشترك في بعض أيام الأوس والخزرج ، وهاجى حسان بن ثابت بأبيات قالها .

(١) الوحشيات أو الحماسة الصغرى لأبي تمام تحقيق عبد العزيز الميمني ط. دار المعارف ص ٧٧ ورواية البيت الأول « أبت لي عفتي وحياء نفسي » ، وجشأت نفسه : تحركت وهمت وعلت . وأورد المرزباني الأبيات في « معجم الشعراء » ص ٢٠٤ ، ورواية الثاني « وإكرامي على المكروه » .

وقَوْلِى كُلمَّا جَشَأَتْ وجَاشَتْ
مكَانَكِ تُحْمَدِى أو تَسْتَرِيحِى

لبعض الأعراب :

إذا نَحْنُ قُلْنَا صَدَّق القَوْلَ فِعْلُنَا
وكَمْ قَائِلٍ قولاً يُكَذِّبُهُ الفِعْلُ
وما زَالَ مُذْ كُنَّا مُلُوكاً وسُوقَةً
يَمُوتُ بِنَا جَوْرٌ ويَحْيَى بِنَا عَدْلُ

للفرزدق(١) :

أرى نَفْسِي تَتُوقُ إلى أُمورٍ
يُقَصِّر دُونَ مبلغهنّ مَالِى
فلا جُودِى يُطَاوِعُنِى لِبُخْلٍ
ولاَ مَالِى يُبَلِّغُنِى فَعَالِى

السَّمَوأل (٢) :

وإنا لنَلْقَى الحَادِثَات بأَنْفُسٍ
كثيرُ الرَّزَايا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ
يَهُونَ عَلَيْنَا أنْ تُصَابَ جُسُومُنَا
وتَسْلَمَ أعراضٌ لَنَا وعُقُولُ

---

(١) ديوان الفرزدق ط. الصاوى لا توجد به الأبيات المذكورة.
(٢) من أبيات له مشهورة . راجع الحماسة لأبى تمام ج١ ص ٨٢٢ .

والمتنبي (١) :

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحمت
وإذا نطقت فإنني الجوزاء

وإذا خفيت على الغبي فعاذر
أن لا تراني مقلة عمياء

لبعض الأعراب :

وإني وإن كان ابن عمي عاتباً
لمزاحم من خلفه وورائه

وإذا تتبعت الخلائف ماله
قرنت صحيحته إلى جربائه

ولابن الخياط الدمشقي في الافتخار (٢)

يقيني يقيني حادثات النوائب
وحزمي حزمي في ظهور النجائب

سينجدني جيش من العزم طالما
غلبت به الخطب الذي هو غالبي

---

(١) ديوانه طبع عزام ص ١١٤ من قصيدته التي مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء
إذ حيث أنت من الظلام ضياء

في مدح أبي علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب .

(٢) ديوانه طبع النجف الأشرف سنة ١٣٤٣ هـ ص ١٣ .

ومنْ جرّبَ الأيامَ(١) عوّدَ نفسَهُ
قِراعَ الليالي لا قِراعَ الكتائبِ
وما وضعتْ منّا الخطوبُ بقدرِ ما
رفعْنَ وقدْ هذّبْننِي بالتجاربِ
وإنّي لأغنى بالحديثِ عن القِرى
وبالبرقِ عن صوبِ الغيوثِ السواكبِ
قناعةَ عزٍّ لا قناعةَ ذلّةٍ
تزهّدُ في نيلِ الغنى خيرَ راغبِ
وقد أبلغُ الغاياتِ ليسَ بسائرٍ
وأظفرُ بالحاجاتِ ليسَ بطالبِ
وما كلُّ دانٍ منْ مرامٍ بظافرٍ
ولا كلُّ ناءٍ عن رجاءٍ بخائبِ
وإنَّ الغنى منّي لأدنى مسافةً
وأقربُ مما بينَ عيني وحاجبي

أبو فراس(١) :

ألم ترنا أعزَّ الناسِ جاراً
وأمنعَهم وأرغبَهم جَنابا
تُفضّلُنا الأنامُ ولا تُحاشي
ونُوصفُ بالجميلِ ولا نُحابي

---

(١) في الديوان : « ومن كان حرب الدهر » .
(٢) ديوان أبي فراس .

إذا ما أنهضَ الأمراءُ جيشاً

إلى الأعداءِ أنفذنا كتابا

الشريف الرضى(١) :

فكمْ ليلةٍ بتنا على غيرِ ريبةٍ

علينا عيونُ التقى ومصابحُ

سلُوا مضجعى عنها وعنّى فإننا

رَضينا بما يُخبِرنَ عنّا المَضاجعُ

كما ورد فى الافتخار قصيدة الطُغرائى المشهورة ، وفيها معان أُخرُ غير الافتخار ، من حكم وأمثال وآداب . وهى(٢).

أصالةُ الرأىِ صانتنى عنِ الخطلِ

وحِليةُ الفضلِ زانتنى لدى العطلِ

مجدِى أخيراً ومجدِى أولاً شرَعٌ

والشمسُ رَأدَ الضحى كالشمسِ فى الطَفلِ

فيمَ الإقامةُ بالزَّوراءِ لاسكَنى

بِهَا ولا ناقِتِى فيهَا ولا جَمَلى

ناءٍ عنِ الأهلِ صِفرُ الرَّحل(٣) مُنفرِدٌ

كالسَّيفِ عُرِّىَ مَتناهُ عنِ الخِلَلِ

---

(١) ديوان الشريف الرضى ص [illegible] .

(٢) راجع ديوانه ، والكشكول ١ / ٣٩٧ ، والغيث المسجم فى شرح لامية العجم للصلاح الصفدى .

(٣) رواية الديوان « صفر الكف » .

فلا صديقٌ إليه مُشتكى حَزَني
ولا أنيسٌ إليه مُنتهى جَذَلي

طالَ اغترابي حتى حنَّ راحلتي
ورحلُها وقرَى العَسّالةِ الذُّبُلِ

وضجَّ من لَغَبٍ نضوي وعَجَّ لِمَا
يَلقى رِكابي ولجَّ القومُ في عَذَلي

أُريدُ بَسطةَ كَفٍّ أستعينُ بِها
علَى قضاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلا قِبَلي

* * * *

حُبُّ السّلامةِ يُثْني عَزمَ صاحِبِه
عن المعالي ويُغري المرءَ بالكَسَلِ

فإن جنحتَ إليهِ فاتّخِذْ نَفَقاً
في الأرضِ أو سُلَّما في الجوِّ فاعتزِلِ

ودعْ غِمارَ العُلا لِلمُقدِمينَ علَى
رُكوبِها واقتنِعْ مِنهُنّ بالوَشَلِ

لو أنَّ في شَرفِ المَثوى بلوغَ مُنىً
لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ

لعلَّهم إنْ بدَا فَضلي ونقصُهم
لِعينه نامَ عنهم أو تنبَّهَ لي

لم أرتضِ العيشَ والأيامُ مقبِلةٌ
فكيفَ أرضى وقد ولّتْ على عجَلِ

وعادةُ النصلِ أنْ يُزهَى بجوهرِهِ
فليسَ يعملُ إلاّ في يدَيْ بطلِ

ما كنتُ آملُ أنْ يمتدَّ بي زمني
حتّى أرى دولةَ الأوغادِ والسفلِ

هذا جزاءُ امرىءٍ أقرانُه درجوا
من قبلِه فتمنّى فسحةَ الأجلِ

وإنْ علانِي من دُونِي فلا عجبٌ
لِي أسوةٌ في انحطاطِ الشمسِ عن زُحَلِ

فاصبِرْ لها غيرَ مُحتالٍ ولا ضجِرٍ
في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ

أعدى عدوِّكَ أدنى من وثقتَ بهِ
فحاذرِ الناسَ واصحبْهم على وجلِ

فإنّما رجلُ الدنيا وواحدُها
من لا يُعوّلُ في الدنيا على رجلِ

باب

الرثاء

الرِّثاءُ مصدَرُ رثَيتُ ، ومعنى رثيتُ فلاناً إذَا بكيتُه وعددْتُ محاسنَهُ ، وتقولُ رثَى فلانٌ لفُلانٍ إذا رقَّ له . لأنَّ الميِّتَ تخشَعُ له القُلُوبُ وترِقُّ له النفسُ . ويُقالُ رثأْتُ بالهمْزِ ، كمَا يقال : لبَّيتُ الحجَّ ولبَّأْتُ ، وحلَّيتُ السوِيقَ وحلَّأْتُ .

والفرقُ بين الرِّثاء والتأبينِ أن الرِّثاءَ هو تعديدُ محاسِنِ الميِّتِ كما تقدَّم ، والأسفُ عليه والرِّقةُ له وخشوعُ النَّفسِ . والتأبينُ هو مدحُ الرَّجُل بعد وفاتِه . يقالُ : أبَّنْتُه تأْبيناً .

والعزاءُ هو التصَبُّر على المُصيبةِ ، يُقال تعزَّى فلانٌ عزاءً إذَا تصبَّر على ما نابهُ .

والتَّسلِّي تناسِي المُصيبة . ولا ينبغي للشَّاعِرِ أن يُقدِّمَ على الرِّثاء نسيباً ولا غزلاً ، ولا يذكرُ ما يبسُطُ النَّفسَ ويستَدعِي المسرَّةَ ، بل يكونُ ظاهرَ التفجُّعِ بيِّنَ الحَسْرةِ والتأسُّفِ ، ويستَعظِمُ الفجيعةَ ، ويُكثِرُ التلهُّفَ ، ولا سيَّما إنْ كانَ المرثيُّ به ملكاً أو عظيماً أو عالِماً أو كبيراً ، فينبغي للشاعِرِ أن يجعَل موضِعَ الغزَلِ ذكرَ من انقرضَ من العُلماءِ والعُظَماءِ

والأكابرِ وذَوِى الأخطارِ ، ثم يخرجُ من ذلك إلى الرثاءِ . ثم بعدَ الرثاء يذكرُ نوعاً من نعيم الآخرةِ ، وما خلَّفه الميِّتُ من من أولادٍ كرامٍ أو عُصبةٍ طاهرةٍ أو فرقةٍ كبيرةٍ . أو آثارٍ حسنةٍ أو سُنَّةٍ كبيرةٍ . فإنْ أكثرَ مِنْ ذِكْرِ التَّسليةِ والتأسِّى كانَ ذلك تعزيةً ، وإنْ أكثرَ من ذكرِ التلهُّفِ والتفجُّعِ كانَ ذلكَ مناحةً . وكما أنَّ الراثىَ لا ينبغى أنْ يخلِطَ كلامه بما يدُلُّ على اللذَّةِ ومسرَّةِ القلبِ ، فكذلكَ المادحُ لا ينبغى أن يَخلِطَهُ بما يدُلُّ على القبْضِ ، ومساءةِ النفسِ ، ولا ذِكر حوادث الأيام ، فإنَّ ذلك قادحٌ فيما هُو آخذٌ فيه .

وقد وقعَ جماعةٌ من الشُّعراءِ فى خطأ كبيرٍ من هذا النَّوعِ وهو أن يَبنُوا القصائدَ على معنًى من المعانى فيأتُون فى أوائلها بما لا تَعلُّقَ له بذلك المعنى ولا مُناسبةَ . وقد وقعَ فى ذلكَ كبارٌ من الشُّعراءِ مثلُ المتنبي حيثُ يقولُ فى أوله قصيدةٍ يمدَحُ بها(٢) :

مُلِثَّ القَطْرِ أعطِشْها رُبُوعاً

وإلا فاسْقِها السُّمَّ النَّقيعا

معنى ذلك : أىْ يا سحاباً دائمَ القطرِ أعطِش هذه الرُّبوعَ ولا تَسقِها شيئاً ، وإن سقيْتَها فليكُنْ السُّمَّ النَّقيعَ . فكيفَ يليقُ أن يكونَ هذا الكلامُ افتتاحاً فى قصيدةٍ يُريد فيها المدْحَ ؟

(٢) ديوانه طـ عزام ص ١ ه من قصيدة يمدح بها علي بن إبراهيم التنوخي .

ومثلُ ذلك قولُ أبى نواسَ فى قصيدةٍ يمدحُ فيها(١) :

يا دَارُ ما صنعتْ بكِ الأيَّامُ

لم يبْقَ فيكِ بشاشةٌ تُستَامُ

فانظُر إلى هؤلاءِ الكِبارِ من الشُعراءِ كيفَ وقعوا فى سُوءِ الابتداءاتِ ، وأتوا فى قصائدِ المدْح بما يَسوءُ مُفتتحها عند طُروق السَمْعِ .

وينبغى للشَّاعرِ فى الرِّثاء ان يفخِّم المُصيبةَ ، ثمْ بعد ذلك يعظِّم ما قابلتها من الأُجُورِ ، وما ادُّخِرَ لصاحِبِ المُصيبة من الخيرِ فى الدُّنيا والآخِرة . وينبغى له أن تكونَ المَرْثِيةُ مناسبةً بعضُها لبعض ، لا يكونُ منها شيءَ عظيمٌ فى الغايةِ وما بعدَهُ دونَ طَبقتِه فى العِظَم ، فلا يكُوُن الكَلامُ حينئذٍ مناسِباً بعضُه لبعْضٍ .

وقد عِيبَ على أبي المَتاهيةِ قولُه(٢) :

مات الخَليفةُ أيُّها الثقلانِ

فكأنَّنى افْطرْتُ فى رَمضَان

فإنه لما ابتدأ بنصف هذا البيت تطاولت الأعناق لفخامة هذا المبدأ مترقبين لما يأتى بعدَهُ

---

(١) ديوان أبى نواس ص ٦٣ وروايته :

يا دار ما فعلت بكِ الأيام

ضامَتْكِ والأيَّامُ ليسَ تُضَامُ

(٢) راجع العمدة لابن رشيق ٢/١٤٨ .

فلما قال :

فكأنني أفطرتُ في رمضانِ

تداركته ركّةٌ واختلالٌ ، وصارَ كما ترى . فهذا عيبٌ فاحشٌ .

والمناسبةُ في كلِّ شيءٍ هي سبب الطّلاوةِ والحلاوةِ . فمِن محاسِنِ الرِّثاءِ قولُ الشّاعِرِ(١) :

ويا قبرَ معنٍ كيفَ واريتَ جُودَهُ
وقدْ كانَ منهُ البرُّ والبحرُ مُترَعَا

ويا قبرَ مَعنٍ كنتَ أوّلَ حُفرةٍ
من الأرضِ خُطّتْ للسّماحَةِ مضجعَا

بلَى قد وَسِعتَ الجُودَ والجُودُ ميّتٌ
ولوْ كانَ حيّاً ضِقتَ حتّى تصدّعا

فتىً عيشَ في معرُوفِهِ بعدَ موتِهِ
كمَا كانَ بعدَ السّيلِ مجراهُ مُترَعا

وقد يكونُ الرّثاءُ مُحتملاً فيقعُ موقعاً لطيفاً ، كقولِ ابن المعتز يرثي المعتضد :

قضَوْا ما قضَوْا من أمرِهِ ثم قدّمُوا
إماماً إمامَ الخيرِ بين يَديْهِ(٢)

---

(١) الأبيات للحسين بن مطير في رثاء معن بن زائدة . قال ابن رشيق ويروى لمروان بن أبي حفصة وفي رواية ابن رشيق بأن البيت الثاني مما لا نظير له في العمدة ٢/١٤٨ .

وصَلُّوا عليهِ خاشعينَ كأنَّهُمْ
صفوفٌ وقوفٍ للسَّلام عليْهِ(١)

والنّساءُ أحذقُ وأعرفُ بالرّثاء من سائر أنواع الشّعراء ، لأنهنّ أشجى قلوباً وأرقّ أفئدةً ، وأقلّ صبراً ، كتفجّع الخنساء في أخيها صخر حيثُ قالت(٢) :

يذكّرُني طلوعُ الشّمسِ صخراً
وأبكيهِ لكُلِّ غُروبِ شمسِ
ولولا كثرةُ الباكينَ حولِي
علَى إخوانِهم لقتلْتُ نفسِي
وما يَبْكونَ مِثلَ أخِي ولكنْ
أُعـــزّي النّفسَ عنْه بالتأسّي

ومن أشدّ الرّثاء صعوبةً على الشّاعر رثاءُ الطّفل والمرأة لضيق المعاني(٣) ، اما الطفل فلأنه بعدُ لم يستحق أن تُذكرَ فضائلُه النّفسانيةُ ، ولا الجارحةُ مثلُ الدّين والعبادةِ والشّجاعةِ والمروءةِ والحلم والأدب ، ولا يتأسفُ على كرم أفعاله فيما مَضى من زمانه ، ولم يبقَ في رثائه سوى التفجّع والتأسّف ؛

---

(١) ديوان ابن المعتز والعمدة ٢/١٥٠ ورواية عجز الثاني « صفوف قيام « للسلام عليه » .

(٢) ديوان الخنساء .

(٣) وأجمع العمدة لابن رشيق ٢/١٥٤ .

والتحنن وذكر مفارقة الأحباب ، وإن يلتطفه الشاعر فيذكر مخايل الأطفال وما كانت الفراسة تخطئ فيهم ، كما عمل أبو تمام فى رثاء ولدى عبد الله بن طاهر حيث قال(١) :

نجمان شاء الله ألا يطلعا
إلا ارتداد الطرف حتى يأفلا
إن الفجيعة بالرياض نواضراً
لأجل منها بالرياض ذوابلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما
لو أمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما
حلماً وتلك الأريحية نائلا
إن الهلال إذا رأيت نموه
أيقنت أن سيكون بدراً كاملا(٢)
قل للأمير وإن لقيت موقراً
منه لريب الحادثات حلاحلا(٣)

(١) ديوان ابن تمام ص ٣٨٠ .

(٢) رواية الديوان :
« أيقنت أن سيعود بدراً كاملا »

(٣) رواية الديوان :
« منه بريب النائبات حلاحلا » . والحلاحل : السيد الشجاع

إن تُهْدِ فِي طَرَفَيْ نَهارٍ واحِدٍ
رُزْأَيْنِ هَاجَا لوعَةً وبَلابِلاً

فالشَقلُ ليس مضاعَفاً لِمطيّةٍ
إلا إذا ما كَانَ وهْماً بَازِلاً (١)

واقتدَى به المتنبي حيث قال(٢) :

ومثلُكَ لا يُبْكَى على قَدْرِ سنِّه
ولكنْ على قدْرِ المَخِيلةِ والأَصْلِ

وأما رثاءُ النِّساءِ(٣) فانه أضيَقُ من رِثاءِ الصِّبْيان، فإنَّ النِّساءَ لا ينبغي ذِكْرُ جمَالِهنَّ ولا أفعالِهنَّ بينَ الرِّجال فتضيقُ المَعاني على الشَاعِر ، ويحتاجُ إلى ذِكْرِ الموْت وصعُوبتِهِ ، ومفارقةِ الأَحبابِ ، وبعد الأَليف، ويُتبع ذلكَ بذكرِ الأَسَفِ والفَجِيعةِ وما أشبَه ذَلِك . وهذا نوعٌ ضيِّقٌ جدًّا .

ومن صعْبِ الرِّثاء الجَمْعُ بينَ التعْزية والتَّهنِئة(٤) في مقالٍ واحِد. وقد رُوِي في ذَلِك أنَّهُ لما ماتَ معَاويةُ اجْتمع الشُّعَراءُ على باب يزيد ، فلم يقْدِر أحدٌ على الجمعِ بينَ تعزيةِ يزيد بأَبيه وتهنئتِهِ بالخَلافةِ حتىّ جاء عبدُاللهِ بنُ هَمَّام السَّلُولى

---

(١) الوهم : الجمل الذلول،والبازل المبزول نابه دلالة على القوة والاكتمال .

(٢) ديوانه ط عزام ص ٢٦٩ . في رثاء ابن سيف الدولة وقد توفى بحلب سنة ٣٣٨هـ

(٣) العمدة ٢/ ١٥٤ وأشار الى ما وقع فيه أبو الطيب المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة وما كان من مأخذ النقاد عليه .

(٤) راجع العمدة ٢/١٥٥ .

فدخل على يزيد وقال : يا أمير المؤمنين آجرك اللهُ على الرزيةِ ، وبارك لهُ في العطيةِ ، وأعانك على الرعيةِ . لقد رزئتَ عظيمًا ، وأُوتيتَ جسيمًا ، فاشكُر الله على ما أُعطيتَ ، واصبر له على ما رُزيتَ ، فإنك قد فقدتَ خليفةَ اللهِ ، وأُعطيتَ خلافةَ اللهِ ، ففارقتَ جليلاً ، ووهبتَ جزيلاً (١) .

أصبحتَ والي أمرِ النَّاسِ كلّهم
فأنتَ راعيهم واللهُ يرعاكا (٢)

وفي معاويةَ الباقي لنا خلفٌ
إذا نُعيتَ فلم يُسمع لمنعاكا

وقال أبو نواس يعزي الفضل بن الربيع بالرشيد ويهنيه بالامين (١) :

تعزَّ أبا العبّاسِ عن خيرِ هالكٍ
بأكرمِ حيٍّ كانَ أو هوَ كائنُ

حوادثُ أيامٍ تدورُ صروفُها
لهنَّ مساوٍ مرةً ومحاسنُ

---

(١) لم يأت المؤلف بعبارة السلولي كاملة كما وردت في العمدة وتمامها «[illegible] نحبه ووليت الرياسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده الله موارد السرور ، ووفقك لصالح الامور » . ٢٧٨

(٢) يورد ابن رشيق بيتين قبلهما :

فاصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة
واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا

لا رزء أصبح في الاقوام نعلمه
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

[illegible] ٢ / ١٥٩ .

(٣) ديوان ابى نواس ص ١٣٠ .

وفى الحىِّ بالمَيْتِ الذى غَيَّبَ الثرى

فلا المُلْكُ مغبونٌ ولا المَوْتُ غابِنُ(١)

وقال الشريف الرضى(٢) :

تَمْضِى العُلا وإلى ذُرَاكُمْ تَرْجِعُ

شَمْسٌ تَغِيبُ لَكُمْ وأُخْرَى تَطْلُعُ

فى كلِّ يومٍ للنَّواظِرِ مِنْكُمُ

أَعْـــلامُ عَلْياءٍ تَحُطُّ وتُرفَعُ

وقال أبو تمام فى قصيدة يرثى بها المُعْتَصِم، ويَمْدَحُ الوَاثِقَ(٣) :

ما لِلدُّمُوعِ تَرُومُ كُلَّ مَرَامِ

والجَفْنُ ثَاكِلُ هَجْعَةٍ ومَنَامِ

يا حُفْرَةَ المَعْصُومِ تُرْبُكِ مودَعٌ

مَاءَ الحَياةِ وقَاتِلُ الإِعْدامِ(٤)

إنَّ الصَّفَائِحَ مِنْكِ قدْ نُضِدَتْ على

مَلْقَى عِظامٍ لو عَلِمْتِ عِظامِ(٥)

---

(١) رواية العجز «فلا أنت مغبون ولا الموت غابن».

(٢) ديوان الشريف ط. الأدبية بيروت سنة ١٣٠٧ هـ ص ٤٥٦ مطلع قصيدة يمدح «فناخسر» بعد توليه الملك عن أبيه.

(٣) ديوان أبى تمام ص ٢٧٥.

(٤) روايته بالديوان «يا تربة المعصوم تربك مودع».

(٥) الصفائح حجارة عريضة، ونضدت ركبت بعضها فوق بعض.

لله أيُّ حياةٍ انبعثتْ لنا
يومَ الخميسِ وبعدَ أيِّ حِمامِ (١)

أودَى بخيرِ إمامٍ اضطربتْ له
شُعَبُ الرجالِ وقامَ خيرُ إمامِ

ما إنْ رأى الأقوامُ شمساً قبلها
أفلتْ فلمْ تُعقِبْهُم بظلامِ (٢)

شُرِحَتْ بدولتكَ الصدورُ وأصبحتْ
خُشَّعُ العيونِ إليكَ وهي سَوامِ (٣)

وما جمع بين تهنئةٍ وتعزيةٍ قولُ ابنِ حيُّوس يُعزِّيه في أبيه وفاته بوالدِه ويُهنِّئه بجلوسِه مكانَه (٤):

لعظيمٍ به حدثاً أفضى إلى حدثٍ
عرى القلوبَ من الأوجالِ حتى عري

دمعٌ ترقرقَ في الأجفانِ ثمَّ رقا
فلو تأخرتِ البُشرى لِذا لجرى

ولو لم يكنْ لشروعِ التهنئ حائلةٌ
لأطلقَ الحُزنُ دمعاً طالما أُسِرا

---

(١) البيت رقم ١٥ من القصيدة .

(٢) البيت رقم ٢٢ من القصيدة .

(٣) البيت رقم ٣٠ من القصيدة ، وسوام : مرتفعة .

(٤) ديوان ابن حيوس ١/٢٤٢ يمدح أمير الجيوش ويعزيه بولده الظاهر لدين الله .

رزِيَّةٌ حَمَلَتْ نُعْمَى وزَنْدُ هُدًى
لَمْ يَكْبُ إلا كَرجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ وَرَى
وصَارِمٌ حمَتْ الدُّنيا مضَارِبُهُ
ما قِيلَ أُغمِدَ حَتَّى قِيلَ قَدْ شُهِرَا
أئمَّةٌ لم يَغِبْ عنَّا لَهُمْ قَمَرٌ
إلاَّ واعْقَبنا من سِنْخِهِ قَمَرا

مثل هذا البيت قولُ الشَّاعرِ :

نجومُ سماءٍ كُلَّما غابَ كوكبٌ
بدَا كوكبٌ تأوِي إليهِ كواكِبُ

وقال البُحتُرِيُّ فى المُعْتَزّ(1) :

أُنظر إلى العلياءِ كيف تُضَامُ
ومآتم الأحسابِ كيفَ تُقَامُ
وُضِعتْ سُروج أبِى سَعِيدٍ واعتَدت
أسيَافُه دونَهُ العدوُّ تُشَامُ(2)
يا صاحب الجدث المقيم بمنزلٍ
ما للأنيس بساحتيه مقام(3)
قبر تكسَّرُ فوقَهُ سُمْرُ القَنَا
من لوعةٍ وتُشَقَّقُ الأعلامُ

(1) ديوان البحترى تحقيق الزمنى ج ٢ ص ١٩٤٩ .

(2) فى الديوان حطت سروج ابى سعيد . .

(3) البيت رقم ١٤ فى القصيدة

ما كنتُ أحسبُ أنَّ عزَّكَ يرتقي
بالنائباتِ ولا حِماكَ يُرامُ(١)

وقال الرقاشي* يرثي البرامكة :

الآنَ استرحنا واستراحت ركابُنا
وقالَ الذي يُجدي ومن كانَ يَجتدي
فقُل للمطايا قد أمِنتِ من السُّرى
وطَيِّ الفيافي فدفداً بعدَ فدفدِ
وقُلْ للمنايا قد ظفِرتِ بجعفرٍ
ولن تظفري من بعدِهِ بمسوَّدِ
وقُلْ للعطايا بعدَ فضلٍ تعطَّلي
وقُلْ للرزايا كلَّ يومٍ تجدَّدي

وقال الحسينُ بنُ الضحاكِ يرثي محمداً الأمينَ(٢) :

ومما شجى قلبي وكفكفَ عبرتي
محارمُ من آلِ النبيِّ استُحِلَّتِ
ومهتوكةٌ بالخيدِ عنها سُجوفُها
كعابٌ كقرنِ الشمسِ لما تبدَّتِ

---

(١) البيت رقم ٢٤ في القصيدة

* أبو الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي الخطيب ، من شعراء العباسيين ، بصري ، عاصر الرشيد ، ومدح البرامكة وأكثر من رثائهم بعد نكبتهم .

(٢) أشعار الحسين جمع عبد الستار فراج ص ٣٢ ط بيروت ١٩٦٠ ، برواية الأولى ، وسكب عبرتي .

إذا خفرتها روعة من منازع

لها المرط عادت بالخشوع ورنت

وسرب ظباء من ذؤابة هاشم

هتفن بدعوى خير حي وميت

أرد يداً مني إذا ما ذكرته

على كبد حرى وقلب مفتت

فلا بات ليل الشامتين بغبطة

ولا بلغت آمالها ما تمنت

ولسليمان بن قتيبة على هذا الوزن :

مررت على أبيات آل محمد

فلم أرها أمثالها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها

وإن أصبحت منهم برغمي تخلت

وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية

ألا عظمت تلك الرزايا وجلت

وإن قتيل الطف من آل هاشم

أذل رقاب المسلمين فذلت

ما بكيك للدنيا وللدين إذ رأت

يد المعروف بعدك شلت

وقالَ الأَسْودُ بنُ يعفُر(١):

ماذا أُؤمِّلُ بعدَ آلِ مُحرِّقٍ
تركُوا منازِلَهُمْ وبعدَ إيادِ

جرتِ الرِّياحُ على مَحلِّ دِيارِهِم
فكأنَّما كانُوا على مِيعادِ

ولقد غنُوا فيها بأنعمِ عيشةٍ
في ظلِّ مُلكٍ ثابتِ الأوتادِ

فإذا النَّعيمُ وكُلُّ ما يُلْهَى بِهِ
يوماً يَصيرُ إلى بِلَى ونفادِ

ويُروى عن عليٍّ رضي الله عنهُ أنَّه أنشد عند قبر فاطمةَ رضيَ الله عنها:

لِكُلِّ اجتماعٍ من خليلَيْنِ فُرقةٌ
وكُلُّ الَّذي دُونَ المماتِ قليلُ

وإنَّ افتقادي واحداً بعدَ واحدٍ
دليلٌ على أن لا يدُومَ خليلُ

---

(١) الأسود بن يعفر، شاعر نهشلي تميمي، ويسمى بأعشى بني نهشل. شاعر جاهلي فحل، كان ينادم النعمان بن المنذر. راجع ترجمته في طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي.

والقصيدة في المفضليات بتحقيق هارون ٢/١٥ رقم ٤٤.

وقالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيانِي :

حَسْبُ الخَلِيلَيْنِ أنَّ الأرْضَ بينَهُما
هذا عليْها وهَـذا تَحْتَها [باقِ]

وقالَ ابْنُ شَمْسِ الخِلافة :

برغمي أنْ أعنِّفَ فيكَ دَهْراً قليلاً فكرهُ بِعتْبِهْ
وأنْ أرْعَى النُّجومَ ولستَ فيها
وأنْ أطأ التُّرابَ وأنتَ فيه

وقال التهامي :(١)

حُكْمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جَارِي ما هذهِ الدُّنيا بدارِ قَرارِ
بينَا يُرَى الانسانُ فيها مُخْبِرا
حَتَّى يُرَى خَبَراً مِنَ الأخْبارِ
وَإذا رجوْتَ المسْتحيلَ فإنَّما
تبني الرَّجاء على شَفيرٍ هَارِ
والعيْشُ نَوْمٌ والمنيَّةُ يقْظَةٌ والمرءُ بَيْنَهُما خَيالٌ سارِ

وقالَ أبو تمام : (٢)

فتىً كُلَّما فاضتْ عُيونُ قَبيلةٍ
دَماً ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذِّكْرُ
فتىً ماتَ بَينَ الطَّعْنِ والضرْبِ مِيتةً
تَقُومُ مَقامَ النَّصرِ إذْ فاته النَّصْرُ
وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ
من الضَّرْبِ واعتلَّتْ عليهِ القَنَا السُّمْرُ

---

(١) القصيدة في الكشكول ٢/٢٨٠ وتأهيل الغريب ورقة ١١٧ ، وديوانه .

(٢) ديوان أبي تمام من قصيدة يرثي محمد بن حميد الطوسي ص ٣٦٨

وَنَفْسٍ تَعافُ العارَ حتى كأنما
هو الكُفْرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أوْ دونَه الكُفْرُ

غدا غدوةً والحمدُ نَسْجُ رِدائِهِ
فلَمْ يَنْصَرِفْ إلا وأكفانُه الأجْرُ

تردّى ثيابَ المَوتِ حُمْراً فما دَجَا
لهُ الليلُ إلا وَهْي مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

تعزُّونَ عَنْ ثاوٍ تعزّى بهِ العُلا
وَيَبكي عليه البأسُ والجودُ والشعرُ

إذا شجَراتُ العُرفِ جُذَّتْ فُروعُها
ففي أيِّ فَرْعٍ يوجَدُ الوَرَقُ الخُضْرُ(١)

لئِنْ أُبغِضَ الدَّهرَ الخؤُونَ لفَقْدِهِ
لعهدي بِهِ مِمَّنْ يُحِبُّ لهُ الدَّهرُ

لئِنْ غدَرتْ في الرَّوْعِ أيامُهُ بِهِ
فما زالت الأيامُ شيمتُها الغَدْرُ

وكيفَ احتمالي للغُيُوثِ صَنيعةً
بإسقائِها قبراً وفي لحدِهِ البَحْرُ

ثَوَى في الثَّرى مَنْ كانَ يَحيَى بهِ الثَّرى
ويَغمُرُ صَرْفَ الدَّهرِ نائِلُهُ الغَمْرُ

مضَى طاهرَ الأثوابِ لم تَبقَ بُقعَةٌ
غداةَ ثَوى إلا اشتَهَتْ أنّها قَبْرُ

(١) أول الأبيات في الديوان « إذا شجرات العرف جذت أصولها »

عليكَ سلامُ اللّه وقفًا فإنّني
رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عُمْرُ

وقال أيضا : (١)

أصمَّ بك النّاعي وإنْ كانَ أسمعَا
وأصبحَ مغنَى الجُودِ بعدَكَ بلقعَا
فما كنتَ إلا السّيفَ لاقَى ضريبةً
فقطّعَها ثُم انثنَى فتقطّعَا

وقال المتنبى (٢)

لابدَّ للإنسانِ من ضجعةٍ لا تقلبُ المُضجعَ عن جنبِهِ
ينسَى بها ما كانَ من عُجْبِهِ وما أذاقَ الموتَ من كربِهِ
نحنُ بنو الموتِ فما بالُنا نعافُ ما لابُدَّ مِنْ شُربِهِ
تبخلُ أيدينا بأرواحِنا على زمانٍ هِيَ مِنْ كسبِهِ
يموتُ راعِي الضّأنِ فى جهلِهِ ميتةَ جالينوسَ فى طبِّهِ

وقال أبو العلاءِ المعرّى :

غيرُ مُجدٍ فى ملّتى واعتقادِى نوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِى
وشبيهٌ صوتُ النّعيِّ إذا قيـ ـسَ بصوتِ البشيرِ فى كُلِّ نادِ
صاحِ هذِى قبورُنا تملأُ الرّحـ ـبَ فأينَ القبورُ من عهدِ عادِ

(١) من قصيدة يرثى أبا نصر محمد بن حميد الطوسى ص ٢٧٥ ديوانه

(٢) ديوان المتنبى طبع حزام ص ٥٧٣

خَفِّفْ الوَطْءَ ما أظنُّ أديمَ الأرْ
ضِ إلاّ مِنْ هذِهِ الأجسادِ

وقبيحٌ بنا وإنْ قَدُمَ العَهْدُ هَوانُ الآباءِ والأجدادِ

رُبَّ لحدٍ قد صارَ لحداً مراراً
ضاحِكاً من تَزاحُمِ الأضدادِ

ودَفينٍ على بقايا دفينٍ في طِوالِ الأزْمانِ والآبادِ

فاسْألْ الفَرقدَيْنِ عمّا أحسّا من قَبيلٍ وآنسا من بِلادِ

كم أقاما على ضياءِ نَهارٍ وأنارا لِمُدلِجٍ في سَوادِ

تعبٌ كُلُّها الحياةُ فما أعْجَ
بُ إلاّ مِنْ راغِبٍ في ازْدِيادِ

وإنَّ حُزْناً في ساعةِ المَوْ
تِ لأضْعافُ سُرُورٍ في ساعةِ الميلادِ

خُلِقَ النّاسُ للبقاءِ فضَلَّتْ أمَّةٌ يحسبُونَهم للنَّفادِ

إنّما يُنْقَلُونَ من دارِ أعما لٍ إلى شقْوةٍ أو رَشادِ

فجعةُ المَوْتِ رقْدَةٌ يستريحُ
الجِسْمُ فيها والعيشُ مِثْلُ السُّهادِ

منها:

واغسِلاهُ بالدَّمعِ إنْ كانَ طُهراً
وادْفناهُ بين الحَشا والفُؤادِ

قد أقرَّ الطّبيبُ عَنكَ بعجْزٍ وتقضَّى تردُّدُ العُوّادِ

وانتهى اليأسُ منكَ واستشعرَ الوا
جِدُ أنْ لامعادَ حتّى المعادِ

زُحَلٌ أشرفُ الكواكبِ داراً   من لقاءِ الرَّدى على ميعادِ

ولنارِ المريخِ من حَدَثانِ الدَّ
هرِ مُطفٍ وإنْ علتْ في اتّقادِ

والثريّا رهينةٌ بافتراقِ الشَّمْـ
لِ حتّى تُعَدَّ في الأفرادِ

واللبيبُ اللبيبُ من ليسَ يغترّ   بكونٍ مصيرُه للفسادِ

وقال أيضا :

أحسنُ بالواجدِ من وجدِهِ   صبرٌ يُعيدُ النارَ في زندِهِ

ومن أبى في الرُّزءِ إلاّ الأسى   كانَ بُكاهُ منتهى جُهدِهِ

والشيءُ لا يكثرُ مُدّاحُهُ   إلا إذا قيسَ إلى ضدِّهِ

يادهرُ يامُنجِزَ إيعادِهِ   ومُخلفَ المأمولِ من وعدِهِ

أيُّ جديدٍ لكُمُ لمْ يُبْلِهِ   وأيّ قرنٍ لكمُ لمْ يُرْدِهِ

لو عرفَ الإنسانُ مقدارَهُ   لم يفخرِ المولى على عبدِهِ

كم صائنٍ عنْ قُبلةٍ خدَّهُ   سُلِّطتْ الأرضُ على خدِّهِ

وحاملٍ ثِقلَ الثَّرى جيدُهُ   وكانَ يشكو الثِّقلَ من عِقدِهِ

سلّمْ إلى اللهِ فكلُّ الذي سـ   ـرّكَ أو ساءكَ من عندِهِ

لابن اللبّانة يرثي آلَ عبّاد : (١)

تبكي السماءُ بمُزْنٍ رائحٍ غادي
على البهاليلِ من أبناءِ عبّادِ

---

* ابن اللبانة : أبو بكر محمد بن عيسى . شاعر المعتمد بن عباد الاشبيلي ، وصاحب المراثي فيه وفي دولته (توفي سنة ٥٠٧ هـ) راجع ترجمته في المغرب لابن سعيد ٢/٤٠٩ ، والمعجب ٢٠٨ والقلائد ٢٤٥ والمطرب ١٨٧ وفوات الوفيات ٢/٥١٤ والتكملة ٤١٠ .

(١) راجع نفح الطيب — طبع إحسان عباس ٤/٢١٤ .

على الجبال التى هُدّت قواعدُها
وكانت الأرضُ منهم ذاتَ أوتادِ
عريسةٌ دخلتها النائبات على أساورٍ لهم فيها وآسادِ (١)
وكعبةٌ كانت الآمالُ تخدمُها
فاليومَ لا عاكفٌ فيها ولا بادى
ياضيفُ أقفرَ بيتُ المكرُماتِ فخذْ
فى ضمِّ رحلِكَ واجمعْ فضلةَ الزادِ
ويامؤمِّلَ واديهم ليسكُنَهُ
خفَّ القطينُ وجفَّ الزرعُ والوادى
وأنتَ يافارسَ الخيلِ التى جُعلتْ
تختالُ فى اعدُدٍ منهُم وأعدادِ
إنْ تخلعُوا فبنُو العبّاس قدْ خُلِعُوا
وقدْ خلتْ قبلَ حمصٍ أرضُ بغدادِ
حمُوا حريمتَهُمْ حتّى إذا غُلِبُوا
سِيقُوا على نسقٍ فى حبْلِ مُقتادِ
وأنزلُوا عَنْ متُونِ الشُّهْبِ واحتُمِلُوا
فُوَيقَ دُهْمٍ لِتلكَ الخيلِ أنْدادِ
وعِيثَ فى كل طوق من دروعهم فصيغ منهنّ أغلالُ لأجيادِ (٢)
تُسبيتُ الأعداءُ الشهرَ كونَهُمُ فى المنشآت كأموات بألحادِ

(١) الزيادة من نفح الطيب

(٢) الزيادة من نفح الطيب

والناسُ قد ملأوا العبرين واعتبروا ... من لؤلؤ طافيات فوقَ أزيادِ
حُطَّ القناعُ فلم تستر مخدرةٌ ... ومزقت أوجهٌ تمزيقَ أبرادِ
حانَ الوداعُ فضجَّت كل صارخةٍ ... وصارخٍ من مُفداةٍ ومنَ فادِ
سارتْ سفائنهم والنوح يصحبها ... كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم ثالِ فى الماء من دمع وكم حملت ... تلك القطائع من قطعات أكباد

وقال ابن اللبانة أيضًا : (١)

أفكرُ فى عهدٍ مضى لكَ مُشرق ... فيرجعُ ضوءُ الصبحِ عندِيَ مُظلِما
وأعجبُ من ضوءِ المجرةِ إذْ رأى ... كسوفَك شمسًا كيفَ أطلعَ أنجُما
لئن عظُمتْ فيكَ الرزيةُ إنما ... وجدْناكَ منها فى المزيةِ أعظما
قناةٌ سعَتْ للطعْنِ حتى تقصَّدَت (٢) ... وسيفٌ أطالَ الضربَ حتى تثلَّما
وطودٌ غريبٌ فى الشواهقِ أمرهُ ... تثنى ظلهُ منْ فوقِنا وتهدَّما
صبَاحُهُم كُنّابه نحمَدُ السُّرى ... فلمّا عدِمْنَاهُ سرَينا على عمَى

(١) ذكر ابياتا منها فى نفح الطيب ٤/٢٥٧

(٢) النفح « تقصدت »

وكنا رعينا العز حول حماهم
فقد أقفر المرعى وقد أجدب الحمى(١)

وقد ألبست أيدى الرياح ديارهم
مناسج سدى الغيث فيها وألحما

كأن لم يكن فيها أنيس ولا التقى
بها الوفد جمعا والخميس عرمرما

جرى القدر الجارى إلى نقض أمره
فعاد سحيلا بعد ما كان مبرما

مصاب هوى بالنيرات من العلى
فلم يبق فى أرض المكارم معلما

تضيق على الأرض حتى كأننى
خلقت وإياها سوارا ومعصما

بكيتك حتى لم يخل لى الهوى
دموعا بها أبكى عليك ولا دما

بكاك الحيا ، والريح شقت جيوبها
عليك وناح الرعد باسمك معلما

ومزق ثوب البرق واكتست الدجى
حدادا وقامت أنجم الليل مأتما

وحار ابتسام الإصباح وجدا فما اهتدى
وغاض أخوك البحر غيضا فما طمى

(١) القلع « أجدب المرعى . . وأقفر الحمى »

وقال الشريفُ الرضيُّ : (١)

أبكيكَ لو نقعَ الغليلُ بكائِي
وأقولُ لو ذهبَ المقالُ بدائِي

وأعوذُ بالصَّبرِ الجميلِ تعزياً
لوكانَ في (٢) الصَّبرِ الجميلِ عزائِي

كم عبرةٍ موَّهتُها بأناملِي
وسترتُها متجمِّلاً بردائِي (٣)

وتفرَّقَ البُعداءُ بعدَ تجمُّعٍ (٤)
صعبٌ فكيفَ تفرُّقُ القُرباءِ

وله في رثاء الحسين بن عليّ رضي الله عنهما : (٥)

ياغيرة الله اغضبي لنبيِّهِ
وتزحزحي بالبيضِ عن أغمادها

من عُصبةٍ ضاعتْ دماءُ محمَّدٍ
وبنيهِ بينَ يزيدها وزيادِها

وله في أبي اسحاق الصابي(٦) :

أرأيتَ (٧) من حملوا على الأعوادِ
أرأيتَ كيفَ خبا ضياءُ النادِي

---

(١) قال يرثي والدته فاطمة بنت الناصر ديوانه ١٨

(٢) في الديوان « بالصبر »

(٣) البيت الرابع في القصيدة

(٤) في الأصل « مودة »

(٥) ديوانه ص ١٧٨

(٦) هو ابو أسحق ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب ، توفي سنة ٣٨٤ هـ وكان بينهما من المودة الأكيدة والمكاتبات بالنظم والنثر ماهو معروف ، وبلغ من العمر إحدى وتسعين سنة . الديوان ص ٢٩٤ .

(٧) في الديوان « أعلمت »

بُعْدًا ليومِك في الزّمانِ فإنّه
أقْذَى العُيُونَ وفتَّ في الأعضادِ (١)

كيفَ امّحَى ذاكَ الجَنابُ وعطّلتْ
تلكَ الفجاجُ وضلَّ ذاكَ الهادِي (٢)

قد كنتُ أرجُو (٣) أنْ أشاطِرَك الرّدَى
لكنْ مُرادَ اللهِ غيْرُ مُرادِي (٤)

وللشّامي يرثي ولدَه:

أبا الفضْلِ طالَ الليلُ أمْ خانَني
صَبْري فخيّلَ لي أنْ الكواكبَ لا تسْري

بِرُوحي هلالٌ كنتُ أرجُو تمامَهُ
فعاجَلَهُ المِقْدارُ في غُرّةِ الشّهْرِ

وشِبْلٌ رجَوْنا أنْ يكونَ غضَنْفَرًا
فماتَ ولمْ يخرُجْ بنابٍ ولا ظُفُرِ

وجادَتْ به الأيّامُ وهيَ بخيلةٌ
وقدْ ينْبُعُ الماءُ الزّلالُ من الصّخرِ

وإنّا لفي الدّنيا كركْبِ سفينةٍ
نُظَنّ وقوفًا والزّمانُ بنا يجْري

---

(١) البيت رقم ٤ في القصيدة

(٢) البيت رقم ٦

(٣) في الديوان « أهوى »

(٤) البيت رقم ٢٩

مرثية فى مصلوب :

عُلُوٌّ فى الحياةِ وفى المماتِ ... لحقٌّ أنتَ إحدى المعجزاتِ

كأنَّ الناسَ حولكَ حينَ قاموا ... وفودُ نداكَ أيامَ الصِّلاتِ

كأنكَ قائمٌ فيهم خطيبًا ... وكلُّهم قيامٌ للصلاةِ

ولما ضاقَ ظهرُ الأرضِ عن أنْ ... يضمَّ علاكَ أيامَ المماتِ

أصاروا الجوَّ قبركَ واستنابوا ... عن الأكفانِ ثوبَ السافياتِ

ولبعضهم فى رجلٍ ماتَ فى يومٍ صائفٍ، ووقعَ المطرُ فى ذلك اليوم:

بنفسىَ من أبكى السماواتِ فقدُه ... بغيثٍ ظننَّاهُ نوالَ يمينه

وما استعبرتْ إلاَّ أسىً وتوجُّعًا

وإلاَّ فما للقطرِ فى غيرِ حينِه

وقال بعضهم :

لعمرُكَ ما الرزيةُ فقدُ مالٍ

ولا شاةٌ تموتُ ولا بعيرُ

ولكنَّ الرزيةَ فقدُ حرٍّ ... يموتُ لموتِه خلقٌ كثيرُ

مرثية فى شريف :

لكمْ فى رسولِ اللهِ أحسنُ أسوةٍ

وقد ماتَ وهوَ المصطفى خاتمُ الرُّسلِ

تسلَّوا بِه إذْ أنتمُ أهلُ بيتِهِ

ولا خلقَ أولىَ بالتسلِّى منَ الأهلِ

وقال بعضُهم يرثى شريفًا غرقَ فى نهرِ يزيد بدمشق :

بنو عليٍّ يزيدُ حيثُ كانَ لهمْ

حربٌ فمن حلَّ منكمْ فيهِ لم يعشِ

وقيل فى غريق آخر :

وكنتُ أهْدِى معَ الرِّيحِ السَّلامَ لهُ
ماهبَّتْ الرِّيحُ فى صُبْحٍ وإمْسَاءِ

إحدى ثِقاتى عَليه كنتُ أحسبُها
ولم أخَلْ أنّها من بعضِ أعدائى

وقد كرهتُ لذيذَ المَاءِ من أسَفٍ
عليهِ إذْ كانَ يُذْكِى نارَ أحشائى

والمَاءُ فيهِ حياةُ الخلقِ كلّهمُ
فكيفَ أمسَى وفيهِ دونَهم دائى

من غَصّ داوَى بِشُربِ المَاءِ غُصَّتَهُ
فكيفَ حيلةُ من قدْ غَصّ بالمَاءِ

فى غريق أيضًا :

قالوا أيطْبَعُهُ الغديرُ مُفاضَةً . منه ويُهلِكُه مقالا باطلاً
فأجبتُهم إن الحِمَامَ إذا أتى طبعَ الدُّرُوعَ أسِنَّةً ومناصلاً

وفى غريق أيضا :

ومازلتُ أستسقِى له الغيثَ دائماً
وأهْدِى مع الريحِ السّلامَ المردّدا

فكانَ الذى استسقيتُ أولَ غادرٍ
بهِ والذى استشفيتُ من أعظمِ العِدَى

ولبعضهم يرثى الوزير المهلبى :

يامعشرَ الشُّعراءِ دعوةَ موجَعٍ لا يرتجى فرجُ السُّلوِّ لديهِ
عزُّوا القوافىَ بالوزيرِ فإنّها تبكى دماً بعدَ الدُّموعِ عليه

هدَمَ الزَّمانُ بموتهِ الحِصنَ الَّذِي كنَّا نفرُّ من الزَّمانِ لَدَيهِ

ولعُمارةَ اليَمنيّ يرثي الصّالح بن رزّيك :

زالتْ ليالي بني رزّيكَ وانصرمَتْ والحمدُ والذّمّ فيها غيرُ منصرمِ

كأنَّ صالحَهمْ يوماً وعادلَهُم

في صدر ذا الدّستِ لم يقعُدْ ولم يقُمِ

كنّا نظُنُّ وبعضُ الظنِّ مأثمةٌ

بأنَّ ذلكَ جمعٌ غيرُ منهزمِ

فمُذْ وقعتْ وقوع النّسر خانَهُمُ

من كانَ مجتمعًا من ذلك الرّخمِ

ولم يكونُوا عدُوًّا ذلَّ جانبُه

وإنّما غرقُوا من سيلِكَ العرِمِ

وماقصدْتُ بتعظيمي عِداك سوَى

تعظيمِ قدْرِكَ فاعذُرني ولا تلُمِ

ولو شكرتُ لياليهم مُحافظةً

لعهْدهم لمْ يكُنْ بالعهْدِ من قِدَمِ

ولو فتحتُ فمي يوماً بذمّهمُ

لم يرْضِ فضلُكَ إلا أنْ يسُدَّ فمي

ولهُ أيضاً في الصّالح بن رزّيك :

أفي أهْل ذا النّادي عليمٌ أُسائلُهْ

فإني لما بي ذاهبُ العقْلِ ذاهِلُهْ

سمعتُ حديثاً أحسُد الصّمّ عندَهُ

ويذْهلُ داعيه ويخرسُ قائلُهْ

فقد رابنى من شاهدِ الحالِ أننى
أرى الدَّستَ منصُوباً وما فيه كافلُهْ
وأنىّ أرى فوقَ الوجُوهِ كآبةً
تدُلّ على أنّ النفُوسَ شواكِلُهْ
دعُونى فمَا هذَا أوانُ بكائِهِ
سيأتيكُم طلُّ البُكاءِ ووابِلُهْ
فياليتَ شعْرى بعدَ حُسْنِ فعالِه
وقد غابَ عنَّا ما بِنَا الدَّهرُ فاعِلُهْ

وله أيضاً فى بنى رُزّيك :

أيُّها البابُ لِمْ علاكَ اكتئابُ
أينَ ذاكَ الحِجَابُ والحُجّابُ
أينَ من كانَ يَفزعُ الدَّهرُ منه
فهوَ الآنَ فى التُّرابِ تُرَابُ

وقال بعضهم :

وليسَ صريرُ النَّعشِ ما تسمعُونَهُ
ولكنَّه أصلابُ قومٍ تقَصَّفُ
وليسَ نسيمُ المِسْكِ ريَّا حَنُوطِهِ
ولكنَّه ذاكِى الثناءِ المُخلَّفُ
وقد قُلتُ الرجل المُولَّى بغسله
هَلاَّ أطاعَ وكنتَ مِنْ نُصحائِه
جَنِّبْهُ ماءَكَ ثم غسِّلْهُ بِمَا
أذْرَتْ دمُوعُ المَجْدِ عندَ بكائِهِ

وأزلْ أفاويهَ الحنوطِ وطيبَه
عنهُ وحنِّطهُ بطيبِ ثنائِه

وللعسكرى أبى الحسن المعروفِ بالهادِى بنِ محمد الجوادِ ابن علىّ الرّضى الذى ماتَ فى حبس المتوكِّل :

ماتوا على قُلَلِ الأجبالِ تحرُسُهم
غُلْبُ العقاب فما أغنتهُم القُلَلُ

واستنزلُوا بعد عزٍّ من معالمِهِم
واسكِنُوا حفرا يا بئسَ ما نزَلُوا

ناداهمُ صالحٌ من بعد ما قُبِرُوا
أينَ الأسرَّةُ والتيجانُ والحُلَلُ

أينَ الوجوهُ التى كانتْ منعَّمَةً
مِن دونِها تُضربُ الأستارُ والكِلَلُ

فأفصحَ القبرُ عنهمْ حينَ ساءَلهم
تلكَ الوجُوه عليها الدُودُ يَقتَتِلُ

ولبعضهم فى ابن البوَّاب لمَّا مات :

استشعرَ الكتّابُ فقدكَ آنِفاً
وقضتْ بصحةِ ذلكَ الأيامُ

ولعبدِ الملك الزّيات يرثى أمّهُ :

ألا منْ رأى الطّفل المُفارقَ أمّهُ
بُعيْدَ الكرى عيناهُ تبتدرانِ

رأى كل أمٍّ وابنها غيرَ أمّه
يبيتانِ تحتَ الليلِ ينتجيانِ

فهَبني عدِمتُ الصَّبرَ عنها لأنَّني
جليدٌ فمن للصَّبرِ بابنِ ثمانِ

ضعيفُ القوى لا يعرفُ الأجرَ حِسبةً
ولا يأتي منَ الناسِ بالحدثانِ

والمتنبيّ من القصيدةِ التى أوّلها (١) :

نُعِدُّ المَشرفيَّةَ والعَوالي وتقتلُنا المنُونُ بلا قِتالِ

يقول فيها(٢) :

ولو أنَّ النِّساءَ كمَن فقدنا لفُضِّلتِ النِّساءُ على الرِّجالِ

فكهذا يكونُ مدح النساء تلويحاً بأوصافهم لا تصريحاً ، كما قال المتنبي أيضاً

يا أُختَ خيرِ أخٍ يا بِنتَ خيرِ أبٍ
كنايةً بِهما عن أشرفِ النَّسبِ

أُجِلُّ قدرَكِ أن تُسمَى مؤبَّنةً
ومن يَصِفْكِ فقد سمّاكِ للعربِ

فهذا أبلغُ ما يكونُ فى مدحِ النِّساءِ .

والمتنبي أيضاً(٣) :

إنّي لأجبُنُ من فِراقِ أحبّتي
وتُحِسُّ نفسي بالفِراقِ فأشجعُ(٤)

---

(١) ديوان المتنبي طبع د. عزام ٢٥٣ .

(٢) البيت رقم ٣٣ وروايته «ولو كان» .

(٣) ديوان المتنبي ص ٥٠٦ .

(٤) البيت الرابع فى القصيدة ورواية الشطر «يحس بالحمام» .

وَيزيدني غَضَبُ الاعادي قسوةً
ويلم بي عَتْبُ الصديقِ فأجزعُ
تصفو الحياةُ لِجاهلٍ أو غافلٍ
عن ما مضَى مِنها وما يُتوقَّعُ
أينَ الذي الهرمَان من بُنيانِه
ما قومُه ما يومُه ما المَصرعُ(١)
تتخلَّف الآثارُ عن أصحابِها
حيناً ويُدركُها الفناءُ فتتبعُ(٢)

وله أيضاً في المَراثي شيءٌ كثيرٌ يطلبُ من ديوانِه ، فإنّه غايةٌ في الحُسن ، ولو أتينا به في هذا الباب لطال . وما أحسن قصيدة حمزة بن عبد الرازق التي رثى بها ابن منقذ الكنانيّ أبا صاحبِ قلعة شيزر :

ألا كلُّ حيٍّ مقصدَاتٌ مقاتِلُه
وآجلُ ما يُخشى من الدهرِ عاجِلُه
لعمرُ الفتى إنَّ السلامةَ سُلَّمٌ
إلى الموتِ والمغرورُ بالعيشِ آملُهْ
مضَى قيصرٌ لم تُغنِ عنهُ قصُورهُ
وجُدِّل كسرى ما حمتْهُ مجَادِلُه
وما صدَّ مَلْكاً عنْ سليمانَ ملكُهُ
وما منعتْ منه أبَاه غَرابِلُه

(١) البيت رقم ٨ .

(٢) رواية البيت « فتتبع » ديوانه .

ولم يبقَ إلا من يرُوحُ ويغتدي
على سفرٍ تنأى عن الأهلِ قافلُه
وما نفسُ الإنسانِ الا خزامه
بأيدي المنايا والليالي مراحلُه
لقد دفنَ الأقوامُ أروعَ لم تكنْ
بمدفونةٍ طولَ الزّمانِ فضائلُه
يمرُّ على الوادي فتثني رمالُه
عليه وبالنادي فتبكي أراملُه
سرى نعشُه فوقَ الرّقابِ وطالما
سرى جودُه فوقَ الرّكابِ ونائلُه
أفاضَ عيونَ النّاس حتى كأنما
عيونُهم مما تفيضُ أناملُه
فيا عينُ سحّي لا تشحّي لسائلٍ
على ماجدٍ لم يعرفِ الشحَّ سائلُه
متى تسألوهُ المالَ تندَ بنانُه
وإنْ تسألوهُ الضيفَ تندَ عواملُه
وكمْ عادَ عنهُ بالخسارِ مخادعٌ
وكم نالَ منه قانعٌ ما يحاولُه

(٢) [illegible]

وأما الإغراء بالتحريض

يقال : أغريتَ الكلبَ بالصيدِ إذا حرّشته به ودللته عليه. وأغريتَ بينهم إذا أوقعتَ بينهم كلاماً يشوّش عليهم ، والإسم الغِراء . وغَرِى فلانٌ بالشيء إذا أُولِعَ بِهِ . والتحريضُ هو الحثُّ على الشيءِ وفعليه ، ولمّا كانَ الشاعر إذا ذكر كلاماً فيه مساوىء المهجوّ أغرى القلوبَ عليهِ أو كان لهُ قصدٌ فى أذيّةِ قومٍ أو الاحسانِ إليهم عرّض بذِكرِ ذلك الشيءِ فسُمّى هذا النوعُ الإغراءَ والتحريضَ .

فمن ذلك ما رُوى أنَّ سديفا دخلَ على أميرِ المؤمنين أبى العبّاس السفّاح وعندهُ سُليمانُ ابنُ هشام ، وقيل ابراهيمُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملك ، فأنشدهُ :

إلا يغرّنك مـا ترى من أُناسٍ

إنَّ تحتَ الضلوعِ داءً دويّـا

فضعِ السيفَ وارفعِ السَّوطَ حتى

لا ترى فـوقَ ظهرِها أُمويّا

فقالَ الأموىُّ : قتلتنى يا شيخُ قتلك اللهُ . ونهضَ أبو العبّاس فوضعَ سيفَه فى عُنقِ سُليمانَ بنِ عبد الملك فقتله لساعتِه .

ومن ذلك قولُ شبل بنِ عبد ربّه حين دخل على عبدِ اللهِ ابنِ علىٍّ يحرّضُه على بنى أميّة وعنده منهم ثمانون رجلاً ، فأنشدَه يقول :

أصبح المُلكُ ثابتَ الآساسِ بالبهاليل من بني العبّاسِ

يقول فيها :

أقصهم أيُّها الخليفةُ واقطع
عنهُ بالسّيفِ شأفةَ الأرجاسِ

ذُلُّهم أظهرَ التودّدَ فيهم
وبهم منكمُ كحدّ المواسي

ولقد ساءني وساءَ سوائي قربُهم من نمارقٍ وكراسي

أنزلوها بحيثُ أنزلها اللّه بدارِ الهوانِ والإتعاسِ

واذكروا مصرعَ الحُسَين وزيداً
وقتيلاً بجانبِ المِهرَاسِ

والقتيلَ الّذي بحرّانَ أمسى ثاوياً بينَ غُربَةٍ وتناسي

فلما سمعَ الخليفةُ ذلكَ قتلَ الثمانينَ رجلاً من بني أميّة، وألقى عليهم البُسُطَ ، وجلسَ للغداء . وقال : ما أكلتُ أكلةً ألذَّ منها .
ولقدَ رآه بعضُ من حضَر وهو يأكلُ بشماله فقال: لم تأكل بشمالك؟
فقال : إنّ يميني مشغولةٌ برأسٍ تضطربُ تحتي فأنا ماسكُهُ
إلى أن يسكُت .

ولما وثبَ ابراهيمُ بنُ المهديِ على المأمون اقترض من التجار أموالاً كثيرةً ، وكانَ منها لعبدِ الملكِ الزيّاتِ عشرةُ آلافِ دينار ،فلمّا لم يتم أمرُه لَوَى التُّجارِ أموالَهم ، فصنعَ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ قصيدةً يخاطبُ فيها المأمونَ ، يقولُ منها مُغريًا بإبراهيم بن المهديّ :

ووالله مامِنْ توبةٍ نَزعت بِهِا
إليكَ ولا حُبُّ ثواهُ بلادُهُ

وكيف بمن قد بايع الناس والتقت

ببيعته الركبان غوراً إلى نجد

ومن صك تسليم الخلافة سمعه

ينادى بها بين السماطين من بعد

ومولاك مولاه وجندك جنده

وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد

وأى امرىء سمى بها قط نفسه

ففارقها حتى يغيب فى اللحد

وعرضها على إبراهيم أولاً وقال: عملتها لأنشدها أمير المؤمنين، فسأله كتمانها واستحلفه على ذلك وأدى مال أبيه إليه دون سائر أموال الناس.

ومن ذلك قول الخريمى يحض :

بنى دارم إن لم تغيروا فبدلوا

عمائمكم يوم الكريهة بالخمر

فإن القرى والمدن حيزت بأعبد

وما سلمت أفحوصة لفتى حر

وربطتم بأطناب البيوت جيادكم

وخيل العدى فى كل ملحمة تجرى

إذا ما شببتم نار حرب وقودها

صدور العواصى والمثقفة السمر

ضمنت لكم أن ترجعوها حميدة

رواجف غب الروع بالنعم الحمر

ومن التعريضات الجيدة ما رُوِىَ عن عمارة اليمنىّ فى تحريضه شمس الدَّولة أخى صلاح الدِّين رحمهم الله على ملك اليمن . يقول فيها :

لمْ تتركْ البيضَ فى الأجفانِ ظامئةٌ
إلى التواردِ فى الأعناقِ والقممِ
أمامكَ الفتحُ من شامٍ ومن يمنٍ
فلا تردَّ رؤوسَ الخيلِ باللُّجُمِ
واخلقْ لنفسكَ ملكاً لا تضافُ بهِ
إلى سواكَ وأورِ النارَ فى العَلَمِ

وربَّ أمرٍ تخافُ النَّاسُ غايتَه والأمرُ أهونُ فيهِ من يَدِ القَلَمِ

ومما قيلَ فى الإغراءِ :

يا ملكاً أضحَتْ دواوينُه	مَضَرَّةَ المُلْكِ بلا منفعَهْ
كم خرَّبوا من عملٍ عامرٍ	وتركُوا من ضيعةٍ مضيعَهْ
لم يحملوا من جهةٍ درهماً	إلا وقدْ خانوكَ فى أربعَهْ
مسلَّمُ الأمرِ إليهم كما	يُسلَّمُ الجُرْنَ إلى زوبعَهْ

ودخل رجُلٌ إلى المأمونِ وعندهُ يهوديٌّ جالسٌ فأنشدهُ :

يا ابنَ الذى طاعتُهُ فى الورى	وحُكْمُهُ مفترضٌ واجبُ
إنَّ الذى شُرِّفتَ من أجلِهِ	يزعمُ هذا أنه كاذبُ

وأما الحكم والأمثال

فالحكيمُ هو المتقِنُ الأمورِ ، والحُكْمُ والحِكْمةُ بمعنًى واحد. قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إن مِنَ الشِّعر لحِكَماً» بمعنى حِكْمة. وقال عليه السلام: «الحِكْمةُ ضالّةُ المؤمِنِ فهو أحقُّ بها إذا وجَدها».

وحدُّها: أنها اتّفاقُ المعاني اللائقة بأحوالِ النّاس والتعبير عما يقعُ لهُم في غالب الأمُور. ولا تصدُرُ الحِكْمةُ في الغالِبِ إلاّ عن العُقَلاءِ المُجرِّبين المتبصِّرِينَ بعواقِبِ الأمور، فينطِقُ الإنسانُ عن أحوالِ النّاسِ بكلمةٍ تجمَعُ أنواعاً كثيرةً. والنّاسُ متفاوتُون في ذلك، فمنهُم من يتوسَّط ومنهم من يُجيدُ.

وأما الأمثال، فواحدُها مثَلٌ، ومثلُ الشيءِ صِفَتُه، ومعناه قريبٌ من الحِكْمَةِ ولهذا جُعلا في بابٍ واحدٍ. يقالُ تمثَّل فلانٌ بالبيْت أيْ استشهَد به فمِنَ النّاس منَ يأتي بمثَلٍ أو مثَلَيْنِ، وثلاثة أو أربعةً في بيتٍ واحدٍ، كما قيل:

خُذْ العفوَ وأبَ الذّمَّ واجتنِبِ الأذى
واغضُضْ تسُدْ ، وارْفُقْ تنَلْ واسْخُ تُحمَدِ

ومثله:

لعيش أعيش في ذُرَى حسبٍ ودَم
تدمْ الخيْراتُ وابقَ يبقَ العمدُ والمؤةُ

ومثله :

خاطر تَفِدْ وارتَدْ تَجِدْ واكرُمْ تَسُدْ

وانقُدْ تَقُدْ واصغُرْ تَعُدّ الأكبرا

قال أبو تمام (١) :

إقدامُ عمرٍو في سماحةِ حاتمٍ في حِلْمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

قال المتنبي (٢) :

والموتُ يُمْهِلُ والحياةُ شهيةٌ والشيبُ أوقرُ والشبيبةُ أنزقُ

والموتُ آتٍ والنفوسُ نفائسٌ

والمستعِزُّ بما لديهِ الأحمقُ

وقال بعضهم :

الهمُّ فضلٌ وطولُ العيشِ منقطعٌ

والموتُ آتٍ وروحُ اللهِ تنتظرُ

وقال امرؤ القيس :

اللهُ أنجحُ ماطلبتَ بهِ والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ

وقال المتنبي (٣) :

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بينَ طعنِ القنا وخفقِ البنودِ

---

(١) من قصيدة في مدح أحمد بن المعتصم ، ديوانه ص ١٧٤ البيت رقم ٢٣ بالقصيدة

(٢) في ديوانه يختلف ترتيب البيتين وتختلف روايتهما : فالأول « فالموت آت والنفوس نفائس » والثاني « والمرء يأمل والحياة شهية »

راجع الديوان ط عزام ص ٢١

(٣) ديوانه ص ١٠ والبيت الثاني بعد الأول بجملة أبيات

واطلب العزَّ فى لظى وذر الذلَّ ولو كان فى جنان الخلود

وله (١):

تذلّلْ لها واخضع على القرب والنوى

فما عاشق من لا يذل ويخضع

وله (٢):

يجنى الغنى للئام لو عقلوا ماليس يجنى عليهم العدم

وله (٣):

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدى إلى عينيك نوراً ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهراً

جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس فى كبد السماء وضوءها

يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

ماقيل من الحكم فيما أوله قد:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزلل (٤)

غيره:

قد سلط الحمد على ماله والمال لايبقى مع الحمد

(١) ديوانه ص ٢٣ .

(٢) ديوانه ص ٨٥ .

(٣) ديوانه ص ١٠٢ .

(٤)

غيره :

قد أسمعت لو ناديت حيًّا
ولكن لا حياةَ لمن تنادى

غيره :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

غيره :

وقد يكهم السيفُ المسمى منيّة
وقد يرجع المرء المظفّر خائبا

غيره :

قد هوّن الحزم عندى كل نازلة
وليّن العزم حدّ المركب الخشن

* * * *

ما قيل فيما أوله : «رب»

ربّ حلم أضاعه عدم المال
وجهل غطّى عليه النعيم

غيره :

ولربما ترك الإساءة مشفق
وغدا على غلّ الضمير الزائر

ما قيل فيما أوله «من» :

ومن يطع الواشين لا يتركوا له
صديقا ولو كان الحبيب المقربا

غيره :

ومن يبتدع من ليس من خيم نفسه
يدعه ويغلبه على النفس خيمها

غيره :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ومن يغترب يحسب عدوًا صديقه
ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

غيره :

ومن يربط الكلب العقور ببابه
فعقر جميع الناس من رابط الكلب

غيره :

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه
فلا تتخذ شيئاً يخاف له فقدا

غيره :

ومن لم يسالم النوائب أصبحت
خلائقه طرًا عليه نوائبا

غيره :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها
سرور محب أو إساءة مجرم

غيره :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

غيره :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل الفقر

ما قيل فيما أوله ما :

ما أنت إلا كالسراب بقيعة
توهمه الظمآن ماء من البعد

غيره :

وما كل ما تهوى النفوس بنافع
ولا كل ما تخشى النفوس بضائر

غيره :

وما المرء خير فى حياة
إذا ما عد من سقط المتاع

غيره :

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

غيره :

وما كنت أرضى بالجهالة مطية
ولكنه من يختشى سورة بما يركب

غيره :

ما تبلغُ الأعداءُ من جاهلٍ
ما يبلغُ الجاهلُ من نفسِه

غيره :

ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يدركُهُ
تجرى الرياحُ بما لا تشتهى السفنُ

غيره :

وما يوجع الحرمانُ من كفِّ حارمٍ
كما يُوجِع الحِرمانُ من كفِّ رازقِ

غيره :

ما كلُّ من طلبَ المعالى نافذا
فيها ولا كلُّ الرجالِ فحولُ

ما قيل فيما أوله « لا » :

ولا خيرَ فى عِرضِ امرىءٍ لا يصونُه
ولا خيرَ فى حِلم امرىءٍ ذلَّ جانبُهْ
ولا خيرَ فى طولِ الحياةِ إذا امرؤٌ
مضى ام لمْ تُذْكَرْ بخيرٍ عواقِبُهْ

غيره :

لا يَصلحُ الناسُ فوضى لا سراةَ لهُمْ
ولا سَراةَ إذا جُهّالُهُم سادُوا

غيره :

لا يَلتبسُ القُرباءُ أنْ يتفرقُوا
ليـــلٌ يكرُّ عليهمُ ونهارُ

غيره :

لا أذودُ الطيرَ عن شجرٍ
قد بلوتُ المُرَّ من ثمرِه

غيره :

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه
عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

غيره :

فلا مجدَ في الدنيا لمن قلَّ مالُه
ولا مالَ في الدنيا لمن قلَّ مجدُه

ما قيل فيما أوله « إن » :

إنَّ الشجونَ على القلوبِ إذا جنتْ
عادتْ مضرَّتُها على الأجفانِ

غيره :

وإنَّ أميرَ المؤمنين وفعلَه
لكالدهرِ لا عارٌ بما فعلَ الدهرُ

غيره :

إنّي أريدُكَ للدنيا وعاجلِها
ولا أريدُكَ يومَ الدينِ للدينِ

غيره :

إنَّ العدوَّ وإنْ أبدى مسالمةً
إذا رأى منكَ يوماً فرصةً وثبا

غيره :

وإن كنتُ مأكولاً فكنْ أنتَ آكِلِي
وإلاَّ فأدرِكْني ولمّا أُمزَّقِ

غيره :

إنّا لفي زَمنٍ تَرْكُ القبيحِ بهِ
من أكثرِ النّاسِ إحسانٌ وإجمالُ

غيره :

إنَّ السَماءَ تُرجَّى حينَ تحتجِبُ

غيره :

إنَّ العَظيمَ على العَظيمِ صَبُورُ
إن القليلَ من المُحِبِّ كثيرُ

غيره :

إنَّ الكرامَ بأسخاهُم يداً خُتِمُوا
إنَّ الكريم على العَطَا يحتَالُ

غيره :

إنّه لتفضُلُ والأيّامُ في الطَلَبِ

غيره :

إنّما الناسُ حيثُ شِئتَ وما النّا
سُ بِناسٍ في مَوضعٍ مِنكَ خالِي

ما قيل فيما أوّله « إذا » :

إذا المرءُ لم يدنَسْ من اللؤمِ عِرضُهُ
فكلُّ رداءٍ يرتَديه جَميلُ

غيره :

إذا المرءُ أعيتْهُ السيادةُ ناشئاً

فمطلبُها كهلاً عليه شديدُ

غيره :

وإذا امرؤٌ داجاكَ فاجْعَلْ حظَّه

عندَ اللقاء تحيةً وسلاما

غيره :

إذا أنتَ لم تُشْرِكْ رفيقَكَ في الذي

يكونُ كفافاً لَمْ يشارِكْكَ في الفضلِ

غيره :

إذا أنتَ حمَّلتَ الخؤونَ أمانةً

فإنكَ قد حمَّلتَها غيرَ مسندِ

غيره :

إذا أنتَ عبتَ الأمرَ ثم أتيتَه

فأنتَ ومن تُزري عليهِ سواءُ

غيره :

إذا كبا بالفتى زمانٌ

[illegible] لم يغنِ حزمٌ ولا حذارُ

غيره :

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ

لهُ عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

غيره :

إذا تضايقَ أمرٌ فانتظرْ فرجاً
فأضيقُ الأمرِ أدناهُ من الفرجِ

غيره :

إذا رُزقَ الفتى وجهاً وقاحاً
تقلَّبَ في الأمورِ كما يشاءُ

غيره :

وإذا جهلتَ من امرِئٍ أعراقَهُ
وقديمَهُ فانظرْ إلى ما يصنعُ

غيره :

إذا شئتَ يوماً أن تسودَ عشيرةً
فبالحلمِ سُدْ لا بالتسرُّعِ والشتمِ

غيره :

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها
فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ

غيره :

إذا كانتْ الارزاقُ في القربِ والنوى
عليكَ سواءً فاغتنمْ لذَّةَ الدَّعَهْ

غيره :

إذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا
فأهونُ ما تمرُّ به الوحولُ

غيره :

وإذا غَلا شيءٌ عليَّ تَركتُه
والشيءُ أرخصُ ما يكونُ إذا غَلا

غيره :

إذا برمَ المولى بخدمةِ عبدِه
تجنَّى لهُ ذنباً وإن لمْ يكنْ لهُ ذنبُ

غيره :

إذا لمْ يكنْ عونٌ مِن اللهِ للفتى
فأكثرُ ما يَجنِي عليهِ اجتهادُهُ

غيره :

اذا شئت أن تحيى سعيداً فلا تكنْ
على حالةٍ إلاّ رضيتَ بدُونِها

غيره :

إذا المَرْءُ لم تَهدِم عُلاهُ حياتُه
فليسَ لهُ الموتُ الجليلُ بِهادِمِ

غيره :

إذا جاريتَ في خُلُقٍ لئيماً
فأنتَ ومنْ تُجاريهِ سواءُ

غيره :

إذا ما رأيتُ أهلَ النبيعِ ولّى [illegible]
[illegible] من الناسِ العقلاءُ

غيره :

إذا لم تَخْشَ عاقبةَ الليالي
ولم تستحيي فاصنع ما تشاءُ

غيره :

إذا ترحلتَ عن قومٍ وقدْ قدرُوا
أنْ لا تُفارِقهمْ فالراحلُونَ هُمُ

غيره :

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ
وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيم تمرّدَا

غيره :

إذا كُنتَ فى حاجةٍ مُرسلاً
فأرْسلِ حكيماً ولا توصهِ

غيره :

إذا كنتَ فى كلّ الأمورِ معاتِباً
صديقكَ لم تلقَ الذى لا تُعاتِبُهْ

غيره :

إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى
ظمئتَ وأىُّ الناسِ تصفُو مشارِبُهْ

ما قيل فيما أوله «كيف»، و«كم»، و«كل» :

وكيفَ سلامتى مع شَيْبِ رأسٍ
على خُلُقٍ نشأت به غُلامَــا

غيره:

وكم مِنْ أكلةٍ منعت أخاها
للذةِ ساعةٍ أكلاتِ دهرِ

غيره:

كل المصائبِ قد تمرُّ على الفتى
فتهونُ غير شماتةِ الاعداءِ

غيره:

كلَّ يوم قطيعةٌ وعتابٌ
ينقضي دهرنا ونحنُ غضابُ

غيره:

كمْ منزلٍ في الارضِ يألفُه الفتى
وحنينُه أبداً لأوّلِ منزلِ

غيره:

كلّما أنبتَ الزمانُ قناةً
ركّبَ المرءُ في القناةِ سِناناً

غيره:

كلُّ مالمْ يكنْ من الصعبِ في الأنفُ
سِ سهلٌ فيها إذا هو كانا

غيره:

وكلُّ شجاعةٍ في المرءِ تُغني
ولا مثلُ الشجاعةِ في الحكيمِ

غيره :

وكمْ من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتُهُ من الفهمِ السقيمِ

* * *

ماقيل فى المفردات :

تُبْدِي عيونُهم مافى قلوبِهِمُ
والعينُ تُظْهِرُ مافى القلبِ أوْ تَصِفُ

غيره :

ويعرفُ وجهَ الأمرِ حتَّى كأنما
تُخاطِبُهُ من كلِّ أمرٍ عواقِبُهْ

غيره :

يَسقُطُ الطيرُ حيثُ يلتقِطُ الحَبَّ
وتُغشَى منازِلُ الكُرماءِ

غيره :

يسعَى عليكَ كما يَسعى إليك فلا
تأمَنْ غوائِلَ ذِى وجهَيْنِ كذّابِ

غيره :

أرادَ ليثْنى القبضَ عن عادةِ النَّدَى
ومن ذَا الذِى يَثْنِى السحابَ عن القطْرِ

غيره (١):

أتى الزمانَ بنُوهُ فى شبيبتِهِ ... فسرَّهُمُ وأتيناهُ على الهرمِ

---

(١) من قصيدة للمتنبى ص ٥١٠ مطلعها :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم ... وماسراه على ساق ولا قدم

غيره :(١)

ذِكْرُ الفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وحَاجَتُهُ
ماقَاتَهُ وفُضُول العَيْشِ أشْغَالُ

غيره :

انما تَنجَحُ المقالة فى المـــر ء اذا صادفت هوى فى الفؤاد

غيره :

السيفُ أصْدَقُ أنْباءً مِن الكُتُبِ
فى حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللعب

غيره :

الجود عِنْدَهُمُ قولٌ بلا عَمَلِ

غيره (٢) :

أحْلَى الرِّجالِ مِنَ النِّساء مَواقِعاً
مَنْ كَانَ أشْبَهَهُم بِهِنَّ خُدودا

غيره :

أيامُنا مصقُولَةٌ أطرافُها بكَ والليالي كلُّها أسْحَارُ

غيره :

كالنَّجْم إن سَافَرْتَ كانَ مُواكِباً
وإذَا حَطَطْتَ الرَّحْلَ كانَ جَلِيسا

غيره :

لو يَعلمُ النَّاسِ علمِي بالزَّمانَ ومَا
عاينتُ فيهِ لمَا دَبُّوا ولا ولَدُوا

---

(١) ديوانه ص ٥٠٥ ،

(٢) أبو تمام

غيره :

ليسَ الغبيُّ بسيِّدٍ في قومِهِ لكنَّ سيِّدَ قومِهِ المُتغابِي

غيره :

لو رأى اللهُ أنَّ في الشَّيبِ فضلاً

جاورتْه الوِلدانُ في الخُلدِ شيبا

غيره :

لولا اشتعالُ النَّارِ فيما جاورَتْ

ما كانَ يُعرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

غيره :

نقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئتَ من الهوى

ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوَّلِ

غيره :

ولمْ أرَ كالمعروفِ تُدعى حقوقُه

مغارمَ في الأقوامِ وهْيَ مغانِمُ

غيره :

وهلْ من جاءَ بعدَ الفتحِ يسعَى

كصاحِبِ هجرتَيْنِ مع النَّبيِّ

غيره :

أنكرتُ طارِقةَ الحوادثِ مرَّةً

ثمَّ اعترفتُ بها فصارتْ دَيْدَنا

غيره :

أفاضلُ النَّاسِ أغراضٌ لِذا الزَّمنِ

يخلُو من الهمِّ أخلاهُمْ من الفِطَنِ

غيره :

إنَّما الحسنُ محنةٌ وشبابٌ

فإذا ولّتا عن المرءِ ولّى

غيره :

أبداً تستردُّ ما تهبُ الدُّنيـ

ـا فيا ليتَ جودَها كانَ بُخلا

غيره :

بذا قضتِ الأيامُ ما بينَ أهلِها

مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائدُ

غيره :

بمَ التعلُّلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ

ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

غيره :

تُريدين إدراكَ المعالي رخيصةً

ولا بُدَّ دُونَ الشَّهدِ من إبرِ النَّحلِ

غيره :

تفانى الرِّجالُ على حُبِّها

ولا يحصُلونَ على طائلِ

غيره :

تملَّكها الآتي تملُّكَ سالبٍ

وفارقَها الماضي فراقَ سليبِ

غيره :

خُذْ ما تَراهُ ودَعْ شيئاً سمعتَ بهِ
فى طَلْعةِ البَدْرِ ما يُغْنيك عن زُحَلِ

غيره :

ذلَّ من يَغْبِطُ الذَّليلَ بعيشٍ
رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمَامُ

غيره :

على قدرِ أهلِ العَزمِ تأتى العَزائمُ
وتأتى على قَدْرِ الكِرامِ المكارمُ

غيره :

عرفتُ اللَّيالى قبل ما صَنَعَتْ بنا
فلمَّا دهَتْنا لم تَزِدْنى بها عِلْمَا

غيره :

عرفتُ نوائبَ الحدَثانِ حتّى
لو انتسبتْ لكنتُ لها نَسِيبَا

غيره :

فليتَ هوى الأحبّةِ كانَ عدلاً
فحمَّل كلَّ قلبٍ ما أطاقَا

غيره :

وأحسنُ وجهٍ فى الورَى وجهُ مُحسنٍ
وأيمنُ كفٍّ فيهمُ كفُّ مُنعِمِ

غيره :

ليتَ المُلوكَ على الأقدارِ مُعطيةً

فلم يكنْ لدنيءٍ عندَهُم طَمَعُ

غيره :

لو فكّرَ العاشقُ في مُنتهى

حُسنِ الّذي يَسبيهِ لمْ يسْبِهِ

غيره :

وهبْني قلتُ هذا الصّبحُ ليلٌ

أيعمَى العالمونَ عن الضّياءِ

غيره :

واستكثرُ الأخبارَ دونَ لقائِهِ

فلمّا التقينا صدّقَ الخَبرَ الخُبْرُ

غيره :

وإنّما المرءُ حديثٌ بعدَهُ

فكنْ حديثاً حسَناً لِمنْ وعَى

غيره :

كمْ من أخٍ مُختلِفةٍ أخلاقُهُ

أصفيتُهُ الودَّ بخلْقٍ مرتضى

غيره :

إن الجَديدَينِ إذا ما استَوليا

على جَديدٍ أدنياهُ للبِلَى

وأما العتاب*

العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الوجد على العاتب، والمحافظة على المودة.
قال الشاعر:

ويَبقى الودُّ ما بقِيَ العِتابُ

يقال: أعتبني فلانٌ إذا عادَ الى مسرّتي راجِعاً عن الإساءةِ، والاسمُ منه العُتبى. والعِتابُ حياةُ المودّةِ وشاهِدُ الوفاءِ، وفتحُ بابِ الهجاءِ، وسَبَبٌ من أسبابِ القطيعةِ فإذا قلَّ كان داعيةَ الألفةِ وإذا اكثر كانَ داعِيةَ العداوةِ، وقلمّا يعبأ صاحبٌ بصاحبٍ إذا كثُرَ عِتابُهُ له. وما أحسَنَ العتابَ إذا كانَ ممزُوجاً باعترافِ التقصيرِ من جهةِ المُعاتَبِ، وأنّ تقصيرَهُ أوجبَ الجفْوةَ، فترى المعاتبَ تارةً يعتِبُ على صاحِبِهِ لجفوتِهِ، فتارةً يعتذرُ عن ذنبِهِ، وتارةً ينسِبُ ذلكَ لسُوءِ حظّهِ، فيقعُ على العِتابِ طلاوةٌ وحلاوةٌ مثل قولِ البُحتُريّ (١):

(*) راجع باب العتاب بالعمدة لابن رشيق ٢/١٦١
يقول ابن رشيق: «العتاب وان كان حياة المودة وشاهد الوفاء فانه باب من أبواب الخديعة، يسرع الى الهجاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء. فاذا قل كان داعية الألفة، وقيد الصحبة، وإذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه».

(١) أوردها ابن رشيق فى العمدة قائلا «وأحسن الناس طريقا فى عتاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحترى الذى يقول ... ثم يورد الأبيات. العمدة ٢/١٦٠.

يُريبُني الشيءُ تأتِي بهِ وأكبِرُ قدْرَكَ أنْ أسْتَرِيبَا
وأكرهُ أنْ أتمادَى على سبيلِ اعترافٍ فألقَى شعُوبا
أكذّبُ ظنّي بأنْ قدْ سخِطتُ
وما كنتُ أعهَدُ ظنّي كذُوبَا
ولوْ لمْ تكُنْ ساخِطاً لمْ أكُنْ
أذمُّ الزّمانَ وأشكُو الخُطُوبَا
ولوكنتُ أعرفُ ذنباً لمَا تخالَجَني الشَّكُّ في أنْ أتوبَا
أراقِبُ رأيكَ حتّى يَصِحَّ
وأنظُرُ عطفَكَ حتّى يَؤُوبَا

فانظرْ إلى هذا العتابِ ما أحسنَه، وما أحلَى موقِعَه.

وللبحترى أيضاً فى المعنى (١) :

أعيذُكَ أن أخشاكَ من غيرِ حادثٍ
تبيَّنَ أو جرمٍ إليكَ تقدَّمَا
ألسْتُ المُوالي فيكَ غُرَّ قصائدٍ
هي الانجُمُ اقتادتْ مع الليلِ أنجُمَا
ثناءٌ كأنّ الرّوضَ فيهِ منوّرٌ ضُحىً وكأنّ الوشْيَ فيهِ منمْنَما (٢)
ولو أنّني وقّرتُ شِعْري وقارَهُ
وأجلَلْتُ مدْحِي فيكَ أن يتهضّمَا
لأكبرتُ أنْ أومِي إليكَ بإصبَعٍ
تضرّعَ أو أدْلِي لمعذرةٍ فَمَا

(١) أوردها ابن رشيق فى العمدة ٢/١٦١ وهى فى عتابه الفتح بن خاقان ومديحه ديوانه طبع هندية ٢/٢٢٧

(٢) فى الديوان « منمنما » طبع هندية ٢٢٨ .

وكان الذي يأتي به الدهرُ هيّناً
عليّ ولو كانَ الحمامَ المُقدّما
ولكنّني أُعلي محلّكَ أنْ أُرَى
مُدِلاً واستحييكَ أنْ أتظلّما

فهذا عتابٌ كما قال الشاعر(١) :

عتابٌ بأطرافِ القوافي كأنّه
طِعانٌ بأطرافِ القنا المُتكسّر

ولابنِ رشيق القيرواني في المتنبي(٢) :

(وقد كنتُ لا آتِي إليك مخاتِلاً
لديكَ ولا أُثني عليكَ تصنّعا
ولكنْ رأيتُ المدحَ فيكَ فريضةً
عليّ إذا كانَ المديحُ تطوّعا
فقمتُ بما لَمْ يخفَ عنكَ مكانُه
مِن القولِ حتّى ضاقَ ممّا توسّعا
ولو غيرُكَ الموسومُ عنّي بريبةٍ
لأعطيتُ منها مدّعِي القول ما ادّعى
فلا تتخالجكَ الظنونُ فإنّها
مآثمُ واتركْ فيّ للصُّلحِ موضِعا

(١) العمدة لابن رشيق ٢/١٦٢ .

(٢) أورده المصنف هذا الديوان ولكن جاء بعده بأبيات لابن الرومي ، ومن المذكورة بعده ، وظننا قول ابن رشيق من العمدة ٢/١٦٤ .

فواللهِ ما طَوَّلْتُ باللّوم فيكُمُ
لِسَاناً ولا عَرَّضْتُ الذّمَّ مَسْمَعَا

ولا ملتُ عنكُمْ بالوِدَادِ ولا انطَوَتْ
حِبَالى ولا ولَّى ثنائِى مُودِّعَا

بلَى رُبَّما أكرمتُ نفسِى فلمْ تَهُنْ
وأجلَلْتُها عنْ أنْ تذلَّ وتخْضَعَا

ولمْ أرْضَ بالحَظِّ الزَّهيدِ ولمْ أكُنْ
ثَقيلاً على الأخْوانِ كلاًّ مُدَفَّعَا

فبانت لا أنَّ العَدَاوةَ باينَتْ
وقاطَعْتُ لا أنَّ الوفَاءَ تقطَّعَا

ألوذُ بأكنافِ الرَّجاءِ والتقِى
شماتَ العِدَى إن لمْ أجِد فيكَ مطمعَا)

(ولابن الرومي يعاتِبُ اسمَاعِيلَ بنَ بُلْبُل):

عذرتُكَ لو كانَتْ سماءٌ تقشَّعَتْ
سَحَائِبُها أوْ كانَ روضٌ تصَوَّحَا(١)

ولكنَّها سُقْيَا حُرِمتُ مَريعَها
وقد عادَ منها السَّهْلُ والحَزْنُ مسْرَحا

فيالكَ بحراً لم أجِدْ فيه مشرباً
وإنْ كان غيرى واجِداً فيكَ مسْبَحَا

---

(١) أورد المصنف بعضا من الأبيات التي أوردها ابن رشيق في العمدة ٢/٢٦٢ ط

وكنتَ متى تُنْشَدْ مديحاً ظلمتَه

يكنْ لكَ أهجَى كُلّما كانَ أمدَحا[1]

وقال البحترى يعاتب الفتحَ بنَ خاقانَ (٢) :

غمامٌ خطاني صَوْبُه وهو مُسْبِلُ

وبحرٌ عدَاني فيْضُه وهو مُفْعَمُ

وبدرٌ أضاءَ الأرضَ شرقاً ومغرِباً

وموضِعُ رِجْلي منهُ أسوَدُ مُظلِمُ

وما بَخِل الفتحُ بنُ خاقانَ بالنَّدَى

ولكنّها الأقدارُ تُعْطِي وتَحْرِمُ

وأبو الطّيب المتنبّى كانَ فى عتابِه شدّةٌ ، لأنّه كانَ متكبّراً ذا أنفةٍ ، وما ظنُّكَ بمن يقُول لسيفِ الدولة بنِ حمدان(٣) :

يا أعدلَ النّاس إلا فى معامَلتِي

فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ

أعيذُها نظَراتٍ منْكَ صادقَةً

أن تحسَبَ الشَّحْمَ فيمنْ شَحمُه وَرَمُ

وما انتِفاعُ أخِي الدُّنيا بِنَاظِرِهِ

إذا استَوتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

---

(١) هذا البيت متقدم فى العمدة على أول بيت هنا فى هذه الأبيات .

(٢) ديوان البحترى طبع المعارف بتحقيق الصيرفى .

(٣) العمدة لابن رشيق : « وأما أبو الطيب فكان فى طبعة غلظة ، وفى عتابه شدة ، وكان كثير التحامل ظاهر الكبر والأنفة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة » . . . ثم يورد الأبيات التى أوردها المصنف بزيادة ٢٠/١٦٢-١٦٣ .

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى
وأسمعت كلماتى من به صمم

فهذا الكلام فى غاية الجودة ، غير أنه لا يصلح أن تخاطب به الملوك .

وقال إبراهيم بن العباس الصولى (١) يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات :

وكنت أخى بإخاء الزمان فلما نبا صرت حرباً عوانا
وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات
فها أنت أطلب منك الأمانا

ولسيف الدولة بن حمدان يعاتب أخاه ناصر الدولة : (٢)

وتركت لك الأمر الذى أنا أهله
وقلت لهم بينى وبين أخى فرق
وما كان بى عنها نكول وإنما
تجافيت عن حقى فتم لك الحق
أما كنت ترضى أن تكون مصلياً
إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وغيره :

أصرح بالشكوى ولا أتوكل إذا أنت لم تحمل فلم أتحمل
أفى كل يوم فى هواك تحامل علىّ ومنى كل يوم تحمل

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢/١٦٥

(٢) الأبيات فى يتيمة الدهر للثعالبى — ترجمة سيف الدولة

وإنّي على ما كانَ منكَ لصابِرٌ
وإنْ كانَ من أدناه يذبل يذبُل
وما أدّعِي أنّي جَليدٌ وإنّمـا
هي النّفسُ ما حمّلتَها تتحمّلُ

يقالُ إنّه حضرَ ابن رزَيق الكاتِب إلى باب الفضل بنِ سهل لما وزرَ فحُجِبَ عن الدّخول إليه فأنشدهُ :

إنّا رأينا حِجَاباً منك قدْ عرَضَا
فلا يكُنْ ذلّنا فيهِ لكَ الغرضا
اسمعْ مقالِي ولا تغضبْ عليّ فمَا
أبغِي بذَلِكَ مالاً ولا عرَضَا
الشُّكر يبقَى ويفنَى ما سِوَاهُ فكَمْ
قدْ نالَ غيرُك ملكاً فانقضَى ومضَى
في هَذهِ الدّارِ في هذا الأوَانِ على
هذا الرّواقِ رأيتُ العِزّ فانقرضَا

وقال ابن الرومي :

تودّدْتُ حتّى لم أجِدْ متودّداً
وأفنيت أقلامي عتابا مُردّدا
كأنّي أستدْنِي بكَ ابنَ حَنيّة
إذا النّزْعُ أدنَاهُ من الصّدْرِ أبعدَا

وقال الخَليعُ البَصريُّ :

إذا خُنتُمُ في الغَيْبِ عهدِي فمالكم
تدِلّون إدلالَ المُقيم على العَهْدِ

صِلُوا وافْعَلُوا فِعْلَ المُدِلِّ بِوَصْلِهِ
وإلا فَصُدُّوا وافْعَلُوا فِعْلَ ذِي الصَّدِّ

ومما قيل في ترك العتاب :

تَعَالَوْا نَصْطَلِحْ ويكونُ منّا
مُعَاوَدَةٌ بلا عَدِّ الذُّنُوبِ

فإن أحببتُمُ قُلْتُمْ وقالُوا
فإنَّ القَوْلَ أَشْفَى للقُلُوبِ

وفي المعنى :

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فالبَقَاءُ قَلِيلُ
والدَّهْرُ يَعْدِلُ مَرَّةً ويَمِيلُ

لم أَبْكِ من زَمَنٍ ذَمَمْتُ صُرُوفَهُ
إلا بَكَيْتُ عليهِ حِينَ يَزُولُ

ولِكُلِّ نائِبَةٍ أَلَمَّتْ مُدَّةٌ
ولِكُلِّ حالٍ أَقْبَلَتْ تَحْوِيلُ

لبشار بن بُرد في ترك العتاب :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً
صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الَّذِي لا تُعَاتِبُهْ

فَعِشْ واحِداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ
مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجَانِبُهْ

إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى
ظَمِئْتَ وأيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

وفى المعنى :

إنى ليهجرنى الصديق تعنتاً
فأريه أن لهجره أسبابا
وأخاف إن عاتبته أغريته
فأرى له ترك العتاب عتابا
وإذا بليت بجاهل متغافل
يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته منى السكوت وربما
كان السكوت عن الجواب جوابا

وأما الاعتذار

فهو الدرْس ، يقال اعتذَرَتْ الدّارُ إذا دَرَسَتْ ، ولهذا اعتُبِر الاعتذارُ دارِساً للذُّنوب .

ويُقال إنَّ الاعتِذار هوَ الحاجزُ بين الشيءِ والشيء ، يُقالُ عذَرْتُ الدّابةَ إذا جعَلْتَ لها عِذاراً يحجزُها من الشُّرودِ ، فمعنى اعتذرَ الرَّجُلُ احتَجز ، وعذرتُه أي جعَلْتُ له بقبولِ ذلك حاجزاً بينه وبين العُقُوبة . ومنه جاريةٌ عذراءُ ، أي لها حاجزٌ يحجزُ عن وطئِها .

فمن حُسْن الاعتذاراتِ التي يُستَدَلُّ بها على غزارةِ المُروءَةِ وحُسْن الوفاء ما يُروَى أنّه أتتْ جماعةٌ من الخوارج من أصحاب قطَرِيّ بنِ الفُجاءَةِ إلى الحجّاج بنِ يُوسُف الثّقفيّ ، فأمرَ بقتلِهم إلا واحداً كانتْ له عند الحجّاج يدٌ فرعاها له ، فرجعَ إلى قَطَريّ بنِ الفَجاءَة فقالَ له قطَريّ : عدْ إلى الحجّاجِ وقاتِله . فقال : هيهاتَ ، غلَّ يداً مُطلِقُها ، واسترقَّ رقبةً مُعتِقُها . فذهبتْ مثلا . ثم أنشد(1) :

أأُقاتِلُ الحجّاجَ عن سُلطانِه
بيدٍ تُقِرُّ بأنّها مولاتُه

(1) من شعر عمران بن حطان السدوسي راجع شعر الخوارج ص ٥٦ .

إنِّى إذاً لأخو الدَّنَاءةِ والذى
عفَّت على إحسانه جهَلاتُهُ(١)

ماذا أقولُ إذا وقفتُ إزاءَهُ
فى الصَّفِّ واحتجَّتْ لهُ فعلاتُه

وتحدَّثَ الأقوامُ أنَّ صنائعاً(٢)
غُرِسَتْ لدَىَّ فحنظلَتْ نخلاتُهُ

واللهِ لاكدتُ الأمير بآلةٍ
وجوارحى وسلاحُها آلاتُه

لأبى تمّام فى المعنى(٣):

أُسَرْبِلُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لو هَجَوتُه
إذاً لهَجانِى عنهُ معروفُه عندِى

كريمٌ متى أمدَحْهُ أمدحه والورَى
مَعِى ومتى ما لُمْتُهُ لُمتُهُ وحدِى

غيره:

لئِن كانَ مشْيِى فى رِضاكُم يؤُول بى
إلى غضَبٍ منكُمْ فواخيبَةَ النُّجْحِ

ورُبَّ وصَالٍ كانَ داعِىَ هجْرَةٍ
وحُسنَ مقالٍ حرَّفُوهُ إلى قُبْحِ

حُرِمتُ المنَى إنْ لمْ أكُنْ ناصِحاً لكُمْ
وإلا فسَاوَى الله ليْلَ بالصُّبْحِ

(١) روايته فى شعر الخوارج (عفت على مرؤاته)
(٢) روايته فى شعر الخوارج (وتحدث الأكفاء)
(٣) ديوان أبى تمام طبعة محمد جمال ص ١٢٨ .

وقالَ البُحتريُّ في الاعتذار عن الاعتذارِ(١) :

إذا محاسِنى اللاتى أدلُّ بِها
صارَتْ ذُنُوبى فقُلْ لِى كيفَ أعتَذِرُ

وأخذَه من قَوْلِ أبى تمّام(٢) :

فإنْ كانَ ذَنْبِى أنْ أحَسْنَ مَطْلَبِى
ففِى سُوءِ القَضاءِ لِىَ العُذْرُ

وأخذه أبو تمام من قَولِ الشّاعر :

وكم مِنْ موقِفٍ حسَنٍ أُحِيلَتْ
محَاسِنُه فعُدَّ مِنَ الذُّنُوبِ

وأوّلُ من أفصَحَ عن الاعتِذارِ النّابِغَةُ لما سُعِى به إلى النُّعمان بنِ المُنْذِرْ حيثُ قالَ(٣) :

أتانى أبيتَ اللّعن أنكَ لُمتَنى
وتِلكَ التى تصتكُّ مِنْها المسامِعُ

فبِتُّ كأنّى ساوَرَتْنِى ضئيلَةٌ
من الرُّقْشِ فى أنيابِها السُّمُّ ناقِعُ

فإنْ كنتَ لاذا الضِّغْنِ عنّى مكذِّباً
ولا حَلِفِى على البراءة نافِعُ

فإنكَ كالليلِ الذى هو مُدرِكى
وإن خِلتُ أنَّ المنتأى عنكَ واسِعُ

(١) ديوان البحترى ٤٣/٢ طبع هندية .
(٢) ديوانه .
(٣) ديوانه من قصيدته المشهورة ، والأبيات معروفة .

وقال سَلم الخَاسِر للمَهدِىّ وقد بَلَغه عنه ما يسوؤه:

إنى أتتنى عن المَهدِىِّ مُعتَبةٌ
تَظلُّ من خوفِها الأحشاءُ تضطَرِبُ
كيفَ الفِرَار ولم أبلُغْ رضَا مَلِك
تَبدو المَنايا بكفَّيهِ وتحتَجِبُ
ولو مَلكتُ عِنَان الرِّيح أصرِفُها
فى كلِّ ناحيةٍ ما فاتَك الطَّلَبُ

وفى هذا المعنى:

ومالامرىءٍ حاوَلتَهُ مِنك مَهرَبٌ
ولو رفعَتهُ فى السَّماءِ المطَالِعُ
بلَى هاربٌ لا يهتَدِى لِمكانِه
ظلامٌ ولا ضَوءٌ من الصُّبح ساطِعُ

ومثله قول البُحتُرِى:

لو أنَّهم ركِبُوا الكواكِبَ لم يَكُنْ
لِمُجِدِّهِم من أخذِ بأسِكَ مَهرَبُ

وقال النابغةُ:

أتَانى أبيتَ اللعنَ أنَّك لُمتَنِى
وتلكَ التى أهتَمُّ مِنها وأنصَبُ
حلفتُ فلم أترُكْ لِنَفسِك ريبةً
وليسَ وراءَ الله للمرءِ مذهَبُ
لئِنْ كانَ قومى بلَّغُوكَ خِيانَةً
لمُبلِغُكَ الوَاشى أغَشُّ وأكذَبُ

ولكنني كنتُ امرءاً لىَ جانِب
من النّاسِ فيــه مُستزَاد ومذْهَبُ

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مَدَحتُهم
أحكّمُ فى أموالِهِم وأُقـرَّبُ

كفعلِكَ فى قومٍ أراكَ اصطنعتَهُمْ
فلم ترَهم فى مِثل ذلِك أذنبُوا

لابن منقذ فى الاعتذار(١) :

ما مرَّ يومٌ بِفكْرى لا يُريِنهُمُ
ولا سَعَتْ بِى إلى سِواهم قَدَمُ

ولا أضعت لهم عهداً ولا اطّلعت
على سَرائِرهم فى صَدْرِيَ التُّهَمُ

فليتَ شِعْرِى بِمَ استوجَبْتُ هجرَهُمُ
فصدّهم آنفـا عن وصْلِيَ السأَمُ

حُرِمْتُ ما كنتُ أرجُو مِن ودادِهِمُ
ما الرِّزْقُ إلاّ الذِى يَجرِى به القَلَمُ(٢)

---

(١) ابن منقذ : اسامة بن مرشد بن منقذ الأمير مؤيد الدولة المظفر. فارس شاعر من شعراء الشام فى القرن السادس الهجرى . ولد سنة ٤٨٨ هـ وتوفى سنة ٥٧١ هـ وله ديوان شعر مشهور . راجع الخريدة للعماد ـ قسم شعراء الشام الجزء الأول ص ٤٩٩ وما بعدها .

والأبيات من قصيدة له مشهورة كتب بها إلى دمشق بعد خروجه منها إلى مصر فى زمان بنى الصوف . كتبها إلى الأمير انر .

ورواية الثانى (على ودائعهم فى صدرى التهم)

ورواية عجز الثالث (ملوا فصدهم عن وصلى السأم)

(٢) رواية الخريدة : (ما يجرى به القسم) ٢/ص ٥٣٥ .

وبعد لو قيل لي ماذا تُحِبُّ وما
تختارُ من زينةِ الدُّنيا لقلتُ هُمُ
لهُم مجالُ الكرى من مقلتيَّ ومِنْ
قلبي محلُّ المُنى جاروا أو اجترموا
تبدَّلوا بي ولا أبغي بهم بدلاً
حسبي همُ أنصفوا في الحكم أو ظلموا
هبنا جنينا ذنوباً لا يقوم بها
عذرٌ فماذا جنى الأطفالُ والحرمِ

* * *

ومما ورد في الاعتذار على سبيل الاستهتار ما قاله أحمد بن أبي دؤاد القاضي لمُحمد بن عبد الملك الزيات لمّا تبرم به من كثرة زياراته : والله ما أجيئُك متكثّرا بكَ من قلّةٍ ، ولا متعزّزا بكَ من ذِلّة ، ولكنْ أميرُ المؤمنين أحلّكَ رُتبةً أوجبتْ لِقاكَ ، فإن لقيناك فلهُ وإن تأخّرنا عنكَ فلكَ ».

ومن جيّد الاستعطاف ماقالهُ الصلاح الاربلي يستعطف الكاملَ لأخيه الفائز بن العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب :

« وشرط صاحبُ مصر أنْ يكونَ كما قد كان يُوسُفُ في الحُسْنَى لإخوتهِ ، أساءوا فقابلهم بالعفو ، وافتقروا فبرّهمْ وتولاهم برحمتهِ » .

ولعبدِ اللهِ بنِ طاهر :

اغتفرْ زلّتي لتحرزَ فضلَ الشُّـ
كرِ منّي فلا يفوتكَ أجري

لا تكلني إلى التوسل بالعذ
ر لعلني أن لا أقوم بعذر

لابن منقذ :

وما أشكو تلون أهل ودي
ولو أجدت شكيتهم شكوت

إذا أدمت قوارضهم فؤادي
كظمت على أذاهم وانطويت

ورحت عليهم طلق المحيا
كأني ما سمعت وما رأيت

تجنوا لي ذنوباً ما جنتها
يداي ولا أمرت ولا نهيت

وأما الزهد

الزُّهدُ ضدُّ الرَّغبةِ ، والرَّجلُ المزهدُ هو القليلُ المال . وفى الحديث :

«أفضلُ الناس مؤمنٌ مزهدٌ» . وكانَ أبو العلاءِ المعرّىّ يتظاهرُ بالزُّهدِ ويُشيرُ إليه فى شعرِه كثيراً . فمن ذلك قولُه :

وليس يُزادُ فى رزقٍ حريصٌ
ولو ركبَ العواصفَ كى يُزادا

فما ينفكُّ ذا مالٍ عتيدٍ فتىً جعلَ القنوعَ لهُ عمادا

ولو أنَّ السحابَ همَى بعقلٍ لما أروَى مع النخلِ القتادا

ولو أعطَى على قدرِ المعالى
سقَى الهضباتِ واجتنبَ الوهادا

والحيص بيص فى المعنى :

هلْ المالُ إلاَّ خادمٌ شهوةَ الفتى
وهلْ شهوةٌ الا لجالبِ المعاطبِ

فلا تطلُبنْ منهُ سوى سدِّ خلّةٍ
وإنْ زادَ شيئاً فليكنْ للمواهبِ

ولأبى تمام فى المعنى :

الرِّزقُ لاتكمدْ عليهِ فإنّه يأتى ولمْ تبعثْ إليه رسولاً

من كانَ مرعى عزمهِ وهمومهِ
روضُ الأمانى لم يزلْ مهزولاً

ولغيره :

ولا أكلِّفُ نفسي فوقَ طاقتِها
لقدْ علِمتُ وما الإسرافُ من خُلُقِي

غيره :

إن الذي هوَّ رِزقي سوفَ يأتيني
أسعَى إليه فيعييني تطلّبُه
ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنِّيني

ولغيره :

مثَلُ الرِّزق الذي تَطلُبُه مثَلُ الظلِّ الذي يَمشِي معَكْ
أنتَ لا تُدرِكه متّبِعًا فإذا ولّيتَ عنه اتّبعَكْ

لعليّ بن الجَهْم :

لعَمرُك ما كلُّ التعطُّلِ ضائرٌ
ولا كلُّ شُغلٍ فيه للمرءِ منفعَهْ
إذا كانَت الأرزاقُ في القُربِ والنّوى
عليكَ سواءً فاغتنِمْ لذّةَ الدَّعَهْ

لغيره :

مالِكُ العالَمين ضامِنُ رِزْقِي
فلِماذا أملِّكُ الخلْقَ رِقِّي
قد قضَى لي بما علَيَّ ومالِي
خالِقِي جلَّ ذِكرُه قبلَ خَلْقِي
وكما لا يَرُدُّ عجزي رِزْقِي فكذا لا يَجُرُّ رِزقِيَ حِذْقِي

• • •

وإلى هاهُنا فقد تمَّتْ أنواعُ البديعِ والبيانِ ، وما شرحناهُ منها، وذِكرُ الشعرِ وما ذكرناهُ من أنواعهِ وأبوابهِ . ولمْ يبقَ إلا الاطلاعَ على المزيدِ وعلى كيفيَّة استعمال هذه الموادّ وكيف الوصولُ إلى الإنشاء لتبلُغَ منه المُراد من الرَّغبةِ في تحصيل هذهِ الفوائدِ ، وتأسيس هذهِ القواعدِ إلاّ أن يكون الإنشاءُ من النظمِ والنثرِ والترسُّلِ نتيجة لها وثمرةً لغرسها ، واستمدادًا بها لما يَهَبُه الله تعالى للإنسانِ منَ بديع الكلام . وما تترجمُه من الخاطرِ السليم في صُحُفها الأقلامُ . وإذا كانَ الذَّوقُ سليماً والخاطرُ كريماً ، والطِّباعُ كالبحرِ تقذفُ بالجوهرِ ، أو مطبوعةً على نثرِ الدُّرِّ ، فهُو يشرق من ألفاظها كما تُشرقُ في الأفلاكِ النُّجوم الزَّواهرُ . فلابُدَّ لهُ من معرفةِ جليَّةِ الكلامِ الذي وهبهُ اللهُ تعالى له ، ومعرفةُ صفاته ، ومايكمُل به كمالُه ، وإلاّ فذلكَ نقيصةٌ فيه وعيبٌ ، إذ لوْ تكلمْ بكلامٍ منْ النظم أو النثرْ بما اقتضتهُ طباعهُ وما وهبهُ اللهُ تعالى لهُ وهو لايعرفُ ما اندرجَ تحتَ كلامهِ من المعاني البليغةِ وفصاحةِ الألفاظِ ، وجودةِ السبكِ وحُسنِ الائتلافِ لعُدَّ منَ الجُهَّال ، ألا ترى أنَّ جماعةً من السوقةِ والجهلةِ وأربابِ الحرفِ ومنْ لايؤْبهُ بهِ منْ سائرِ أهلِ المعايشِ وهبهُم اللهُ تعالى من النظمْ والنثرِ ما ألفتهُ طبائعُهم وتجملتْ به صنائعُهُمْ ، ووقع لهُم من فرائدِ الفوائدِ ، وفوائدِ الفرائدِ مالم يقع لغيرِ همْ من الفضلاءِ ، وهم لايعرفُونَ صفاتِ مانطقُوا به ، ولاجليته ولا بلاغتهُ ، ولا أدركُوا مافيهِ من جناسٍ وتوريةٍ وكنايةٍ ، وتعريضٍ ، ووصفٍ ، واستعارةٍ ، وتشبيهٍ ، وغير ذلك من سائرِ أنواع البديعِ . فهذا نقصٌ ظاهرٌ ، وجهلٌ يقتضي أنْ

لا يُرَمقُوا بِعينِ الشمَّام، ولا تعلُو منازلُهم بينَ الأنامِ. فمتى مع وجودِ إنشائِهم فى النَّظم والنَّثرِ وجودةِ معانى ألفاظِهم أنْ يكُونَ لهم معرفةٌ بجليَّةِ كلامهم، ورُتْبةِ بلاغتهِ وفصاحتهِ، وأسماءِ ذلك ومعانيه وقياسه على أنظارِه بالأدلةِ والشواهدِ ليعدّ فاضلاً ويُرمقَ بينَ الفُضَلاءِ بعينِ الكمالِ. هذا إذا كانتْ طِباعُه سليمةً ولذوقهِ حلاوةٌ.

وأمَّا إذا كانَ المُريدُ يتكلَّفُ النَّظمَ أو النَّثرَ، فإنَّهُ يجبُ عليهِ تحصيلُ الموادِّ التى ذكرناها، ويستعدُّ بها لما يفرضُه اللهُ تعالى عليه من حَلِّ الإنشاءِ والنَّظمِ والنَّثرِ. وإذا اكتمل قصدُ المُريدِ بسليمِ الطِّباعِ الذى يكونُ إنشاؤه بغير تكلُّف.

والمُريدِ المتكلِّفُ إنشاءَ النَّظمِ والنَّثرِ من معرفة النَّظمِ والنَّثرِ، فيجبُ عليه ألا يُخلِى كلامَه من حَلِّ الآياتِ الشريفةِ، والأحاديثِ النبويَّةِ والابياتِ الشعريَّةِ والأمثالِ، والحِكَمِ، والنوادرِ، والتَّاريخِ من أخبار الأممِ، حتَّى لا يكُونَ كلامُه إمَّا نظمًا بغيرِ حِليةٍ مما ذكرناه، فيكونَ صاحِبُهُ وزَّانًا، وإمَّا نثرًا فيكونُ صاحِبُهُ سجَّاعًا، ولو كانَ الكلامُ ماعسى أن يكُونَ، عاريًا من نوعِ حَلِّ آيةٍ، أو حديثٍ نبوىٍّ، أو إشارةٍ إلى مَثَلٍ أو حِكْمةٍ أو تاريخٍ مُتقدِّمٍ، أو شىءٍ من هذه الأنواعِ، فهو لا يؤبَهُ به البتَّةَ.

وإذْ قدْ أشرنا إلى ذلك فقد تعيَّنَ أنْ نوضِّحَ طريقةً ليسلُكَها، ويتعلَّمَها المُستفيدُ، فنقولُ، وباللهِ التوفيقُ.

حل الشعر

وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وإنما قدمنا ذكر حل الأبيات الشعرية على الآيات الكريمة والأحاديث النبوية ، لأنه الأسهل على الطالب ، إذ قدرة الناثر على مؤاخاة الشعر بكلامه أكثر من قدرته على مؤاخاة القرآن العزيز والأحاديث النبوية .

القسم الأول : وهو أدنى الحل رتبة ، وذلك أن الناثر يحل الشعر بلفظه من غير زيادة على ذلك، وهذا عيب فاحش لا يرضى به أحد من الناس ، فإن متعاطي ذلك لا يزيد عن إزالة رونق النظم وبعثرة الكلام ، ونقله إلى الغثيث .

القسم الثاني : حل الشعر ببعض ألفاظه، وكيفية ذلك أن الناثر يغرم من عنده ألفاظاً تناسب الشعر الذي يريد حله، وحينئذ تظهر صنعة الناثر في قدرته على مؤاخاة ألفاظ الشاعر ، والأجود في هذا الباب أن يجعل كلامه أولا توطئة لما يريده من إيراد ألفاظ الشاعر، ثم يأتي بما يستحسنه من ألفاظ البيت المناسب لما قدمه من كلامه .

ولا ينبغي للناثر أن يحل من الشعر الجيد المنقح، السالمة ألفاظه من الركاكة . وسبيله أن ينظر في القصيدة وما فيها من الأبيات الداخلة في مقصوده ، فتارة يأخذ قوافيها ، وتارة يأخذ بعض البيت وتارة يورد أكثر البيت، حسب ما يستجيده من ألفاظه ، فيقدم عليه من كلامه ما يناسبه ، ثم يأتي به .

القسم الثالثُ : أن يُحلّ الشعرَ بمعناه لا يلدوى على شىء من ألفاظه بل يستوعب معانىَ البيتِ أو الابياتِ التى يريدُ حلَّها ، ثمَّ يبرزُها بالفاظِه فى قالبٍ لاتدُلُّ لفظةٌ منه علىَ ألفاظِ الابياتِ المأخوذِ منها حتّى إذا سمعَهُ السّامعُ ، وكانَ عارفاً بتلكَ الابياتِ يخطر بباله عندما يَرى المعنيينِ واحداً أنَّ هذا من بابَ وقعِ الحافر علىَ الحافرِ . وهذَا أجوَدُ مايكُونُ من الحَلّ ، وأعلاَ رُتبةً ، وأغلى قيمةً . وأمثِلةُ هذه الاقسام المذكُورةِ مشرُوحةٌ فى كتاب الكنزِ ، تركتُها فى هذَا المُختصر الإيجازِ ، فمَنْ أرادَ الشّواهدَ على حَلّ الشّعْرِ فيطلُبْها فى كتاب « الكنز » .

وأما حل الآيات

من القرآن العزيز وكذلك الأحاديث النبوية فينبغي للمنشىء أن لا يأخذ عند حل الآية والحديث جملة اللفظ ، فإن ذلك من باب التضمين ، ولا يأخذ المعنى مجرداً عن اللفظ بكماله ، إلا إن أراد بذلك الاستشهاد ، بل إذا وقع له معنى وكانت آية من الآيات الكريمة أو حديث من الأحاديث النبوية يتضمن ذلك المعنى ،فليجعل الآية والحديث في سياق كلامه المناسب للمعنى، فيطرز كلامه بالآية أو الحديث . وقد اختلف علماء الأدب في حل القرآن العزيز وإدراجه في مطاوى الكلام اختلافاً كبيراً .

ومنهم من يمتنع حل الآيات مطلقاً ، ولا يرى جواز ذلك ، ويعتذر بأن فيه تغييرا عن وضعه الذى أريد به . ولهذا النوع احترزت بقولي عندما افتتحت به من حل الآيات الكريمة بأن يكون المعنى الآخذ فيه التأثير مناسباً لمعنى الآية الكريمة حتى لا يكون المعنى مخالفاً لمعنى الآية الكريمة .

ومنهم من يرى جواز حل الآيات مطلقاً ، ويستعمل في مطاوى كلامه على أى حالة اعتقد حسنها ، لا يبالى بما سوى ذلك من النظر في العقيدة أو الوقوع في الكفر والعياذ بالله ، بل إذا سبك معنى من المعانى أتى بالآية الكريمة

فى سياق ذلك النظم ان كان مناسباً لمعنى الآية الكريمة أو لغير معنى الآية التى أريد بها .

وهذه الطائفة ما يبعد حالهم من تجوز فى الكلام وظنة بقولهم تحملهم على الشطح ومجاوزة الحد وقلة الدين . وربما كان من يستدل بتكرار ذلك منه على سوء العقيدة .

ومنهم من لا يمتنع حل الآيات مطلقاً ولا يستبيح ذلك مطلقاً ، بل كل ما ورد على سبيل التمثيل والإرشاد والاستشهاد به فى مواضعه اللائقة به من غير خروج عن الحد ولا قول الجد ، فإن ذلك جائز ، وقد استعمله جماعة من العلماء الأخيار ، وأدرجوه فى مطاوى كلامهم ، وزينوا به ألفاظهم ، ولم يتمنعوا عن ذلك .

وأما استعمال الآيات فى المجون أو التغزل أو ما يجرى هذا المجرى فى النظم أو النثر ، فهو لا يجوز مطلقاً .

فأما ما يجوز استعماله من حل الآيات الشريفة والأحاديث النبوية فقد ورد من ذلك شئ كثير .

من ذلك قول على رضى الله عنه ، وقد مر على قوم يلعبون الشطرنج . ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟ . وقد ورد عن الصحابة رضى الله عنهم من هذا النوع أشياء كثيرة .

فمنها ما ذكره الخطيب ابن نباتة فى خطبه من الآيات ، ولابن الجوزى ، وكثير من العلماء والمتورعين والزهاد ، واستعملوا

الآياتِ الشريفةَ في مطاوي كلامهم بأدبٍ حتى إنَّ ابن نُباتة قالَ في بعضِ خُطَبه : « أبادَهُم الذي خلقَهُمْ ، ويُجدِّدُهُمْ كما أخلقَهُم ، ويجمعُهُم كما فرَّقَهُمْ ، يومَ يبعثُ اللهُ العالمينَ خلقاً جديداً ، يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ من خيرٍ مُحضَراً وما عملَتْ من سوءٍ تودُّ لو أنَّ بينَها وبينَه أمداً بعيداً » . فمثلُ هذا الحلِّ الذي هو أشهى من الحِلِّ لا جناحَ على قائلِه ، إذ قد حلَّ به من غرفاتِ الجِنانِ أفضلَ محلٍّ .

ومنها قولُ ابن الأثيرِ الجزريِّ في « المثل السائر » :

« لم يزلْ يرشُقُني بقوارصِه حتى تكاثرتِ النَّبْلُ ، ولمْ يكفِه الإلقاءُ في الجُبِّ حتى قالَ إن يسرِق فقدْ سرقَ أخٌ له من قبلُ » .

ولابنِ الأثيرِ أيضاً في حلِّ آيةٍ بالمعنى لا بالكلِّ فيها بعضُ لفظٍ يدلُّ عليها . يقولُ ذلك في وصفِ لئيم :

« ولقدْ صبرتُ على أخلاقِه العابثةِ ، وعالجتُه بضروبِ المعالجاتِ ، فلمْ تنفعْ فيه رُقى الراقيةِ ، ولا نفثُ النافثةِ . ولما أعيى عليَّ صلاحُه ، أخذتُ بمقالةِ الخضرِ لموسى في المرةِ الثالثةِ » .

وقال ابنُ الأثيرِ أيضاً :

« فليرحلْ مولانا وإلا أتاه منه تلاوةُ المتظلمِ واجتهرَ بلسانِ المتظلمِ ، وحينئذ أنا مالكُ بسهامِ الدعاءِ الصادقةِ وأحنا كملكِ المصرّعةِ البغضى التي ليستْ عن البغضى بزائدةٍ ، وأقولُ إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ » .

ومنها قولُ والدي رحمة الله في حلّ الآيات الكريمة :

« وأطلنا لهم في ابتغاءِ الرُّشدِ فلم يزدْهم ذلكَ إلا عكوفَهم على البَغي واقتصارَهم . وجعل الله لهم سمعاً وأبصاراً فما أغنى عنهم سمعُهم ولا أبصارُهم » . وقال أيضاً رحمه الله في رسالة :

« فلمّا لم يُرْجَ انتقالُهم عن حالتِهم ، ولا تحنُّ بهادِي العَمى عن ضلالتِهم ، عاملناهم بالإغضاءِ والحِلْم ، وروّضنا النُّفوسَ لهم في حالتي الحَرْبِ والسِّلْم ، وأوضحنا لهم طُرُقَ الرَّشادِ ، فاتّبع الذينَ ظلموا أهواءَهم بغيرِ علم » .

وقالَ أيضاً رحمَه اللهُ :

« والمبتدعةُ الذينَ صادَموا النُّصوص ، وجاهرُوا بالمعاصي في العُمومِ والخُصوص ، فلا تَظفرْهم مِنْ ذلكَ بمطلوبِهم ، ولا تُمكّنهُم من التظاهرِ به ، فأولئكَ الذينَ طَبعَ اللهُ على قُلوبِهم » .

وفيهم أيضاً لهُ رحمه الله :

« وهمْ لِقلوبِهم بسوءِ العقائدِ مرَضُونَ ، ولوْ عَلم اللهُ فيهم خيراً لأسمَعَهُم ، ولوْ أسمعَهمُ لتولَّوا وهُمْ مُعرضُونَ ، أولئك شياطينُ الأمّةِ ، وهُمْ علَى الضَّلالِ أدلُّ ، وأولئك كالأنعام بلْ هُمْ أضلُّ » .

ولَهُ أيضاً رحمه الله :

« ولتَقطع شأفةَ كلّ من أصبحَ مِنهم للفتنِ مُثيراً ، ولا تتّبع أهواءَ قوم قدْ ضلوا من قَبلُ وأضلُّوا كثيراً ، ولتجِدْ في تعفيةِ آثارِهم في كلّ وِرْدٍ وصَدْرٍ ، ولتحذَرْ

منهم إغواء الأمة ، فإن بصحبهم لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

أما مالا يجوز استعماله من حل الآيات الشريفة على الصورة التي استعملها من شطح وظهر بسوء العقيدة أو إساءة الأدب ، إذ حملته على ذلك الظنة بنفسه واستعمال المعنى وحمل الآية على أي صورة كانت من هزل أوجد فمثال ذلك — وأنا أردنا بالتمثيل ليتجنبه الإنسان ، ويحذر من الوقوع فيه — قول ضياء الدين بن الأثير — رحمه الله — في وصف الخليفة :

« إن الله تعالى قد حمله من عبء الخلافة عنه طوقا ، ولم يأل فيه اجتهاداً ، وصغر لديه أمر الدنيا فما تسورت محراباً ، ولا عرضت عليه حبابا » .

وكقول ضياء الدين أيضاً في تقليد من خليفة لبعض الملوك :

« إنا قد أنعمنا عليك بخلعة وتقليد وسميناك بالملك ، وهذه ثلاثة تؤكد لك أسباب السيادة ، ولا مزيد عليها في الإحسان حتى تقول إنها الحسنى وزيادة » .

ولضياء الدين رحمه الله في تقليد أيضاً :

« وقد قضينا لك بما يقتضي لأمنك بالانفساح ، ولصدرك بالانشراح ، وتأمن معه بمد يدك إلى العليا لا إلى الجناح » .

وقال أيضاً :

« وما تقول إنها لاطت بقلبك ، ولا أنك عبثت بها لولا برهان ربك » .

وقال أيضاً: «وردَ عليَّ كتابٌ كريمٌ بلّغني آمالاً، وأقامَ الأيامَ بينَ يديَّ خَوَلاً، وتجلَّى لقلبي فلمْ يجعلْه دكّا وإنما جعلَه جَبَلاً».

ومن ذلك قولُ بعضِ الشعراء:

قمتُ ليلةَ الصدودِ إلا قليلاً
ثُمَّ رتّلتُ ذكرَكُم ترتيلاً

وبقيةُ القصيدة معروفٌ. وقال الآخرُ:

شمتُ في الكأسِ لؤلؤاً منثوراً
حينَ أضحى مزاجُها كافوراً

وتوهمتُ حاملَ الكأسِ في الليـ
ـلِ هلالاً تجلّى سراجاً مُنيراً

قمراً ما يَزالُ يُهدي لقلبي
ولعينيَّ نضرةً وسُروراً

يقولُ فيها:

وإذا ما استشاطَ في الحربِ غيظاً
كانَ يوماً على الأعادي عسيراً

لم يكنْ قبلَ خدمتي ودُعائي
لكَ شيئاً ولم أكنْ مذكوراً

فمثلُ هذا لا يحلُّ الإتيانُ به في هزلٍ ولا جدٍّ.

* * *

وقد بيّنتُ بحمدِ الله تعالى لمُريدِ صناعةِ الإنشاءِ جميعَ ما يحتاجُ إليه من الموادِّ في كتابي هذا وبيّنتُ ما ينبغي

الاطلاعُ عليهِ من الشعرِ ومعرفتهِ ، وعَمَلِهِ وكيفيةِ استعمالِ النظمِ والنثرِ ، وحَلُّ الآياتِ الكريمةِ والأحاديثِ النبويةِ ، وما يجوزُ من ذلكَ ومالا يجوزُ ، وأوضحتُ أقسامَ البيانِ والبديعِ ، وما تكلمَ الناسُ في ذلكَ كلِّهِ على سبيلِ الاختصارِ والاقتصادِ ، لا التطويلِ المُمِلِّ ، ولا التقصيرِ المُخِلِّ ، وذلكَ على حسبِ الطاقةِ والاجتهادِ .

واللهُ المُوفِّقُ بِمَنِّهِ لِطُرُقِ السدادِ

* * *

تمَّ الكتابُ بحمدِ اللهِ تعالَى وعونِهِ

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وآلهِ وصحبهِ وسلَّم تسليماً كثيراً

على يدِ العبدِ الفقيرِ إلى اللهِ تعالَى الراجي عفوَ ربِّهِ ومغفرتِهِ محمد بن ابراهيم بن عبد الله الشافعي في العشرِ الأواخرِ من ذي القعدةِ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وسبعمائةٍ ، حامداً اللهَ تعالَى ومُصلياً ومُسلماً

والإجازةُ :

« سمعَ علَيَّ هذا الكتابَ المُسمَّى بجوهرِ الكنزِ ، مختصر كنز البراعة ، الذي اختصرته من تأليفِ والدي رحمه الله تعالى من أوله الى آخره الصدرُ الرئيسُ الأصيل الفاضلُ زينُ الدين محمدُ بنُ المرحوم الشيخِ الرئيس عبيد اللهِ الشافعي ، والفقيهُ شمسُ الدين محمدُ بنُ محمدٍ عُرِفَ بالحبيشوُن في مجالسَ عديدةٍ بقراءته ، وقد أجزتُ لهما روايتهُ عني بطريقتهِ ، وذلك في شهورِ سنةَ ستٍّ وعشرينَ وسبعمائة . أحسنَ اللهُ عقباهُما ، وبلغني وإياهما المقاصدَ ، وجعلهُ خالصاً لوجههِ الكريمِ .

وكتبه العبدُ الفقير إلى الله تعالى أحمدُ بنُ اسماعيل بن أحمدَ بن سعيد بن الاثير الشافعيُّ ، عفا الله عنهم أجمعين بمنه وطوله »»

توقيع

أحمد بن اسماعيل بن الأثير

فهارس الكتاب

1 - فهرس قوافي الشعر
2 - فهرس الأعلام
3 - فهرس الموضوعات

« فهرس القــوافى »

(ث)

(ج)

القافية	اسم الشاعر	رقم الصحيفة
شهرا	ابن حيوس	٥٤٠
قمرا	»	٥٤١
قرار	التهامي	٥٤٥
الأخبار	»	»
هار	»	»
سار	»	»
الذكر	ابو تمام	٥٤٥
النصر	»	»
السمر	»	»
الكفر	أبو تمام	٥٤٦
الأجر	»	»
خضر	»	»
والشعر	»	»
الدهر	»	»
القدر	»	»
البحر	»	»
النمر	»	»
قسبر	»	»
عمر	»	٥٤٧
تسرى	التهامي	٥٥٤
الشهر	»	»

القافية	اسم الشاعر	رقم الصحيفة
ظفر	التهامي	٥٥٤
الصخر	»	»
يجرى	»	»
بعير	بعضهم	٥٥٥
كثير	بعضهم	٥٥٥
بالخز	الحيص بيص	٥٦٥
خمر	»	»
تجرى	»	»
السمر	»	»
الحر	»	»
الاكبرا	-	٥٦٨
تنتظر	بعضهم	٥٦٨
الزائر	-	٥٧٠
الفقر	-	٥٧٢
بصائر	-	٥٧٢
ونهار	-	٥٠٣
ثمره	أبو نواس	٥٧٤
الدهر	-	٥٧٤
صور	-	٥٧٥
كثير	-	٥٨٥
حذار	-	٥٧٦

القافية	اسم الشاعر	رقم الصحيفة
قولُ	السموأل	٥١٩
قيلُ	»	»
بالذل	—	٥٢٢
الكحل	—	٥٢٢
رجلي	معن بن أوس	٥٢٢
عقلي	معن بن أوس	٥٢٣
قبلي	معن بن أوس	٥٢٣
الفعل	بعض الأعراب	٥٢٥
عدل	بعض الاعراب	٥٢٥
حالي	الفرزدق	٥٢٥
فمالي	الفرزدق	٥٢٥
قليل	السموأل	٥٢٥
وعقول	السموأل	٥٢٥
العطل	الطغرائي	٥٢٨
الطفل	الطغرائي	٥٢٨
جملي	الطغرائي	٥٢٨
الخلل	الطغرائي	٥٢٨
حلل	الطغرائي	٥٢٩
الذبل	الطغرائي	٥٢٩
علل	الطغرائي	٥٢٩
قبلي	الطغرائي	٥٢٩
بالكسل	الطغرائي	٥٢٩
فاعتزل	الطغرائي	٥٢٩
بالوشل	الطغرائي	٥٢٩
الجدل		
لي		
فضائله	حمزة بن عبد الرازق	٥٦٢
أرامله		٥٦٢
نائله		٥٦٢
أنامله		٥٦٢
سائله		٥٦٢
عوامله		٥٦٢
يحاوله		٥٦٢
الرحلُ	امرؤ القيس	٥٦٨
الزللُ	—	٥٦٩
فحول	—	٥٧٣
اجمال	—	٥٧٥
حالي	—	٥٧٥
جميل	—	٥٧٥
الفضل	—	٥٧٦
الوصول	—	٥٧٧
غلا	—	٥٧٨

القافية	الشاعر	رقم الصحيفة
احترموا	ابن المقلد	٦٠١
ظلموا	»	»
المحرم	»	»
(ن)		
يكنِ	بعض الشعراء	٣٦
غصنا	شاعر	٣٤
احسانا	قريط بن انيف	٨٧
روينا	عمرو بن كلثوم	٨٧
وخلائى	—	٩٤
بالاخوانِ	—	٩٦
جنانى	المتنبى	٩٧
اودعانى	»	»
تكوينى	—	٩٨
تلوين	—	٩٨
أعينها	الشريف ابو يعلى	٤٠١
أزينها	بن المبارية	٤٠١
مكانُ	ابو نواس	١٦٥
نعنى	ابو نواس	١٧٦
فن	ابن شرف القيروانى	١٤٥
الامن	»	»
الأذن	—	١٨١

القافية	الشاعر	رقم الصحيفة
عيونُ	—	١٨١
يقين	—	١٨٥
أمين	—	١٨٥
المنونُ	كثير	١٨٦
يمنى	ابن مقلة	١٨٩
دينى	»	»
حفظونى	»	»
الحزنِ	المتنبي	١٩٦
بيننا	الغزى	٤٦٦
الفنا	»	»
السفيه	ابو عبد الله بن صغير	٤٦٩
الفطنِ	القيرانى	٤٦٩
الوسنِ	»	»
تسرنى	—	٤٧٣
يبنِ	—	٤٧٣
المنا	ابن عربى	٤٧٣
المغنى	»	»
المغنى	ابن سناء الملك	٤٧٤
الجيرانِ	ابن الساعاتى	٤٧٧
السكانِ	»	»
الوسنانِ	»	٤٧٨



فهرس الأعلام

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصحيفة

رقم الايداع بدار الكتب ٠ ٩٠٠ ٢

تم بحمد الله ، طبع هـذا الكتاب في
شركة الاسكندرية للطباعة والنشر
ابراهيم محمد السيد وشركاه
١ ش فنتورا بجوار سيدي عبدالرزاق
تليفون : ٢٥٨٤١

